

# المنهج العلمي والعلوم الاجتماعية

تأليف  
دكتور السيد علي شتا

دكتوراه في الفلسفة  
أستاذ علم الاجتماع والفلسفة بجامعة القاهرة  
مدرس في قسم الفلسفة الاجتماعية في جامعة القاهرة

مؤسسة شباب الجامعة  
دار النشر: مكتبة جامعة القاهرة  
١٩٨٧ - ١٤٠٨ هـ



# لمنهج العلمى والعلوم الإجتماعية

تأليف

دكتور السيد على شتا

وكنته اء علم الاجتماع

أستاذ علم الاجتماع والشاىك بمهارة الملك سعود

ويعيش فى الرءاءة الامارة بامارة الشاىك

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ شى الدكتور مطين مشرفة

ت ٢١٣٩٤٧٣ - اىكونية





## المقدمة

الكتاب الذى نقدمه الآن بعنوان **البداية المنهجية لعلم الاجتماع** ما هو الا محصلة خبرة متصلة فى مجال البحث الاجتماعى لمدة ثمانية عشر سنة امتزجت بخبرتى فى تدريس مقررات طرق البحث الاجتماعى " البحث الميدانى ، النظرية السociولوجية و علم الاجتماع المعرفى ومبادئ علم الاجتماع لمدة ثمانية سنوات لطلبة العام الاجتماع وطلبة الدراسات العليا . وهو بذلك يتفهم حوارا متصل بين القضايا المنطقية المتعلقة بمنهجية البحث الاجتماعى وبين الاجراءات المنهجية للبحث فى علم الاجتماع . حيث يعالج الجزء الاول منه وتز بعنوان " استراتيجيات المنهج العلمى فى البحوث الاجتماعية " القضايا المنطقية الاساسية المتعلقة بمنهجية البحث تلك المنهجية التى تشكل العنصر الرئيسى للبداية المنهجية للعلم فى حين يختص الجزء الثانى وهو بعنوان " طرق البحث فى علم الاجتماع " بمعالجة الاجراءات المنهجية للبحث الاجتماعى، والتى ترتبط بعناصر البداية المنهجية الاخرى، المتشكلة فى المداخل المنهجية وما يرتبط بها من طرق واساليب وادوات منهجية تتعامل مباشرة بجهود الباحث ونشاطه فى مجال معالجة الظواهر التى يعنى علم الاجتماع بمعالجتها . والتى ترتبط بدورها بعنصر المنهجية من حيث تعيينها وتقويمها والبرهنة على مدى صلاحية اى منها لمعالجة ظاهرة ما وجسبج البيانات المتعلقة حولها (1) .

ومن ثم تشكل منهجية البحث المفهوم الرئيسى الذى يختص بمعالجته الجزء الاول الذى نقدمه له الآن . وهى تشير لمجموعة المبادئ المرتبطة بالمنظور العلمى وحدود تطبيقها فى دراسة الظواهر الاجتماعية ، وتحصيل المعرفة العلمية حولها ، وتحديد مصادر صلافة النظرية المفسرة لتلك الظواهر

(1) Mahmoudi, Kooros N. & Parlin, Bradley W., *Sociology Inquiry*, N.Y., Kevdall Hunt. Publishing Company 1975. p. 21.



ومدى ارتباطها بتوجيه مسار البحث ومملكه في التناول الامبيريقى للظواهر الاجتماعية . اضافة لما تسهم به المنهجية في تعيين الاس المنطقية لادامة البرهان العلمى على صحة معارفنا . ولاماة الصياغة النظرية، وما تتضمنه من احكام تنبؤية حول المجتمع وظواهره . والمنهجية بذلك تمثل المبادئ المنطقية الاساسية التى تنظم عمل عالم الاجتماع، وتحكم نشاطه على مستويات التحليل السيولوجى<sup>(١)</sup>، الذى تحدد محاوره المتعلقة بمعالجة النماذج النظرية المفسرة للوقائع وصولا للنموذج التفسيرى العام القادر على فهم تلك الوقائع وتفسيرها ، وتحليل ظواهر الواقع وتحديد لذاتها العامة وخواصها ، والعلاقات القائمة بين تلك الخواص، والتى يمكن تفسيرها فى ضوء النماذج التفسيرية العامة من ناحية، والمتعلقة بتخيل الاتجاهات العامة فى النظرية السيولوجية، والعلاقات التى تربطها ببعضها من حيث التناقض والاداء الوظيفى، والتى تجعلها تشكل معا وحدة النسق المرجعى لعلم الاجتماع من ناحية اخرى .

ومن ثم يعالج هذا الكتاب مجموعه المبادئ المنطقية التى تنهى عليها منهجية البحث، والتى تحكم عملية دراسة الظواهر الاجتماعية، وتحصيل المعرفة الدقيقة الشاملة والصادقة حولها . وتحديد مصادر صياغة الانساق النظرية المفسرة لظواهر الواقع الاجتماعى، ومدى توجيهها للمعالجة الامبيريقية لتلك الظواهر . والتى تحدد القواعد المنطقية لادامة البرهان العلمى على صحة الصياغة النظرية، ولاماة احكامها ونسبواتها ، ومدى قابليتها للتحقق الامبيريقى فى بحوث علم الاجتماع .

---

(١) راجع فى ذلك " الاتجاه التحليلى المعاصر والنسق المرجعى لعلم الاجتماع " فى دكتور السد على شتا ، البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الخيرة الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ . العمل ١٦ .



وفي ضوء ذلك يتفمن هذا الكتاب أربعة ابواب تتكامل مع بعضها وتشكل وحدة واحدة في معالجة قصور المنهجية واستراتيجيتها في البحث الاجتماعي. حيث يعالج الباب الأول البنية المنهجية والبرهان العلمي . ويتفمن الباب الثاني معالجة لاسي المنهجية التي تحكم عملية البحث العلمي الاجتماعي ومحدداته ومعطياته المعرفية . ثم يتناول الباب الثالث الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع في دراسة المجتمع البشري وقواهه . اما الباب الرابع فيسهدف ربط مبادئ المنهجية وقضاياها بمفاتيح البحوث الامبيريقية الوصفية والتفسيرية في علم الاجتماع .

والله ولي التوفيق . . .

المؤلف

الاحمد في ١٩٨٢/٨/٨ م



## الباب الأول

### البناء المنهجي والبرهان العلمي

#### تمهيد :

أصبحت الطريقة العلمية في البحث وتحصيل المعرفة حول ظواهر الواقع المتنوعة لغة مشتركة بين العلماء والباحثين بمختلف تخصصاتهم . وذلك لقناعتههم بأن توفير المعرفة العلمية الدقيقة والصادقة والشاملة حول الظواهر يعتمد في المحل الأول على مدى استناد الباحث لقواعد الطريقة العلمية واتباعه لخطواتها في تحصيل تلك المعرفة . وصيغتها في سه نظري وأكدته من صحة الصياغة النظرية ولامتها المنطقية .

ومن ثم احتلت معالجة الطريقة العلمية ومبادئها واستراتيجيتها ومعاييرها في مختلف المؤلفات، وخاصة تلك المؤلفات التي تعنى بمعالجة الظواهر الاجتماعية، وتوفير المعرفة العلمية الدقيقة حولها . حيث اشتهر الطريقة العلمية ومبادئها واحدة في معالجة تلك الظواهر شأنها في ذلك شأن بقية الظواهر الأخرى مع ضرورة توفير اللياقة المنهجية بين موفوم البحث والاجراءات المنهجية التي يتبعها الباحث في معالجتها . دون أن نغفل تلك اللياقة بين الموفوم واجراءاته المنهجية بمبدأ وحدة المنهج العلمي تلك الوحدة التي تتحقق بكاملها على مستوى منصر المنهجية بالبناء المنهجي والتي تشير لمبادئ المنهج العلمي واستراتيجية تطبيقها في تحصيل المعرفة حول ظواهر الواقع، وصيغتها في انساق نظرية، والتحقق منها . وبذلك فلهي توجه مملك البحث وتحدد خطواته والقواعد التي توجه عمل الباحث . في حين أن مبدأ اللياقة المنهجية بين الظاهرة المدروسة والاحراء المتبعة في دراستها فتتحقق بدرجات متفاوتة على مستوى عناصر البناء المنهجي الأخرى للعلم، والمتمثلة في المداخل المنهجية، والطرق، المنهجية، والاساليب والادوات

المنهجية ، والتي تنظمها أيضا وتحدد اختياراتنا لأي منها المبادئ الأساسية

التي تشكل عنصر المنهجية بالبناء المنهجى للعلم .

وفي ضوء ذلك يدالغ هذا الباب الاستراتيجية المنهجية العامة لنسبة

التفكير العلمى بتناول الموضوعات التالية :

- البناء المنهجى للعلم .
- ظاهرة المعرفة .
- البرهان العلمى .



## الفصل الأول المقدمة المنهجية للمصطلح

إن رغبنا في الوصول إلى فهم لطبيعة المجتمعات البشرية وما يتلوه على هذه من طواهر ووقائع، هي التي تدفعنا بالضرورة لتلك المداولات الدائمة لفهم الطبيعة الإنسانية للعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة باعتبارها النظم العلمية التي يصادفنا على الوصول إليها الفهم وتوعف المعرفة العلمية . ونحن نراكم تراكم الدائم حول وقائع المجتمعات البشرية وطواهرها الاجتماعية والثقافية . وما يستلزمه لتلك المداولات الدائمة لفهم طبيعة النظم العلمية للعلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع . يستلزم في المحل الأول في طموحاتنا الدائمة لتسمية الاستراتيجية المنهجية لتلك العلوم بما يحلها قدرة على فهم الواقع الاجتماعي وطواهره<sup>(١)</sup> وتحقيق تراكم المعرفة العلمية . حولها على أسس طيبة . تتسق مع مبادئ المنطوق العلمي لسق التفكير العلمي ومنطقه . في البرهنة على صحة المعرفة التي تحلها أي من النظم العلمية حول الطواهر الواقعة في مجال اهتمامنا . وما ندرسه من حوار حول نقي التفكير العلمي ومبادئ المنهجية . ما هو الا مداولات في تلك المداولات التي تستهدف معالجة النظام العلمي ومبادئه التي تحكم العمل والنشاط العلمي في مجال العلوم الاجتماعية . والوقوف على حدود استخدامنا للمنهج العلمي الذي يشكل إحدى عناصر هذا السق في تحصيل المعرفة حول طواهر الواقع الاجتماعي<sup>(٢)</sup> . ومعالجة التطورات الفلسفية لتلك الطواهر . وتحديد الأسس المنطقية للبرهان العلمي . ومدى استنادنا لتلك الأسس في البرهنة على صحة تلك التطورات وملاحقتها لتفسير الطواهر التي هيئت من أجل فهمها وتوجيه العمل العلمي منذ مداخلها . وبذلك فإن تنمية النظم العلمية للعلوم الاجتماعية لا يتحقق الا بهيئة لبيدات العلم . واستراتيجيته في معالجة وقائع العالم وطواهره من ناحية . وتحديد طبيعة الطواهر الاجتماعية والثقافية ومقتضيات معالجتها في ضوء المبادئ الأساسية لسق التفكير العلمي ومنطوقه من ناحية أخرى وذلك للوصول باستراتيجية العلوم الاجتماعية لمستوى يتحقق معه لمعالجة تلك الاستراتيجية منهجيا لموضوع تلك العلوم . وكذلك لمعالجة طواهر الواقع الاجتماعي وتحقيق تراكم المعرفة العلمية حولها . وفدرنيسا للبرهنة على صحة تلك المعرفة . وكانت معالجة في شكل نظرية مكتملة أو لم تكمل بعد . في ضوء أسس ومبادئ إقامة البرهان العلمي .

(1) Fitzgerald; Jack D. & Cox, Steven M, Unraveling Social Science, Chicago: Rand McNally College Publishing Company, 1975, p.1.

وذلك بعينه ما جعلنا نسبل مداحنا لاسرائيلية المسيح العلمي في الحسبوت  
الاجتماعية بتناول الحواب التالية :

- تعريف العلم .
- اهداف العلم ووظائفه .
- المبدأ المسيحي للعلم .
- مبادئ المنظور العلمي في العلوم الاجتماعية

#### أولاً : تعريف العلم :

يعتبر مصطلح العلم ( Science ) من أكثر المصطلحات التي لاقى اهتماماً  
بالذات من قبل العلماء، وذلك لسريته -أره وتحدية -مأمره ووظائفه واهدافه -... .  
شارة اخرى، وإذا كان الاتجاه النظري قد عرّف العلم على تلك العلوم الخيرية -...  
( البيولوجيا والطبقة والكيمياء وفرونها ) باعتبارها تعتمد في انخلاص -...  
من أبحاثها وحياتها على أساس الرياضيات، وذلك فبما قبل القرن الثامن عشر  
بعد كان ذلك راجع في أساسه الى اعدادهم بأن هدف العلم يحصر في الكشف في تلك الظواهر  
والقوى التي تكمن وراءها ونعمل على حوثها . إلا أن هذا الفهم قد موصل  
بشكك شديد من قبل "ديفيد هيوم" متنبأاً وفي في القرن الثامن عشر هذا الاعداد  
المنطقي بهدف العلم وفهم الفلسفة بهذه المورة، وأكد على أنه ليس -...  
أن يكتف القوي المجبولة في الظواهر وأن ما يستطيع عمله ينحصر في معرفة -...  
القائمة بين هذه الظواهر وبذلك لم يعد هدف العلم البحث في القوى الدافعة  
التي تعمل على حدوث الظواهر وإنما أصبحت العلاقة بين الظواهر هي هدف العلم، ثم  
أدى الحوار حول هدف العلم بعد ذلك الى اعتبار تلك الروابط والعلاقات القائمة  
بين الظواهر بمثابة القوانين التي يسمي العلم للكشف عنها، وبذلك لم تعد العلة  
تشكل هدف العلم .

وقد كان ذلك دافعة أمام العلماء والمفكرين لتطوير فهمهم لمعنى العلم،  
فجاء تعريف الرياضي الفرنسي "هنري بوانكاريه" بهذا يشير الى أن العلم معرفة  
تتعلق بإدراك الروابط والعلاقات القائمة بين الظواهر لا بالظواهر في حد ذاتها  
وهو في ذلك كان متأثراً بفهم ديفيد هيوم للعلم وبالحوار الذي جمل من العواصبي  
( الروابط والعلاقات بين الظواهر ) بدلاً من العلة هدف للعلم . وقد ترتب على فهم  
"بوانكاريه" للعلم بهذه المورة الاتجاه الى جعل العلم مرادفاً للمعرفة وسنوع

تعريف العلم باسمه تراكم المعرفة المنطعم . الا ان علماء المناهج امثال "جود" و" هات" قد اكدوا ان تعريف العلم بهذه الصورة لا يكتفينا عن السمة الاساسية للعلم باعتباره طريقة او مدخل لتناول الواقع ولهم طواهره . وذلك ما جعل "جوليان هكسلي" يتخذ من النشاط الذي يتحقق بواسطة تحصيل المعرفة اساسا لتعريف العلم ، باعتباره (اي العلم) بمثابة النشاط الذي نعمل من خلاله معرفتنا حول الطواهر والذي يمارس بواسطته الضغط للتحكم في العالم الواقعي كما ان "لندبرج" يؤكد في تعريفه للعلم على انه وسيلة للحصول على المعرفة المفبوبة حول الطواهر . وتطبيقها في عملية التنبؤ وبذلك انتم الملة بين تحصيل المعرفة حول الطواهر والتنبؤ باحتمالات حدوثها في المستقبل في سياق تعريف العلم . وقد مهد ذلك الطريق امام "كوهن" ل طرح تعريفه للعلم في اشارة معارف العلوم الاجتماعية باعتباره بمعنى الوصول الى القوانين العامة التي تقيم الروابط بين الحقائق باتباع الطريقة العلمية . وهو بذلك يبين المعرفة سواء كانت معافة في شكل نظرية مكتملة او لم تكتمل بعد . والطريقة العلمية التي تستخدم في تحصيل تلك المعرفة .

ويأتى تعريف " تيودور سافوري " Theodore Savory بما يؤكد على تلك الملة القائمة بين علمي العلم المتمثلان في النظرية والطريقة العلمية . اذ يعتبر العلم معرفة من نوع خاص محدد ، يتم فهمها بطرق منهجية مميزة ومرتبطة بفروض نظرية وتجريبية . وهذا التعريف لا يعنى كما هو ظاهر ان المعرفة مرادف للعلم . وانما يعنى ان المعرفة سواء كانت معافة في شكل نظرية مكتملة او لم تكتمل بعد يتم تحصيلها بواسطة نظام متكامل ينهل على عناصر اساسية تميز النظام العلمى عن غيره من نظم تحصيل المعرفة الاخرى .

واذا كان المنظور العلمى ينهل على مبادئ اساسية تتمثل في :

1- مبدأ تحقيق التجريبية والتي تتطلب ان يستند العلماء في تطويرهم للنظريات والفروض وتنميتها على الملاحظة العملية للطواهر والحوادث موضوع الدراسة ، بحيث يتسارن الباحت نظرياته وتفسيراته بملاحظاته للحوادث والوقائع ، ويستبعد ما يتعارض منها مع نتائج ملاحظاته . ومبدأ الموضوعية التي تتعلق بتأكيد الباحت على نتائج ملاحظة الوقائع اكثر من الانطباعات الشخصية ومبدأ النسبية الذي يشير الى ان ما وصل اليه الباحت من نتائج لا يعتبر دائما وعاما صادقا بصورة مطلقة . ومبدأ الشك الذي يشير لرغبة العالم لستيس التساؤلات من كل شئ وصولا للحقائق الكامنة وراء الطواهر . ومبدأ الحيثيات

3) Savory, Theodore H., The language of Science, London, Tonbridge Printers, L.T.D., 1967. P.18.

الإحاطة ببعض الأحكام المعيارية المصنوعة بما يجب أن يكون، أو بما هو العمل وجهر التفسير  
العلمية لطاخره معينة في جوانب محددة عند الأذنان، من علم الإحصاء يحد من هذه المبادئ  
مطلقة لتناول الطواهر الاجتماعية - الوصف والتفسير لتحقيق الفهم العلمي لتلك الطواهر  
والموئل التي مستوى التنبؤ العلمي بمستقبل تلك الطواهر واحتمالات حدوثها والعوامل التي  
تتحكم في هذا الحدث .

#### شأنها أهداف العلم ووظائفه :

شأنها أهداف واضح بين المنظرين والمنهجيين على أن للعلم أهداف أساسية محددة تمثل  
من الفهم والتنق والتحكم، وأن تحقيق العلم لهذه الأهداف يعتمد على مدى أدائه لوظائفه  
الأساسية المتمثلة في الوصف والتفسير للطواهر التي يتناولها - اعتماد الوصف والتفسير  
وسائله الأساسية لبلوغ أهدافه (١)

#### { ١ } أهداف العلم :

يخبر حواراً في هذا المجال حول الأهداف المعلنة للعلم ويمثل تلك الأهداف هي:  
فهم الطواهر، باعتبار هذا الفهم ركيزة أساسية لتحقيق هدف العلم الثاني المتمثل في  
التنبؤ بمستقبل هذه الطواهر، واحتمالات حدوثها، وذلك تمهيداً لتحقيق الهدف النهائي المتمثل  
في السيطرة على تلك الطواهر والتحكم في العوامل التي تعمل على حدوثها .  
- الفهم كهدف للعلم :

يجمع فلاسفة العلم على أن الفهم Understanding هدف أولي من أهداف  
العلم الأساسية المعلنة، وذلك لأنه بدون فهم الطواهر والوقائع لا نستطيع أن نعد حكماً  
أو تعميماً حولها، وبذلك يعتبر الفهم العملية الأساسية التي نبتدئ إليها للوصول إلى  
إدراك واقع الطاهرة، وإيرتبط بها من وقائع ومانعها بمصطلح العملية Process في  
هذا المجال، يتمثل في كون هذا الإدراك يتم من خلال مراحل معينة تبدأ بالاجابة على  
السؤال : ماذا حدث ؟ باكتشاف الوقائع والطواهر، ومحاولة تحديد خصائصها والسمات  
المميزة لها، وذلك تمهيداً لاكتشاف العلاقات القائمة بين تلك الوقائع والطواهر وتفسيرها  
للاجابة عن السؤال لماذا حدث الطاهرة بتحديد العوامل التي تحكم في هذا الحدث  
والعلاقات التي تربط تلك العوامل ببعضها والتي تربطها بحدوث الطاهرة من ناحية

(1) Bailey, Kenneth D, Methods of Social Research, The Free Press, London, Collier  
Macmillan Publishers, 1978, pp 31-32.

والعلامات التي يربط الظواهر بعضها والتي تحكم في نشأتها وتلاصقها بغيرها من الظواهر في سلوكها وأدائها لوظائفها من ناحية أخرى، ومن ثم تتحقق الاتحاد من التوال كـيـسـف حسب الظاهرة ؛ وبذلك يكون تحقيق هدف الفهم عملية متعلقة بنشأة الوصف مبرورا سبحانه العوازل، وعلا إلى الكيفية التي تم بها حدوث تلك الظواهر .

وعليه لا يحقق الفهم العكس للظواهر إذا ما اعتمدنا على مجرد الوصف، وذلك لأن التفسير مرحلة أساسية لاكتشاف عناصر الفهم لتلك الظواهر، كما أننا لا نستطيع أن نحقق التفسير للظواهر إلا إذا كنا قد اكتشفنا تلك الظواهر، وعناصرها والحداد والحدائق المميزة لها .

وبتحقيق الوصف والتفسير للظواهر ينحرف فهمها والوصول إلى العوازل التي تحكم في نشأتها وتطورها وتلاصقها بغيرها من الظواهر وأدائها لوظائفها .

#### - التنبؤ كهدف للعلم :

يجمع العلماء على أن التنبؤ Prediction أساس للعلم إلا أن معنى هذا الهدف يرتبط بصورة أساسية بتحقيق الفهم كهدف أولي ويرتبط بصورة مباشرة بالتفسير كمرحلة نهائية في عملية الإدراك والفهم للظواهر، وذلك ما جعل البعض يفهم العلامة بين التفسير والتنبؤ، ويعتبرها وجهان لعملة واحدة نظرا لاعتمادهم بأن التفسير يأس بعد وقوع الحوادث في حين أن التنبؤ يسبق وقوع الحوادث (١) وهذه مسألة لا جدال فيها، وذلك لأن التنبؤ يهتم بما سوف يكون في المستقبل لأنه بمثابة اختيار لمجموعة من العلاقات الدائمة بين متغيرات أو ظواهر أو أحداث تقبل الملاحظة والملاحظة ولهذا يكون تلك التنبؤات مصادرة في شكل قانون أو نظرية علمية معلنة، إلا أن ميدان الدان أو النظرية لا يتحقق إلا بفهم تلك الوقائع والظواهر، وتقديم تفسير لها في شكل حكم احتمالي نتجته درجة يقينه في قوة التحقق الاستدلال للدان، أو النظرية التي تتضمن التنبؤات وبذلك يكون التفسير عملية متعلقة بفهمها تنبؤاتنا، وتتعلق بها من درجة يقين تلك التنبؤات بعد حدوث الظواهر التي تنبأنا بها، أو التي أصدرنا حكما باحتمالات حدوثها بكيفية معينة .

وبتحقيق هدف التنبؤ هذا يتوفر للإنسان فرصة السيطرة على الظواهر، والتحكم في العوامل المؤدية لحدوثها وتوجيهها بالكيفية التي تجعل هذا الحدث لصالح الإنسان ومنفعته .

(1) Bailey, Kenneth, D., Op.Cit, p. 34.

## (٢) وظائف العلم :

يعتمد تحقيق العلم لأهدافه على مدى قيامه بوظائفه الأساسية ، تلك الوظائف المتمثلة في الوصف والتفسير للظواهر الواقعة في مجال عمله . والواقع ان تحديد الوصف والتفسير كوظيفتين للعلم تعتبر من المسائل الجدلية ، التي استهدفتها الحوار المتعل والمستمع حول تعريف العلم ، وأهدافه ، والكيفية التي يحمل بها المعلم لتحقيق تلك الأهداف . فقد كان "فرنسيس بيكون" وجون استيوارت ميل " وجاليليو " لا يقبلون الأسس الصورية القبلية للعلوم التجريبية ، ومع ذلك فقد كانوا لا يقبلون الاتجاه الذي يعتبر الوصف وظيفة أساسية للعلم ، وذلك نتيجة للنماتية بأن التقدم العلمي لا يعتمد على الوصف أي وصف ما يحدث فقط ، وإنما يعتمد على وصفه وتفسيره . وقد كان لهذا الاتجاه انماؤه ومؤيدوه اذ ذهب "شرتمان وزملاؤه " الى ان الوظيفة المبدئية للنموذج العلمي تفسيرية أكثر منها وصفية <sup>(١)</sup> . وربما كان لاتجاه "شرتمان" وزملاؤه هذا اثره على اتجاه كل من "فورسز و ريشر" في مؤلفهما ومناهج البحث الاجتماعي ١٩٧٢م ، اذ وضعوا الوظيفة التفسيرية في وضع معين بالنسبة للعلم . وقد كان التأكيد على الوظيفة التفسيرية للعلم راجع في أساسه لتلك العلاقة المباشرة بين التفسير والتنبؤ كهدف للعلم ، وذلك ما جعل البعض يهتم بابرار الوظيفة التفسيرية في العلوم الاجتماعية ، لكي تحتل مكانتها العلمية بين العلوم الطبيعية الأخرى . وقد مارس هذا الرأي تأثيرا وإلحاحا على المعنيين بتحديد وظائف العلم حتى اواخر القرن التاسع عشر . عندما ظهر اتجاه جديد تزعّمه كل من "ارنست ماخ" واستفالد" وكارل بيرسون" وهم ممن تأثروا بولعية "أوجست كونت" اذ رفضوا هذا الفريق لاتجاه ' اعتبار القانون العلمي قانونا تفسيريا فقط ، واكدوا على ان القانون العلمي قانون وصفي أيضا . وذلك ما جعلهم يعتبرون الوصف وظيفة أساسية للعلم <sup>(٢)</sup> .

ويعتبر موقفهم هذا رد فعل للاعتقاد السائد آنذاك بأن كل تفسير هو تفسير علمي ، على نحو ما ذهب "جون استيوارت مل " ، ونتيجة للفتوة القائمة في صفوف علم الكيمياء بين ما يدرك بالحوس وبين النظرية العلمية التي تستعين على تفسير ما يدرك بالحوس لا تشير الى ما يدرك بالحوس فعلا الامر الذي جعلهم يذهبون الى حد القول بأن ما يفترض الكيمائيون وجوده لا اساس له . وعليه رفضوا التفسير عن طريق الفروض لاستنباطية الصورية التي لا يدرك مضمونها ، وذهبوا

(١) Churchman, C. West and Others, Introduction to Operations Research, New York. John Wiley & Sons, Inc., 1957, p. 157.

(٢) Forcese, D. & Richer, S., Social Research Methods, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1973, pp. 6-7.

(٣) دكتور محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي . الاسكندرية ، دار الجامعة المصرية / ١٩٧٧ م ، ص ١٤٦ - ٢٤٧ .

إلى أن الوصف هو الذي يحرر عن الموقف العلمي الدقيق وذلك لأنهم يرون أن العلم يجب أن الكيف بمعنى أنه محدد وصف لما يحدث بالفعل. وذلك بعينه، ما جعل دافيد و للبر يؤكد على الوصف والتفسير باعتبارهما وظيفة أساسيتين للعلم، وأن لكل منهما مستوى ذاتي، فالعلم إذا ما أراد أنه يتجاوز حدود الوصف في نظره يحتاج للعناصر العامة لكي يصبح تفسيراً. وأن التفسير العلمي يدور حول العلاقات العامة في حدود ذاتها ويتناولها بالتأويل والتفسير (١) كما أن "كيت دايلى" قد أعبر الوصف والتفسير وظيفتين أساسيتين للعلم لتحقيق الفهم كهدف أولي للعلم، يعتمد عليه تحقيق العلم لهدفه النهائي المتمثل في التنبيه (٢) وذلك ما سبق تأكيده بشكل واضح من قبل "ستيفن كول" عندما أعبر الوصف والتفسير محوراً أساسياً للدراسات العلمية في علم الاجتماع (٣).

ثالثاً : البناء المنهجي للعلم :

يحضر البناء المنهجي للعلم من المجموعات الأساسية التي شطبت فلاحه العلم وعلماء المناهج وغيرهم من الرواد الذين تمكنوا من إسغلال أي مسر النظام العلمية من الفلسفة. ويرجع هذا الاهتمام بحورية أساسية لاسرارنا نعلمي نوع البناء المنهجي بالنسبة للعلم، واعتماداً الرئيسي عليه في تحصيل المعرفة حول المواضيع والتحقيق من صدق هذه المعرفة. سواء كانت مضافة في نظرية مكتملة أو لم تكتمل عناصرها بعد ، ولكون هذا البناء المنهجي قاسم مشترك بين جميع العلوم، ووسيلتها في دعم استقلالها من الفكر الفلسفي، وتنمية حاصلتها المعرفية حول الظواهر الواقعة فسي مجال عمل كل منها .

ولذا كان البناء المنهجي للعلم ينهض على عناصر أساسية مترابطة ومتداخلة في أدائها الوظيفي، بحيث تشكل وحدة واحدة تربطها بعناصر العلم الأخرى علافاً تجعل من العلم نقداً متكاملاً لتحصيل المعرفة، فإن معالجتنا للبناء المنهجي يستهدف تفريق هذه العناصر المنهجية وتحديد العلاقات التي تربطها ببعضها من ناحية وتحديد الوظائف التي تؤديها كل من تلك العناصر في عملية تحصيل المعرفة من ناحية أخرى .

- 
- (1) Waller, David, Scientific Sociology, New Jersey: Prentice-Hall, Inc, 1967, pp 23-25.  
(2) Bailey, Kenneth D., op.cit., pp 31-32.  
(3) Culo, Stephens, The Sociological Method, Chicago: Rand Mc Nally College Publishing Company, 1972, pp 29-33.

وتمثل تلك العناصر الاساسية للبناء المنهجي في المنهجية والمداخل المنهجية

والطرق المنهجية والاداب المنهجية . والادوات المنهجية .

١ - معنى المنهجية : { Methodology }

يشير مصطلح المنهجية لتطبيق منطق المنطق العلمى فى دراسة الظواهر والحوادث (١)

وهى بذلك تعين مصادر صياغة النظرية ومدى ارتباطها بتوجيه عطفك البحث ومصادر  
سؤال الظاهرة اميريين كما انها تحدد مستويات تحليل معطيات البحث حسب  
الظاهرة سواء كانت عقلية او تصورية . وهى المستويات التى تستند اليها فى مراجعة  
النظرية واعادة صياغتها واقامة البرهان العلمى على مدى صحتها والمنهجية بذلك ترتبط  
بعلمة العلم وتمثل بمعالجة المبادئ الاساسية لصياغة الاندفاع النظرية بالاستناد  
لمعطيات الواقع كما ان المنهجية تشير فى بعض جوانبها لتحليل طرق البحث وتوجيهها  
وهذا تكون بمثابة الوسيلة التى تعين بها طريقة البحث ونهجهن بها على مدى ملائمة  
هذه الطريقة لتناول الظاهرة ونحليل المعرفة حولها وان استفادتنا لطريقة  
معينة سوف يمكننا من توفير مصادرات نوعية جيدة حول تلك الظاهرة (٢) والمنهجية  
بذلك تأتى فى قمة البناء المنهجي . وهى قاسم مشترك بين جميع النظم العلمية  
لأنها تقيم علة وثيقة بين اى من النظم العلمية والمبادئ الاساسية للمنهج  
العلمى المدام .

٢ - المدخل المنهجي : { Methodological Approach }

ويأتى المدخل المنهجي فى المستوى الثانى من البناء المنهجي للعلم وهو يشير

للتصور المنهجي لرؤية الواقع وتناول طواهره ونظمه ومراجعة الاندفاع النظرية  
الملائمة حوله . ويتحدد المدخل المنهجي فى ضوء المبادئ الاساسية والاسس المنطقية  
التي يستند اليها الباحث والتي تمثل الاطار المرجعي للمعالجة المنهجية . ومن امثلة  
المداخل المنهجية التى تحدد التصور المنهجي لرؤية الواقع ومعالجته تلك المداخل  
المفهومية المتمثلة فى المدخل التجريبي والمدخل المقارن والمدخل الرياضى والمدخل  
الباري . اما المداخل المعيارية والتي يتفحصها البناء المنهجي للمعلوم الاجتماعية  
عامة . وعلم الاجتماع خاصة . فتصل فى المدخل الفينومينولوجى الذى يشير لرؤية  
الباحث الذاتية للوقائع والملاحظة . والمدخل الاثنومثودولوجى الذى يشير لرؤية شعب  
من الشعوب او جماعة من الجماعات لتدافعها الخاصة ومحتويه من معان وامكار ودلائل

رمزية :

(1) Fitzgerald, J. 6 Cox, S., op.cit. p. 15  
(2) Mahmoudi & Parlin, op.cit., p. 21.



والحديث بالذكر في هذا الشأن ان المداخل المعبارية تعمل في نطاق العلوم الاجتماعية بجانب المداخل الموضوعية .  
والمدخل المنهجي بذلك يشرح مبادئ المنظور العلمي في حياة معد مثل التصور المنهجي الذي يتخذ منه الباحث مدخله لمعالجة الظاهرة. والذي يهدف لعملية التبادل الاجراشي بتحديد الطريقة المنهجية المناسبة والتي تتفق فوائدها في تناول الظواهر وتوجيه مسار معالجتها . وبذلك يمثل المدخل المنهجي المرحلة المحورية بين المنهجية وما تنطوي عليه من مبادئ واسس مثالية للمعالجة العلمية وبين اختيارات الباحث للطريقة التي تنظم عملية تناول الظاهرة في ضوء القواعد التي تنظم عليها هذه الطريقة .

#### ٣ - الطريقة Method

وتأتي الطريقة المنهجية في المستوى الثالث من مستويات البناء المنهجي للعلم التجسيد التصور المنهجي الذي حدده المدخل المنهجي الموجه بالأسس الاساسية للمنظور العلمي . والطريقة بذلك تنقل هذا التصور المنهجي لمعالجة الظاهرة من مستوى التصور الى مستوى تطبيق مجموعة من القواعد المنهجية التي تقوم عليها طريقة ما من الطرق المنهجية. سواء كانت الطريقة التجريبية او الطريقة المدارية او الطريقة التاريخية... الخ . والتي تحدد بدورها اجراءات تنساق والظاهرة ومسار عملية التناول وما تقتضيه من اداب منهجية تلام قواعد الطريقة وطبيعة الموضوع المطروح للمعالجة .

#### ٤ - الاداب المنهجية Methodological Techniques

وتأتي الاداب المنهجية في المستوى الرابع من مستويات البناء المنهجي للعلم وهي تشير لاجراءات معينة تحدد مستويات تناول الظاهرة ومعالجتها اصبريقا والتي تناسب طريقة منهجية معينة . ومن امثلتها اسلوب التيساس واسلوب المصدا واسلوب دراسة الحالة واسلوب تحليل المفهوم .  
والواقع ان اختيار اي من تلك الاداب في معالجة الظاهرة تحكمه طبيعة القواعد التي تنظم عليها الطريقة المنهجية المتبعة في معالجة تلك الظاهرة .

والطريقة التجريبية بنائها أسلوب الفحص والطريقة التاريخية بنائها أسلوب تحليل المفهوم، كما أن اختيار، من أسلوب المسح ودراسة الحالة يحدده مستوى التناول لوحدات الظاهرة .

#### Methodological Tools

#### أدوات المنهجية

تأثرت الأدوات المنهجية في المستوى الخامس من مستويات البناء المنهجي، وهي تشير للوسيلة التي يتبعها أسلوب منهجي معين في جمع البيانات حول ظاهرة أو حدث معين (١) ومن أمثلة هذه الأدوات المنهجية الملاحظة، والمقابلة واستمارة البحث، والملايس . وتحديد استخدام أي من هذه الأدوات يتم في ضوء الأسلوب المنهج للدراسة، وطبيعة وحدات موضوع الدراسة .

والشكل التالي يوضح مستويات البناء المنهجي للعلم



من التحليل السابق يتضح أن عناصر البناء المنهجي للعلم ترتبط ببعضها بعلاقة منطقية راسية، تأخذ شكلاً هرمياً كما هو مبين في الشكل التوضيحي لمستويات البناء المنهجي للعلم . وذلك لأن المستويات المنهجية الخمس تتكامل بنائها وتتساند وتفيد، لتشكل معاً وحدة البناء المنهجي للعلم . فلا منها يحدد المبادئ، والآخر التي تحكم تحديد المستوى الذي يليه، ويختص من مدى لسياسة المنهجية لموضوع الدراسة .

(١) Fitzgerald & Cox, o.p. cit., p. 15.

كما اتضح من التحليل، ايضا ان خصوصية المستوى تزداد كلما اتجهنا الى قمة البناء المنهجي، وتقل هذه الخصوصية كلما اتجهنا للمستويات الأدنى .  
وذلك من حيث تعدد استخدام وحدات المستوى . فالمستوى الاول، وهو المنهجية يرتبط بالتوجيه الاساس لمبادئ المنظور العلمى، بالنسبة لمعالجة الطريقة واختبارها، وتداول ظواهر الواقع . كما أنه يحدد اختياراتنا للمداخل المنهجية . يأتى المستوى الثانى، المداخل المنهجية / ليجد مبادئ المنهجية، بتحديد التصور المنهجي للمعالجة والتداول، المداخلة لعدد المداخل المنهجية، ومتطلباتها بين القواعد المنهجية للطريقة معبأة . وموضوع الدراسة المطروح للمعالجة، وما تلقينه القواعد المنهجية، تلك، من اساليب وافوات . وتحديد الطريقة المنهجية للدراسة على المستوى الثالث يتحدد الاسلوب المنهجي، الملائم للدراسة، وحدود استخدامنا لهذا الاسلوب ومستوياته .

وبتحديد الاسلوب المنهجي، على المستوى الرابع من مستويات البناء المنهجي، يمكن تحديد نوع الادوات المنهجية الملائمة لجميع السياسات حول الظاهرة .  
وبذلك تكون المنهجية بمبادئها، وحدة واحدة في توجيه العمل العلمى، لا من النظم العلمية، في حين ان تحديد المداخل المنهجية تحكمه مبادئ المنظور العلمى، وطبيعة موضوع الدراسة . وتنوع المداخل المنهجية هنا يكون محكوماً بإمكانية تطبيق قواعد منهجية معينة .

ويتمدد استخدامنا للطرق المنهجية في نوع التصور المنهجي للتداول وطبيعة موضوع الدراسة . اما بالنسبة لتعدد استخدام الاساليب المنهجية لتطبيقها، فالتقنيات الطريقة المنهجية . وقواعدها التي تنظم عملية البحث . ويحدد مساره، في معالجة الموضوع . وعلى اساس الاسلوب المنهجي، المتبع، من التناول للظاهرة . تتحدد الادوات المنهجية الملائمة لجميع السياسات، في قبول القواعد .

وبذلك يأتى تحديد المستوى الأدنى للبداية المنهجية مرتبطاً بالمستوى الأعلى تباعاً . ومن ثم تكون البدايات المنطقية لتحديد البداية المنهجية من ناحية الهرم المنهجى ، نزولاً للمستويات التالية تباعاً . وذلك لأن البدء بتحديد المستوى الأدنى لا يساعد على تحديد المستويات الأعلى ، كما أن البدء بهذه الصورة يترتب عليه حدوث ارتباك وعدم اتساق بين الإجراءات المنهجية المستخدمة للدراسة ، الأمر الذى يترتب عليه غياب الاتساق المنهجية بين الإجراءات المنهجية وموضوع الدراسة .

كما أن البدء بالمستويات الأعلى نزولاً للمستويات الأدنى ، يعنى أن متطلبات كل مستوى من عناصر المستوى المنهجى الذى يليه يمكن أن تتعدد حسب متطلبات المستوى الأعلى . وبذلك تقل خصوصية المستويات الأدنى وتزداد خصوصية المستويات الأعلى . فاحتياجات الباحث من الطرق المنهجية يحكمها المدخل المنهجى المعلن للتناول ، كما أن الأساليب المنهجية التى يختارها الباحث تحكمها طبيعة الطريقة المنهجية وامتيازاتها من الأساليب ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة للأدوات المنهجية التى يختارها الباحث إذ يمكن أن تتعدد هذه الأدوات فى فئوس المتطلبات المنطقية لاستخدام أسلوب منهجى معين فى الدراسة .

رابعاً : مبادئ المنظور العلمى فى العلوم الاجتماعية

تتأكد علمية نظم العلوم الاجتماعية بمدى اتساقها لمبادئ المنظور العلمى فى مجال عملها ، وفى ذلك تتماثل مع نظم العلوم الطبيعية . ولا يعنى تساوت استخدام كل منها للطرق والأساليب والأدوات ، تناقض الكفاءة العلمية لاي منهما . إذ أن وحدة المنهجية : أى وحدة المبادئ والأسس التى توجه عملها ، واختياراتها بالنسبة للمدخل والطرق والأساليب والأدوات المنهجية ، هى أساس علمية تلك النظم المعرفية . وما التفاوت فى الإجراءات الانتيجة لتفاوت طبيعة الموضوعات التى تقع فى مجال عمل كل منها . والعمل على تحقيق مبدأ الاتساق المنهجية بين موضوع الدراسة والإجراء المنهجى المتبع فى معالجة هذا الموضوع .

ولعل وجود مجموعة من المفاهيم والمفطلحات في أي مجال، يعرّض هي إحدى الملامح المميزة للنظم العلمية ، والتي تشكل وسيلة الاتصال والتفاهم بين المتخصصين في أي من تلك النظم العلمية. وفي ذلك تتداخل النظم العلمية للعلوم الاجتماعية مع النظم العلمية للعلوم الطبيعية، إذ إن لكل منهما مجموعة من المفاهيم والمفطلحات المشتركة والمتفق عليها من قبل معظم العلماء . كما إن للعلوم الاجتماعية مفاهيمها العامة المشتركة فيما بينها جميعا . إضافة للمفاهيم المشتركة فيما بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية مثل : القوانين ، والقضايا والمسلمات والمعادلات ، والنظريات والفرضيات . ومع ذلك فإن العلوم الاجتماعية تستخدم بعض المفاهيم الدارجة والشائعة في حياة الناس ، إلا أن استخدامها لمثل تلك المفطلحات لا يكون بنفس دلالتها الدارجة. فمفطلحات الشائقة والمجتمع والمركز والدور والوظيفة والبناء، رغم أنها تستخدم بصورة عامة وشائعة بين الناس إلا أنه عندما يستند عالم الاجتماع مصطلح الدور أو الوظيفة فإنه يعنى بها شيئا آخر مختلفا في معناه. ومفهومه كما يعنيه الرجل العادي. ورغم أننا نعلم الكثير من تلك المفاهيم. ونظم الكثير من سلوك الإنسان. وتعرفاته. إلا أن الأمر يختلف عند نظرة رجل الاجتماع إلى هذه الأمور. وفي تناوله وتحليله وتفسيره لها، والمعلومات التي يقدمها عالم الاجتماع تكون واضحة لنا فقط بعد أن يقدمها لنا . وإذا ما اتفقت مع الكارنابال السابق اعتبرناها من الأمور الواضحة.

وفي ضوء ذلك يكون لتناول العلم سماته -وخصائصه المميزة له- والتي تميز اختياراته للمفاهيم وإدراكنا للكواهن والأمور المتعلقة بها. بشكل مختلفا، تماما عن الاختيارات الرجا، العادي لمفاهيمه، وإدراكه لها حوله من أمور . وبذلك يكون للعلم والمبادئ الأساسية التي تحكم منظورة توجيهه مميزا لاعتنا، وموارثا في معالجتنا للحوادث والظواهر .

، وفي ضوء ذلك يمكن تعريف المنظور *Perspective* بأنه مجموعة

من الرموز أو المفاهيم التي اتفق على استخدامها عند ملاحظة الحوادث .  
والأمور التي تدور من حولها . والتي تسمح لنا باختيارات معينة . وتساعدنا  
على تنظيم ادراكنا . وترشد افعالنا في عملية الملاحظة تلك <sup>(١)</sup> . وبذلك  
فإن المنظور العلمي ينهض على مجموعة من المفاهيم الأساسية . التي تشكل  
مع بعضها مجموعة متكاملة من المبادئ الأولية . التي تحدد اختياراتنا  
وتنظم ادراكنا للطواهر والوقائع التي نتناولها . وتوجه مدارسا فلسفي  
مما نجتهد .

وبذلك يرجع اهتمام العلماء بتحديد مبادئ المنظور العلمي . وتأكيدهم على  
امكانية تحقيق تلك المبادئ في مجال العلوم الاجتماعية لا بداهتهم بأن تطبيق  
هذه المبادئ يساعد في دعم تلك العلوم وتأكيدها علميتها من جهة .  
والوصول بمعتقداتها المعرفية لدرجة عالية من اليقين تساعدنا في إقامة  
البرهان العلمي . والتحقق من صحة مدارسنا حول الطواهر الاجتماعية . ومن  
ثم اهتمام كل من " جاك فبترز جرالدي " و"تيلف كوكور" بتحديد المبادئ الأساسية  
للمنظور العلمي . والكشف عن امكانية استخدامها في العلوم الاجتماعية . وذلك  
على النحو التالي :

#### ١ - مبدأ التجريبية *Empiricism*

يشير هذا المبدأ الى حاجة العالم في تطويره للنظريات والفروض واختبارها  
الى الملاحظة الإمبريقية للحوادث والطواهر . وذلك لكي تتوفر له امكانية مقارنة  
تفسيراته ونظرياته بمعتقدات الملاحظة . والملاحظة الفعلية للطواهر والوقائع  
التي يتناولها . والتي صيغت النظرية لتفسيرها وإيجاد ابعادها .

(١) Fitzgerald & Cox, op. cit., p.4.

## ٢ - مبدأ الموضوعية Objectivity

تشير الموضوعية هنا الى محاولة العالم للتأكد على ان النتائج التي توصل اليها تستند الى ملاحظاته الفعلية للظواهر ودراستها أكثر من اعتمادها على ما لديه من انطباعات عن تلك الظواهر . وإذا كان تحقيق هذا المبدأ من الأمور الميسرة في نطاق العلوم الطبيعية فإن الحال يختلف بالنسبة للعلوم الاجتماعية، وذلك لحضور الجوانب الذاتية في مجال عمل العلوم الاجتماعية الأمر الذي يجعل تحقيق الموضوعية في العلوم الاجتماعية مرهون بتحديد الملاءم لتمييزاتهم، وذلك لأنه لاخر ما يتوفر لهم من وعى بجوانب تحيزاتهم يستطيعون التخلص منها، وبالتالي بلوغ الموضوعية في النتائج التي يتوصلون اليها من دراسة الظواهر الاجتماعية . بحيث تكون هذه النتائج متممة بدرجة عالية من الصدق والثبات والشمول .

## ٣ - مبدأ النسبية Relativism

يشير مبدأ النسبية الى ان العالم لايعتبر النتائج التي توصل اليها نتائج دائمة وصائفة وشاملة بصورة مطلقة . وذلك لان الحكم او النتيجة العلمية هي حكم او نتيجة احتمالية في حين ان النتائج والاحكام المطلقة انما تأتي في دائرة الفلسفة . ولذلك فإن العالم بدلا من ان يسعى لتأكيد احكامه المطلقة فإنه يسعى للتأكد من صحة وصلاية النتائج السابقة، ومدى صحة النتائج التي توصل اليها، في اماكن وأزمنة مختلفة دون ان يعتبر نتائجها التي توصل اليها نهائية .

## ٤ - المبدأ المتعلق بنزعة الشك العلمي Skepticism

يرتبط هذا المبدأ من حيث التأسيس بالانتماء الى النزعة النسبية، وذلك لأنه يشير الى لحرية العالم ورفقته الدائمة لطرح التساؤلات حول أي من الأمور التي يعنى بها . وأن يرتبط القول لنتيجة ما بمحاولته للتحقق من مدى صحة هذه النتيجة . وبذلك فإن العالم اذا ما كان شغوفا دائما للنظر فيما وراء الحجاب

ونواليد الوثائق الموصدة لبحرلة الكثير من تلك الوثائق استطاع ان يحقق  
لتلخيص لهما ميجعل ويليام حولها الحنة .

٥- مبدأ الاقتصاد العلمى Parsimony

يشير هذا المبدأ للحركة العالم على التنازل التفسيرات واختصارها لائق  
عدد ممكن من التفسيرات المتعلقة بقاهرة معينة . وذلك يعنى ان على الباحث  
الاجتهاد ان يتصور ويبنى الادراك لتفسير واحد لتفسير مختلف جوانب السلوك  
التشوي الذى يعنى بفهمه .

وبذلك يكون لمبدأ المظهر العلمى لبحر مجاز الوجوه الاجتماعية العلمية  
بالغة . وذلك لانها ترفع من كفاءة النظم العلمية لتلك العلوم فى معالجتها  
لخواصها . وتحصيل المعرفة حولها وتقديم التفسيرات لها .



## الفصل الثاني

### شاهرة المعرفة

ان محاولة الانسان للهم ما يحيط به من ظواهر واحداث وحالات، عملية مستمرة لاتنقطع . وذلك لان الانسان لا يخلق دائما بما حصله من معرفة حول ظواهر الكون والوجود الاجتماعى . ويرجع هذا الى اساسه لمب الانسان للاستظام . وهدفه الدائمة الى تكوين فكرة واضحة عما يحيط به من وقائع واحداث من حيث اصولها، وطبيعتها، والقوى الموجبة لها. والمتحكم فى وقوعها وكيفية المحيطه عليها، والتحكم فى حدوثها . وقد كانت النتيجة المباشرة لذلك ان استمرت عملية التفكير البشرى دونما توقف او انقطاع . وباستمرارها تراكمت معارف الانسان على مر العصور .

وان كان تراكم معرفة الانسان قد اتسم بالبطنى فى مرحلة الاولى، وخاصة فى المرحلة اللاهوتية من تفسيره للوقائع، والتي حدد معالمها عالم الاجتماع الفرنسى "أوجيست كونت". فذلك يرجع لسيطرة الفكر معينه على تفكير الانسان، وممارستها لنوع من القبط والسيطرة القوية عليه . وذلك ما داق اجتهدادات الانسان الفكرية الدائمة فى تفسيره للظواهر المحيطه به . ثم جاءت المرحلة الميتافيزيقية من تفكير الانسان، حيث نشطت محاولات الفكرية دون ان يكون هناك منها معينا يوجه عملية التفكير تلك. وان كان التراث الفكرى فى هذه المرحلة من تفكير الانسان قد تزايد الا انه لم يكن نتيجة تنظيم فكرى او اتباع طريقة علمية عقلية فى تحصيله . وانما كان نتاج تحليل فلسفى ينزع الى المعانى المطلقة والمبادئ الكلية . ورغم ان هذه المرحلة قد ساعدت على تنظيم فكر الانسان فى مراحل الاولى من النزوع لتفسير الظواهر بقسوى خارقة، الا انها جعلت من الميتافيزيقا منهجا عاما للتفكير . ولذلك فهست لظهور الطريقة العلمية فى المرحلة الوضعية، حيث تم رفض الطرق القديمة

في التفكير وتفسير الظواهر. وهو التأكيد على فكرة القوانيين في تفسير  
الوقائع والظواهر والمخاض التخيل للملاحظة. وعلى الإنسان لتحديد  
العلاقات بين الظواهر . وتحديد دأخرة المعاش وجعلها نسبة . بما يناسب  
طبيعة الوقائع وظواهر المجتمع . وذلك بعينة ما جعل كونت يربط جميع  
العلوم التي انبثقت من الطرق القديمة في التفكير اساسا لحل مشاكل عصره .  
وتفسير ظواهره . والتأكيد على التفكير الوحي وجعله منهجا علميا امامه .  
ولذلك تحلق في المرحلة الوحيية من تفكير الإنسان تقدم العلوم الطبيعية  
ومعلوم الاحياء والفلك . ومن ذلك الحين ومعارف الإنسان مطردة في تراكمها .  
ولصبح للإنسان اطواره المعرفي الذي يساعد على تحديد سلوكه واتجاهاته  
نحو ظواهر الوجود بعامة والوجود الاجتماعي في الآونة الأخيرة بخاصة .

كما تبلورت الصيغ العلمية لمختلف العلوم الطبيعية والاجتماعية /  
وتقدمت مناهجها / وأصبحت تميز للكشف عن الحقائق وتحديد لمعناها من ناحية /  
وتفسيرها والكشف عن العلاقات بين خواصها من ناحية اخرى . واصبح تقويم  
العلم مرتبطا بمدى ادانة الوحيية الوحد والتفسير للظواهر التي يتناولها .  
فيأخذ ما يستطيع العلم ان يحلله من الاكتشافات فيقول ما يحلله من وصفه  
لذلك الوقائع المكتشفة او خواصها انصرف عليه حكما مما اذا كان هذا العلم  
يشتق ان يسمى علما ام لا . وبأخذ ما يستطيع ان يحلله التفسير للوقائع  
المكتشفة او العلاقات القائمة بين خواصها / نستدل على مقدار نجاحه  
كعلم .

والاكتشاف يتخذ هنا شكل تقرير لمعاني الظواهر والعلاقات القائمة بين  
تلك الخواص . هذا المستوى من الاكتشاف وعلى اساس الاكتشاف التفسيري فيأتي  
في المستوى الثاني بعد الاكتشاف الوحد حيث يستهدف كشف العلاقات الاكشسر  
عمومية بين الخواص . وهذا يتم لتفسير علاقة ما سواء كانت سببية او وظيفية  
بين بعض الخواص او بين بعض الظواهر . ومن ثم يشكل الاكتشاف الوحد

والاكتشاف التفسيري نطاق المعرفة التي يقدمها لنا أي علم من العلوم .

وفي ضوء ذلك نشار اماننا مسائل عدة يتعلق بعلمها بطبيعة التفكير  
الإنساني، والمعرفة العامة من ناحية . ويتعلق بعلمها الآخر بالمعرفة  
العلمية والمنهج العلمي من ناحية ثانية . ومن ثم نشأ أول هذه المسائل  
بالتحديد في سياق تحليلنا للمفاهيم التالية :

- ظاهرة التفكير البشري .
- ظاهرة المعرفة .
- المعرفة العلمية .
- سيولوجية المعرفة

أولاً : ظاهرة التفكير البشري

يمتد حوارنا حول ظاهرة التفكير البشري ليشمل جانبين أساسيين: يتمثل  
أولهما في تناول ملامح التفكير البشري، والخاصة به بعمق عامة، ويتمثل ثانيهما في  
تحليل ملامح التفكير الاجتماعي باعتباره جانباً أساسياً من جوانب ظاهرة التفكير  
البشري، وذلك لأنه إذا كانت المجتمعات تحتاج الجهود الإنسان وتفكيره، فإن التفكير  
البشري يحتاج أيضاً للمجتمع . فعقل الإنسان يحمل داخلها في حدود موافد معينة  
يواجهها الفرد، وتحتاج منه إلى استجابة. ولقد تكون هذه الاستجابة تلقائية فسي  
حالة ما إذا كانت تلك الموافد معلومة لدى الإنسان من قبل، واستجاب لهاء وكسوف  
حولها اطواراً معروفاً معيماً . ومن ثم تكون هذه الاستجابات الفكرية لاشعورية  
لدى الإنسان في مثل تلك الموافد، ويبدون تفكير من قبل الإنسان بالصورة التي  
حدثت من قبل عبرال تلك الموافد، عندما كان يواجهها لأول مرة، وهذا تسمي الاستجابة  
بالعادة، وقد تكون تلك الاستجابة مصحوبة بخزعة المراجعة والتقييم لاستجابته  
السابقة لتلك الموافد، وذلك في حالة توفر معرفة عامة لدى الإنسان توسع  
من مداركه، وتوحي من نظريته لاسور والمواقف .

وعليه فإنه كلما زادت خبرات الفرد، الحياد كلما تكونت لديه مجموعة من المبادئ الفكرية والاستجابات السلوكية في المواقف التي تواجهه فسي الحياة - والواقع ان هذه الاستجابات الفكرية التقليدية تعدر بطريقة تلقائية الكينة وبدون تفكير في حالة تعرف، الانسان لمواقف متشابهة وخبرات محدودة في حياته اليومية . ومن شغلهم قدرات الانسان الفكرية لحالة من الاليس والروتينية في حالة المواقف النمطية المتكررة . ولا نجد يخرج من تلك الحالة الا عندما يواجه مواقف جديدة لم يتعودها من قبل، ولم يمارس فيها تفكيره . او في حالة ظهور عامل جديد في موقف لم يتعود مواجهته، او لتوفر معرفة معينة لديه تثير من نظريته التقليدية لتلك المواقف الامر الذي يدفع به لامادة التفكير في المواقف التي تواجهه والاستجابة لها بصورة جديدة .

وبذلك تلعب المعرفة دورا فعالا في تنشيط تفكير الانسان واخراجها من حالات التكرار والالية الى النشاط والاجتهاد والمحاولة .

وقد حاول بعض المفكرين تحديد عناصر عملية التفكير، خطواتها، وتلخيصها الزماني والترابطي القائم بين تلك المراحل باعتبارها ظاهرة لها جوانبها البنائية وجوانبها الهدامية . وذلك على نحو ما فعل جون ديوي في مؤلفه " كيف نفكر " عند ما حدد المراحل التي يمر بها تفكير الانسان على النحو التالي :

- مرحلة - شعور الفرد بموقف يصعب عليه الاستجابة له وذلك نتيجة :

١١) لعدم القدرة على تحقيق هدف بالوسائل المعروفة للفرد، او حث، بتعديلها لتصبح مناسبة للموقف الذي يواجهه .

١٢) عدم مقدرة الشخص للتعرف على ملامح وخصائص جديدة بالنسبة له .

١٣) عدم قدرته على تفسير ظاهرة او حادثة لم يتوهم حدوثها .

كل هذه الأمور تجعل الإنسان يشعر بمصوبة الاستجابة في المواقف الذي يواجهه  
ومن ثم تتخذ تفكيره للمرحلة الثانية وهي :

- مرحلة تحديد المصوبة التي تجابه الفرد في إطار عام على شاكلة مشكلة .  
وهذا يبدأ تفكير الإنسان حول مصدر المصوبة التي تواجهه والتي تجعل  
استجابته للموقف غير تلقائية .

وفي المرحلة الثالثة يحاول الإنسان وضع تفسير أو حل بطريقة التفسير .  
أو باستنتاج فرض أو نظرية مستمدة من خبرات الشخص السابقة .

وفي تلك المرحلة يتسم تفكير الإنسان بالإيجابية حيث يبدأ في وفهم  
الأساس الذي يواجه به تلك المصوبة .

وفي المرحلة الرابعة : يدعم الإنسان فيها الفكرة . أو التفسير الذي  
وضع في مواجهة تلك المصوبة بجمع القرائن والمعلومات المؤيدة لها .

ثم تأتي المرحلة الخامسة : حيث يربط الإنسان فيها بين التفسير أو الفكرة  
التي سألها والمعلومات والقرائن التي حل عليها لتأكيد الفرضية التي سألها  
كل يواجه به مصوبة الاستجابة التلقائية للموقف الذي يواجهه .

ثم يذهب جون هوي بعد ذلك إلى أن هذه المراحل مترابطة مع بعضها  
ويخلو كل منها للمرحلة التي تليها في عملية التفكير ولكنه يذهب إلى أنسبه  
باختصار تلك المراحل الخمس وبقبول التناقض التي توصل إليها الإنسان .  
ينشط العقل البشري مرة أخرى ويبدأ في عملية الاستقصاء عن مدى إمكانية الاستدانة  
بتلك النتيجة والاستجابة على أساسها للمواقف المتباينة في المستقبل ، ومسدى  
صلاحيتها للتعميم .

ورغم أن مستوى يربط بين هذه المرحلة من التفكير وعملية التفكير فسي  
المرحلة الخامسة التي حددها " ت كيلي " T. Kelly يذهب فسي  
مولفه المنهج العلمي ١٩٢٢ . إلى أن هذه الخطوة منفصلة ولذا يجده يشير إلى أنه  
بعد تأكد الإنسان من الحل الذي توصل إليه في حال المشاكل التي تواجهه

كن الموقف يتخذ تفكيره خطوة أخرى تهدف إلى تحديد 'مكاسب' معينين  
هذه الحلول، وتوجيهه ليس نحو احتياجات المستقبل . ولا مكان 'الاستفسار'  
به في المواقف التي تواجهه في المستقبل، والتي قد تكون على شاكله هذا  
الموقف .

ولقد ذهب أوجست كونت في دراسته للديناميكا الاجتماعية أي للتأحيية  
المتعلقة بالتطور إلى الكشف عن قانون عام اسماء 'بدائون الحسابات'  
الثلاثي . ومخلصه أن العقل الانساني أو التفكير البشري انتقل في ادراكه  
لكل فرع من فروع المعرفة من الدور التكنولوجي-الديانات قسمة إلى الدور  
الميتافيزيقي ثم الدور الوهمي العلمي .

في المرحلة الأولى للتفكير البشري يهيمن العقل على الطوب الفهم العيبي  
حيث يفسر جميع الظواهر بنسبتها إلى قوى مخصصة خارجة عن الظواهر  
نفسها مثل الأرواح والشياطين والالهة وما إلى ذلك والانسان بذلك يفسر  
ظاهرة النمو في النباتات بنسبتها إلى الالهة .

أما في المرحلة الثانية للتفكير وهي التفكير الميتافيزيقي 'التجريبي'  
فإن تفكير الانسان كان يهدف في تفسير الظواهر بان ينسبها إلى معان مجردة  
أو قوى ميتافيزيقية وعقل أولية لا يقوى على اثباتها ولذلك يفسر ظاهرة  
نمو النباتات بنسبتها إلى قوى مجردة . أما في المرحلة الثالثة وهي مرحلة الفهم  
والتفكير العلمي فإن العقل يميل في تفسيره للظواهر لنسبتها إلى القوانين  
التي تحكمها والاسباب المباشرة التي تؤثر فيها . وذلك بان يقوم بتفسير  
هذه الظواهر بنسبتها إلى عوامل كيميائية وطبيعية ويرجمها لقوانين تولد  
هذه الظواهر .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن أوجست كونت يؤكد على صحة قانونه الخاص  
بتطور عملية التفكير البشري بالرجوع إلى تاريخ العلوم وتاريخ الإنسانية .

وبالنسبة لتدريج العلوم فيتحيز أن كل فرع من فروع المعرفة مر به التطور التكنولوجي في تفسير الظواهر ثم تطور للتطور التجريبي الميثاقين يلقى ثم وصلت بعد ذلك معظم العلوم للتطور الوضعي العلمي .

كما ان اوجست كانت قائد مقارنته بين المراحل التي مر بها الفكر البشري ، وبين الادوار التي يمر بها الفرد في نشأته ونموه ، حيث تشبه المرحلة التكنولوجية في الفكر البشري مرحلة الطفولة ، التي يبدأ بها الانسان ثم المرحلة الميثاقية تمثل مرحلة الشباب والمراهقة ، والخيرو المرحلة الوضعية التي استقر عليها الفكر الانساني ، وهي تماثل مرحلة الرجولة والاكتمال التي يبلغها الفرد . وبذلك يفسر اوجست كونت ان التفكير البشري في تطوره يماثل مراحل نمو الفرد وتقدمه .

#### ثانيا : ظاهرة المعرفة :

تعرف المعرفة بانها مجموعة المعتقدات والمعاني والتصورات والمذاهب والاحكام الفكرية ، التي تتكون لدى الانسان من خلال محاولاته المتكررة لفهم الاشياء والظواهر المعينة به . وبذلك لا تقتصر معرفة الانسان على لون معين ، وانما تشمل ظواهر متعددة /وتغطي جوانب العالم المحيط بالانسان، ومن ثم تتنوع معرفة الانسان لتشمل التكوين البيولوجي والنفسي . هذا بالإضافة للسوان المعرفة المرتبطة بظواهر البيئة الطبيعية والكيميائية والاجتماعية والثقافية . والواقع ان الزمان المعرفة تلك نذالت من الاهتمام ما جعلها تسمى فترات حداثية معينة /اذ ان الهنودانيين كانوا يهتمون بدراسة طبيعة المادة التي تشكل العالم / اما مفكرى القرن الوسطى في الغرب فقد انصب اهتمامهم على المصادف ، ذات الطابع الديني ، في حين ينتمى المفكرين المعاصرون لدراسة جميع مصادف الوجود وظواهره ذات الطبيعة المتباينة ، وذلك ما يدفعنا لمعالجة ظاهرة المعرفة من حيث طبيعتها ومصادرها وانواعها .

## ١١ / طبيعة المعرفة :

ظهرت مذاهب واتجاهات متعددة حول طبيعة المعرفة، وذلك للهم طبيعة المعرفة الانسانية وحيلتها. وكيفية العلم بالاشياء. وعلاقة الاشياء بالتي ندركها بالقوى التي تدركها، أي القوى التي تساعدنا على ادراكها. ومن هذه المذاهب المذهب الواقعي الذي يجعل المعرفة تصويراً ذهنيّاً للاشياء المعروفة، أي انها انعكاساً للعالم الخارجي على العقل، والذي يكون دوره في شغلهم مجرد مرآة تنقل الاشياء وتمثيلها .

اما البرجماتيون فينصرفون من التفكير النقري المتعلق بالمبادئ والاوليات، الى النتائج والفايد، وبذلك يصبح صلق المعرفة منعدم معناه، المتعلق من منفعتها بالتجريبية . ومن ثم نجد المذهب البرجماتي Pragmatism او العملي، والذي نشأ في مطلع القرن العشرين في امريكا يوجه العقل الى العمل، فدون الانصراف في التفكير النقري قبحت وهم بذلك يعتبرون المعرفة اداة للعمل والانتاج .

واذا كان المذهب الواقعي والمذهب البرجماتي يعترفان بوجود عالم خارجي من الاشياء، مستقلاً عن الانسان، ويحل هذا العالم موجوداً بحد ذاته فيكون الانسان الذي يعرفه او لم يوجد، لان المذهب المثالي لا يعترف بوجود شيء خارج العقل، اذ لا وجود عندهم الا لما يدركه العقل، وما لا يدركه عقل ما لا يكون موجوداً. ومن ثم نجد أن معرفة الشيء وجوده عندهم أي عند المثاليين جانبان لحقيقة واحدة ووجهان لحقيقة واحدة . وعليه يكون جوابهم على السؤال ما هي طبيعة المعرفة؟ وهل طبيعة المعرفة هي نفسها طبيعة الوجود؟ هو انه لا فرق بين الشيء كاشفاً ما كان، وبينه باعتباره مفرداً من مفردات العقل .

وهم بذلك يذهبون الى أن ادراكك للشيء يتبادل بين ما تدركه الان، وبين ما ادراكته سابقاً، بمعنى ان خبرتك الحافية تدخل في مجال مفرداتك رغم أن



العين لا تدركها مباشرة. وما لا تدركه أنت يدركه فيهك وإذا لم يكن هناك  
إنسان يدرك الشيء، فإن الشيء نفسه يدركها مع مصادر الكائنات الأخرى .

٢١ / مصادر المعرفة :

وإذا ما ناقشنا مصادر المعرفة عند الإنسان فإنا نجد أن المذاهب  
المختلفة تتباين في تأكيدها على مصادر المعرفة .

فالعقليون يؤكدون على أن العقل مصدر أساسي للمعرفة. ومن هؤلاء  
ديكارت وهو مؤسس المذهب العقلي في المعرفة. وهو الذي يصنف الأفكار التي  
ثلاثة أصناف :

- معرفة عرفية للعالم الخارجي وهي لا تؤلف معرفة صحيحة في نظر ديكارت .
- معرفة معتدلة : وهي المعرفة التي يركبها العقل من الأفكار العرفية  
حول الجبل والشجر والألوان وذلك مثل صورة " جبل من ذهب " ونهر  
من صل .
- المعرفة النظرية : وهي أولية وتتميز بالبساطة والوضوح. ولا تأتس  
اكتساباً بل هي في نظر ديكارت مبادئ المعرفة الصحيحة التي تقوم على  
العقل وتأتي سابقة على التجربة .

كما أن التحريبيين يؤكدون على أن التجربة هي المصدر الأساسي للمعرفة .  
ومن أعمار هذا الاتجاه المناظر، للاتجاه العقلي بكونه يدارك وهووم والتجريب،  
الحديث " جون استيوارت ميل وبعد الاجتماعيين أمثال هيربرت سبنسر وأميل  
دور كايم وليلى بريل .

وهو يذهبون إلى أنه لا يمكن أن تنشأ في العقل أفكار إلا إذا سبقتها آثار  
حسية أو انطباعات حسية وذلك ما أكدته بعض الأساليب الحديثة هيوم فندمها  
قسم معارف الإنسان إلى قسمين :

١ - مصادر حسية الانطباع الحسي /  
٢ - والافكار

وما الافكار في نظره الا تلك الانطباعات الحسية ولكن بعد عياد  
المؤثرات التي احسنتها. وهو بذلك يؤكد على اهمية المدركات الحسية  
لتكوين الافكار التي تنشأ في العقل .

ويأتى جون لوك ليؤكد ان جميع افكارنا مستقاة من التجربة وحدها  
وليس منها ما هو فطري او موروث فلا يوجد بالعقل شيء الا وقد سبق وجوده  
في الحس اولا . وبذلك يقيم جون لوك التجربة الى تجربة ظاهرة حسية .  
وتجربة فكرية .

والتجربة الظاهرة تقع على الاشياء الخارجية . اما التجربة الفكرية  
فهى التجربة الباطنية /التي تقع على احوال النفس وقد اسمى هذا النوم من  
المعارف تفكيريا . والتجربة بهذا الصورة في نظر لوك مصدر اساس للمعرفة .  
اما من مصدر المعرفة عند الحسنيين فيتمثل في الحس باعتبار البهيمسره  
او الشكافية' هي التي يدرك بها الانسان الحقائق ادراكا مباشرا ودقة واحدة .  
وبدون مقدمات وهو ادراك بدائى يتأثر بالشعور السويجيدانى والعقل الفطري .  
اما عن مصدر المعرفة عند الاجتماعيين فهو مختلف عنه لدى كل من العقلانيين  
والتجريبيين /والحسنيين /وخاصة هؤلاء الاجتماعيون الذين ردوا المعرفة كمنها  
ردوا غيرها من الظواهر الى الحياة الاجتماعية ، ومقتضاها /وهم بذلك تجريبيون  
من نوع مخالف للتجريبيين السابق ذكرهم .

اذ ان دوركايم ومبرته برلمون المبادئ المطلقة المادرة من العقل  
ويؤكدون ارتباط هذه المبادئ بتصورات المجتمع ومقتضااته .

وبذلك يذهب الاجتماعيون الى انه من الخطأ النظر للمبادئ العقلية على انها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان والشروط والاحوال . فاستقراء تاريخ العلم بصورة عامة يشهد بان هذه المبادئ قد نشأت على صورة الخلق في التطور حتى بلغت صورتها الراهنة في الهائنا . وبذلك اعتبرت المبادئ العقلية من خواص الحياة الاجتماعية - والخواص الاجتماعية عند الاجتماعيين تشمل عناصر الفكر والملاحظة والعقل بصورها المختلفة . وذلك لانها جميعها تنم عن اساس يعيشون في مجتمع واحد وفي ظروف متشابهة . ومن ثم دخلت نظرية المعرفة مجال الخواص الاجتماعية . وصار الفرد في نظر هذه المدرسة يتلقى من العقل الجمعي افكاره وآرائه ، ويخلق له رايها كان ام كارهها . ولقد ذهب البعض الى ان ثمة عوامل معينة في المجتمع تعتبر مصدرا للمعرفة مثل التكنولوجيا والاقتصاد والايديولوجيا .... الخ . وذلك باعتبارها عوامل تمنع المجتمع والفرادى وتتأثر بتلك الانسان ورفاهته ، ولبنسولنا لهذه الاتجاهات الاخيرة ينحصر في كونها تشير الى انهم جميعا لا يقررون ان المعرفة مجرد تأمل عقلي يطلب لذاته . وذلك لان تصوراتهم النظرية لها هدف يتمثل في فهم الواقع وتقديم تفسيراته له .

#### ٢١ . انواع المعرفة :

ان تحديد انواع المعرفة من الامور الهامة التي شغلت العلماء والفكرين . ومن ثم تناولوها بالبحث والدراسة ووفصوا لها الاسس المختلفة التي يقيمون عليها تصنيف انواع المعرفة ومنولها .

ومن هؤلاء العلماء ماكس شلر الذي وضع اساسين لتصنيف انواع المعرفة

وهما :

- تعدد الانواع المعرفية من حيث الطبيعة والتنوع .
- واختلاف درجة الارتباط بين هذه الانواع المعرفية والسياسات الاجتماعية والثقافية .

وذلك لان شلر يرى ان نوع المعرفة يتأثر بشكل واضح بالاطمئنان الاجتماعي، وبالمستوى الإدراكي للمعارف . وعلى اساس ذلك تبرر طبيعة الاختلاف وتحدد ملامحه . بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية .

اذ ان المعرفة العامة تبدو في صورة معلومات متناشرة استقذاها الانسان احيانا من مشاهداته وخبراته الفردية . وعليه تكون المعرفة العامة جزئية بمعنى ان الأشياء تبدو للرجل العام خليطا من الجزئيات التمسس لاتقوم بينها روابط او الش تقوم بينها ملاقات وهمية. وذلك ما جعل المعرفة جزئية بحته . ومن ثم فان المعرفة العامة تقل عند مستوى الجزئيات حسب ولا ترقى لمستوى التعميم . كما ان المعرفة العامة تقتل في صلات وكيفيات يخلعها الناس على الأشياء، بغير غايه، ومن ثم تقتل الدقة التي ينشدها العلم . وعلى اساس ذلك يقول فو: هذا العلم يمكن للقسوس بيان هذا النوم من المعرفة يتمثل في صورة اراء خاطئة واحكام فردية سريعة. يتأثر فيها اصحابها بالفكر سابق تلقوه من الغير لملحوا بها دون بحث او تمحيص . ومن ثم يتسم هذا النوم من المعرفة بالذاتية، والبعيد من الموضوعية لانها جزئية وليست كلية، ولانها ترجيحية لايتوفر لها احتمالية اليقين .

والواقع ان فهم العلاقة بين هذا النوع من المعرفة، والواقع الاجتماعي. والاذار الفكرى على درجة كبيرة من الاهمية. لمعرفة طبيعة تلك العلاقة الدائمة بين هروك حصارية واجتماعية معينة، ومستوى شيوع وانتشار هذا النمط مسن المعرفة العامة من ناحية، واتجاه التفكير ومدى تأثره بالهروك الاجتماعية التي تغلف عليه خاصتها من ناحية اخرى .

اما النوم الثانى من المعرفة فهو المعرفة العلمية، وهي تقابل المعرفة العامة وعلى النقيض منها . ومن اظهر خصائص المعرفة العلمية انها تستل من التجربة . فلا تأتى من طريق الآخرين او بالتواتر . وذلك لان العلم يتميز بالنزعة الموضوعية، والتي يراد بها معرفة الأشياء كما هي في الواقع لا كما

ننتهي ونتمنى ان تكون . وذلك لان منهج البحث العلمى يقتضى جدا ان نتجرد من الاهواء والميول والرهبات حتى يفهم موضوع البحث واحد ففى نظر جميع دارقيه . ولهذا يكون هذا النوع من المعرفة موضوعا اساسيا لعلم الاجتماع ، وعلم الاجتماع المعرفى يوجه خدائى بحثى لتلقى حدودها . وسبل المحول عليها ، واتجاهاتها ، والعلاقة الدائمة بينها وبين العلوم الاجتماعية والثقافية .

ولما كانت غاية العلم كثر العلاقات الشائكة التى تقوم بين القواهر وتربطها ببعضها وضاعف هذا فى قوانين شبيهة عامة . فقد اعتبر التنبؤ طابع المعرفة العلمية ، وهو وليد افراد العلاقات بين القواهر . وهذه هى الجسرية العلمية التى لا يستقيم العلم بغير الاعتماد فى قياسها .

ولما كانت المعرفة ظاهرة اجتماعية مرتبطة ببيئة قواهر الحياة الاجتماعية ، وتدخل معها فى علاقات متبادلة ، فقد اصبح لهم علاقتها كظاهرة اجتماعية ببيئية القواهر الاجتماعية الاخرى مسألة هامة وضرورية . ولما كانت المعرفة تتبين بطبيعة جمعية وانها تتمثل فى مشاركة كائن فى كيان كائن اخر دون ان تلحق بالشئ اى تغيرات فى حين يتغير الاول لتغيرات مقيسة بسبب هذه المعرفة ، فان شلر يميز بين ثلاثة انواع من المعرفة على اساس تسلسل العلاقة والارتباط الدائم بين الطرفين .

#### ١- معرفة السيطرة والاجتياح :

وهى المعرفة التى يتمكن العاقل من طريقها من فرض سيطرته على الطبيعة ، واعدات التغيرات بهذه البيئة . وذلك فسيان معرفة العالم الخارجى والمعرفة الفنية ، وصورتها العليا المتمثلة فى المعرفة العلمية بمثابة الزاكن من المعرفة ، ترفع من فائدة العاقل وتزيد من فهمه للبيئة ، وتمكنه مسن توفير سبل السيطرة عليها .

### - المعرفة الثقافية:

وهذا اللون من المعرفة عند شلر يترتب عليه أحداث تغيرات واضحة في الشخصيات سواء كانت شخصية افراد او جماعات او مجتمعات، وهي ترتبط بطبيعة القيم والمعاني والمعايير. وقد صرحا شلر في معرفة الآخرين والمعرفة الفلسفية.

### - المعرفة المظلمة :

وهذا النوع من المعرفة ذات طابع ديني، وتقود المعرفة هذا الى نوع من الخلاص الروحي، والتطهر الروح، والتضحية الروحية .  
وبذلك نجد ان ماكن شلر يصنف المعرفة حسب الصيغة التي هي عليها،  
وطبقا للواقع وفوائده المرتبطة بها الى انواع متعددة تتمثل في :

- ١ - المعرفة الدينية .
- ٢ - المعرفة الفلسفية .
- ٣ - معرفة الآخرين. افراد وجماعات .
- ٤ - معرفة الممالك الخارجى .
- ٥ - المعرفة الفنية .
- ٦ - المعرفة العلمية .

وقد ذهب شلر الى انه توجد بعض انواع المعرفة مثل معرفة الآخرين بين المعرفة الفنية. وهي التي يمكن النظر اليها ، سيولوجيا اي يمكن دراجتها في اطار النظر السيكولوجية بحوزة مهلة وميسرة من غيرها من انواع المعرفة الاخرى مثل المعرفة الدينية والمعرفة الفلسفية بوجه خاص. ويرجع ذلك لسياسه لاختلاف طبيعة تلك الانواع وانتدائها لاطراف فكرية معينة مختلفة في توجهها

ميسر ان وجهة نظر شلر تلك لاتستند الى دلائل علمية واضحة، واذا ما رجعنا لاداسة التمييزى وبوجه عام طبيعة العلاقة القائمة بين السوان المعرفة، والادارات الاجتماعية والفكرية والحداثة لا يمكننا ان نمنع جميع الوان المعرفة صيانة اجتماعية في ضوء تلك العلاقة وارشادها بالادغام والظروف الحداثة، وبالتالي يمكن ادراجها في اطار النظره السبولوجية .

### ثالثاً : المعرفة العلمية :

عرفنا فيما سبق صور من المعرفة تمكننا من جعلتها بصورة عامة ثلاثة انواع اساسية من المعرفة : اذا ما صنفت حسب الطبيعة العلمية لصور المعرفة تلك نوعاقتها بالسياق الاجتماعى . حيث يتوزع لدينا في ضوء تلك الاسس معرفة تجريبية مباشرة ، ومعرفة فلسفية ومعرفة علمية .

والمعرفة التجريبية تلتزم على مجرد الملاحظة للظواهر على اساس بسيط اى على مستوى الادراك الحسى لمصوب، وذلك دون ان تتجه هذه الملاحظة للارتباطات والعلاقات القائمة بين الظواهر والاحداث، وذلك ما اكده ليلس بريل في دراسته للفلسفة اوجبت كونت، والواقع ان هذا اللون من المعرفة لجأت اليه البشرية لتحديد معانى المواعيد والاحداث مثل معرفة الليل والنهار وتعالجها، او معرفة فصول السنة ودرجات الحرارة ..... الخ، والتشعشع يتراكبها تكونت للانسان خبرات معينة مكنته من الاستفادة بها في حياته اليومية .

مبينه وم ذلك ان هذه المعرفة البسيطة لم تمكن الانسان من فهم الاسور المحيطة به، وتفسير ظواهرها، فلم ما قدمته له من فائدة مباشرة في حياته اليومية وقد ترتب على تراكم الخبرات حول هذا النوع من المعرفة المتحصلة عن طريق التجارب المحدودة ، ظهور بعض الآراء الحسية المشتركة بين الناس . وهذه الآراء المشتركة بحكم استنادها الى خبرات وتجارب حسية بسيطة اتسمت بالبداية والاشراك او الاجماع . وهى الى حد كبير آراء واحكام ذاتية . لانها لاتستند الى اسلوب علمى في تحصيلها، رغم اتساعها بالاجماع .

اما بالنسبة للنوع الثاني من المعرفة والتي تعرفنا لها مطلقا هي المعرفة الفلسفية. وهي مرحلة متقدمة من المعرفة بالنسبة للمعرفة الحسية المباشرة من طريق الملاحظة حيث انها تتناول مسائل اعم تعالج بالعقل وحده. وهي بذلك تتجاوز العالم الواقعي بتفسيرات وكليات يتعذر الرجوع اليها في مجال الواقع الذي يعيشه الناس .

والواقع ان هذه المعرفة تستند الى مناهج معينة اتحدت وتنوعت بحسب الفلاسفة والعصور . فكان التأملي منهج اليونانيين الفلسفي. وقد كان هذا التأمل والاستبطان منهجا متبعيا لدى فلاسفة الهند والذين انغلقتوا الى ذاتهم بحثا عن الحقيقة الكبرى داخل ذات . غير ان هناك فرق اساسي بين منهج اليونانيين وفلاسفة الهند في ان منهج الطرف الاول كان عقليا امسا منهج الطرف الثاني فكان استبطانيا . وقد انتهى منهج اليونانيين عند ارتطوب الى القياس المنطقي . وهذا المنهج الصوري قد ظل اساس التفكير الفلسفي لفترة طويلة كقربت من عشرين قرنا من الزمان . وهذا القياس الصوري يعتمد على مقدمات عامة يسلم بها ثم يتم الوصول من طريقها الى الجزئيات .

وذلك كان يقول: كل إنسان ماقل .. علي انسان ... اذا علي ماقل . وهنجا حكمت المقدمة استدلالنا على مقلانية علي بحكم انه انسان وان كل انسان ماقل . وبذلك تتضمن كل مقدمة النتائج الجزئية التي يمكن ان تستدل عليها بهذه المقدمات العامة المسلم بها .

واذا كان الاستدلال الاستنباطي Deduction المنطقي والقياس الصوري هو المنهج الاساسي للفلسفة . بحيث تستند عليه ، وخرج اليه في اعداد احكامنا حيث تقدم لنا المقدمات الكلية امكانية التعرف على الجزئيات باستدلالنا من تلك المقدمات . فان الحال يختلف بالنسبة للمعرفة العلمية التي تعتمد على الاستقراء Induction من الجزئيات للوصول الى الكليات والتعميمات . يعني انها تلقيم احكامها وتعميماتها على اساس الاستدلال الاستقراي .



وبذلك تستند المعرفة العلمية على أسلوب منهجي مغاير تماما للأسلوب المنهجي الذي تعتمد عليه المعرفة الفلسفية ومفاد له في الاتجاه .

حيث ان الاستدلال في الفلسفة يبدأ بالكل وينتهي بالجزء، أي يبدأ بالمجهول وينتهي بالمعلوم . في حين ان الاستدلال في المعرفة العلمية يعتمد على الاستقرار الذي يبدأ بالجزء وينتهي بالكل ويبدأ بالمعلوم ليتكشف المجهول . وبذلك يكون الاستقرار وسيلتنا لعمل مصارفنا حول ظواهر الواقع ذات طبيعة علمية، والاستقرار بهذه العمرة يمكن تقسيمه لنوعين أساسيين : استقرار تام واستقرار ناقص .

والاستقرار التام يقوم على ملاحظة جميع المفردات الخاصة بالظاهرة . لانداد الحكم الكلي الذي يلحق الأحكام التي يصدرها الباحث على مفردات الظاهرة . والتي لمصنوع جميع مفرداتها وازواجهها لنوع من العصر الشامل وإتمام هذا النوع من الاستقرار مرصه للخلط، ففي حالة الاختلاف حالة واحدة أو جزئية معينة تكون النتيجة ملقود الحكم الكلي . في حين ان الاستقرار الناقص يستند فيه الباحث على دراسة بعض العناصر والكثف من القوانين العامة التي تحكمها والتي في فروعها يتنبأ بما يمكن ان يحدث للحالات المتماثلة لها والتي لم يتناولها بحثه، وبذلك فهو ينتقل في استدارته من الحالات المعروفة الى الحالات المجهولة .

والحقيقة المؤكدة ان الاستقرار العلمي لا يمكن ان تتوفر له الملاحظة الكاملة لجميع المفردات، كما ان الهدف من اكتشاف القوانين الخاصة بالظاهرة المتفرقة يستند الى بعض المفردات الجزئية وليست جميعها، ولذلك فساد . الاستقرار غير التام هو الأساس المنهجي الذي يستند اليه العلم لأنه يقوم على التعميم الذي يستهدف كشف المجهول، كما انه يساعد في عملية التنبؤ بمستقبل الظواهر والاحداث .

ومن ثم نجد ان المعرفة العلمية . تعتمد على الملاحظة المنظمة .  
للظواهر . وفرض الفروض، واجراء التجارب وجمع البيانات وتحليلها،  
والثبوت من صحة الفروض او عكسها . وتجاوز المفردات بالكشف مسن  
العلاقات والقوانين التي تحكم العلاقة القائمة بين تلك المفردات بغية  
التنبؤ بمستقبل الأحداث والظواهر على اساس احتمالي غير مطلق .

وفي ضوء ذلك نجد ان المعرفة العلمية تتميز من صور المعرفة الاخرى  
بانها معرفة موضوعية بالاقامة الى حد كبير على مدى توفر الدقة المنهجية  
في تحصيلها وبعيد من التنزعة الذاتية . كما انها تقوم على اساس من التخصيص  
والدقة، واستخدام وسائل القياس العلمي الدقيقه . فلهذا لان المعرفة  
العلمية تتناول الأمور الواقعية وظواهر الواقع المختلفة بالتحريص .  
على عكس صور المعرفة الاخرى، وان المعرفة العلمية تبدأ بالجزئيات  
وتتسند اليها في استخلاص القوانين والتعميمات الاحتمالية التي تحكم  
عمليات التنبؤ بمستقبل الظواهر والاحداث في ظروف معينة دون ان تنزج الى  
الاحكام المطلقة التي تنزع لها الفلسفة والمعرفة العامة .

وبذلك فان هذه لمعرفة { اي المعرفة العلمية } ذات فائدة كبرى  
للإنسان لانها تتسم بالثبات والصق والموضوعية والشمول الذي يساعد الإنسان  
في حياته اليومية، ويمكنه من السيطرة على البيئة بمستوياتها المختلفة .  
والحكم في مسار أحداثها، والتنبؤ بمستقبل ظواهرها، سواء كانت طبيعية  
او اجتماعية او قتالية... الخ على اساس علمي دقيق .



السيكولوجى للمجتمع البشرى المعاصر<sup>(١)</sup> ، اقتضى الحال من وجهة نظر علماء الاجتماع ربطها بمبادئها الثقافية والاجتماعى ومواقف الفكر من هذا الواقع ، والذى لا يمكن تحديده الا اذا مررنا المحتوى الذى تتضمنه تلك المعرفة .

وذلك بمعينه ما جعل " تيلوش " يؤكد على اهمية العلاقة بين التحليلات الامبيريقية التى تشّاول الواقع والنظرية فى نطاق علم الاجتماع المعرفى<sup>(٢)</sup> مستندا فى ذلك لما ذهب اليه كل من " بيرجر " و" لكان " فى نظريتهما للانسان باعتباره نتاج اجتماعى يمثل ما يكون المجتمع نتاج بشري ، وذلك لان المجتمع حقيقة موضوعية<sup>(٣)</sup> . ومن ثم اصبح تحليل دور المعرفة فى غزو جدل الفرد والمجتمع ، وما بين الجوانب الشخصية والبناء الاجتماعى من تأثيره اساس لتوفير المنظور المكتمل الذى يناسب جميع مجالات علم الاجتماع<sup>(٤)</sup> . وذلك بمعينه ما جعل كل من " دين جليسون " و " ميشال اربن " بهتما اذ ينفصل الانثروبولوجى Ethnomethodology باعتباره ذات اهمية لتحليل طبيعة التركيب الاجتماعى للمعاش<sup>(٥)</sup> . وذلك كمحاولة استكشافية لهمم العلاقات المتداخلة بين المعاش بواقعها فى حياتها الاجتماعية والثقافية المختلفة ، وإقامة الحوار بين القرائن المختلفة لتلك المعاش<sup>(٦)</sup> . وذلك ما جعل كل من " لويس كسندر " و" هرنارد روثريج " يعرفان به المعرفة الاجتماعية وما تنطوي عليه من ملحون اجتماعى وثقافى

- 
- ١) Tulloch, J.C., Sociology of knowledge and the sociology of literature, Amer. J. Sociol. 1976 Vol. 27 N.2 pp.202
  - ٢) Tulloch, O.P. cit p.206
  - ٣) Berger, R and Luckmann. The social construction of reality, Allen lane, the Penguin Press, 1967. p. 119
  - ٤) Berger & Luckmann, Ibid. p.208
  - ٥) Cicourel, A., Cognitive sociology , Harmondsworth, Penguin Press, 1973.
  - ٦) Cleeson, Dein & Erben, Michael, Meaning in context. Notes towards a critique of ethnomethodology, British J. Sociol. 1976 Vol. 27 N.W. pp. 474-75.

بشكل عام، على أنها موضوع علم الاجتماع المعرفي الذي يهتم بدراسة العلاقات القائمة بين الفكر والمجتمع ، والذي يهتم كفرع من فروع علم الاجتماع بتناول المعرفة الاجتماعية لتحليل مفهونها، أو ما تنطوي عليه من معاني والسيكيات ولغاياتها تعبر عن الواقع الثقافي والاجتماعي .

وان كنتشأن البحث قد حاول ان يربط بين المعرفة والتركيب الاجتماعي الذي ميشت فيه تلك المعرفة وبالصورة التي تجعل مجموعة الافكار متمسدة على الموقف الاجتماعي، والدور الذي يشغله الافراد في المجتمع ، بحيث يكون الوجود الاجتماعي محسداً لوعي الافراد (١) . فقد جاء "كارل مانهايم" ليوسم هذا الاتجاه بهذا يشير الى ان جميع الافكار تتأثر بالواقع الاجتماعي والتاريخي الذي نشأت فيه (٢) . وفي ضوء ذلك ذهب "مانهايم" الى تعريفه لعلم الاجتماع المعرفي الى انه نظرية تجرئة للوجود الاجتماعي والتاريخي للتفكير . وبذلك فان مانهايم قد ربط جميع الافكار بمكان وجودها الاجتماعي وزمانه، بحيث نجد ان جماعة معينة في زمان معين تتولى لها مقدرة اكثر من غيرها على فهم المظاهر الاجتماعية ، الا انه يقرر استحالة وجود جماعة تستطيع ان تدعى وصولها للفهم الكامل ، وبهذا التفكير يرفض مانهايم اسم الادماة الماركسية بان جماعة معينة تستطيع الوصول الى المعرفة الحقيقية وذلك لانه لا توجد جماعة معينة تستطيع ان تدعى انها تملك القدرة على فهم الظاهرة الاجتماعية اكثر من جماعة اخرى ، وانها تحتكر معرفة الحقيقة دون جماعة اخرى، وذلك لان أية وجهة نظر لا تشمل على كل الحقيقة مهما قربت منها. (٣) فالوجود الاجتماعي هو الذي يقرر الحقيقة المتضمنة في التفكير البشري في كل مرحلة من مراحل تطوره (٤)

(1) Coser, L. & Rosenberg, B., Sociological Theory, New York: The Macmillan Company, 1957 , p. 669.

(2) Mannheim, Karl, Ideology and Utopia, London: Routledge & Kegan Paul Ltd, 1936. p.3.

(3) Coser, Rosenberg, op.cit., p. 671.

(4) Mannheim, K. Essays on the Sociology of Knowledge, 11, 1942. pp 310-320

وفي ضوء هذا الظاهر قدم كارل مانهايم عددا من الدراسات الوافعة مثل الفكر المحافظ والمثالية كفاخرة ثقافية. تلك الدراسات التي اعترف بها أو لشك الذين انتقدوا كارل مانهايم أنفسهم في حين أن ماركس طبق نظريته للمعرفة وحصر تفكيره في مناقشة العوامل الاقتصادية والطبيعية باعتباره العوامل الحاسمة في إبراز الأفكار ، وذلك ما رفعه كارل مانهايم وحاول توسيع النظريته لتشمل عوامل اجتماعية وثقافية مختلفة مثل الأجيال ومركز الجماعات والجماعات المهنية ..... إلخ. غير أن ماكس شيلر قد ذهب أبعد من ذلك بتوسيع دائرة العوامل الستة تؤثر على أشكال التفكير<sup>(١)</sup> بكافة صورته .

في حين أن عالم الاجتماع الفرنسي أميل دوركايم يذهب إلى أن المجتمع هو العامل الحاسم في خلق التفكير، بحيث أصبح التفسير السيكولوجي لمبادئ أعضائه الآخرين للشرائح الأساسية للفكر البشري نوعا من مفهوم الزمان والمكان قائم على أساس أن تلك المفاهيم والشرائح المعرفية المختلفة ما هي إلا منجزات اجتماعية<sup>(٢)</sup> .

وقد تضمنت أعمال المدرسة البرجماتية في أمريكا منذ كل من " بيرس " و" جيمس " و" جون ديوي " بعض الآراء حول علم الاجتماع المعرفي . حيث أكدوا أن البرجماتية بصورة عامة على العملية المعرفية التي تجعل كل فعل للفكر مرتبطا بالحوال البشري كما أن انحصار الاتجاه الراديكالي يقيمون رابطة بين التفكير والفعل وبذلك إذا انحصار هذا الاتجاه فيكون على الرابطة السيكولوجية بين العملية الاجتماعية والعملية الفكرية ومن ثم فهم يرفضون الفكرة التقليدية التي مؤداهما التمييز بين دافع التفكير وموضوع الفكر ويؤكدون على الرابطة الدائمة بين الجاهل<sup>(٣)</sup> .

(1) Becker, Haward & Dahlke, H.O., Max Scheler's, Sociology of Knowledge, 11, 1942. pp.310-322.

(2) Durkheim; E., The Elementary Forms of Religious life, Glencoe, 111., 1947. p. 12.

(3) Coser & Rosenberg, op.cit. p. 675

وعلى هدى ذلك قرر بعض علماء الاجتماع ان اراء الانسان الاجتماعية تحدده  
الاتجاه والابعاد والروايات التي ينظر بها للصور الاجتماعية كما ترتفع على مخيلته .  
فلم ان لكل انسان خيالة الذي يرى به الحياة . الا ان اراء الانسان  
واحكامه وتحيضاته وتقييمه لاشياء تكون دائما نتاج خبراته وتجارب  
التي شكلت أرائه ومواقفه واتجاهاته نحو بعض القضايا .<sup>(١)</sup>

ولى فهو ذلك نجد ان لفظة المعرفة في علم الاجتماع تشكل احدى تعديلات علم  
الاجتماع الراهنة من حيث امكانية تطبيقها من تأثير الاهتمامات والميول  
والرغبات الذاتية والتي يحددها ويؤثر عليها المحيط الاجتماعي وما يحتويه  
من احوال وميول . ولن يتأتى ذلك لعالم الاجتماع الا بالانتقال الى مناهج  
موضوعية تمكنه من سبر الموارد وابعاد الفكر البشرى واشكاله المتجمعة  
في المعارف المختلفة من طريق القوى الاجتماعية والدلالات الثقافية  
والاجتماعية للعصر الذي تسود فيه تلك المعارف . وذلك للوقوف على العوامل  
والقوى التي تعمل خلفها وما بينها من علاقات ومدى اقتراب تلك القوى  
وابتمادها من الواقع الاجتماعي والثقافي والتاريخي للمجتمع الذي تسود  
فيه المعرفة .

كما ان فهم اشكال تلك العلاقات القائمة بين الواقع الاجتماعي والثقافي  
والتاريخي والفكري وتطور تلك الاشكال يمثل اساسيات فهم مضمون صور المعرفة  
المرتبطة باشكال الفكر المختلفة وما طرأ عليها من تطور مصاحب لتطور اشكال  
العلاقة القائمة بين الفكر والسياق الاجتماعي والثقافي والتاريخي .

والواقع ان ادراك العلاقة القائمة بين الفكر والسيارات الاجتماعية  
والثقافية والتاريخية ، لا يقلل من قيمة المعرفة بولا من هيئتها وداميتها .  
ولا يجعل المعرفة غير ذات قيمة بالنسبة للمجتمع بل على العكس من ذلك

---

(1) Coser & Rosenberg, op. cit., P. 677

فإن اعتبار المعرفة مجردة من الزمان والمكان يترتب عليه مخاطر كثيرة، لقد انتشرت على عملية ربط المعرفة الاجتماعية بالواقع الاجتماعي .

وإذا كان البعض يرى أنه لا قيمة أو فائدة من وراء فهم الأصول المعرفية، ومحيطها الاجتماعي والثقافي والتاريخي فيما يتعلق بلفية الحلق والتبنيات، إلا أن فهم ظلية الفكر والمعرفة يوفقنا على حقائق على درجة كبسرة من الأهمية بالنسبة للمعرفة، حيث أننا بتحديد الظلغة نتعرف على السوان المعرفة وما إذا كانت ابداعية أم نتجة للتفاعل الإنسان مع الواقع . كما أنها تفيدها فهم معرفة الخصائص المشتركة لانكال الفكر، وفلاقتها بالمحيط الذي نشأت في سبيله. ومدى توفر الخصائص المشتركة في هذا المحيط الذي يفسر انكالا معرفية متشابهة .

ثم إن إدراك ابعاد هذه المعرفة ومورها وسبقاتها يتيح لنا الفرصة لامكان الاستماسة بها في تفسير المجتمعات البشرية المعاصرة واستخدامها كأداة في التأثير على تلك المجتمعات وتحسين أوضاعها لمنفعة الإنسان بصورة مباشرة وغير مباشرة . أما عن منفعة المباشرة فتتمثل فيما يحلقه الإنسان من استفادة مباشرة من معرفته. وبالنسبة للمنفعة غير المباشرة فتتمثل في فهم الإنسان للواقع الاجتماعي وظواهره، وإمكانية التنبؤ بمستقبل تلك الظواهر، والكييفية الشئ تعمل بها في المستقبل بحيث تقل دائما تحسنت سيطرته وتوجهاته .



## الفصل السادس

### البرهان العلمي

شغلت قضية البرهان العلمي اهتمام العلماء والفكرين منذ زمن بعيد ، وذلك عندما ارادوا ان يقيموا برهانهم على اسس علمية تتفق مع طبيعــة التنظيم العلمية التي يهتمون بالعمل العلمي في مجالها . ويرجع هذا الاهتمام في اساسه لاعتبارات اساسية تتعلق بطبيعة البرهان الفلسفي الذي يتخذ من المنطق الصوري قاعدة اساسية لاقامة البرهان . الامر الذي يجعل هذا البرهان متجاوزا لطبيعة الواقع من ناحية ولكن البرهان على صفة نظرية او غلطها يبدأ منطلقا بمرحلة الصرامة النظرية وينتهي منطلقا بالتحقق من النظرية من ناحية اخرى<sup>(١)</sup>

وبذلك تكمن مشكلة البرهان الاساسية في مدى تطبيقه للمعايير بين النظرية والبيانات/ومدى اقامة البرهان على اسس علمية العملية التي تتم بها هذه المعالجة خلال المرحلة المتعلقة بجعل المبادئ والفروض النظرية قابلة للتطبيق<sup>(٢)</sup> .

ولما كان المنهج العلمي - اذ اقامة البرهان والتحقق من صحة بنسبته النظرية - قابليتها للتحقق اذ ان معالجة قضية البرهان العلمي تأتى دائما في سياق معالجة البناء المنهجي للعلم وذلك لايفتح امامية المنهج العلمي في دعم المبادئ المتعلقة باقامة البرهان العلمي .

وفي ضوء ذلك نتناول القضايا المتعلقة باقامة البرهان العلمي من خلال معالجة الجوانب التالية :

---

(1) Cole, Stephene, Op.cit., P.35

(2) Bailey, K., Op. cit., P.43

- مستويات البرهان العلمى .
- مداخل البرهان العلمى .
- استراتيجية البرهان وعناصره .
- النظرية التفسيرية والبرهان العلمى .

اولا : مستويات البرهان العلمى :

يمكن اتخاذ الاحاس الذى نعتد عليه فى صياغة النظرية باعتباره مستوى من مستويات اقامة البرهان العلمى . وعندما تتم عملية صياغة الفسوفى والقضايا التى تقوم عليها النظرية يبدأ المستوى الثانى للبرهان على مدى اكتمال عناصر ومكونات صياغة النظرية . من حيث اتساق القضايا وتتابعها وتنوعها دون ان يكون بينها اى تعارض او تناقض . والواقع ان هذا المستوى من البرهان يستند الى مبادئ العلم الاساسية التى تستلزمها النظرية، والتسبب تولد منها فروغى مبررة تتعلق بالاتساق والتتابع والتنوع وعدم التناقض بين قضايا النظرية . وعند هذا المستوى يكون البرهان المقام صورياً ، وذلك لان الفروغى المتولدة من مبادئ النظرية فروغى مبررة لاتخضع للاختبار والتحقق الامبيرى . وعندما يتحقق هذا المستوى من البرهان يأتى المستوى الثالث للبرهان العلمى على صفة النظرية أو عدم صلاحها . ومن ثم نهدف الى معالجة مستويات البرهان الثلاثة وما بينها من تكامل يداخلى وتداخل يلى بمناقشة استراتيجية النماذج المختلفة للبرهان العلمى على صفة او خطأ النظرية ، على مستوى الصياغة ، ومستوى التحقق . وذلك تمهيدا لمناقشة مقومات البرهان العلمى .

فقد تبدو عملية صياغة واختبار الفروغى من النظرية الاولى انها عملية سهلة وبسيطة الا ان مقدمات التناول العلمى ، والتحليل الدقيق السببى يستند اليه البرهان تكشف عن صعوبة العملية ودقتها ، وذلك لانها تتضمن اجراءات اساسية ، لاقامة المصاهرة بين النظرية والبيانات ، والعزج بينهما

نظرياً، للاداس المنطقي البرهان العلمي . فبينما يكون التفسير عملية ذهنية تصويرية فإن اختبار صحة التفسير والبرهنة عليه تتطلب ملاحظة وتحليلاً للبيانات . وهذه العملية في حد ذاتها تتطلب عبور الفجوة القائمة بين الملاحظة التصويرية وبين التحقق الامبيريقية من تلك الملاحظة. وذلك بالتحديد الاجرائي للمناهج والفروض التصويرية بما يجعلها قابلة للاختبار والتحقق الامبيريقى . ومن ثم يكون التمييز بين المستوى التصوري والمستوى الامبيريقى مسألة هامة . فعلى نعتية بالملاحظة الامبيريقية تلك الظاهرة التي يمكن دراستها واستخراجها بواسطة مفاهيم مثل الملاحظة واللمس والشم والسمع، حين ان الآثار التصورية الامبيريقية يتضمن مفاهيم نظرية يمكن ملاحظتها امبيريقياً مثل مفهوم الحشد. هذا بالإضافة لبعض المفاهيم المجردة والتي يمكن ملاحظتها وقبالتها مباشرة مثل الاعترا ب والتسلطية والذكاء ..... الخ . وعلا تلك القضية طرحت العديد من المحاولات التي تستهدف إقامة البرهان العلمي من منظورات مختلفة، تمثلت بصورة مجملية في ثلاثة مداخل اساسية استهدفت معالجة مسألة الفروض واختبارها . وهى المدخل التقليدى الكلاسيكى ومدخل النظرية المحلقة والنزعة الاجرائية .

ثانياً : مداخل البرهان العلمي :

#### ١ - المدخل الكلاسيكى للبرهان ( Classical Approach )

يتضمن المدخل الكلاسيكى ثلاثة مراحل متميزة حيث يتم في المرحلة الاولى تعريف المفاهيم وكتابة الفحوى التى تقرر العلاقة بين المفاهيم . والمصطلح هنا يتم على المستوى النظرى وهذه المرحلة اساسية واولية بالنسبة لهذا المدخل . اما

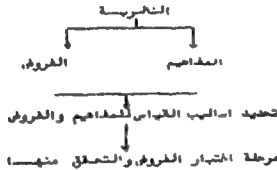
المرحلة الثانية فتهدف عبور الفجوة بين المستوى النظرى والمستوى الامبيرى، حيث يتم تحديد طرق واساليب لقياس المفاهيم امبيريا ٤ ، وبذلك تتضمن هذه المرحلة صياغة الفروض الادائية للقياس والتي ترتبط بالمفاهيم الامبيرية لمفهومين .

اما المرحلة الثالثة والاخيرة فتتضمن جمع وتحليل البيانات بغية التحقق من الفرض والبرهنة على صحته أو خطئه (١) .

وبذلك يكون مدخل النموذج التقليدى للمصاغة نظري ويقيم برهانه على صحة المصاغة النظرية من خلال التحقق الامبيرى للنظرية .

ومن ثم يحتل النموذج التقليدى للمبرهان المستوى الثالث المتمثل فى تبنى التحقق الامبيرى من صحة أو خطأ النظرية .

وتتطلب هذه النظرية من المستوى النظرى الى المستوى التطبيقى والشكل التوضيحي التالى يبين ذلك :



Grounded theory

٢ - مدخل النظرية المحققة

وهي النظرية التي يتم اكتشافها أو تعميمها من البيانات أكثر من التجريدات ويتم تطوير النظرية المحققة عن طريق :

- ١ - النزول الى ميدان العمل بحون فرد .
- ب - وصف ما يحدث
- ج - صياغة التفسيرات حول الظاهرة المعطاة
- وإذا أدى للبحث على اساس الملاحظة .

وقد قدم كل من جلزر وستراوس تحدياً للنظرية المحققة على أساس أن  
الرموز البهائية لا يتم في لسان. وإنما يستند إلى البحوث بمعنى أن لفسرورف  
النظرية تتولد من البيانات . وتقوم على المفاهيم التي تتوفر في البحث  
وهذه النظرية تنطلق من المستوى الأميريالى وتنتهي إلى المستوى النظري  
استناداً إلى منطقها الداخلي على أن المفاهيم تتولد من طريق البيانات  
الأميرية



وبذلك تبدأ النظرية المحققة البيانات وتحديد المفاهيم ثم تنتهي إلى  
صياغة الفروض .

operationalism

٣ - مدخل النزعة الإجرائية

يشير هذا المفهوم للعمليات المتبعة في قياس المفهوم . وقد عرف  
هذا المفهوم أساساً بواسطة ب . بيرمان<sup>١</sup> ويطلق على اتباع برمان ومؤيديه  
اسم الإجرائيين والمتطرفون لأن مدخلهم للبرهان العلمي مدخل إجرائي متطرف  
إذ أنهم يرفضون على نحو ما فعل ليندبرج وجود أي متغيرات لتقبل الفرض .  
وفي ذلك يذهب ليندبرج إلى أن الإجرائية ليست طريقة لتعريف المفاهيم، ولكنها  
عملية تتم بعد أن تكون المفاهيم قد عرفت مثلاً ذلك إذا سأل أحد عن  
ماهية الذكاء ؟ تكون الإجابة على ذلك أن الذكاء هو ما يقيسه مقياس  
الذكاء .

٤ - مقارنة بين نماذج البرهان الثلاثة :

يتفحص الجدول التالي مقارنة بين المدخل الكلاسيكي و مدخل التحريية  
المختلفة ومدخل النزعة الإجرائية للبرهان .

د. خليل البرهان العلمي

[illegible]

يتفهم من تحليل نماذج البرهان الثلاثة من حيث مدخلها للبرهان ومنطلقها المبدأية النظرية وأخرى التحقق، ووسطها بين المستوى النظري والمستوى الأمبيرى يتفهم من كل ذلك أن نماذج البرهان الثلاثة تتفاوت من بعضها من حيث كفاءتها المنهجية في تحقيق البرهان العلمى لأنها تتفاوت من حيث مدخلها، وما توفره من مستويات البرهان. كما أنها لا تحقق الاتصال العلمى بدقة بين المستوى النظري والمستوى الأمبيرى فى أى من مستويات البرهان .

ورغم أن المدخل، الكلاسيكى يحقق البرهان العلمى من خلال مراحل ثلاثية تبدأ بالمستوى النظري حيث يتم تحديد المفاهيم ومبدأ القياس المبدئية التى تقر علاقات معينة بين تلك المفاهيم .

ويتم فى المرحلة الثانية محاولة تخطى الفجوة بين المستوى النظرى والمستوى الأمبيرى عن طريق إيجاد أساليب لقياس المفاهيم اجرائياً ثم تأتى المرحلة الثالثة والأخيرة فى البرهان بجمع البيانات وتحليلها وتمعيم الفروض فى ضوءها .

ألا أن مبدأ المفاهيم والفروض يتم فى المرحلة الأولى على المستوى التصورى النظري فقط دون أن تؤخذ فى الاعتبار المعطيات الأمبيرية. ودون قائد حوار جدلى بين المعطيات الأمبيرية ومتطلبات المبدأ النظرية لاستخلاص المفاهيم والفروض من خلال عملية الجدل، بين المعطيات الكيفية والمعطيات الكمية .

وبذلك تكون عملية المبدأ تلك محدودة النطاق بحدود التصور النظرى حول الواقع .

كما أن تحديد طرق قياس المفاهيم والتحقق من الفروض لا تتوفر فيه المقومات الأساسية لتحديد المؤشرات الإحصائية للمفاهيم والفروض بما يجعل المفاهيم

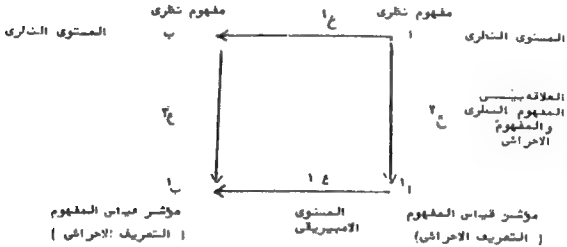
والقضايا النظرية خاضعة للقياس وحتى تحديد هذه المؤشرات يقتضيس أن تكون العناصر النظرية للمفهوم والقضية متضمنة في العناصر الإجرائية ومتحققة معها، بحيث يشمل القياس جميع الدلالات النظرية للمفهوم والقضية .

كما أن تمحيص المذاهب والفروغ في فروع المعطيات الإمبيريقية لا يؤدي وثيقته بالنسبة لانساق النظرية المغلفة إذا ما كانت أساسية لتوجيه عملية البحث وإعراؤه . وذلك لأن الالتزام بنظرية في حد ذاتها يقتضى الالتزام بإعراوات منهجية معينة تؤكد عليها النظرية، وذلك يضع حدوداً معينة على المعطيات الإمبيريقية . كما أن الانساق النظرية المغلفة لا تمنح الفرصة للبيانات والمعطيات الإمبيريقية للتعديل والتطوير في مذاهبها وقضاياها . التي صفت نظريتها بذلك تقتصر على عملية البيانات والمعطيات الإمبيريقية من حيث المراجعة والتعديل وعدم التقليد بوسائل منهجية معينة في التناول . على الإشارات التمورية التي لا تتوفر لها مقومات النظرية إلا بعد التحقق منها . والبرهنة على مذاهبها وقضاياها في فروع المعطيات الإمبيريقية ، وطالما أن المقادير التمورية تكون محدودة النطاق ، لاستنادها في مرحلة المباحة على مصليات الكيف دون الكم فإن احتمالات البرهنة عليها واكتابها مقومات النظرية لا تتوفر لها اليقين الكافي .



والشكل السابق يوضح مدخل النظرية الكلاسيكية للصياغة

النظرية (بـ) الفروض والمحقق (أ)



وتحديد العلاقة بين 'أ' و 'ب' يعتمد على الدلالة الإمبريقية لـ 'أ' (

بالنسبة لـ 'ب' ) وبأ' بالنسبة لـ 'ب' وهذا يمكن التناول الأخرى

للعلاقة بين 'أ' و 'ب' على المستوى الإمبريقى 'أ' و 'ب' .

وتأتى النظرية المحققة لتؤكد على المفاهيم والفروض التى تتوفر فى البحث

الذى يرتبط بها. وذلك ما أوضحه ستراوس وحلاص لاعتقادهما بأن ذلك يعظم

من قبة النظرية . فلا يكفى فى نظرهما التحقق من النظرية الدائمية والبرهنة

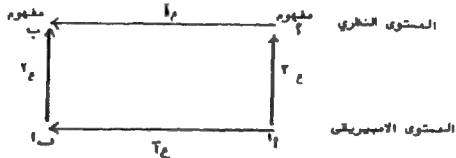
على صحتها إمبريقيا بالبحث وإنما يجب أن تقوم النظرية على المفاهيم

والعوامل المنخلفة من العمل الإمبريقى .

وبذلك حدد أن مدخل السبرية المحققة للصياغة النظرية إمبريقيا. فى حين

أن المدخل الكلاسيكى لصياغة السبرية يؤكد على الأساس النمورى النظرى .

والشكل التالي يوضح مدخل النظرية المحققة للمعادلة النظرية

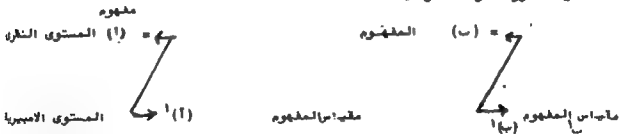


حيث يلاحظ انه عندما تكون جميع المفاهيم مصالحة على اساس توجيه ملاحظة البيانات لا يكون هناك خطأ القياس، ومع ان نقص خطأ القياس هذا قد يتعلق فقط بالوقت والمكان الذي تجرى فيه الدراسة فقد لا يكون قابلاً للتعميم .  
وإذا اراد الباحث ان ينهى الفرق المتخصص من النظرية المحققة في بحثه جديد فيمكنه الاستدانة من مرحلة التحقق الامبيرى للمدخل الكلاسيكى .

في حين ان " برودمان " في تعريفه للنزعة الاجراشية عام ١٩٤٨ . يؤكد انها تشير للمعاملات المنفردة والتي تتبع في قياس المفهوم إنما يؤكد على ان المفهوم الذي يعرف هو ذلك المفهوم الذي تم قياسه . وبذلك يكون مدخل النزعة الاجراشية مدخلاً برجماتياً ( عملياً ) لان تعريف المفهوم لا يخرج من نطاق قياسه . وان المفهوم الذي لا يتم تعريفه بالدراسة لا يستند في البحث ولذلك لا يفتح الباحث وقتاً فليس استخدامه .

والشكل التوفيقى التالى يبين العلاقة بين المستوى النظرى والمستوى الامبيرى

من منظور النزعة الاجراشية



وبذلك نعد ان المستوى النظرى موجود على مستوى النماذج الثلاثة<sup>١</sup> على نحو ما افهنا

١) Bailey, K.D., op.cit. pp. 43-48.

ومن تحليل الاستراتيجيات المختلفة لمعالجة الفروض والتحقق منها يبين ان استراتيجية المدخل الكلاسيكي للبرهان العلمى تقوم على اساس تعريف المفاهيم اولاً وامرار العلامة بين تلك المفاهيم ثم تحديد ذرة واساليب قياس كل مفهوم، ثم جمع البيانات اخراً واختيار الفروض . وتقوم استراتيجية النظرية المحققة للبرهان والتى روجت بواسطة كل من جلا ذر و ستراوس عام ١٩٦٧ على اساس البدء بملاحظة الظواهر قبل بناء اى فرض حولها . وفى ضوء ذلك تكون مفاهيم الدراسة وفروضها التى تقيم علاقات بين المتغيرات مشتقة اميرقاً من فحص البيانات الفعلية . فى حين ان استراتيجية النزعة الاجرائية للبرهان العلمى تقوم على اساس ان المفهوم لا يمكن تعريفه مستقلاً عن مبادئه . وذلك يتحكم المقياس فى تحديد المفهوم ومعالجة الفرض بشكل مطلق عند الاجرائيين، فى حين ان مدخل النظرية المحققة لا يحرص نفسه بمبادئ معينة للمفاهيم رغم انه لا يستخدم مثل المفاهيم الا ما يقبل القياس .

وبذلك يتفهم ان مستويات البرهان العلمى لا تتوفر بصورة متكاملة لى مداخل نماذج البرهان الثلاثة وذلك رغم ان كل منها يعالج جانباً معيناً من جوانب البرهان العلمى .

شالاً : استراتيجية البرهان العلمى

١ - البرهان العلمى بين الوصف والتفسير :

الوصف والتفسير نظمان اصاحيان للبحث بالنسبة لى علم من العلوم طبيعياً كان ام اجتماعياً . وليس هناك اساس واضح بالنسبة للاعتقاد الدائد بين العلم . ان البحوث الوصفية لانهم الاساس العلمى للبرهان . وذلك لان السردان الوصفى له مستوباته ومتطلباته الاساسية للبرهان العلمى . اذ ان اكتشاف عناصره الظاهرة وانماط العلاقات الدائمة بين تلك العناصر وتحديد المفاهيم

المرتبطه بتلك العناصر والعلاقات احدى مستويات البرهان العلمي. لان تلك المذاهيم والعلاقات منبثقة تحت التصايف الفنية للنظرية. ومن ثم لاستقيم البرهنه على صفة النموذج التفسيري الراسخ للنظرية. بدون البرهنه على النماذج الفهميه. وذلك لان النموذج التفسيري للنظرية يستند في اساسه على النموذج الفهمي للنظرية .

فالاعتقاد الشائع بين الناس من خصائص الاشياء والطواهر لايشكل الخصائص الحقيقية لتلك الظواهر . وذلك ما نوضحه بالمثال التالي :

فما نعرفه من قطعة الخمر بانها تتكون من ذرات رملية متماكسه لايعبر عن عناصر قطعة الخمر والمادة التي تربط بينها . فقد تكون قطعة خمر معينه مكونه من مواد معدنيه معينه. وينسب متداوته التي الى تماسك هذه المواد المكونه لها . ومن ثم فان معرفه نوعية هذه المواد ونسبتها يدخل ضمن الموضوع. كما ان اثبات النسب المفترضة للمواد المكونه لقطعة الخمر والبرهنه عليها يعتمد على اجراء تحليلات اساسية لتلك العناصر لوصفها وتحديد خصائصها . وهذا المستوى من البرهان الوصفي ركيزة اساسية للبرهان التفسيري. الذي يستهدف التعرف على العوامل التي تتحكم في وجود تلك العناصر بهذه النسب. والتي قد تزيد من قوة التماسك بين تلك العناصر. او تؤدي الى السقوط فيها. وهذا المستوى التفسيري يدخل ضمن نطاق البرهان التفسيري لما نظرفه حول العوامل المسحكة في تكوين خاصية الخمر والمادية للتماسك فيها بينها .

وعلى مستوى علم الفيزياء كان الاعتقاد السائد لفترة ان الذرة اصغر وحدة وانها لا تتقسم ماضر اخرى . وعندما تقدمت الوسائل التكنولوجية. وانجحت الوسائل التي تمكن الانسان من التحكم في الذرة. ثبت ممكن الاعتقاد الشائع حين الغلط. بالنسبة لعدم تفتت الذرة لعناصر اخرى . وتبين العلم ان من تحديد العناصر المكونه للذرة والمتمثلة في البروتون ، النيوترون ، الالكترن . وتبين ان خصائص العناصر الثلاثة للذرة مختلفه وهي متعلمه من خصائصها وهي متحد في شواة الذرة .

(١) جروم د. روزنبرج ، الكيمياء العامة ، ترجمة القاهرة. مؤسسة الاهرام ١٩٧٧م. ص ٢٤٥

وهذا المستوى من البرهان الوصفي معقدًا وليس كما انه مختلف من البرهان التفسيري الذي يستهدف التحقق من العواما المقترحة، والتي تتحكم في الذرة وعناصرها وهم، متوحدة في جهة الذرة من ناحية. وهي في حالة انشطار عن بعضها من ناحية أخرى . كما أن مستوى البرهان التفسيري هذا يعتمد على مستوى البرهان الوصفي ويستند اليه .

وفي علم الاجتماع تجرى البحوث الوصفية لكشف الحقائق الاجتماعية ووصفها لمعرفة كيفية السلوك العلمي، وماذا تكون عليه حقيقة المجتمع فقد يسمى عالم الاجتماع لمعرفة عدد طلبة الجامعة الذين يقرأون الصحف، والذين يشاهدون برامج التلفزيون . وقد يسمى العالم أيضا لمعرفة ما اذا كانت الظروف الاقتصادية للزنوج في أمريكا قد تحسنت في الحقبات الأخيرة ام لا . فجميع هذه الدراسات لها نفس الهدف المتمثل في اكتشاف الحقائق الاجتماعية. ولاشك ان اكتشاف مثل هذه الحقائق قد يكون بهدف البرهنه على صحة فروض مطروحة مسبقا، وللتحقق من صلات وعوامل تضمنتها المذاهيم التي صيغت على اساسها تلك الفروض الوصفية . مما لا يخفى والتي قد تشير الى :

إن نسبة عالية من طلبة الجامعة يقرأون الصحف ويشاهدون برامج التلفزيون . وان الظروف الاقتصادية للزنوج تحسنت في الحقبات الأخيرة في أمريكا . الخ . فمثل هذه الفروض وصفية والتحقق منها يستم على مستوى الوصف المتمثل في اكتشاف الحقائق الاجتماعية المرتبطة بهذه الفروض . وإذا كان مستوى الوصف هنا بسيطًا لشدة حالات الخسري يكون فيها البرهان الوصفي أكثر تعقيدًا . مثال ذلك عندما يلفتري احسد العلماء ان الممرضة أو الموت يتأثران بالاضواع الاجتماعية . بمعنى أن العوامل السلوكية لا تتحكم وحدها في، مثل تلك الأحوال . وفي مثل هذه الحالة يكون البرهان على مثال هذا الفرض على مستوى الوصف ولكن الوصف

هذا لا يستهدف اكتشاف خاص يمكن تلخيصها وإنما يستهدف اكتشاف علاقات  
غير مدركة بصورة مباشرة .

ولقد تضمنت دراسة " سامويل استور " وفريقه خلال الحرب العالمية الثانية  
والتي نشرت في أربعة مجلدات بعنوان " الجندي الأمريكي " مستوى أخرا من البرهان  
الوصفي حيث اتخذت الدراسة من بعض الأمور المتعارف عليها منطلقاتها الأساسية  
بهدف التحقق من صدق هذه الأمور المتمثلة في :

- أن من يتمتع بمستوى تعليمي أفضل ؛ أكثر تعرفا لأمراض النفسية ممن هم  
أقل تعليمها ( فمن المعروف أن المتألمين أكثر مصابة والا ، شهدنا  
واستقرارا من المدنيين ) .
- وأن معنوية ذوى الطفلة الريفية كانت أفضل خلال حياتهم العسكرية ممن هم  
ذوى خلفية حضرية ( وقد كان ذلك متوقعا نظرا لأن الريفيين متعددين على  
العمل ومعتادين على معاشة البهية والظروف الصعبة ) .
- وأن تحسن الجنود البهيفر لأن يصبحوا غرابا دافمين أكثر من تحسن الزنوج ( وذلك  
لأن الظروف الاجتماعية التي ينشأ فيها الزنوج تجعل أوضاعهم أقل من  
البهيفر ، كما أن الزنجى لا يشعر بالامان وهو يعطى أوامرا للرجل الأبيض ) .
- وأن الجنود القادمين من الجنوب أكثر تحملا للطقس في جزيرة جنوب البحر الحارة  
من الجنود القادمين من الشمال ( وذلك أكثر بدهاءة نظرا لظروف الجنوب  
الحارة وتعودهم عليها ) .

وقد تبين من الدراسة التي أجراها استاذ علم الاجتماع بجامعة هارفرد " سامويل  
استور " وفريقه أن نتائج الدراسة أتت بما هو عكس هذه الأمور البديهية ، والتي  
اتخذت منها الدراسات منطلقاتها للتحقق والبرهان ، حيث ثبت من الدراسة :

- أن من يتمتعون بمستوى تعليمي أفضل من الرجال، ظهرت عليهم أعراضاً مرفقة بنفسية أقل من هم إلى تعليمه .
  - وأن الرجال ذوي الخلفية الريفية لم تكن روحهم المعنوية أحسن من ذوي الخلفية الحضرية خلال حياتهم العسكرية .
  - وأن الزنوج كانوا أكثر تحملاً من البيض ليعملوا لحباطاً داخلية في الجيش .
  - وأن الجنود القادمين من الجنوب لم يكونوا أحسن تكيفاً مع طقس الجزيرة من الجنود القادمين من الشمال . وبذلك تأكد من دراسة "ساموا، استولر" وفريقه أن البرهان الوصفي في علم الاجتماع يستهدف التحقق من بعض المعتقدات الشائعة حول السلوك البشري (١) .
- وإذا كان البرهان الوصفي يستند إلى التحقق مما هو قائم بالفعل، وما يتم به من خصائص وسمات، فإنه لا يمكنه من الإجابة عن لماذا توجد الأشياء بهذه الصور التي هي عليها على مستوى الوصف . وذلك لأن الإجابة على مثل هذا السؤال أي على لماذا ؟ يشكل نمطاً آخر من أنماط البرهان العلمي، وهو البرهان التفسيري . وأن كسبان النموذج المعين للنسق النظري للعلم قد احتل وفقاً خاصاً بالنسبة للبرهان العلمي، وذلك لأنه يطرح بصورة معلنّة على مستوى النظرية والعبارات التنبؤية والتحقق من التنبؤات وهي العناصر الأساسية للبرهان العلمي . والتي ترتبط بعناصر التحليل التفسيري الخمس المتمثلة في المتغير . التابع . والمتغير المستقل والمتغير الوسيط ١ عامل الاختبار والمتغير الوسيط ، ومتغير الاعتماد المتبادل ( المتغير الوظيفي )، لكل من عناصر التحليل التفسيري الخمس تلك حدود مستوى معين بالنسبة لعناصر البرهان العلمي بمعنى أن متغيرات التحليل التفسيري يتم البرهان عليها على
- (١) Stouffer, Samuel & Others, The American Soldiers studies in social Psychology in World War II, 4 Vols., Princeton, Princeton University Press, 1949

مستوى النظرية. كما انها تعالج علم، مستوى العبارات التنبؤية وتنظم للتحقق،  
والاختبار علم المستوى الامبيرية. وبذلك فهي معلنة وواضحة على مستوى العبارة  
النظرية والعبارات التنبؤية. واجراءات التحقق منها. ومن ثم اكتسبت وضعاً  
مميزاً بالنسبة للبرهان العلمى على مستوى جميع العلوم .

## ٢ - عناصر البرهان العلمى ومراحلها :

رغم ان العلم يبدأ بنظرية وينتهى منطقيها بنظرية وان النظرية  
تنبر للنموذج التفسيري المعلن للعلم والقائم على العلاقات المعقدة بين  
المعاهيم، الا ان هذا الجانب المعلن والذي يتناول العلاقات لا يدرك ادراكاً  
مباشراً. كما هو الحال، بالنسبة للنموذج الضمني الذى يشكل الظروف الوصفية  
للتفسيرية . كما ان ادراك العلاقات التفسيرية لا يتحقق بدون توفير الوعى  
العلمى القائم على المعرفة الامبيرية. التى تدعم الفهم العلمى لتلك  
العلاقات. ذلك الفهم الذى يعتمد بدوره على التفسير الذى يقدمه العلم للظاهرة.  
وتقدر ما يكون الفهم قائماً على الوعى العلمى. يكون التنبؤ باحتمالات حدوث  
الظاهرة امراً ممكناً . ومن ثم اصبح لفرز العلم تطوير تفسيره بالمعورة التى  
تجاء معادلاته ممكنة الحدوث .

وبذلك لا يتنصر البرهان العلمى على مجرد التحقق من العلاقات التفسيرية  
ولكنه يبدأ بمرحلة معالجة النظرية وتحديد العلاقات التنبؤية والتحقق من  
تلك التنبؤات . بمعنى ان البرهان العلمى يتم من خلال عناصره الاساسية  
المتضمنة لى النظرية ، والعلاقات التنبؤية، وتعلقية التنبؤات .

واذا كانت النظرية اداة العلم لادماج الرؤية بأبعاد الواقع فانهما  
مثل البداية، الفلسفة للعلم بمثلما هي نتيجته او خلاصته وذلك لانها تمثل النموذج  
الذى يساعدنا على تفسير العلاقات وعمل التنبؤات حول مستقبل تلك العلاقات



وعندما نلهم علاقة بين مغيرين نكون قادرين على عمل التنبؤات حول مستقبل تلك العلاقات عند تغيرها . وعندما تكون تلك العلاقات مختصرة تكون النظرية قادرة على عمل التنبؤات بعد جمع البيانات التي تدعمها على التحقق من تلك العلاقات التي تنبئها النظرية .

ومن ثم يمكن القول بان النظرية ما هي الا تفسير مرتكز على الحقيقة . ودللا لانها اى النظرية تبدأ بالعلاقات التي تنبئ بالحدوث الذي يمكن تحقيقه بالبيانات التي تجمع حول تلك العلاقات . واذا ما اتبع المدخل العلمى فى جمع هذه البيانات يكون الباحث فى وضع يمكنه من تحقيق البرهان العلمى وايضا صدق تلك العلاقات او عدمه بالحقيقة الامبيريقية . وهذه هي العملية التي تشكل النظام العلمى للعلم<sup>(١)</sup> والذي يستند لقوله مؤداه ان التفسير العلمى الذي يمكن قبوله يتمثل فى التحقق الامبيريقى للتنبؤات<sup>(٢)</sup> .

واذا كان البرهان العلمى لايعنى بالضرورة التكميم الا انه يعنى فلسفى اية حال ان تكون المعطيات التي نل اليها قابلة للتكرار بمعنى ان مماكتشفه يمكن لاي شخص آخر يستطيع تطبيق المنهج العلمى ان يكتشفه وان يصل الى نفس النتائج التي وصلنا اليها . والا لن يكون هناك علما حاليما . ومن ثم اصم تحديد عناصر البرهان ومراحلها فى سياق نسق التفكير العلمى من المسائل الاساسية التي يشتملها تحليل البناء المنطقى للعلم .

رابعا : النظرية التفسيرية ( الايداعية ) والبرهان العلمى

ستحقق البرهان العلمى على مستوى النظرية بمستويات مختلفة تتمثل فى :  
البرهان على مستوى الصياغة النظرية ، واكتمال صياغة النظرية والتحقق الامبيريقى للنظرية

(1) Zuzman , Marty E., Op. Cit., P. 17.

(2) Zuzman, M.E., Ibid., p.18

## ١ - البرهان العلمى على مستوى الميافة النظرية :

يقام البرهان العلمى على مستوى الميافة للقضايا التى تنهض عليها النظرية، بمعنى أن عملية بحث تلك القضايا والاداس الذى تستند اليه بحث مستوى من مستويات البرهان العلمى . وإذا كان المدخل الكلاسيكى لصاغة النظرية يتخذ من الاداس المسمى مدخله لميافة القضية بمعنى أن صياغة القضية تتم فى المرحلة الاولى على المستوى الثانى، فى حين أن النظرية المحققة والنزعة الإجرائية تتخذ من الواقع ومتطلباته اساسا لميافة القضية . فان اقامة التآليف بين المدخلين فى صياغة القضايا التى تقوم عليها النظرية الايضاحية بشكل فى حد ذاته مستوى من مستويات البرهان العلمى على صفة القضية ، وذلك بان تأليف بين المدخلين جدلا علمى اساسا سينهما من استقلااب واستكمال وتفسير ؟ فعلى مستوى الاستقلااب لكثرة من اوجه الاختلاف بين معطيات المدخلين بالنسبة للقضية معينة. ومن حيث الاستكمال لكثف عما سينهما من تكامل بنادى. ومن حيث التفسير نكشف عما بينهما من تساند وهيفى فى فهم ابعاد الظاهر او النتائج التى نطرح للدراسة . وهذا تشابة المصاهرة الجدلية بين المدخل الكيفى والمدخل الكمى فى صياغة النظرية الايضاحية . وذلك لان لكل من المدخلين اساسه المعرفى الخاص لادراك الظاهرة والتعبير عن معطيات تفكيره حولها<sup>(١)</sup>. إذ أن المدخل الكيفى يتخذ من الاستدلال، الاستنباط، وسيلته للتعبير عن الظاهرة لى حين أن المدخل الكمى يتخذ من الاستدلال، الاستقراض وسيلته للتعبير عن الظاهرة. وبذلك يستند البرهان فى هذا المستوى من الميافة النظرية الى منطق المصاهرة والتآليف بين الطوسى التعبير عن معطيات التفكير حول الظاهرة الى المصاهرة بين معطيات الاستدلال الاستنباطى ومعطيات الاستدلال الاستقراضى. فعلى اساس هذا التآليف تتحدد درجة صحة المعطيات التى تستند اليها معطيات النظرية الايضاحية حول الظاهرة. بالاستناد الى أسلوب الاستدلال الاستقراضى لمعطيات الكم ومعطيات الكم حول الظاهرة . ومن ثم تتم عملية صياغة النظرية

(١) دكتور محمد عارف عثمان ، المنهم فى علم الاجتماع ، القاهرة ، دار الثقافة

من خلال عدة مراحل تتمثل اولها في الاستدلال الاستقرائي بين معطيات كل من الكيف والكم على حدة، وفي الخطوة الثانية تتم عملية التأليد بين معطيات الاستدلال الاستقرائي على مستوى الكيف ومعطيات الاستدلال الاستقرائي على مستوى الكم . لاستخلاص عناصر النظرية التفسيرية من خلال المماثلة بين معطيات الكم والكيف وذلك على النحو التالي :

مستوى البرهان بالمرحلة الاولى من صياغة النظرية الابداعية وفيها يتم تحليل معطيات كل نظرية من النظريات ومعطيات كل دراسة من الدراسات الكمية التي عناصرها الاساسية المتمثلة في :

المفاهيم :

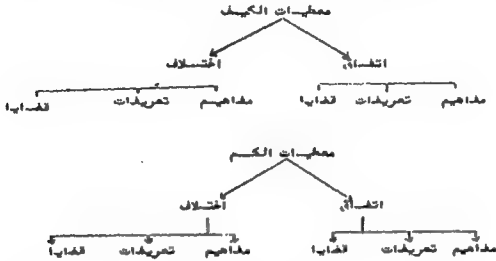
التعريفات :

القضايا :

مثال ذلك باستقراؤنا لهذا معطيات نظريات ثلاثه على مستوى الكيف ومعطيات دراسات تطبيقية ثلاثه على مستوى الكم حول ظاهرة من الظواهر يتم تحليل عناصرها على النحو الذي يتضمنه الجدول التالي :

معطيات الكيف	معطيات الكم
- عناصر النظرية رقم ١١ :	- معطيات الدراسة رقم ١١
- المفاهيم	- مفاهيم
- التعريفات	- تعريفات
- القضايا	- قضايا
- عناصر النظرية رقم ٢١	- معطيات الدراسة رقم ٢١
- المفاهيم	- مفاهيم
- التعريفات	- تعريفات
- القضايا	- قضايا
- عناصر النظرية رقم ٣١	- معطيات الدراسة رقم ٣١
- المفاهيم	- مفاهيم
- التعريفات	- تعريفات
- القضايا	- قضايا

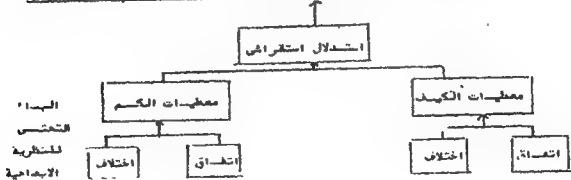
في الاستعانة بالطرق الجدلية في عملية التأليف بين معطيات كل من  
النظريات وكل من البحوث على حدها نحل لمستوى من البرهان بالنسبة  
لكل من معطيات الكيف ومعطيات الكم على حدها . وذلك على النحو التالي :



وفي المرحلة الثانية من البرهان تأخذ معطيات التحليل الجدلي على مستوى كل  
من النظريات الكيفية والنظريات الكمية .

لإقامة مستوى ثالث من التحليل الجدلي بين معطيات الكيف ومعطيات الكم  
وذلك على النحو التالي :

البنيات الفرع النظرية الإبداعية	أ	أ	ب	ب	ج	ج
	أ	أ	ب	ب	ج	ج
	أ	أ	ب	ب	ج	ج
	أ	أ	ب	ب	ج	ج
	أ	أ	ب	ب	ج	ج
	أ	أ	ب	ب	ج	ج
	أ	أ	ب	ب	ج	ج
	أ	أ	ب	ب	ج	ج
	أ	أ	ب	ب	ج	ج
	أ	أ	ب	ب	ج	ج



## ٢ - البرهان المورى على اكتمال عناصر النظرية وتوفر مقومات صيغتها

للتنظيرية شروط ومواصفات أساسية يتحدد على أساسها كفاءة البناء النظرى من تفسير الواقع وإيضاح الرؤية بإسهاده. ومن ثم لا نكاد نجد مؤلفاً حول النظرية يخلو من طرح بعض الشروط الغروية والواجب توفرها فى البنى النظرية لكى تتوفر له المقومات الغروية للمعالجة. وما من تعريف للنظرية لا يشتر به صورة منه. أما آخره لخصائصه، النارية وشروطها فتعريفاً كدسور يؤكد على الاتساق بين القضايا النظرية. كما أن تعريف تيماشيف للنظرية يحدد معنى النارية من خلال شروطها النظرية عبارة عن مجموع من القضايا التى تتوفر فيها الشروط التالية : ان تتسق القضايا مع بعضها، وأن تكون القضايا فى صورة تعمل إعتقاداً التعميمات وبساطتها أمراً يمكننا ....

وبذلك يتفهم تعريف تيماشيف للنظرية شروط الاتساق والتناجى أى :  
على أساس استنباطى . هذا بالإضافة الى ما تشير اليه على التعريفات الاخرى من ضرورة توفر الاتساق بين عناصر النظرية من حيث مستويات الصق . بالإضافة لشرط تنسوم القطعات دون تعارضها . وجميع هذه الشروط تشتت لمصلحة العلم الأساسية المتمثلة فى الاتساق والتناجى والتنسوم وعدم التعارض . وهو ليس محلاً للاختبار والتحقيق الأمبريكي لأننا الخبرة لاتتلاءم عملية التحقق من مدى صدقها أو سخطانها . الا ان البرهان على صحة البناء النظرى فى حق هذه المعلومات مادية ضرورية، للتأكد من صحة المعالجة واكتمال عناصرها. وتيسام

الرابطية والاتفاق بين القضايا، وتنوم هذه القضايا بما يجعلها متسقة مع طبيعة الواقع. وتتابعها بالمرة التي تجعل مشتقاتها من القضايا——————  
الإجرائية صالحة لهم الواقع .

ولما كانت الخصائص والعلاقات التي تؤكدتها معلمات العلم بالنسبة لنسق النظرية لاتقبل التحقق الإمبريقي بصورة مباشرة اذان التحقق منها والبرهنة عليها يستند الى الاستدلال الرياضي الذي تشير اليه بعض معادلاته مشتمل  
( س + ص ) ( س - ص ) = ص<sup>2</sup> - ص<sup>2</sup> ص<sup>2</sup>

وذلك ما يستند اليه التحقق من الفروض الصورية، والبرهنة على صحة النظرية، واكتمال عناصرها. وتوفر لمعاملها .

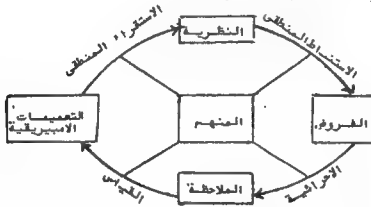
ولم فوه ذلك نجد ان البناء الفوقي للنظرية الابداعية يشتمل على عناصر النظرية الثلاثة المنظمة في المفاهيم والتمديدات والقضايا، المتمتازة كما انه يحلق منطق الاتفاق—من حيث مستويات الصدق بين تلك العناصر، وكذلك الاتفاق بين القضايا المتتابة من حيث درجة الصدق . اذ لذلك كونها تنطوي على قضايا متنوعة لان اساسها متنوم ومصدرها متباين بين الكيف والكم. ونظرا لان هذا التنوع يستند لمنطق الاتفاق فانه لاينطوي على تناقض لان مستويات الاتفاق تحدد تفاوت القضايا وتنوعها من حيث درجة صدقها وقدرتها على لهم الواقع واستيعابه .

كما ان قابلية البناء النظري الفوقى للاتفاق والاستنباطية—ماعد في الوصول الى المستوى الاجرائي لتلك القضايا، بمعنى انه يساعد على تحليل العنصر الشاخص للبرهان العلمي والمتمثل في التحقق من التنبؤات النظرية والبرهنة عليها . وبالمقد ما يتعلق من برهان على صحة الفروض الصورية المتعلقة باكتمال عناصر النظرية، وتربط قضاياها واتصالها وتنوعها مع عدم تناقضها——————  
بالإضافة لقابلية تلك القضايا لتوليد فروق إجرائية بمقد ما يمكن تطبيق العنصر الثالث للبرهان العلمي والمتمثل في التحقق من تنبؤات النظرية .

## ٢ - البرهان العلمى والتحقيق الامبيرى من المياعة النظرية :

يأتى التحقق الامبيرى من تنبؤات . النظرية فى المستوى الثالث للبرهان العلمى . والذي نعتبره ركيزة اساسية لدعم علمية المعرفة ، علامة المياعة الطرية  
اذ ان ثمة اتجاه واضح فى التراث على ان البرهان العلمى على مستوى التحقق من تنبؤات النظرية يستند الى المنهج . فهو وسيلة العلم للتحقق من النظرية ومن ثم اتخذت من نقطة ارتكاز لعملية التحقق من النظرية ، مبتدأ بالاستنباط المنطقى للفروض من قضايا النظرية ، ثم القيام بالعمل الاجرائى لتحقيق الملاحظة العلمية واجراءات القياس . وذلك للوصول الى التعميمات الامبيرية . والتي على اساسها يتم الاستقراء المنطقى لمعطيات العمل الاجرائى الذى يستند اليه فى قبول النظرية او رفضها او التعديل من وضعها .

وذلك ما يوضحه الشكل التالى :



وبذلك تبدأ عملية التحقق والبرهان على قضايا النظرية بالاستنباط المنطقى للفروض من النظرية ، وتنتهى بالاستقراء المنطقى من التعميمات الامبيرية المراجعة النظرية .

وإذا كان نموذج "ولس" يحضم النظرية للمراجعة الامبيريقية فذلك  
يرجع لصداعته وان التحقق الاميريقي من النظرية اساس للبرهنه على  
سجة النظرية او خطئها . ونلرا لانه يحفل من استفزاز التعميمات  
الاميريقيه اساس لتعميد النظرية فذلك يعنى انه يؤكد على البناء  
النظري المغنوع .

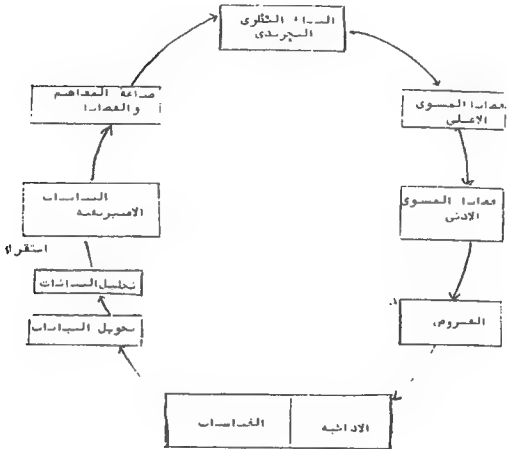
وباش نموذج " ندان لبن " للبرهان على النظرية من خلال عملية التحقق  
مُسرا الى خوم البناء النظري التجريدى لمراجعة التحقق الاميريقي  
وذلك بجعله بعق مع "ولس" من تأكيد سمة انفتاح البناء النظري ورفضه  
للايمان المغلفه .

وسدا نموذج ندان لبن بالتاكيد على إغتهال البناء النظري التجريدى على  
حساب تجريدية عليا وقضايا دنيا نتولد عن القضايا العليا، ونمسم  
ساختبات الفروض الاجرائية . تلك الفروض التى تخضعها للملاحظات الاميريقيه  
للاشطة الاجتماعية الاصليه . الاستناد الى ادوات قياسية تناسب طبيعة  
الموضوع، وبعد تحويل الملاحظات الى بيانات تبدأ عملية تحليل البيانات فى  
مؤ الفروض، المستنبطه من قضايا البناء النظري الدنيا واستاداد لهذا  
التحليل يتم استعراض النقصات من البيانات الاميريقيه والنرى يتم من فوئها  
صالح المفاهيم والقضايا لمراجعة البناء النظري التجريدى .

ورغم ان نموذج "لبن" يتفق مع نموذج "ولس" من حيث جعل عملية النظرية  
مستندة الى قابليتها لاستنباط الفروض الاجرائية من قضاياها المتنابهة من حيث  
مبنى العمومية وقابلية قضاياها للمراجعة فى فؤ المعطيات الاميريقيه الا انها لم  
تحدد مرحلة المياعة النظرية الاولى، ولذلك لم تتوفر كافة مستويات البرهان العلمى  
لنموذج اي منها . وان كان البرهان على مستوى التحقيق واضح وبمروء خاصة لدى "لبن"  
الا انه لا يوفر لنا التكامل بين مستويات البرهان العلمى .



والشكل التالي يوضح مراحج " تال لى " للتحقق من الصداقة الطرسه  
 وادامة الترهان على صداقا الطرسه .



الملاحظات

الاصالة الاخلاقية

ورغم ان كل من " ولتر ولس " و "دان لسبن " يشير الى استنادهما للمنهج علمي  
من علمية التحقّق، الا ان اى منهما لم يكتسب الاحتراف المنهجية بالمصنوعة  
التي تجعل مصادر علمية الحقل محدد من حيث الخطوات المنهجية .

كما ان مراجعة البناء النظرى بمعطيات التحقّق المتمثلة فى التعميمات  
الامبيريقية لسنّها قاعدة واضحة . او هوارين محدد تحكم القضية التي يتم  
معالجتها ويحدد حجم هذا التعدد، الذي اضافته التعميمات الامبيريقية .

ومن ثم باتى نموذج السرطان العلمى على مستوى التحقّق الامبيريقى من النظرية  
لابداحية مستندا لاجراءات منهجية واضحة ومحددة لاسهامات التحقّق الامبيريقى .  
سالمسة لقضايا الثّأرة ومطامعها وتمريضاتها .

فعلى مستوى الاحتراف المنهجية يتم بعد تحديد الغرض . تحديد نمط الدراسة  
ونوعها بمعنى هل الدراسة وصفية ام تفسيرية . وذلك يحكمه طبيعة الفسوفى  
المطروحة .

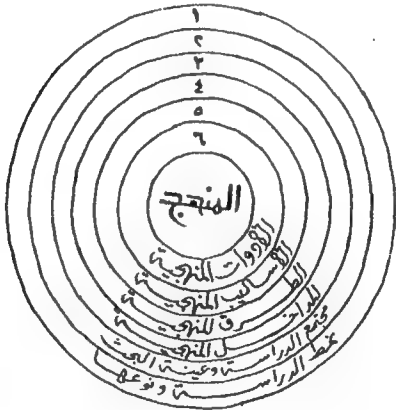
فإذا كانت الدراسة وصفية يتم تحديد نوع الدراسة من بين الدراسات الوصفية  
المتنّلة فى الدراسات الانثروبولوجية - الدراسات الاستلاعية ، الدراسات  
المفاهيمية ، الدراسات التنقيصية ، الدراسات التوثيقية ، الدراسات التعريفية .  
اما اذا كانت الدراسة تفسيرية فمن تحديد نوع الدراسة اذا كانت اجرائية ام  
تجريبية ام انها تولّد من السوفى معاً .

وبعد هذه المرحلة يتم تعيين مجتمع الدراسة الاملى وعينة البحث المصنوعة  
منه ثم فى ضوء نوع الدراسة وعينة البحث يتم تحديد المدخل المنهجى للدراسة  
وما اذا كان المدخل يتمس المدخل الدائىة والتي تقتضيها طبيعة الظواهر الاجتماعية  
هل المدخل : الانثروبولوجى ، المدخل الفينومينولوجى ، المدخل الانثومينودولوجى .  
واذا كان المدخل موضوعيا معين نوعه وما اذا كان تاريخيا ام تجريبيا ام  
رسائىيا ام مصادرا .

وعلى أساس نوع المدخل المنهجي يحدد المفهوم الذي سيم تواعده في تطبيقه  
المعالجة وبعد تحديد المدخل يتم تحديد الأسلوب المنهجي للدراسة وما اذا  
كان الأسلوب مفعلا في : المص أو دراسة الحالة ، أو تحليل المضمون  
أو القياس ، وبعد تحديد الأسلوب يتم تحديد ادوات البحث وما اذا كانت  
استمارة بحث أو ملاحظة أو ملاحظة أو ملاحظة .

وبعد ذلك يتم صياغة ادوات البحث بما يجعلها في حالة لياقة منهجية  
مع طبيعة الدراسة وموضوعها .

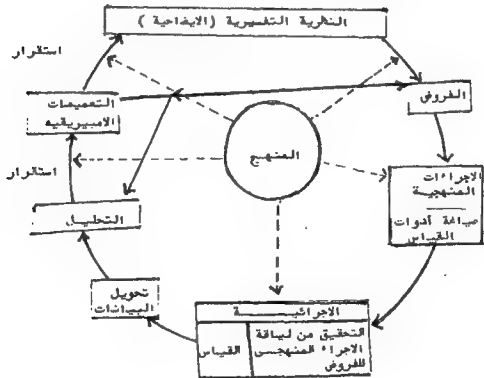
والشكل التالي يوضح سماع الاحراءات المنهجية للتناول الاحرائي :



وتأنيث الاجراءات المنهجية في غبط عملية التحقق من النظرية والبرهان عليها . ويجعل من الميسور لباحث آخر استخدام الاجراءات المنهجية للتحقق من النظرية مع التحكم مع الظروف المتداخلة لظروف التحقق السابقة وتعيين الفروق في ظروف اجراء اي تحقق لاحق من النظرية وبالتالي يمكن معرفة مصدر التعديل او التطوير في البناء النظرى التجريدى .

وبعد تحديد الاجراءات المنهجية على هذا النحو تبدأ مرحلة الاجرائية: وهى التطبيق للادوات على مينة الدراسة . ثم مرحلة تحويل البيانات . يليها مرحلة التحليل ثم التعميمات الامبيريقية وأخيرا مراجعة الفروض بالتعميمات ومراجعة الفرضيات النظرية ومذاهيمها وتعريفها بالتعميمات الامبيريقية، وعلى اساس هذه المراجعة يتم اعادة ترتيب وضع الفرضية والمذاهيم والتعريفات في بناء النظرية الايضاحية ( التفسيرية ) واتخاذ موقف معين واضح منها وذلك امام تبنيها في حالتها التى هي عليها او تحويلها لمستوى اعلى او ادىنى في البناء النظرى للنظرية الايضاحية .

وذلك ما يوضحه الشكل التالى :



وسنبد البرهان العلمى على مستوى التحقق من النظرية إلى الاستدلال الاستنباطى المعروف من العناصر الأولية للنظرية وإلى الاستدلال الاستقرائى مبين السمات المميزة لمراجعة العروة، والعنايات الأولية للنظرية الإيضاحية وذلك تماشيا مع الطريقة التفسيرية بين سطح الاستدلال المنطقى (الاستنباط، الاستقراء)

وسكرار هذه العملية سمعها، عناصر النظرية من مستوى لمنسوى آخر ادنى أو أعلى إلى أن يحق، قدر من القدا: النسبى لعناصر النظرية الإيضاحية ومع هذا المستوى صمم النظرية الإيضاحية بمثابة نظرية تفسيرية عامة للعلم بالسنة لئلا يهمل معنى حيث تكون خصائصها العامة والخصائص السنة قد تلورب من خلال عمليات التحقق .

٤ - النظرية التفسيرية ( الإيضاحية ) وكامل عناصر البرهان العلمى ومستوياته إذا أن البرهان العلمى سنهدة، تحقيق، منسوى من اليقين فى الحكم فإن توفر عناصر البرهان ومستوياته، درجة اليقين فى الحكم أكثر تسادا ودقة إلا أن ذلك لا ينبغي احتسابه الحكم لأن الأساس المنطقى لهذا اليقين هو الاستقراء فى مختلف مستويات البرهان . وذلك فالبرهان هنا ستم بمثابة الاحتمالية وأن ٥. أن درجة اليقين فيه عالية إلا أن الحكم ليس مطلقا، ومن ثم ينطق البرهان العلمى لاحتمالية الحكم، ودرجة اليقين . وذلك ما يوفقه متمم الاستقراء الواسع من النماذج الثلاثة لمستويات البرهان العلمى ومتمم الاستقراء الذى تراجع فى فروقه التفسيرية وضع عناصر النظرية الإيضاحية .

والتكامل التالى يوفى عملية البرهان العلمى على مستوى النظرية الإيضاحية (التفسيرية) للعلم .



وهي مؤهلات المحقق التي ننحدها عملية صياغة النظرية الإيهامية ،  
 الفعالية ، ومع ان مسودات البرهان العلمي تتحقق بكاملها خلال عملية  
 صياغة النظرية الإيهامية ، وذلك لان مرحلة الصياغة تتحد من الانقراض ،  
 وسليها للوصول الى العنصر الإيهامي الذي يسميها السائد ، النظرى العفوى .  
 كما ان هذه العناصر محوكة من السائد ، النظرى التحتى بجانبه الكيفى والكمى  
 حيث يعقد الحوار الجدلى بين النظرية وكذلك بين الحوت ، ثم يعقد الحوار  
 ايضا بين العناصر والمفاهيم والتعريفات النظرية وبين العناصر والمفاهيم  
 والتعريفات الكمية ، وعلى اساس الاتفاق والاختلاف فيما بينها يتحدد المستوى  
 التعميمى لاي من القضايا والمفاهيم والتعريفات ، وذلك تاتى قضايا النسب  
 النظرى الإيهامى يصعب من مستويات من العمومية في مؤهلات الحوار بين معطيات  
 الكيف والكم للسائد ، التحدى .

اما النسبة لمستوى البرهان المصورى على مستوى عناصر السائد ، النظرى  
 العفوى ، فذلك ما يمكن اعادة نظره لتنازع القضايا حسب مستويات عموميتها  
 وصحتها من ناحية ، كما ان سابع مستويات القضايا من حيث التعميم بحيث بدوره  
 عدم سادتها ، النظرية الإيهامية اضافة لذلك فان اقامة البرهان على تنوع  
 القضايا يمكن تحقيقه نظرا لشمول قضايا النقيض الإيهامى على تلك القضايا  
 المحسوسة من نظريات متعددة دون ان يقوم بينها تعارض او تناقض ، وذلك لوضعها  
 في مستويات من العمومية .

وبالنسبة لاقامة البرهان على مستوى التحقق الامبيرى نجد ان امكانية  
 صحتها من قضايا النسبة الإيهامية تساعد على التحقق الامبيرى من تلك  
 العناصر واختيار الفروض المستنبطة من العناصر الاولى ، ومراجعة تلك الفروض  
 والعناصر المحسوسة منها بمعطيات الاختبار الامبيرى . تتحقق العلة بين  
 مستويات البرهان وذلك لامكانية مراجعة قضايا السائد ، النظرى التحتى بتلك  
 المعطيات الامبيرية ايضا ، وذلك بتحقيق التصادم والتكامل بين مستويات  
 البرهان الثلاثة ، في مؤهلات النظرية الإيهامية ، لما تتيحه لها من ارتباط ، وادل  
 بين مستوى صياغة القضايا الاولى ، ومستوى التحقق الامبيرى .

## الباب الثاني

### الأسس المنهجية للبحث العلمي الاجتماعي

#### تمهيد :

يشكل الاهتمام المعاصر بالمنهج العلمي وإمكانية تطبيقه في مجال العلوم الاجتماعية عامة، إحدى ظواهر الفكر التي تستحق المعالجة. والمناقشة المستلزمة. من قبل المعنيين بمسائل المنهج. والفرایه في مجال البحث الاجتماعي . ومما يزيد من أهمية تلك المعالجة. تزايد عدد البحوث الاجتماعية في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ. بحيث لا نكاد نفرغ من لراءة بحث حتى نطالع هذا الجامعات والهيئات العلمية بالعديد من البحوث الأخرى . ويرجع هذا الاهتمام في إسامة لقناعة الهيئات الأكاديمية والعلمية بل وحتى معظم الدول بقيمة البحث العلمي وأهميته ليس مختلف، مناشط الحياة .

ورغم هذا الاهتمام بالبحوث العلمية والقناعة السائدة بإداعية وأهمية المصادر المعرفية لتلك البحوث . ورغم ما يبذل من جهد من قبل الباحثين والقائمين بها سواء في بحوث الماجستير والدكتوراه أو البحوث التي تقوم بها الهيئات العلمية . ما تزال المعالجة العلمية للأسس المنهجية التي تنقسم عليها البحوث العلمية تلك المعورة التي لا تواكب الاهتمام المتزايد بانجساز البحوث العلمية . وذلك رغم أن تحديد هذه الأسس والوقوف على إيجابياتها النظرية والمنهجية في مجال البحث من أكثر عوامل نجاح تلك البحوث أو جعل معظمها معرفية متمعة بالدقة والثبات والشمول .

ومن ثم نعالج في هذا الباب الأسس المنهجية للبحث العلمي الاجتماعي بغية تحقيق ونسوح الرؤية بأبعاد هذه الأسس وإمكانية تطويرها لخدمة البحث الاجتماعي، وتحصيل المعرفة العلمية حول ظواهر الواقع، مستهدفين بذلك تأكيد منطلق وحدة المنهج العلمي، وتحديد عناصره في مراحل البحث، وكشف النقاب



من معالم استراتيجية المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية وما يرتبط بها من مفلات، ومحددات تتعلق بطبيعة ظواهر الواقع الاجتماعي، وبالطعم العلمية التي تنتمي لها معظم تلك البحوث الاجتماعية، وفي ضوء ذلك نعالج الأسس المنهجية للبحوث الاجتماعية بتناول الجوانب التالية :

- المنهج العلمي وعناصره في البحوث الاجتماعية .
- استراتيجية المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية .
- محددات البحث الاجتماعي ومعطياته المعرفية .

## الفصل الرابع

### المنهج العلمي وعناصره في البحوث الاجتماعية

أكدنا سلفاً على منطقتي وحدة المنهج العلمي ، وذلك لما أكدته دقائقة المعارف البريطانية عندما عرفت المنهج العلمي " بأنه مطلق عام يشتمل مختلف العمليات التي ينتهي عليها أي علم من العلوم ويستعين بها<sup>(١)</sup> في دراسة الظاهرة الواقعة في مجال اختصاصه . وعليه فإن المنهج العلمي Scientific Method بذلك طريقة للتفكير والبحث تعتمد عليها في تحميل المعرفة العلمية الصادقة والثابتة والشاملة حول الظاهرة . ومن ثم يكون المنهج العلمي ضرورة للبحث لاغنى عنها Sine Quanon . وذلك لأن التوجيه المنهجي يخال تأثير التوجيه القيمي في عملية البحث . ولهذا اكتسب المنهج العلمي أهميته بالنسبة للعلوم عامة ( العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية .... الخ ) والعلوم الاجتماعية خاصة . وذلك لأن احتمال تأشير التوجيه القيمي وارد بالنسبة للعلوم الاجتماعية .

ومن ثم يكون منطق وحدة المنهج العلمي مستنداً لاعتبار أساسي فحواه أن الطريقة العلمية الملائمة للبحث ، هي ما نسميه بالمنهج العلمي والذي يشتمل على خطوات أساسية ثلاث تتمثل في :

- |              |              |
|--------------|--------------|
| ١ - الملاحظة | Observation  |
| ٢ - الفرض    | Hypothesis   |
| ٣ - التحقق   | Verification |

وهي المراحل التي تمرق بصورة عامة بالنسبة للعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية على حد سواء . مع تجاوز فهمنا للمرحلة الأولى للمعنى الداريم للملاحظة . وهذا تكون نظرتنا للمنهج العلمي قائمة على أنه فلسفة عامة للبحث والتطبيق العلمي ، وأن الطريقة العلمية أساس البحوث الوصفية ، والبحوث التفسيرية

(1) Gopal, M.H., An Introduction to Research Procedure in Social Sciences, New York: Asia Publishing House, 1964. p. 65

في علم الاجتماع خاصة والعلوم الاجتماعية عامة . وبذلك تكون الطريقة العلمية ذات طبيعة عامة في تطبيقاتها الى حين ان استخدام اي من الطرق المنهجية او المداخل المنهجية المختلفة مثل المدخل التاريخي او المدخل التجريبي ... الخ محدود بطبيعة الدراسة ونطاقها. فالطريقة التجريبية مثلا ذات استخدام محدود جدا في دراسة الماضي ، وكذلك يكون استخدام الطريقة التاريخية محدود جدا في دراسة المشاكل والظواهر الراهنة ، هذا بالإضافة الى انها محدودة الاستخدام في مجال العلوم الطبيعية في الوقت الذي تستخدم فيه الطريقة التاريخية في دراسة الماضي ، والطريقة التجريبية في دراسة المشاكل الراهنة .

هذا في الوقت الذي تستخدم الطريقة العلمية فيه على مستوى البحوث الوصفية والتفسيرية من ناحية وبالنسبة لدراسة الماضي والحاضر على حد سواء من ناحية أخرى .

وفي ضوء ذلك نسير في معالجتنا للمنهج العلمي وعناصره في الخطوات التالية :

#### خصائص المنهج العلمي

عناصر المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية

اولا : خصائص المنهج العلمي المعاصر .

اهتم كل من كوهن M. Cohen وناجل E. Nagel بتحديد السمات والخصائص الاساسية للمنهج العلمي كمدخل للبحث يهدف الى اكتشاف الحقائق العلمية لا الى ما يروى او يتوقع اليه المرء<sup>(١)</sup> وهذه اولى السمات الاساسية للمنهج العلمي . اما السمة الثانية فتتمثل في انه يبدأ بالمشكلة التي يحسبها المرء ، والتي اختارها كموضوع للدراسة والمعالجة الجسدية ،

(١) Cohen, R., & Nagel, E. Introduction to Logic and Scientific Method, N.Y.: Harcourt, Brace and World, 1934. P. 392.

بهدف تمحيدها . كما انه يحاول ايضا ان يقيم الروابط الرشيدة الداخلية بين الوقائع . وهو لا يمس أن يبرهن على قضاياها بآية طريقة او باي ثمن . بمعنى انه يهتم بالمنهج اكثر من اهتمامه بالنتائج<sup>(١)</sup> . اذ ان الأخيرة تدخل في دائرة اهدام العلوم التي تتخذ من المنهج العلمي مدخلها وتكتيكها اي أسلوبها في تناول الظواهر الواقعة في دائرة اختصاصها .

واذا كان المنهج العلمي يستخدم الاستقراء بصورة اساسية الا أن الاستقراء ليس هو كل ما ينطوي عليه المنهج العلمي ، فغلا عن كون المنهج العلمي المعاصر وان كان لا يعادى العملية الا انه لا يتخذ منها مبدأ أساسيا للبحث العلمي على نحو ما هو قائم بالنسبة للاستقراء التقليدي ، الذي يستند بصورة اساسية الى مبدأ العلية في البحث .

ومن ثم فان تفسيرات المنهج العلمي المعاصر تترك للتجارب اثبات او نفي العملية ، فغلا عن ان بعض تفسيراته قد تأتي غير علمية .

كما ان المنهج العلمي المعاصر لا يتخذ من مبدأ افراد الحوادث مصداقاً اولية وذلك لان العلماء اصبحوا الان على يقين من ان البرهنة على هذا المبدأ مسألة مستحيلة . وبذلك استبعد المنهج العلمي المعاصر فكرة الحتمية والالية ، ولم يعد يسمى اليها .

كما ان تصور المنهج العلمي للغرض العلمية ، وأولية مرحلة الملاحظة والتجربة ، من الأمور التي تميزه عن الاستقراء التقليدي . وذلك لان فروفسه اصحت فروفاً مورية سواء كانت فروفي وعلمية او فروفي تفسيرية ، وهي بذلك تشير الى ما لا يدرك بالحس غير ان مضمونها يعبر عنه بلغة رياضية . ومن ثم يأتي دور الملاحظة والتجربة حينما يراد التحقق من تلك الغرض .

(1) Gopal, Op.cit., P.63.

وبذلك لا يكون الاستقراء في المنهج العلمى برهانياً بمعنى ان نتائجه ليست صادقة او يقينية بالضرورة، وإن كان يتخذ منه أسلوباً ضرورياً للبحث (١) .

الا ان المنهج المعاصر فى نظريته لاولوية الملاحظة والتجربة يجعل الغرض المورية اساساً مرحلياً للبحث بمعنى ان النظرية انتقلت من مرحلة الاستقراء الى الاستنباط بالرغم من ان اى نظرية تستند علميتها على مدى اتساقها مع الوقائع على نحو ماذهب " ستاببنج " S. Stabbing فى مؤلفه مدغسل معاصر للمنطق . بحيث تكون الغرض المورية اولا ومعالجة بصورة لا تسدرك بالحس رغم ان مفهومها يعبر عنه بلغة رياضية، يمكن قياسها والتعرف على مدى اتساقها مع الوقائع. ومن ثم يأتى دور الملاحظة والتجربة للتحقق من تلك الغرض بالاستنتاج النتائج، التى تلزم لاثباتها او رفعها بالخبرة المباشرة التى تمدنا بها الوقائع .

وبهذه السمات والخصائص المميزة للمنهج العلمى، يمكننا تناول المنهج العلمى كمدخل اذيل للتطبيق بصورة اساسية على مستوى المناهج المختلفة، التى تستخدم فى مجال العلوم الاجتماعية بعامة، وعلوم الاجتماع بخاصة . بحيث يمكننا ان نحدد به نمط البحث العلمى الذى يستخدم مجموعة من المناهج والتقنيات البحثية، والتى تتربط مع بعضها بمركز واحد هو المنهجية، وتتكامل مع بعضها فى عملية البحث (٢) . وذلك ما يوضحه الرسم التالى :



(١) دكتور محمود فهمى زيدان، الاستقراء والمنهج العلمى ، الاسكندرية، دارالادبيات المصرية، ١٩٧٧، ص ١٢٥

(٢) Gopal, Op. cit., p. 65.

### ثانيا : عناصر المنهج العلمى فى البحوث الاجتماعية

لم تكن عملية تحديد عناصر المنهج العلمى من القضايا السهلة التى يمكن تناولها بسهولة معرفية وذلك لان البناء المنطقى للمنهج العلمى وما يتضمنه من عناصر تتكامل مع بعضها وتتبادل وظيفا<sup>١</sup> هذا النقص لو طيفت وبلوغه لاهداه بحيث تكون على اتصال واحد بفضية البناء المنطقى للعلم من ناحية وبعمليـة البحث الاجتماعى من ناحية اخرى . وذلك ما اكده علماء المناهج والذين ناقشوا بناء النسبة العلمى على مستوى المنهج او العلم .

ولقد تناول " دافيد ولـر " عناصر المنهج العلمى وهو بصدده تحليل سل مشكلة المعرفة فى علم الاجتماع بقوله ان المنهج العلمى له عنصران هما بناء النظرية والمنهج التجريبي . وانهما على علاقة واضحة ببعضهما ويمكن الواقف عليهما ببساطة بالنظر للمعرفة العلمية المتحصلة بواسطة هـذا الوساطة<sup>(١)</sup> وفى ضوء ذلك ناقش " ولـر " عناصر علم الاجتماع موفدا فـي النظرية والمنهج بالنسبة للمعرفة العلمية التى يمكن تحصيلها عن طريق هاتين الوسيطتين كما ان " ولـم جود هاتان نقطتان تعريف العلم بأنه تراكم المعرفة المنظمة بالاستناد الى ان هذا التعريف تجاهل العلم كمدخل منهجى للواقـع الامبيرى ولانه لا يبحث عن المصدق المطلق ، ولكنه اسلوب للتحليل يسمح للعالم بتقرير الوقف الذى عليه تفاديـه واكد على ان غرض العلم هو فهم العالم الذى يعيش فيه الانسان ومن ثم قرأ ان اساس العلم المعاصر هو علاقة التفاعل القائمة بين النظرية والواقـع وذلك لمداه للنظرية من دور وظيفى للعلم ، واعتبارها اداة تساعد على تعريف التوجيه الرئيسى للعلم ، بتعريف انشوام المبادئ التى ستكون موضوعا للتجريد . كما انها تقدم له اطارا تصوريـا يتسم فى ضوئه تصور الظاهرة وتصنيفها وربطها بغيرها من الظواهر . كما انها تساعد ايضا فى عملية تلخيص المعرفة وفى التعميم الامبيرى وصياغة النسق المتضمن لتلك التعميمات . وايضا تساعد فى التنبؤ بالواقـع

(1) Willer, Davis, Scientific Sociology, "Theory and Method, New Jersey: Prentice Hall Inc. 1967, pp. 1-8.

وتعيين ما تنطوي عليه معرفتنا من ثغرات<sup>(١)</sup> تؤ على صدقها وكلايتها للمهم ظواهر الواقع ولا شك ان تلك الوظائف التي تؤديها النظرية بالنسبة للمعلم اهمية على مستوى المنهج العلمي . لما تمارسه من دور في توجيه ملك البحث وتعيين اجراءاته المنهجية وان كان " جوبال " يحدد عناصر المدخل العلمي بالعناصر الاجرائية Procedural Components والعناصر الشخصية Personal Components الا انه يؤكد الرابطة بين العناصر الاجرائية والخطوات الاساسية للمنهج العلمي والمتشبه في الظروف والملاحظه والتحقق . وكذلك يؤكد الرابطة بين العناصر الشخصية اي بين الانسان و حاجته للتصور العلمي لبناء الظروف والمقدرة على تحليلها وما يقتضيه ذلك من معرفة نظرية لتخلصه من التحيز وتخله لديسه الاتجاه العلمي وتحقق الموضوعية<sup>(٢)</sup> .

ونقرا لما ينطوي عليه هذا التطبيق من تحليل دقيق وربط محكم بين عناصر المنهج العلمي وخطواته . نستعين به كاساس تمنيفي لعناصر المدخل العلمي . وفي ضوءه نعرض لعناصر المدخل العلمي المتمثلة في عناصره الاجرائية ، وعناصره الشخصية مع ابراز العنصر النظري في المدخل العلمي . وذلك في ضوء الخطوات المنهجية التي تتخذ في البحث العلمي بحيث تدور مناقشتنا لعناصر المدخل العلمي وخطواته حول :

- العناصر النظرية للمدخل العلمي .
- والعناصر الاجرائية .
- والعناصر الشخصية .

#### ١ - العنصر النظري للمدخل العلمي في العلوم الاجتماعية

ذهب جون ركن الى ان عالم الاجتماع اذا لم يتوفر له توجيه نظري عند دراسته . للمشكلات والظواهر الاجتماعية . فانه حتى باستخدامه لمناهجه الدقيقة ، لا يمتلك

- (1) Goode, W., & Hatt, P., Methods in Social Research, London: McGraw-Hill Book Company, 1952, pp 7-8.  
(2) Gobal, op. cit., pp 65-70.

من وسائل الفهم أكثر مما يمتلكه أي شخص عادي ، ومن ثم فهو "تصور" ركن  
للمدخل العلمي Scientific Approach لعلم الاجتماع ، على تأكيد  
أساسي لدور النماذج النظرية في توجيه عالم الاجتماع في بحثه ، ودراسته  
للمشاكل والظواهر الاجتماعية ، وركن في محاولته لاستخدام هذه النماذج  
وتأكيد حاجتنا إليها . فإنه يذهب إلى أن محاولة استخدام هذه النماذج  
لا يؤدي إلى تبني نماذج نظرية مجردة ، أو أطر فكرية بعيدة عن الواقع ،  
وانما يستهدف باستخدامها مواجهة تصور الاقتصاد على المدخل الاسبريقي  
الذي قد يوصلنا إلى تعميمات أولية غير دقيقة ، سرعان ما تدحض بحقائق  
أخرى ، ومن ثم أكد على ضرورة أن يكون علم الاجتماع علما نقديا وأن يعتمد  
عن الارتباط باتجاهات ايديولوجية معينة<sup>(١)</sup> .

وقد عزز هذا الاتجاه علماء الاجتماع بمحاولتهم لتقديم أطر نظرية سواء  
كانت هذه الأطر النظرية على مستوى النظريات الإيضاغية ، مثل نظريات  
التطور .... الخ . ونظريات تفسيرية أو نظريات استرشادية . وما ذلك إلا  
سعيًا منهم لدمج وفهم الرؤيا بإعداد الواقع وتحقيق التحكم الدقيق في الظواهر  
والوصول إلى تنبؤات موفقة نسبيا حول الظواهر الاجتماعية . ومن ثم أصبح  
لزاد على أي بحث في العلوم الاجتماعية بهامة وعلم الاجتماع بخاصة أن يلم  
بالنظرية والمنهج في العلم الذي تلم الظاهر في نطاق بحثه<sup>(٢)</sup> .

وقد تبين من محاولات علماء الاجتماع المختلفة لدراسة الظواهر الاجتماعية  
أن المنهج العلمي يتضمن بصورة أساسية العناصر النظرية بالإضافة للعناصر  
الإجرائية والعناصر الشخصية . فدور كاييم مثلا في دراسته لظاهرة الانتحار  
Suicide Phenomena صاغ نسقه النظري كنسق تفسيري يسترشد به فسي  
دراسته للانتحار ، والذي قرر في ضوءه العلاقات القائمة بين المفاهيم التي تشكل  
القضايا الأساسية التي توجه بحث الظاهرة<sup>(٣)</sup> .

(1) Rex, John, Key Problems of Sociological Theory, London: Routledge  
& Kegan Paul, 1973. pp. VII-ix

(2) Rex, J. Ibid. pp. 2-3

(3) Durkheim, E., Suicide, New York: The Free Press of Glencoe, Inc., 1951.



وبذلك يتأكد لنا أهمية العناصر النظرية التي تتغنها البحوث النظرية سواء كانت متمثلة في المفاهيم أو القضايا والفروض التي توجه ملك البحث، والمدخل العلمي لدراسة الظاهرة<sup>(١)</sup> كما ان دور كايم فسي مؤلفه أنواع المنهج في علم الاجتماع وهو يحدد تعيين مراحل البحث العلمي الخمسة التي حصرها في تعريف مفهوم البحث والخصائص القابلية للملاحظة، ووصف الأنماط السوية بعد دراسة حالات عديدة، والتصنيف السوي وأنواع وأجناسه ثم الدراسة المقارنة والعملية لأسباب الاختلاف والتباين، وأخيرا محاولة اكتشافه أي قانون عام يبرز خلال مراحل البحث المختلفة تلك<sup>(٢)</sup> قد أوضح ان القوانين والقضايا النظرية على درجة كبيرة من الأهمية لتوجيه مسار البحث بالإضافة الى كونها هدف اساس يسعى اليه البحث لتحقيقه

وبذلك تبرز أهمية التوجيه النظري ، في المدخل العلمي للدراسة في علم الاجتماع بتأكيد دور كايم على عمليات التعريف وتحديد المفاهيم والقضايا والقيام بتصنيف الحقائق ومحاولة اكتشاف القوانين لكل تلك الجوانب تبرز لنا أهمية العناصر النظرية وتؤكد على ان البحث يبدأ نظريا وينتهي نظريا<sup>(٣)</sup>.

وتد اكد الجون ركن على أهمية العناصر النظرية في المدخل العلمي للدراسة عندما أعلن بوضوح في نهاية الفصل الثاني من مؤلفه المشكلات النظرية الاجتماعية<sup>(٤)</sup>. أن علم الاجتماع المعاصر في حاجة ماسة لمعالجة بعض أنواع النماذج النظرية التي تتناول العلاقات الاجتماعية والانسانية الاجتماعية. على الا تكون هذه النماذج النظرية مجردة لاتخدم العلم في تناوله لموضوع بحثه.

(1) Willer, D., op. cit., pp 9-10

(2) Rex, op. cit., p.5

(3) Rex, Ibid., p. 41

(4) Rex, Ibid., p 42

بمعنى ان تكون هناك امر نظرية، تقدم التعريف للمفاهيم والعلاقات، على ان تكون هذه النظرية قابلة للاختبار الامبريقي .

وفي ضوء ذلك تتحدد امامنا الخطوط الاساسية لاهرام لفاعلية العنصر النظرى واهميته بالنسبة للمدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية . وذلك، ما نشاء اوله على النحو التالى :

#### ١ - دواعى التوجيه النظرى للمدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية

من اولى المشاكل المنهجية التى تواجه الباحث فى العلوم الاجتماعية،

هى قضايا التحكم، والتفسير، والتنبؤ . فلو كانت تلك العلوم تعنى بالوصف البسيط للحقيقة، فلبت هناك معمله فى نطاق هذه العلوم، الا ان اهتمام تلك العلوم يتجاوز حدود الوصف البسيط بعيدها لتحقيق التنبؤ بمستقبل الحوادث. ومن ثم تكون تلك العلوم كمشروع وعلى متلفئه لعنصر التنبؤ Prediction، والتنبؤ هذا يحتاج لتحكم كبير لمفردات البحث . بتلك،

العلوم سواء كانت اشخاص، او جماعات او مجتمعات محلية او مجتمعات، او نماذج اجتماعية لمجتمعات. ومن ثم لاتكون قرارات التحكم فى مفردات الدراسة هنا مجرد قرارات علمية، على نحو ما هو حادث بالنسبة للفيزياء التحكم فى المعلوم الطبيعية، ولكنه قرار اخلاقى ومعيارى ايضاً<sup>(١)</sup> لان التحكم هنا يتم على

البشر الاخرين من قبل العلماء الاجتماعيين . او على منتجاتهم الثقافية والاجتماعية التى لاتكون المسافة بينهم وبينه بعيدة. على نحو ما هو حادث بالنسبة للمعلوم الطبيعية ومفردات بحثها. وذلك لان العلماء الاجتماعيين يرتبطون بتلك المنتجات الثقافية والاجتماعية ارتباطاً قوياً، لان الانسان هو صانع تلك المنتجات، ولذلك فهى جزء منه كما انه تمثلها واصبحت تمارس

تأثيرها عليه ولهذا فهو جزء منها. ولاشك ان هذه الملائمة المزدوجة تنظم

(1) Smith, H.W., Strategies of Social Research, New Jersey: Prentice-Hall, Inc, 1975. pp. 3-4.

نأشئرها على مواقف الإنسان من تلك المنتجات وتفسيره لها. لأنه عندما يفسرها فهو يفسر سلوكه الذي يوجه بها في الغالب الأعم . وذلك لأن ادراك معنى السلوك لا يتم إلا في ضوء العلاقة الدينامية بين الإنسان وبيئته الثقافية والاجتماعية. إذ أن السلوك عبارة عن ذلك النشاط الذي يمد من الإنسان كمنجبة لعلاقته بظروف تلك البيئة. ومحاولاته المتكررة للسيطرة على تلك الظروف حتى تتناسب مع متطلبات حياته<sup>(١)</sup>. وفي ذلك يختلف الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية بحيث يكون التحكم والتفسير والتنبؤ ممكنًا وحيث يعمل فيها التنبؤ إلى حد التأكد، وذلك لأن قرار التحكم على مفرداتها قرار علمي فقط ولا يتضمن أي قرارات أخلاقية أو معيارية<sup>(٢)</sup>.

ورغم ما أحرزته العلوم الاجتماعية من تقدم بالنسبة لادراك أهداف البحث وتحديد موضوعه عن طريق البحوث النظرية. إلا أن شدة اعتقاد بأن الغبط والتفسير والتنبؤ لم يعمل إلى المستويات العالية التي حققتها العلوم الطبيعية. وأن الطريقة لبلوغ تلك المستويات العالية هو دعم العنصر النظري ورفع كفاءته المنهجية في المدخل العلمي . وذلك :

- لتحديد المتغيرات المتعددة المتداخلة مع بعضها في التأثير على الظواهر الاجتماعية. وتحديد مدى تفاعلها وتداخلها في الموائم الاجتماعية المعقدة التي يتعامل معها العالم الاجتماعي في بحثه حتى يعمل التحكم فيها ودراساتها وتفسيرها والتنبؤ بها .
- وفهم البناء الدافعي للسلوك بما يحويه من جوانب شخمية وثقافية واجتماعية. لا تخضعها للقياس وتحقيقه، التفسير العلمي لها، وذلك لابتاتى

(١) دكتور عماد الدين اسماعيل ، المنهج العلمي وتفسير السلوك ، القاهرة .

مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ م ، ٨٧ ، ٨٩ .

(2) Lovell, K. & Lawson, K.S., Understanding Research in Education, London: University of London Press, 1970, Chapter two.

الا يتوفر معرفة نظرية كافية حول هذا البناء الدافعي. ووفسوم  
الابعاد النظرية، التي تشكل محاور الباحث في تفسير تلك الجوانب  
المكونة لهذا البناء الدافعي .

- ولتصنيف الحوادث والظواهر والمواقف المفردة في فئات منجمته  
ومتناهية، مع بعضها، بتجريد خصائصها المشتركة الى مستوى تلك الفئات،  
وذلك للتغلب على تفرد حدوثها و عدم تكرار حدوثها بالضرورة السنتي  
تحدث في نطاق العلوم الطبيعية، حيث يتم بناء تعميمات من تلك  
المواقف المنفردة بعد تصنيفها وتكوين انداق العلاقات بين الفئات  
المتعلقة بهذه المواقف والظواهر، وذلك لان للعالم الاجتماعي اهتمام  
واضح بقضية التنبؤ بمستقبل تلك الحوادث والظواهر . التنبؤ الذي  
يرتكز بصورة اساسية على انداق العلاقات والتعميمات (١) .

- ونظرا لان وظيفة الباحث الاجتماعية والثقافية ، واهتماماته وقضية  
وتحيزاته تتدخل فيما يلاحظه، وتؤثر عليه في تفسيره لملاحظاته، وذلك  
لايوجد بالنسبة للعلوم الطبيعية ، فقد دفعت الرغبة في رفع مستوى  
التفسير في العلوم الاجتماعية لمستوى العلوم الطبيعية لتزايد الاهتمام  
بقضية تطبيق الموضوعية والتأكيد على مبادئها . ومن ههنا  
المنكبات التي اعلمها جونا ميردال اصلان الباحث في العلوم الاجتماعية  
عن ملاحظه النظرى الذى يحكم اختياره للمشكلة او الظاهرة المراد بحثها  
ويحدد مصادر دراستها، ومحتوى الادوات والاساليب المنهجية الى يستعين  
بها في تناولها، فضلا عن دواعيته في عملية تفسير معيشتها والنتائج  
التي يتوصل اليها حول تلك الظاهرة . وبالتالي تحدد اتجاه تعميماته  
وكفاءة التنبؤات بمستقبل تلك الظواهر، والحوادث التي تقع في نطاق

(1) Goade & Hatt, Op.cit. . pp 9-11

### العلوم الاجتماعية.

وذلك بدوره يقتضى تحقيق موضوعية البناء النظرى، بتوفير المعرفة الكاملة .  
التي تمكن الباحث من اختيار الموقف النظرى الملائم لطبيعة الواقع .دون التأثير  
او التحيز لاتجاه نظرى معين .بغض النظر عن كدايته المنهجية للمدخل العلمى .  
وذلك لتأتى تفسيراته وتنبؤاته حول الظاهرة متسمة بالموضوعية ،ومعبرة عن  
الواقع العلمى لتلك الظواهر . خاصة وأن مدق هذه التفسيرات والتنبؤات  
وثباتها يعتمد على الأساس النظرى للتفسير والتنبؤ<sup>(١)</sup> ومدى كدايته  
المنهجية للمدخل العلمى .

• ونظراً لهذه الأهمية المرتبطة بالتوجيه النظرى فى المدخل العلمى فى  
العلوم الاجتماعية أكد " سكينور " أن النظرية ضرورية جداً لتفسير العمليات  
الاجتماعية والظواهر .بل وكل شئ يرتبط بالواقع الاجتماعى .ومن ثم اولاه اهتماماً  
بالفائدة لتأويلها واعادتها صياغتها بما يجعلها على مستوى الداعية بالنسبة  
للمدخل العلمى للبحث فى العلوم الاجتماعية بعمامة .وعلم الاجتماع بخاصة .

### ب- حدود العنصر النظرى للمنتهج العلمى فى العلوم الاجتماعية

شمة اتذاق واضح بين علماء المنهج والمنظرين فى العلوم الاجتماعية عامة  
وعلم الاجتماع خاصة ،على ان التلكير فى النظرية والوقائىم باعتبارهما متعارضان  
مسألة مرفوضة من اماسها . وذلك لانهما يتبادلان الارتداد والاعتماد فى جوانب  
عديدة . وبطريقة ،وكيفيات معقدة جداً . . . كما ان تقدم العلم يمكن النظر اليه  
وكانه نظام مفطرد للتفاعل بين النظرية والواقع<sup>(٢)</sup> .

(1) Skidmore, William, Theoretical Thinking in Sociology, London:  
Cambridge University Press, 1975. p. 15

(2) Skidmore, Ibid., p. 16

(3) Goode & Hatt, op.cit., p.8.

وذلك لان للنظرية دور توجيهي، بمعنى ان الوظيفة الاساسية للنسبة النظرية هو المساعدة في تحديد وتعريف انواع الوراثة التي تلائم موضوع الدراسة، وتنظيمها في موضوعات بواسطة بناء من المفاهيم التثبيتي للعمليات والموضوعات الرئيسية للدراسة، وذلك بالاستناد لنسب العلاقات الذاتية بين تلك الوراثة ، وكذلك تلخيص المعرفة المتحصلة حول موضوع الدراسة، ذلك التلخيص الذي قد ينقسم الى فئتين :

- أ - فئة التعميمات الامبيريقية .
- ب - وانماق العلاقات بين القضايا .

وذلك لان العالم قد يفكر في مجا له وكأنه بناء من العلاقات المعقدة ، حيث يجمع عالم الاجتماع وعالم النفس البيانات المتعلقة بمجال تخصصه ، حول الوراثة والتي تكون مفيدة ويمكن تلخيصها في علاقات نظرية بسيطة او معقدة . والواقع ان هذا التلخيص عند هذا المستوى لا يمكن اعتباره نظرية ولا بد من الانتقال بعد ذلك للملاحظات الطردية ، والى تلخيص العلاقات بين الحالات . التي يمكن ان نضيف على اسمها قضايا معينة : وقد أكدت محاولات التنظير على المستوى العام ان بعض المحاولات قد تمت بهدف الوصول الى تكامل التعميمات الامبيريقية الرئيسية من عصر الى آخر ، في العديد من العلوم . وذلك ما حدث بالنسبة لنظرية "نيوتن" و"انشتاين" ، كما ان "الكوت دارسونر" قد اذاع في مؤلفه "بناء الفعل الاجتماعي" ان شدة تحولات رئيسية من هذا النوع تم رمدها في عمل كل من "ماكس فيبر" و"اميل دوركايم" و"بارتو" فكل منهم تحرك من الانماق القديمة للنظرية نحو نسق يكون مقبولا بصورة اكثر من تسلك الانماق القديمة .

ومن ثم يتأكد لنا أن الوقائع لا تنفصل عن النظرية في عملية البحث خاصة وأن النظرية تلخص الوقائع وتقرر في ضوءها الفرض العام الذي يكون بعد هذه الملاحظات والذي تحدد على أساسه تنبؤات النظرية ، بحيث تسهم في سد الثغرات الموجودة في المعرفة التي لدينا حول الظاهرة .

ومن ذلك يتفهم لنا أن النظرية أداة العلم التي يستعين بها لتحديد التوجيه الرئيسي له ، بتعريف أنواع البيانات التي تكون مجردة . وتقديم الإطار التموري الذي يستعان به في تصنيف الظاهرة ، وتلخيصها وإقامة الترابط بينها . وتلخيص الوقائع سواء في تعميمات امبريقية أو انداق العلاقات ، والتنبؤ حول الوقائع ، وسد الثغرات العامة في معرفتنا <sup>(١)</sup> .

وفي ضوء ذلك يتفهم لنا أن العالم يستند إلى الوقائع ويكشف ما بينها من علاقات بهدف وضعها في نمط ذا معنى مجردة .

وعلى نحو ما تبين لنا نجد أن القضية إذا قبلت فإنها تشرح عددا محددا من الحقائق ، وما بينها من علاقات ، وأن التعصيم كما يبدو من اسمه بمثابة قضية ذات عمومية كبيرة . أما بالنسبة للنظرية التي يستخدمها العالم فإنها تفسر حقائق وعلاقات أكثر وذات درجة أكبر من العمومية . وعلى نحو ما تبين لنا فـإن النظريات تتوزم بين البسيطة والأكثر تعقيدا . كما أن هناك القوانين التي تحقق أكبر قدر من الشمول . والأمر المؤكد أننا يمكن أن نتوصل في العلوم الاجتماعية إلى تعميمات ، أما القوانين فلا يمكن مياغتها حاليا إلا بقدر محدود . وحتى هذه القوانين تخضع للتعديل إذا ما ظهرت أدلة جديدة لاتتعلق معها أو إذا ما اقتصر استخدامها على ظروف معينة .

(1) Goode & Hatt, op.cit., pp. 8-12

وبالرغم من الدور الواضح للنظرية في المدخل العلمي لدراسة الظواهر في العلوم الاجتماعية إلا أنه إذا ما اكتشفت حقائق جديدة لا تتماشى معها أولا تنسجم مع قضاياها فإنها تخضع للرفض والتعديل - كما يمكن ردها لنظرى اسم بحيث تصبح جز ١٠ منه إذا ما ثبت أن النظرية دالة خاصة من حالة أكثر عمومية، وذلك على نحو ما هو حادث بين النظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع اليوم حيث نجد العديد من محاولات الرد التي يقوم بها انصار كل من الاتجاه الوهمي للاتجاه المادى التاريخى والعكس بالعكس وذلك بدوره يؤكد أن ثمة حالة أكثر عمومية وشمول تتطلب صياغة نظرية متكاملة تتسق مع طبيعة الواقع - وتبقى بأن تصبح تلك النظريات الكلاسيكية جز ١٠ منها تتناول حالات خاصة من حالة أكثر عمومية وشمولاً من تلك النظريات الكلاسيكية ، وذلك بعينه ما دفع للاتجاه نحو عمليات التوفيق والتأليف بهدف صياغة اتفاق نظرية كبرى<sup>(١)</sup> على نحو ما فعل "فان دن برج"، "ولتر" و"ولتر" وذلك لأن العلم لا يركز على أساس مغرى على حد قول كارل بوبر K. Popper ١٩٥٩، بل يبدو وكأن هيكل نظرياته يقوم على اكسوام الرمال: نرفض به عندما نقتنع بأن الاكسوام شابتة بما فيه الكفاية لحمل هذا البناء النظرى وعندما يثبت لنا عكس ذلك نحس لتوليس نظريات أكثر قوة وشمولاً وشباً لتحقيق كفاية منهجية اكبر في المدخل العلمى لدراسة المجتمع وخواهره وحتى تكون تلك النظرية قادرة على احتواء جميع البيانات الملاحظة والمنجزة مع بعضها - وبذلك تتحقق كفاءة النظرية بالإضافة الى هذا بمدى صحتها في الوقت الذى يكون فيه النموذج النظرى صالحاً لتناول حقائق معينة لا تتفق تماماً مع الواقع الفعلى وأن كفاءته المنهجية تتحدد بمدى الفاشلة التي يقدمها لنا في تناولنا للظاهرة وإذا ما ثبت صحة قضايا النموذج فإنه يتحول لنظرية<sup>(٢)</sup> ومن ثم يوفقنا هذا الحوار لمناقشة

- (1) Wallace, W., Sociological Theory, London: Heinemann, 1969. pp.1-17. & Van den Berghe, P.L. in Wallace; p. 202.
- (2) Lovell, K. & Lawson, K.S., op.cit., Chapter. 2.
- (3) Willer, David, Scientific Sociology, New Jersey: Prentice-Hall, Inc. 1967. p. 15.



عض القضايا الأساسية المتعلقة بعلاقة النية الاستدلالية (الاستقراء، الاستنباط) بالصياغة النظرية في العلوم الاجتماعية، وعلاقة النظرية بكل من النموذج والادار التصوري من ناحية، ثم معضلة صياغة النظرية في علم الاجتماع من ناحية أخرى . وذلك تمهيدا لمناقشة المفاهيم والقضايا والفروض والقوانين كعناصر نظرية ترتبط بعنصر التعميم والتنشؤ في علم الاجتماع واللبان ينهض عليهما النسق النظري للمدخل العلمي .

#### ٣- مكونات العنصر النظري للمنهج العلمي :

لما كانت النظرية أداة عملية على جانب كبير من الأهمية للبحث العلمي على نحو ما اطلقنا ، فمن الضروري ان تبني على حقائق وان ترتكز على أدلة . وذلك لكي تؤدي وظيفتها في مساعدة الباحث على توسيع نطاق المعرفة بصورة ديناميكية ويكون المنهج العلمي يتخذ خطوات محددة في توفير المعرفة العلمية حول الظواهر المعطاة تبدأ بالملاحظة لحجم الحقائق، ثم صياغة الفروض ثم اخيرا التحقق منها .

اذلك مسألة مهمة لان صياغة النظرية الجيدة لاتنفض على مجرد تأمل خيال للباحث وتصوراته العقلية ، ولكنها تستند الى الحقائق التي يتم جمعها بطريقة ما اولا وقد تكون الملاحظة على نحو ما هو حادث في العلوم الطبيعية او بالمناقشة التقليدية للتراث السيولوجي على المستوى النظري والمستوى الكمي كما هو الحال بالنسبة للمعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة . وذلك بهدف التنقيب عن الحقائق ورمد التراث الذي يوصلنا الى تصور منطقي لتصنيف تلك الحقائق وتحديد اسلوب تنظيمي . والذي لا يمكن انجازه الا بالتمعن في هذه الحقائق وتحليل التسميات السيولوجي وما ينطوي عليه من افكار لايجاد صابنها من علايات وذلك ومسئولا

لتمصور ذهنى بضع هذه الحقائق فى نسق ذى معنى<sup>(١)</sup> . يتضمن العبارات التى تشير لتعريف المفاهيم النظرية والاجرائية للنسق التطبيقي ، ويتضمن ايضا العبارات المحددة للقضايا التجريدية العامة والقضايا الاجرائية<sup>(٢)</sup> . وهذا الاجراء النظرى الاولى الذى يتمثل فى رصد الحقائق فى التراث يستهدف صياغة تلك الفروض ومفهوماتها على اساس منطقي ، يمهّد للتحقق من هذه القضايا والبروز التى يتضمينها النسق النظرى<sup>(٣)</sup> وتلك القضايا التأسيسية نشر عدد معين من الحقائق وما بينها من علاقات تتضمن بذلك تعميمات تختلف فى درجتها بين القضايا التجريدية الاكثر عمومية والقضايا الاجرائية الاقل عمومية . والنظرية بذلك تستخدم لتفسير تلك الحقائق والعلاقات على اساس من التحكم والسيطرة لتلك العلاقات القائمة بين المتغيرات لاختبارها بغية التوصل الى تعميمات لها قدرة تنبؤية مستقبلية ، وليست مجرد تعميمات ذات قدرة تفسيرية لاحته ومما هو جدير بالذكر ان التنبؤ فى العلم لايعنى بالضرورة التنبؤ بالمستقبل فقد يكون اهتمام العالم مستهدفا للتوصل الى اطار عمورى او نظرية اكثر عمومية فى فهم الواقع وتناوله ليتوفر لها قدرة تنبؤية اكثر . وهذا التنبؤ يستند بصورة اساسية لقانون او مجموعة من القوانين التنبؤية والتى لا يمكن صياغتها حاليا فى العلوم الاجتماعية الا فى النادر . وكما هو حادث حتى بالنسبة للعلوم الطبيعية فان هذه القوانين حين اذا ظهرت ادلة جديدة لا تتفق معها او تقصر استخدامها على مجالات معينة او فى نطاق معين فانها تخضع للتعديل وذلك كله يشير الى ان مكونات العنصر النظرى تتم لتعريف المفاهيم والقضايا ، والتعميمات ، والتنبؤات .

(1) Lovel & Lawson, op.cit., Chapter.2.

(2) Skidmore, William, The Theoretical Thinking in Sociology, London: Cambridge University Press, 1975. p. 250 & Romans, G., op.cit., pp.951-977

(3) Gopal, op.cit., pp. 64-66.

ليس متكامل مع بعضها لتكون بشيء العنصر النظرى للمنهج العلمى . وفى ضوء ذلك تتناول مكونات العنصر النظرى للمنهج العلمى لايضاح اهميتها بالنسبة للمنهج العلمى من ناحية اومدى ترابطها فى ميدان نشأة النظرية والتي تدخل هذه العناصر ضمن اجراءات صيرورتها من ناحية اخرى .

#### ١ ب المداهيم :

لاشك فى ان التجريدات العلمية من الحقيقتة وحولها بتناول جوانب الظاهرة وإقامة العلاقات فيما بينها او فعلها من الكل / الذى يرتبط بها بمثابة عمل تجريدى أساس للمنهج العلمى . وذلك لانه عندما يحاول العلم بحث قطاعات او جوانب خاصة للحقيقة فإنه يحتاج لنسبة من الفكر التجريدى لشرح وتاويل هذه الجوانب المتعلقة بالظاهرة والتي تحدد بالمداهيم المجردة عن هذه الجوانب ، ولهذا فان العلم يطور مظهراته او مفهوماته لإقامة العلاقة بين معطياته والاتصال فيما بينها ، وذلك ما يمكن الإشارة اليه هنا بالنسبة النظرى للعلم على انه نسبة تصورى Conceptual System يتفهم مظهراته تتعلق بجوانب الظاهرة المفروضة للبحث (١) .

والواقع ان اقتضال بشيء المعنى لهذا النسق النظرى يحتاج لعمل ومضى لتحديد المداهيم الوصفية (٢) Descriptive Concepts المرتبطة به ولتى تتناول مفهومات النظرية والمداهيم الإجرائية Operational Concepts والتي تشير الى السمات الواقعية المتعلقة بالمعطيات . وهذان النوعان

(1) Guode & Hart., op.cit., p. 41

(2) Willer, David, Scientific Sociology, op.cit., p.25

من المفاهيم التجريدية والإجرائية هي التي تشكل بناء الإطار التصوري  
Conceptual Scheme الذي لا يكفى عند هذا الحد لبناء نسق النظرية<sup>(١)</sup>  
الواقعية النسق النظرى للعلم، والذي يحتاج لتحديد مجموعة القضايا التي  
تقرر كل منها علاقة معينة بين متغيرين على الأقل، على أن تشكل هذه القضايا  
مع بعضها نسقا استنباطيا يضم كل من القضايا التجريدية والقضايا  
الإجرائية .

ولما كانت وظيفة النموذج العلمى أساسا تفسيريا  
Explanatory  
أكثر من كونه واصفية Descriptive على نحو ما قرر كل من " شيرش مان"  
Churchman وولر<sup>(٢)</sup> Willer فإن صياغة مجموعة القضايا  
التجريدية والإجرائية تصبح شرطا ضروريا لاستكمال صياغة النسق النظرى ،  
الذى يحقق كداية منهجية أكثر من الأطار التصورى فى تداول الظاهـرة  
موضوع البحث . والجدير بالذكر هنا أن استكمال هذه الصياغة النظرية يحقق  
هدف النظرية وهو التفسير ، والتفسير النظرى الذى يتفمنه النسق النظرى  
شرط أساسى لدعم التفسير العلمى Scientific Explanation

الذى ينبغي بمقتضى أساسية على القوانين العامة فهو الذى تمكنه من تجاوز مجرد  
الوصف ليصير نسقا تفسيريا . لتدافع أو حدوث خاص<sup>(٢)</sup> تمهيدا لتفسير  
العلاقات الأهم التى يستند إليها التنبؤ العلمى ، وحتى عند صياغتنا للقضايا  
التي تمثل هذه المنزلة بالنسبة للنسق النظرى فإننا نستخدم المفاهيم كرموز  
للظواهر التى نتناولها بالدراسة . وعند هذا الحد ندرك الأهمية الكبرى  
لتعريف المفاهيم وتحديد مداتها الخاصة، وأن تلك المفاهيم جميعها تكون بمثابة  
تجريدات تحتاج لتحديد ما يتعلق منها بموضوعات النظرية مثل مفاهيم  
الطردية والانتحار والعقيدة البروتستانتية وما يتعلق بالسمات والمتغيرات  
الواقعية للعملية الإجرائية، مثل مفاهيم معدل الانتحار ، وانتشار

(1) Homans, G., op.cit., pp. 951-952.

(2) Willer, op.cit., pp. 25-26.

الروتينية، والتي تفحصها نظرية دوركايم للانتشار، على نحو ما اثرا سلفا عند تحليل النسق الاسباطى للنظرية .

وذلك بدوره ما يؤكد على ضرورة تقديم التعريفات لان النظرية على هذا النحو نتمس بمبادئ تساعد على فهم النظرية في حد ذاتها واخرى توفهم العلاقات النظرية بين المتغيرات<sup>(١)</sup>، ومن ثم اهتم كل من "جودو" و"هات" بتحديد التعريفات الدخيلة للمفهوم التجريدى والمفهوم الاجرائى .

#### اولا : المفاهيم التجريدية :

من الامور المتفق عليها ان المفاهيم بانواعها المتعددة بناءات منطقية سولدت عن الانطباعات والادراك وابتدا من الخبرة المعقدة . واذا كان القول بان المفاهيم الدائمة فعلا بمثابة ظاهرة في حد ذاتها يعتوره بعض الاخطاء فما ذلك الا لانها بناءات منطقية لا وجود لها خارج الاطار المرجعى ، ومن ثم يكون من الخطأ معالجة هذه التجريدات كما لو كانت ظاهرة فعلية وعلى الاقل في الوقت الراهن نظرا لان تلك الاجراءات او بمعنى اقل تلك النظريات المصاغة لاتتمتع بدرجة الثبات الكافية لها الامر الذى يجعلها محل رفض او رد او تاليف فيما بينها وصولا للمعادلات النظرية العامة التى تكون اكثر قدرة على تناول جوانب الواقع المتعددة، والتحكم فيها، والتنبؤ بحدوث ظواهر هذا الواقع . الامر الذى قد يوفر لهذه المعادلات النظرية قدرا من الثبات النسبى الذى يمكن ان تشكل معه تلك المفاهيم اطار ظاهرة في حد ذاتها لما سوف يتوفر لها من ثبات نسبى متسق مع الثبات النسبى للنظرية كاطار مرجعى عام . والواقع ان للمفاهيم اهميتها الواضحة والاساسية بالنسبة للمنهج العلمى كما انها اساس لاتعالى والفكر البشرى<sup>(٢)</sup> .

(1) Skidmore, op.cit., pp 251-256.

(2) Goode & Hatt, op.cit., pp-42-43.

وهذا النوم من المفاهيم المجردة يمثل تلك المفاهيم التي تتناول موضوع النظرية مثل مفاهيم الفردية والانتعاش والعقيدة البروتستانتية بمعنى انها تتعامل بموضوعات النظرية ومن ثم فهي تشغل مكانا هاما في اسئلتنا النظرية بمعنى انها فنية في النظرية وهي من اهم وسائل النظرية التي تحدد في فروعها ونعرف انواع البدياهات التي تكون محط التجريد . كما انها اساسية بالنسبة للاطار التصوري لانه على اساسها تلخص جوانب الظاهرة وتنصف وتقيم الرابطة فيما بينها كما انها تساعد في عملية تلخيص الحقائق، وبذلك تسهم المفاهيم بداعلية في دعم دور النظرية<sup>(١)</sup> وذلك لانها بمثابة تجريدات او رموز تجريدية للتعبير عن الحقيقة<sup>(٢)</sup> .

والان نعود لمناقشة تلك التجريدات التي تتناول موضوعات النظرية ومشكلة تعريفها ولناخذ مفهوما تجريديا مثالا لذلك وهو مفهوم القيمة . Values والذي تتحدد ابعاده من القيمة التالية . كلما زادت قيمة الجزء من فرد او بيئة او جماعة لفرد آخر ازيداد نشاط الفرد بقيمة الحصول على هذا الجزء . هذه القيمة على نحو ما اوضح جورج هومانز<sup>(٣)</sup> تنطوي على متغيرين اساسيين يتمثل اولهما في ان استمرار تزايد معدل نشاط الشخص المبدول من اجل الجزء . ويتمثل ثانيهما في قيمة الجزء<sup>(٤)</sup> وحتى لو افترض البعض ان هذا التعريف للقيمة يتعل بتعريفها اجرائيا بمعنى ان المعنى الذي تخمنته القياسية المطروحة حول القيمة يمكن ان تكون المدخل للتعريف الاجرائي للقيمة فلذلك لا يعني سوى ان شدة علاقة منطقية دائمة وينبغي ان تقوم بين التعريف المجرد والتعريف الاجرائي للقيمة خاصة وانهما معا يحددان ابعاد الاطار التصوري

(1) Goode and Hatt, op.cit. p. 8

(2) Forcese, D. & Richer, S., op.cit., pp 27-28.

(٣) هومانز، ج . النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع ، ترجمة: دكتور محمد علي ، ص ١٣

للقيمة ومن الضروري أن يتحقق بينهما درجة من الاتساق والانجام حتى يكون  
هذا اتساقا بين التصور ومعطيات التداول الإجرائى للقيمة ، ولكن لا يعنى  
هذا ان التعريف الإجرائى للقيمة يحمل نفس مستوى الابعاد التى يتفهمها  
التعريف التجريدى للقيمة. وذلك لان التعريف الإجرائى قد يتناول جانباً معيناً  
من المعنى الذى ينطوى عليه التعريف الإجرائى وقد يحتاج تداول المعانى  
الذى يتفهمها التعريف التجريدى للقيمة أكثر من تداول إجرائى وبالنسبة  
أكثر من تعريف إجرائى خاصة وان التجريد يتسم بالشمول والعمومية  
التي لا تنسى وطبيعة التداول الإجرائى التي تتطلب الاختصار والتحديد  
لتسهيل عملية التداول الإجرائى .

وبذلك يتأكد لنا ان العلاقة قائمة بين التعريف الإجرائى والتعريف  
التجريدى الاسمى خاصة وان التعريفات الإجرائية قد تلعب دوراً واضحاً  
فى التعديل من التعريفات التجريدية أو تطويرها أو رفضها. وذلك فى ضوء  
معطيات القياس للقياسات التى تشير إليها التعريفات الإجرائية للمفهوم  
وتفسيراتها . ومن ثم تكون قائمة القضية التى عرفنا بها مفهوم القيمة  
على المستوى التجريدى قائمة مزدوجة إذ انها تتيح للقياس الدقيق الذى  
تصرف المفاهيم الإجرائية فرصة الاستفادة من عمومية التعريفات التجريدية  
الأكثر عمومية فى اشتقاقها لقياساً ومفاهيم إجرائية حقيقية . كما انها  
تتيح للمفاهيم الإجرائية وقفها على الفرصة الكافية فى النق الاشتباها  
لوصف الظروف العديدة المناسبة لتباين القيمة<sup>١١</sup> .

وترجع أهمية هذه المفاهيم والملاحظات التجريدية لانها تحقق  
للنظرية القدرة على تفسير مزيد من التعميمات وتجاوز الهدف الذى وضعت  
من أجله .

(ثانياً): المفاهيم الإجرائية

يشير هذا النوع من المفاهيم للسمات الواقعية، مثل مفاهيم معدل الانتشار، وانتشار البروتستانتية في دراسة دوركايم للانتحار، وهــنـا ما نسميه بالمفاهيم Variable، وتكامل هذه المفاهيم مع المفاهيم الوصفية المتمثلة في النظرية، والتي تتناول موضوعاتها في سياق الأطر التصوري، وهي مطلحات تعرف بطريقة مباشرة وفكاً لمعايير تصنيف الملاحظات وتعريفها بطريقة مباشرة، بمعنى تعريفها بطريقة واضحة وإجرائية<sup>(١)</sup>.

وإذا كان التوجيه النظري هو الذي يحدد المطلحات والمفاهيم الإجرائية وتعريفاتها المجردة فإن توجيه الواقع هو الذي يحدد المفاهيم والمطلحات الإجرائية وتعريفاتها. ويرتفع أهمية المفاهيم الإجرائية وتعريفاتها الإجرائية لفاكتها التصوي في تحديد وصف العمليات التي نلاحظها ونقيسها، ونسجل بها الظاهرة المعطاة أي الظاهرة موضوع الدراسة<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمور الواضحة أن العلوم الطبيعية تعطي تأكيداً كبيراً على النمط الإجرائي للتعريف، في الوقت الذي توجد فيه مفهومات قليلة نسبياً فلسفية مجازاتها تشبه بشكل واضح السبب الجانبي التجريدي. وذلك مثل مفاهيم الوزن، والطول، واللون. وهي التي تعرف بعمليات إجرائية ومعظم هذه المفهومات تشير إلى أن الظاهرة غير قابلة للقياس. وتعريف هذه الظاهرة من خلال المداغة المباشرة التي تجعلها قابلة للقياس، التطبيق، واستخدام الألوان النسائية للبحث في علم الاجتماع، بخلاف العلوم الاجتماعية بعمامة، تنطور المفاهيم ويستمر الاشتراك والاتفاق العام بين العلماء على وضع العمليات الإجرائية. وبالتالي يزداد تطور التعريفات الإجرائية.

(1) Homans, G., op.cit., pp 952-956.

(2) Goode & Hatt, op.cit., p. 53.



ومن ثم يتفح امامنا ان التعريفات الاجرائية للمصطلحات هي بمثابة امادة  
تعريف المفاهيم التجريدية بالصورة التي تجعلها  
قابلة للعمل الاجرائي. ومن هذا تبرز اهمية العنصر الاجرائي بالنسبة  
للمفاهيم التجريدية<sup>(١)</sup>. وذلك لان التعريف الاجرائي يتفمن بصورة اصامية  
حكما يسهل الامر الذي يجهل المفهوم قابلا للعمل الاميريالي.

ونظرا لاهمية المصطلحات والمفاهيم الاجرائية بالنسبة للمنهج العلمي  
فقد اترق زتتربرج Zetterberg احتمال وجود ثلاثة مصادر لحدوث  
الاطاء في عملية المياعة الاجرائية. للمفاهيم التجريدية للنظرية حيث  
يحدث اولها عندما يكون المفهوم او التجريد ذات معنى واسع اكثر مما يعرف  
بواسطة العمليية الاجرائية. وذلك كأن نعرف الطبقة الاجتماعية  
Social Class على انها تتكون من مستويات الدخل والوعي بالعمفوية  
للطبقة او الشريحة المعطاء ثم ياتى التناول الاجرائي للمفهوم محددًا  
باستخدامه الدخل فقط واحداً للمفكره الوعي بالعمفوية<sup>(٢)</sup>.

اما عن الخطأ الثاني الذي يحتمل حدوثه في عملية المياعة الاجرائية  
فيتم عندما يكون التناول الاجرائي اوسع مدى من المعنى المتفمن بواسطة  
المفهوم، مثال ذلك عندما ننظر للطبقة الاجتماعية عند المستوى الاجرائي  
للتجريد على انها مجموعة الافراد الذين لهم نفس الدخل، ثم ياتى التناول  
الاجرائي للطبقة الاجتماعية على اساس استخدام واحد من المقاييس الاجتماعية  
الاقتصادية الدارجة التي تتفمن الدخل والحالة التعليمية. وهذا تتفمن  
العملية الاجرائية عاملاً آخراً وهو التعليم بالإضافة للمعنى التجريدي المحدد  
للطبقة والدائم على الدخل فقط.

وبالنسبة لمصدر الخطأ الثالث الذي يحتمل حدوثه في عملية المياعة  
الاجرائية فانه يتم عندما يوجد ثمة التقاء في المعنى بين المتفبرين. فسي  
حين ان اى منهما لا يمثل الآخر<sup>(٣)</sup> مثال ذلك عندما ننظر للطبقة على انها

(1) Goade & Hatt, op.cit., p. 54.

(2) Forcese & Richer, op.cit., p. 33.

(3) Zetterberg, Hans, On Theory and Verification in Sociology, totowa,  
New York: Bedminister Press, 1965. pp 30-62, 114-123.

تعمل اشخاصا ذوي دخل متماثل ثم تتناولها اجرائيا بواسطة هيئة Presta 9  
الجماعات السلالية ففي هذه الحالة نأخذ متغيرين مترابطين ، الدخل ،  
والعرفية او العصبية . ويأتى الاقتراح بان هيئة العفوية العصبية  
في حد ذاتها كافية لتلخيص التمييز الطبقي . في حين ان معرفة الدخل  
قد تقدم لنا شيئا ما اكثر فائدة حول الهيبة السلالية العرقية .  
والعكس بالعكس . فالواقع ان كلا العاملين متمايزين على مستوى الميالة  
التمورية والامبيريقية ، وتساؤلنا هنا لا يدور حول ما اذا كان المعنى  
التجريدي اوسم او الغية من المعنى الاجرائي بل اكثر من ذلك اذ يتناول  
المعنى على انه شيء مختلف .

وعند هذا الحد يتأكد لنا ان العلاقة وطيدة بين المفهوميات  
التجريدية التي تتناول موضوعات النظرية في حد ذاتها والتي تتسم  
بالمعمومية والمفهوميات الاجرائية التي تصاغ على المستوى الاجرائي للمتغيرات  
وذلك لان كلا النوعين من المفهوميات يشكلان معا الاطار التموري الذي يشكل  
جزءا اساسيا من النظرية . وان كان لا تتوفر للمفهوميات النظرية الكامسة  
وذلك لان النظرية بالاضافة الى ذلك تتكون من مجموعة القضايا Proposition  
تتوزع بين نوعين من قضايا تجريدية اكثر عمومية تمثل المقادرات  
Postulates . وقضايا اصغر في عموميتها وهي قضايا امبيريقية او فروض  
اجرائية ، ويتوفر نوعي المفهوميات المشار اليهما ونوعي القضايا هذه  
تتحدد الكيفية المنهجية لنسق النظرية كمصدر نظري اساس للمنهج العلمي ،  
ومن ثم نناقش القضايا والفروض باعتبارها من مكونات العنصر النظري  
للمنهج العلمي .

ب- التعميمات : Generalization

من اهم القضايا المحورية للمنهج العلمى هي قضية التعميم ،  
وهي اساس الميادى النظرية كما انها هدف البحث ، ونظرا لان التعميم  
ينطوى على مستويات مختلفة قد تبدأ بأشدها واعلدها تعميما وتنتهى  
بأبسطها تعميما والعكس بالعكس فقد ارتبطت بهذه القضية عدة مفهومات  
تشكل فى مجملها مكونات اساسية للعنصر النظرى ، وهذه المفاهيم  
التي ترتبط بالتعميمات هي النموذج ، والنظرية ، والمسلمة ، والفرضية ،  
والقضية ، والفرض ، والقانون . ونظرا لان هذه المفاهيم مرتبطة مع  
بعضها ومتداخلة فى الوقت الذى تستخدم بشكل او بآخر فى أى من البحوث  
العلمية ، فقد تحددت مدى اهميتها كمعاصر نظرية للمنهج العلمى من ناحية ،  
واهمية تحليلها وايفادها ابصادهما ، والرابطة القائمة فيما بينهما  
والاجراء المنهجى الذى تشتق بالاستناد اليه والذى يتمثل فى الاستدلال  
الاستنباطى والاستدلال الاستقرائى من ناحية اخرى/ وذلك بعينه ما دفع  
بجولييان سيمون " للذهاب الى ان كل من الفرضية والنظرية والاستنباط  
والفرض ، والواقعة ، والقانون مفاهيم اساسية تستخدم بصورة عامة فى  
العلم . وغالبا ما يتداخل كل منها مع الآخر . ومن ثم سعى لتعريفها وتحديد  
العلاقات القائمة فيما بينها (١) .

ومما يفتى على قضية التعميمات مزيدا من الاهمية ليس فقط كونها  
موضوعا مشتركا بين تلك المفهومات والاجراءات بل لاستناد عملية التنبؤ  
Prediction عليها . حيث ان التنبؤ يستند على تقرير بعض العلاقات  
القائمة بين الظواهر او مكوناتها . ولذلك فان معرفة الظاهرة والتحكم فيها  
والذى يحدده فهم تلك العلاقات المعقدة فى تعميمات هي التي تمنح بالتنبؤ .

(1) Simon, Julian, Basic Research Methods In Social Science, New York:  
Random House, 1969, pp 35-38.

وقد تمتد تعميماتنا على الاستدلال الاستقرائي Inductive Reasoning

أي على أساس الملاحظة المتكررة، حيث يكون الاستقراء هنا بمثابة عملية التعميم المشتقة من الملاحظات العديدة، وذلك ما أسماه جون استوارت مل، J.S. Mill التعميم من الخبرة (١). وهذا يؤكد الاستقراء على أنه عملية تنظم الملاحظات والحقائق ومزجها في مجموعات من العلاقات والتعميمات المنظمة والمرتبطة.

وفي الجانب الآخر يشير الاستنباط لاستنتاج العلاقات من التعميمات المتحققة والمؤسسة سلفاً، وهنا تجدر الإشارة إلى الفروقات الواضحة بين بعض المفاهيم الأساسية في البناء النظري مثل: المصادر Postulate والمسلّمات أو المبدئيات Axioms والمفاهيم الأساسية في التحليل السيولوجي. حيث إن المصادر بمثابة فرضية تصدر به البحث وإنها تستخدم الفاظ العلم ذاته، والذي جاءت المصادر غرضاً أولياً بالنسبة له (٢)، وفي ذلك أي المصادر انصافاً إحصائية بمعنى أن الخبرة وحدها هي محك صدقها أو كذبها، ونفس الشيء بالنسبة للانصاف المشنّف منها، في حين أن المسلّمات والمبدئيات هي تلك القناعات التي مفرقة صدقها قبلها Apriori أي التي نقبلها دون برهان وهي بذلك تستخدم الفاظ العلم السابق على ما قد جاءت العملية أو المبدئية لتكون نقطة انحدار له. وفي ذلك غير احتمالية ومعنى أنها غير احتمالية، هو أن الخبرة لا تلائمها للتحقق من مدى ما تتمتع به من صحة أو سطلان، وأمثلة تلك القناعات تشيع في التحليل الرياضي ومعادلاته مثال ذلك:

$$(س + ص) (س - ص) = (س^2 - ص^2)$$

(1) Forcese, D. & Richer, S., Social Research Methods. New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1973. pp 6-7.

والواقع ان النسق الاستدلالي ينطوي على علاقات وتعميمات احتمالية مثل الذى تشير اليه المصادر وغير احتمالية مثل تلك التى يتفهمها مصطلح المسلمة او البديهية<sup>(١)</sup> والفرق الجوهرى بين المصادر والمسلمة هو ان الاولى اى المصادر بمثابة مقدمات تستدل منها نشأتم فى حين ان الثانية ! المسلمة مجرد قضية تعبر عن الصور والعلاقات المنطقية التى تؤخذ كمبادئ موجهة فى عملية البحث والمعالجة وليست بمقدمة تستدل منها نشأتم .

#### د - القضايا والفروض:

من اكثر المفاهيم ارتباطا ببعضها مفهوم القضايا Propositions والفروض Hypotheses والواقع انهما يشيران لتعميمات معينة ولكن بمستويات مختلفة من حيث التعقيد والرزوم الذى يؤكد على العلاقة المتبادلة فيما بينها . اذ ان القضية التى تصوغ المعطيات فى صورة علاقات معينة لابد ان تحدد مشكلة ما وذلك لكى تكون قابلة للبحث . بمعنى ان تكون القضايا احتمالية اما ان تقبل التطبيق فى حد ذاتها او ان تكون قابلة لان يشتق منها قضية او قضايا اخرى قابلة للتدقيق وبذلك تتفهمس معالجة القضية حلا ممكنسا ثم يأتى الفرض الذى يصاغ به هذا الحل الممكنم والذى يجب ان يصاغ على النحو الذى يمكنه من تزويدنا اجرايا بالمعطيات الجديدة التى تسد الثغرات الدائمة فى معرفتنا او التى تتخلل المعطيات التى سبق ان حملنا عليها . ثم يعاد ترتيب هذه المعطيات وتصاغ فى قضايا تمورية ، وهكذا تسير عملية البحث بين مجموعة القضايا الاجرائية والقضايا التجرىدية .

(١) Homan S.G., op. cit., pp 951-977.

وفي المرحلة الاولى أو الخطوة الاولى من العلاقة بين القضية والفرض، حيث يشتق الفرض الاجرائى من القضية التجريدية، يكون الاستدلال الاستنباطى اساس عملية العياغة للفروض الاجرائية ، ومن الضروري ان تكون القضايا التجريدية قابلة للاختبار من طريق الاشتقاق، بمعنى ان تكون هذه القضية احتمالية اى ممكنه وتخضع للواقع من حيث الصدق او الكذب ، كما يجب تطبيق الفرض، اجرائيا للتحقق والاختبار حتى يمكن اقرار العلاقة التى تنهض عليها القضية وتتضمنها، والحكم عليها بالصدق او الكذب فى ضوء معطيات الاختبار، اما بالنسبة للمرحلة الثانية او للصورة الثانية من العلاقة بين الفرض والقضية، والتى تستند للاستدلال الاستقرائى فى الحكم على صدق او كذب القضية من طريق ملتها بالواقع ، فهذا تكون الفروض، المثبتة فى الواقع اساسا لاشتقاق القضايا الكلية المجردة. وبذلك تكون القضايا المجردة متضمنة فى الفروض المثبتة ، وهذا تتحدد ملتها بالواقع من خلال الفروض التى تضمنتها، وحتى فى حالة استنباط القضايا الأكثر عمومية من القضايا المجردة من الفروض، تكون العلاقة دائمة بين تلك القضايا الأكثر عمومية والواقع بالاستناد الى تضمين الفروض للقضايا المجردة منها . وبذلك يستند صدق هذه القضايا الكلية المجردة على الواقع. ومن ثم يمكننا ان نقرر هذا ان الفعل بين عمليتي الاستدلال الاستقرائى والاستدلال الاستنباطى لا يفيد فى اختبار صدق القضايا الكلية المجردة او القضايا العامة التى تمثل استدلالا لاتنا وذلك لانه يجب ان تكون صادة استدلال التضمينات هى نفسها صالة اختبار صدق استدلالنا. (١)

كما انه لا يوجد دليل على ان اكتشافا علميا بعينه قد تم بواسطة الاستقراء كما تخيله "فرنسيس بيكون" ، بل على النقيض من ذلك اذ يتضح بجلال ان

القيام بالبحث بدون فروض أو قواعد. وما إلى ذلك من نماذج تصورية، ونظريات<sup>(١)</sup> ومفاهيم لا يكون البحث مشعراً<sup>(٢)</sup>، كما أن مراجعة التراث العلمي تؤكد على أن المنهج العلمي قد حقق التفاعل المستمر بين الملاحظات والنماذج التصورية للعلم<sup>(٣)</sup>.

لهذا تخدم النماذج الوظيفية الاسترشادية والاستكشافية، كما أن بنسب العلاقات المكونة للنموذج يتم مسن خلال تراكم الملاحظات والتأمل المنطقي، تلك العلاقات التي تكون مشعرة إذا ما اختبرت في العالم الواقعي، وهذه العلاقات التي يتفحصها النموذج قد تقرر في شكل قضايا عامة تشكل معادلات النظرية الأكثر عمومية أو قضاياها التوجيهية. وقد تصاغ في شكل فروض تقسّر في أشكال عامة تطبق على مدى واسع مثل تلك الفروض التي تتناول الانحراف بصورة عامة، أكثر من اختبار نمط انحراف محدود.

وقد تكون مخصصة لاختبار نمط محدد وهكذا يكون عمل النماذج ومنها نموذج ميرتون للانحراف، والذي توفحه الخريطة التالية<sup>(٤)</sup>.

الوسائل	الأهداف	أنماط السلوك
+	+	المجاري
+	-	الطقي
-	+	المجفد
-	-	المنحجب
(٤) ±	±	التمردى الثورى

(1) Newman, Jams, Science and sensibility, New York Simon & Schusteen, 1961. Vol.1 p. 91.

(2) Forcese & Richer, op.cit., pp 42-43.

(3) Nerton, R., Social Theory and Social Structure, New York: Free Press, 1962, p 146.

(٤) تشير (+) للمجاري والتقبل وتشير (-) للرفض وعدم المجاري.

وهذه العلاقات القائمة في نموذج ميرتون بمثابة فروض تحقق شكل عام  
تفسر تطبيقها على مدى واسع من السلوك، مثل الانحراف عموماً أكثر من أن  
تخصص لدراسة نظم العلاقة بين الجنس والطموح الرائد للتفوق مثلاً، وبذلك  
يخدم النموذج في تحديد وإيضاح دور الواقع. كما أنه يساعد الباحث في اختبار  
العلاقة بين المتغيرات .

وبالإضافة لاستدلال الباحث للعلاقات من النماذج على نحو ما أسلفنا فإنه  
يستطيع أن يستدل عليها من النظرية ، فالنظرية هي النموذج الذي تم اختياره .  
وبمعنى أكثر تحديداً فإن المفاهيم المستخدمة في النموذج تم صياغتها إجرائياً ،  
وإن العلاقات القائمة بين هذه المفاهيم قد تم التحقق منها بالنظرية أو ما  
يسمى كل من " ديمونت وولسون " بالنظرية الإيضاحية Explicit Theory  
فلها دلالة معرفية Epistemic Significance ، ودلالة إنشائية أو صياغية ،  
حيث تشير دلالتها الأولى إلى الميالة الإجرائية للمفاهيم الإنشائية، وذلك  
مثل المشكلات أو التجريدات التصورية، والتي تكون مرتبطة بالخصائص الملاحظة  
للعالم الأميريقي ، ومرتبطة بشكل أكثر بالقواعد الإيضاحية المتطابقة . وبالدلالة  
الميالية تعني أن المفاهيم المولدة للنظرية متداخلة الارتباط لكي تخدم  
التفسير الأميريقي للسلوك وتنشأ به. والنظرية إذن تنهض على مجموعة القضايا  
المتراكمة ، وكل قضية تؤكد على أنها عبارة محققة للعلاقات القائمة بين  
المتغيرات (١) .

#### أولاً : القضايا الوصفية والقضايا التفسيرية :

ومن ثم نجد الحاجة الضرورية لاتساق الميالة النظرية بين الفروض المشتقة  
من النموذج، والقضايا التي تنهض عليها النظرية. فإذا كانت الدلالة المعرفية

(1) Dumont & Wilson, W., Aspects of Concept Formation, Am. Social R., 1967.  
Vol. 32, p. 44



للمنظرية عند ديمونست وولسون تشير النمط المفاهيم الوصفية التي تتناول موضوع النظرية، ونمط المفاهيم الإجرائية التي تشير إلى السمات الوافعية فإن الدلالة الإشائية للمنظرية تشير للتعميمات التي تقيمها بين المفاهيم المتبادلة الارتباط، والتي تشكل مجموعة القضايا المترابطة والقضايا المحققة للعلاقات القائمة بين المتغيرات . وذلك ما يشر إلى قيام نمطين من القضايا قضايا وصفية تتعلق بموضوع النظرية المتمثل في تلك الارتباطات والتي نعلم بالخائص المنطقية التي تميز موضوعات النظرية ، وهذا النمط من القضايا الوصفية يتداخل مع نمط القضايا المجمعة التي عرفها جون ديوي بأنها تلك القضايا التي تتلخص فكرة نتصورها من نوع معين ، وذلك لأن تلك القضايا تنهض أو تقوم بصفة أساسية على اداس مجموعة من السمات والخصائص المتعلقة ببعضها . فهي تقوم على اقتران الصفات والسمات التي توقع في فئات أو مجموعات ولأنه تلك السمات الوصفية التي صفت في مجموعات تمكننا من تكوين استدلال عن العلاقات القائمة بين الأنواع وهذه القضايا الوصفية تقوم على العناصر المشتركة بين موضوعات كثيرة تتناولها النظرية وهي اداس الصياغة العامة للنظرية وذلك لأنها تجرد من الخصائص المشتركة بين القضايا المتعددة لوضعها في مجموعات محدودة من القضايا الأكثر عمومية والأقل في تنوعها ، واختيارنا لهذه القضايا يتم على اداس أهميتها التي تؤديها في تقوية وتوجه الاستدلال من تلك القضايا لصياغة القضايا الأقل عمومية والأكثر تنوعاً .

وهذا تكون القضايا الأكثر عمومية هي تلك القضايا الوصفية العليا التي تشكل مصادرات النظرية الأساسية أو الأولية ، ولما كانت كفاية هذه القضايا لتحديد مبادئها وتدعيمها لعملية الاستدلال<sup>(١٢)</sup> ، وتوجيهها في العالم الواقعي ، لاستدلال للقضايا التفسيرية اللاحقة في عموميتها والتي يسميها هومان بالقضايا الأمبيريقية أو القضايا الدنيا في النسخ النظرية والذي نختصده

(١٢) جون ديوي ، المرجع السابق ، ص ٤٤٨

قوته بإمكانية اشتقاق مجموعة القضايا الإمبيريقية المتنوعة من ذلك العدد المحدود نسبيا من القضايا العليا الوصفية الأكثر عمومية<sup>(١)</sup> والتتسبى تأتى القضايا الدنيا الأقل عمومية لتفسيرها . وجعلها قابله للاختبار والقياس ، فإن القضايا الوصفية بمثابة أدوات تصويرية ضرورية لعملية البحث لأنها تتألف من معانٍ يتمثل بعضها ببعض الأمر الذى يجعلها لا وجودية المقصود لأنها لاتحمل إشارة مباشرة الى الواقع الفعلى غير ان تداول القضايا لنوعين من الوسائل المادية والمنهجية يجعلها تحتاج لمياعة قضايا أخرى تزودنا بالاجراءات التى تجعلها متصلة بالواقع الفعلى وقابلة للحكم عليها بالصدق أو الكذب ولما كانت القضايا فى تباينها أو تشابهها تعتمد على أساس المهمة التى يؤدىها مضمونها من حيث هو وسيلة اجرائية او مادية . ففدأتفى ذلك ان نفرع من الفروق بين القضايا فروعاً فرعية للتباين بين صورها وعلى أساس طرقها التى تستخدمها وتجعلها وسيلة لغاية . وبذلك اذا كانت القضايا الوصفية تنهض على المماثلة والاتساق والتطابق بين الخصائص والسمات التى تنهض عليها التعميمات . فان ذلك يشير بوضوح الى ان القضايا الفرعية تستخدم كوسيلة لدعم صلة القضايا العليا بالواقع ، ولما كانت الوسائل من حيث كونها وسيلة لاهى بالمادة ولاهسى بالكاذبه . فان تحديد فاعليتها من عدمه يرجع للعواقب والتداعى وعلى هذا الأساس تكون القضايا التفسيرية للنظرية بمثابة الوسيلة التى نحدد كماداتها المنهجية بمدى فاعليتها وقدرتها على ربط معادرات النظرية العامة بالواقع الإمبيريقى .

والواقع ان تقسيمنا لقضايا النظرية بين القضايا الوصفية والقضايا التفسيرية ينهض بصورة اساسية على وظيفتها الادائية بالنسبة للحكم أو

(1) Romans, G. op.cit., pp. 951-953

الحكم بكذب أو صدق تعميم معين تتفحصه القضية، والذي يكون مدعماً - حتى اعتماداً على إيجاد الوقائع التي تحدد وضع المشكلة ومحيطها، والتي يقدم لها الشواهد لاختبار الحلول المقترحة - ومن هذا نكون سمعد فئتين أو نوعين أساسيين من القضايا • قضايا وصفية تتناول مفهون الأشياء التي نجهلها موضوعاً لتلك القضايا، والحكم هنا يعتمد على معان وشؤون تصور في الذهن ودعم هذا الحكم يحتاج لتقديم حلول ممكنة للمشكلة المطروحة بين أيدينا، ويحتاج لرسم خطة الإجراءات التي يترتب علسس تنفيذها تولد معطيات جديدة تنحو بنا تجاه موقف معين الحدود في العالم الخارجي، وهذا هو مهمة النوع الثاني من القضايا وهي القضايا التفسيرية والتي تدور حول مفهونات المحمول أي محمول القضايا الوصفية والذي يشير للعلاقات الاحتمالية القائمة والتي تكون الخبرة وحدها ملك مدققها أو كذبها. ونحن بذلك نؤكد ان قضايا النظرية العامة هي قضايا احتمالية أو ممكنة بمعنى انها تتصل بالوقائع للحكم على مدققها أو كذبها عن طريق القضايا - المشتقة التفسيرية الأقل عمومية، والتي تتناول مفهونات المحمول وجعل القضايا العامة متمثلة بالوقائع (١) .

والوقائع ان القضايا التفسيرية قضايا تفريدية للقضايا الوصفية بمعنى انها قضايا علاقات لانها تتناول محمول القضايا الوصفية وبذلك تشير مور هذه القضايا لمراسل اساسية في ملك البحث وخطواته وصولاً للحكم على صحة أو كذب مفهون النظرية بالاستناد للوقائع .

والحقيقة ان التصور السيولوجي للظاهرة الاجتماعية في علم الاجتماع يؤكد على أهمية قيام مثل تلك القضايا الوصفية والقضايا التفسيرية وخاصة بعد ان اعلى كل من زنانيكي وميرتون وشلز و... وغيرهم من علماء الاجتماع في مؤتمر عقد عام ١٩٥٥ ان البطا الكامن في الفكر السيولوجي -

(١) nomans, G., op.cit., 951-953

اليوم يمثل في الفعل بين المدخل البنائى والمدخل الدينامى عند دراسة الظاهرة الاجتماعية. حيث أصبح هذا التصور الاجتماعى موجها اساسا للمعالجة النظرية فى مجال علم الاجتماع لكن تنهض هذه المعالجة على قضايا ومفاهيم تتناول الجانب البنائى للتصور وعناصره ومفاهيمه الاساسية من مفاهيم وملاقات . ثم تأتى القضايا التفسيرية لتفطس الجانب الدينامى للظاهرة وما بين عناصرها من تساند وظيفى. بمعنى انها تتناول موضوعات النظرية بالصورة التى تحلها متعلقة بالواقع وقابلة للاختبار والتفسير . وسوف تكون معالجة التصور السيولوجى للظاهرة الاجتماعية موضوعا اساسيا لمؤلفنا البناء النظرى لعلم الاجتماع وكلما نريد التاكيد عليه فى هذا المجال هو ان منطق التصور السيولوجى للظاهرة الاجتماعية فى علم الاجتماع يؤكد على شمول النظرية على قضايا ومفاهيم تجريدية عامة وقضايا تفسيرية اقل فى عموميتها والنوع الثانى من القضايا هو حلقه الوصل بين القضايا الاكثر عمومية اى بين معادلات النظرية والفروض الاجرائية للدراسة . فاذا كانت قضايا النظرية الوظيفية السبع وقضايا النظرية الجدلية السبع قد جردت لقضايا اكثر عمومية اربعة عند فان ليس بربح. فانه اى القضايا المرتبطة باى من النظريتين، والتي تشكل فى مجموعها اربعة عشر قضية متنوعة تقع بين النظرية العامة لعلم الاجتماع فى مكان القضايا التفسيرية بالنسبة للقضايا العامة ولذلك لانها اقل فى عموميتها من القضايا الوظيفية التى هى معادلات النظرية العامة من ناحية ولانها تنتم بالتنوع والكثرة التى تفيد فى عملية التفسير. كما انها اكثر قابلية للقياس والاختبار من خلال فروض اجرائية يمكن اشتقاقها منها على ان تكون الفروض مشتقة من تلك القضايا التفسيرية للنظرية العامة بحيث تأتى محققة للجانب الوظيفى والجانب التفسيرى المتضمن فى قضايا النظرية العامة .

---

(١) دكتور البید علی شتا ، البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الخیر ، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ م .

## ثانياً : المفروض الوصفية والفروض التفسيرية :

ان منطق نقشنا الاستدلالي للعبارة النظرية في علم الاجتماع يؤكد تكامل مدخلي الاستدلال - (الاستدلال الاحتياطي والاستدلال الانقراضي) حيث تكسبون صبغة القضايا والفروض على اساس هذا التكامل متنبه للواقع والفرصات من ناحية الاستدلال الاستقرائي ومتنبه على قضايا النظريات التي تنتج عنها ونشأت منها باستخدام مدخل الاستدلال الاحتياطي من ناحية اخرى. وفي ضوء ذلك يمكن قبول وجهة نظر " جيليان سيمون " Simon ج. التي تشير الى ان الفروض لا تنتج جميعها عن النظريات وان معظمها يقوم او ينهض على الوقائع والفرصات. وهو بذلك يؤكد على اشتقاق الفروض من النظريات وما تستنبطه من قضايا<sup>(١)</sup> . لان اشتقاق الفروض من طريق الاستدلال الانقراضي لا ينهض دليلاً كاملاً لأكاسية تطبيق تلك الفروض واختبارها وتعميم نتائجها بعد ذلك فمصداقة نظرية محددة المفاهيم ومتسقة في فروضها لكي يمكن الاستفادة من التعميمات التي يمكن الحصول عليها باختصار تلك الفروض على اساس الرؤى الواضحة التي يحققها الاطار التصوري او النموذج والنظرية في عملية التحقق

اشرنا سابقا الى نوعين من القضايا الوصفية والقضايا التفسيرية التي تتفحصها النظرية. حيث تمثل القضايا الوصفية المستوى الأكثر عمومية وهي التي وصفها جورج هومانز بالقضايا العليا . في حين ان القضايا التفسيرية تأتي في المستوى الثاني من حيث التعميم بالنسبة للقضايا الوصفية. وهي القضايا التي وصفها " هومانز " بالقضايا الدنيا في النقيض الامدلالسي للنظرية. وهي تتسم بخاضية الاجرائية اي انها قضايا امبيريقية. وذلك لانها تتمثل بالفروض الاجرائية. سواء كانت هذه الفروض وصفية ام تفسيرية. ولم يكن

(١) Simon, Julian L., Basic Research Methods in Social Science, New York Random House, 1964, p. 37.

تصديدها لنمطى الفروض، هذه منفصلا من السياق الفكرى العام المرتبط بالمنهج العلمى . لاننا نستلنى من هذا الفكر الاصول الاولى لمعالجة تلك الفروض ، والاسس المنطقية والمنهجية التى تستند اليها عملية تصنيف الفروض وتحديد انواعها .

وقد يختلف تصنيف الفروض وتحديد انواعها طبقا للطبيعة الاستخدام والاداء الوظيفى لها من ناحية ، والمستوى التجريدى ومدى التحقق منها من ناحية اخرى .

اما من حيث تصنيفها على اساس مستوى الاستخدام والاداء الوظيفى والقابلية للتحقق التجريبي ، فهو اساس تصنيف الفروض الى فروض وصفية ، وفروض تفسيرية وفروض صورية او فرضية حيث يكون الفرعان الوصفى والتفسيرى قابلين للتحقق التجريبي اما الفروض الصورية فهى لاتخضع للتحقق التجريبي المباشر ولكنسه يستخدم الاستدلال الرباعى فى تفسير القوانين وتحديد الابطال القائمة بينها وقد شاع استخدام هذا التصنيف فى الوقت الراهن بين علماء الاجتماع لاتساقه مع منطق الوهيفة الاساسية للعلم المتمثلة فى الوصف والتفسير كما انه اكثر اتساقا مع بناء النسق النظرى الذى يتفحص مداخل وصفية ومداخل اجرائية من ناحية . وكذلك مع قضايا التجريدية وقضايا الاجرائية من ناحية اخرى .

اما بالنسبة للبعد التصنيفى على اساس المستوى التجريدى فذلك ما اقترحه كل من جود وهات حيث قاما بتصنيف الفروض على اساس هذا المنطق<sup>(١)</sup> الى فروض تقرر الفئات الامبيريقية الدائمة والمتغيرة (وهى الفروض التى تتقارب الى حد كبير مع الفروض الوصفية) . والفروض التى تهتم بالندائج المشابهة المعقدة

والتي تتناول العلاقات بين الفئات المتماثلة . والفروض التى تقام بين متغيرات التحليل . والواقع ان هذه الفروض رغم ما تلقىه من ضوء فى عملية

(1) Goode & Hatt., op.cit., pp 59-62

التحليل إلا أنها متضمنة في أنواع الفروض من المستوى الأول ، وذلك يؤكد بدوره أهمية المزاوجة بين الأساس الادائي للفروض، والاساس التجريدي في عملية تنفيذها، وذلك ما سوف نمتدد اليه عند تناولنا لأنواع الفروض .  
وان كان جوبال<sup>(١)</sup> يقيم تنفيذ الفروض على اساس مدى التحقق منها السى  
فروض، كما يفرض منقحه<sup>(١)</sup> إلا ان هذا التصنيف يمكن اقامته اذا ما اقمنا  
تنفيذها على اساس المزاوجة بين المستوى الادائي للفروض ومستوى التجريد .

ولقد كان للتفسير العلمى معنى معينا في المنهج التقليدى الاستقرائى ،  
حيث كان هناك نوعا واحدا من الفروض هو الفروض العلمية، حيث كان التفسير  
العلمى مقصورا على ربط ظاهرة نريد تفسيرها بظاهرة مألوفة لنا، فیر ان  
المنهج العلمى المعاصر يتخذ موقفا مختلفا من الفروض بالاستناد الى الفرق  
العلم النظرى وفرضه العلمى . ويتمثل فرضه العلمى فى توفير المعرفة الكافية  
لدى الانسان بالقدر الذى يمكنه من السيطرة على ظواهر الواقع لتحقيق رعايته .  
وذلك لان المعرفة على نحو ما عبر فرنسيس بيكون قوة ، تدعم سيطرت الانسان على  
الواقع اما بالنسبة للفرض النظرى للعلم فيتمثل فى فهم العالم من حولنا بماديه

من ظواهر وحوادث، وما تتضمنه هذه وتلك من جوانب تفاعل ولامعية .  
وتحقيق الفهم هنا يساعد على جعلها مقبولة لدى العقل ، مؤكداً على ان تلك  
الظواهر والحوادث فى تفاعلها وسيرها تخضع لقوانين ، ومن ثم يكون اكتشاف  
هذه القوانين عاملا مؤكدا لفهم الواقع وظواهره ومساعد ا على التنبؤ  
بمستقبلها . والفهم هنا يمتد الى الوصف والتفسير، واذا كان الاتجاه التقليدى  
يؤكد على التفسير باعتباره وسيلة وغاية، وسيلة لتحقيق الفهم لدى الانسان  
حول الواقع وظواهره وغاية لكونه يبحث عن بناء نموذج نظرى يمكن الانسان من فهم  
الواقع وظواهره وحركة حوادثه ، فان عندنا يكون بناء النسخ النظرى غاية للتفسير  
يكون اوجه ما يكون للوصف الذى يتناول موضوعات النسخ النظرى الذى سوف نستعين

(1) Gubal, op.cit., pp 118-120

به لتحقيق فهم الواقع وظواهره حتى يمكننا ان نستفيد من هذا النسق النظرى .  
واذا كان الوصف على مستوى النسق النظرى العام مهمة القضايا التجريدية  
العليا فان الوصف فى النسق النظرى للنموذج يتمثل فى الفروض الوصفية التى  
تميلها لوصف موضوعات النسق الاستدلالى للنموذج لان بناء النموذج يعتمد  
على الوصف رغم ان له وظيفة تفسيرية<sup>(١)</sup>.

وهذا يعينه ما دفع بهليف العلماء المهتمين بالمنهج العلمى امثال:  
"ارنست ماخ" Mach واستاذ "Ostwald" و"كارل بيرسون" Pearson للتاكيد  
على الوظيفة الوصفية للعلم<sup>(٢)</sup>. وذلك لان العلم فى نظره مقيد بعالم  
الظاهر. وفهمنا لهذا العالم يجعلنا نفهم كل شئ بحسب . وبالإضافة الى ذلك  
الى تأكيدهم للجانب الوصفى للعلم بالنسبة للعالم الواقعى تؤكد على ان  
وصف النسق النظرى للعلم يمكننا من فهم بناء العلم ومفوماته التى نستعين  
بها لوصف العالم الخارجى . الا ان رفضهم للجانب التفسيرى للعلم لا ينهض  
على الحجج الكافية لرفضه، وذلك لانه ليس كل تفسير علمى تفسيراً علياً على  
نحو ما اكد "جون مل"، وهو الموقف الذى رفضه الوضعيون ولكن التفسير العلمى  
اسعد من ذلك حيث اصبح التحليل السيولوجى ذات ابعاد ثلاثة تتمثل فى :

- التحليل الوصفى الذى يكمل التحليل التفسيرى ويدعمه . والتحليل الوصفى  
بذلك يستهدف وصف الواقع بتحديد خصائصها<sup>(٣)</sup> .
- التحليل التفسيرى الذى يستهدف اختبار فروض معينة للعلاقات القاسمة  
بين المتغيرات .
- والتحليل النظرى (التحليل المصورى الفرضى) وهو التحليل الذى لا يتمسك  
تجربياً تجريبياً مادئراً على نحو ما هو حادث بالنسبة للتحليل الوصفى .

(1) Willer, David, Scientific Sociology Theory and Method, New Jersey:  
Prentice-Hall, N.C., 1967, p. 25.

(٢) دكتور محمود فهمى زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، الاكاديمية ، دار الجامعات  
المصرية ، ١٩٧٧ ، ص ١٤٧

(3) Forcese & Richer, op.cit. pp 79-89.



والتحليل التفسيري، وذلك لأن الفروض الوصفية، الفروض التفسيرية تتضمن تحقيقا مباشرا، نظرا لأن الفروض الوصفية تتناول الوقائع وتقدم لها وصفا محددا لابعادها وبناؤها ومكوناتها، والفروض التفسيرية تتناول العلاقات القائمة بين الظواهر، أي حين أن الفروض الفرضية الصورة تتناول العلاقة القائمة بين القضايا الإجرائية وواقعيتها من روابط تداعيا على قولها في توجيه الفروض الوصفية والفروض التفسيرية المشتقة منها. وبذلك فإن النوع الأخير من الفروض، والتي ينهض عليها التحليل النظري التجريدي لا تتناول موجودات تدرك بالحس، بل وسيلة يمكن التحقق التجريبي منها، وإنما تفسر لنا علاقة القضايا الإجرائية التي اشتقت منها الفروض الوصفية والتفسيرية من ناحية. وكذلك تتناول العلاقة القائمة بين الفروض الوصفية والفروض التفسيرية، ومدى تكاملها وتفاعلها مع بعضها خلال التحقق التجريبي، للوصول إلى التفسير العلمي الذي يمكننا من فهم الواقع وبالتالي نستخدمه في تفسير العلاقة بين القوانين التي تنتهي إليها الفروض التفسيرية والوصفية، وتحديد مدى كفايتها المنهجية لتحقيق التنبؤ بمستقبل الظواهر واتجاهاتها في المستقبل.

وهذا النوع من الفروض النظرية يشكل الجانب النظري للفروض الوصفية، والذي يتناول موضوعات العمالة الاستدلالية للفروض، حيث تتناول الرابطة بين الفروض التفسيرية والفروض الوصفية التي تتناول الوقائع بالقضايا الدنيا للنظرية (القضايا الأمبيرية)؛ وكذلك تتناول العلاقة القائمة بين الفروض الوصفية والفروض التفسيرية القابلة للتحريب من ناحية، وتتناول العلاقة القائمة بين القوانين المستخلصة من التناول التجريبي للفروض الوصفية التجريبية، ومدى قدرتها وكفايتها المنهجية لفهم الواقع وظواهره، والتنبؤ بها في المستقبل من ناحية أخرى. وهذا هو منطلق التطيل النظري الصوري للفروض الفرضية العوربية التي لاتخضع لعمليات التحريب على نحو ما هو حادث بالنسبة للفروض الوصفية والفروض التفسيرية، وإنما تتناول موضوعات الشق النظري للعلم على مستوى الاستدلال الاستنباطي للفروض الإحصائية

التي تتناول الواقع وظواهره ، والتي تمثل الرابطة الضرورية بين النظرية والبحث الذي يؤدي لاكتشافات اضافية للعلاقة (١) ، وعلى مستوى القوانين التي ينتهي اليها العلم ، ويعتمد عليها في صناعة نقله الذي يساعد على فهم الواقع ، والتنسيق بتمعاقب حوادثه في المستقبل .

وبذلك تتأكد أهمية دعم علم علاقة الفروض بالنظرية الملائمة ، فلا شك ان العلم ينمو ويحقق تراكمات معينة ، كما ان كل بحث يضيف قدرا معينا لعملية النمو تلك ، واذا ما استند الفرض على النظريات القائمة فانه يستطيع ان يسهم بقدر في اشراء المعرفة . وهذا يصدق القول بانه لكي يكون الفرض ذات قيمة عملية يجب الا يكون محددا بعناية فقط بل يجب ان يكون ملائما نظريا (٢) سواء في استخدامه او بالنسبة لاستداده وارتباطه بالنسق النظري للعلم .

ثالثا : الفروض المبررة ، النظرية ، والقوانين :

اشرا بلدا للاساس الذي اعتمد عليه البعض في تصنيف الفروض ، ووضحنا ان اساس تصنيف الفروض الى فروض، صورية ، وفروض تفسيرية ، وفروض ، وصفية ، هو ادائها الوظيفي ، وقابلتها للتحقق التجريبي من ناحية ، ومستويات التجريد الذي تنطوي عليه تلك الفروض ، من ناحية اخرى . وفي ضوء ذلك تكون الفروض الوصفية والتفسيرية محل التحقق التجريبي ، والفروض المبررة محل الاستدلال الرياضي ، كما انها تتناول القوانين التي سبق الوصول اليها عن طريق التحقق التجريبي لتفسيرها والربط فيما بينها بصورة تساعد على قبولها .

وعلى اساس فكرة التحقق من تلك الفروض يمكن تصنيفها الى فروض امبيريقية ، اي انها تخضع اجراءيا للتحقق الامبيريقى . وهى ما يمكن تسميتها بالفروض

(1) Goude, & Hatt, op.cit., p. 57

(2) Gobal, op.cit. p. 128

الامبريقية ( وعلية - تفسيريه ) ، وفروض نظرية وهي تلك الفروض الصورية  
التي ننتد الى الاستدلال الرياضي في تفسير الفواش، وتحديد الرابطة القائمة  
لما بينها، ومن ثم فتحققها لايفضح للمعالجة الامبريقية، ولكنها تخضع للحل  
النظري . وقد كان ولسم كيل W. Kneale المصطفى الانجلزي اول من  
امرح تصمة هذا النوع من الفروض بالفروض الصورية<sup>(١)</sup> ، وقد استخدم كرسيدان  
هوجنز C. Huyghens ١٦٦٩ - ١٦٩٥ وهو من علماء القسرس  
السابع عشر مفهوم الفروض الصورية في سياق استخدامه للمنهج الفرصس  
Hypothetical Method حيث الام نوعا من البرهان لايفتم علينا هالسا  
كبين السرهان الهندس، لان مبادى الطريقة الفرعية عنده تختسر بواسطه  
النتائج التي تستنبط منها، واليقين الكامل بالنسبة لهذه الفروض الصورية  
الفرعية ممكن حين تتفق مبادى هذه المقترحة اتفاقا تاما مع الطواهر الملاحظة  
وسوجه خاص حينها تنكرر الامثلة التي نقبل النطق الامبريقى .

وهذا النوع من الفروض فروض علمية، لايشير مفهومها لامكانية التخطى الامبريقى .  
ولكن تحقيقها يتم على المستوى النظرى بالاستناد لمنطق الاستدلال الرياضى، وان كان  
هذه الفروض يتم الوصول اليها متاعلا من الخبرة الواقعية، وعن مابشقت منها، الا  
انها عنصر اساسى لفهم الواقع من ناحية، وما نعمل اليه من قضايا وقوانين علمية  
تتعلق بهذا الواقع من ناحية اخرى<sup>(٢)</sup> .

ولما كانت للفروض النظرية الصورية تلك علاقة بالقوانين من حيث ادائها  
الوظيفية اى الاداء الوظيفى للفروض النظرية حيث نفسر تلك القوانين وتكشف  
عن الرابطة القائمة فيما بينها فانها ذات اهمية بالغة بالنسبة للنظرية  
من ناحية لانها تتناول قضاياها بالتفسير وتكشف عما بينها من رابطة تؤكد علمى  
اتفاق تلك القضايا في نسق النظرية من عدمه كما انه ذات اهمية بالغة ايضا  
بالنسبة لنسق العلم من ناحية اخرى، لانها تتناول قوانين العلم بالتفسير وتكشف

(١) Kneale, W., Probability and Induction, Oxford: Clarendon Press, 1949, p. 93.

(٢) دكتور محمود فهمى زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، المرمع السابعة، ص ١٥٨

عن الرابطة الدائسة بين تلك القوانين ومدى اتساقها مع بعضها ومع سبق العلم ، وفي ضوء ذلك نتناول كل من القروض النظرية والقوانين الفلسفية لخدمة لائق مزيد من الوقوف على خصائص كل منها .

- القروض الصورية بين وصف التعميمات وتفسيرها :

ان مانعني به الفرق الصوري هو ذلك التعميم الذي نحل اليه او نعيضه صياغة منطقية مستقلة عن الواقع الامبيرى رغم انه عنصر اساسى لفهم هذا الواقع . وقد ارتبط معظم صوري Transcendental بنظرية كمنطوق المعرفة وهو بذلك ينطوي ضمنيا على معنى التجاوز للصياغة الامبيريقية للفروض الا انه يعتمد على منطق الاستدلال الرياضى وهذا المعنى الذى يشير للتجاوز فى المعظم قد يساعدها على ربط هذه القروض بمعظم يرفع<sup>(١)</sup> Aufgehoben لهيجل والذى يشير لدايتين دالة الفعل بين جوانب

الاتفاق وجوانب الاختلاف لموضوعين ( يشكلان القضية ونقيض القضية ) . ورفع الاتفاق بين الموضوعين فى مركب جديد متطور يختلف عن الاصول<sup>(٢)</sup> ، وذلك كان نرفع النظريتين الكلاسيكيتين فى علم الاجتماع الوظيفية - والجدلية / بناء على الاتفاق فيما بينهما لنظرية عامة على نحو ما فعل كان دى بيرج<sup>٣</sup> فى صياغته للنظرية السيولوجية العامة لعلم الاجتماع . وهذا الرفع يحتاج لجهد وصفى وتفسيرى على المستوى النظرى/لكى تحدد التعميمات المرفوعة فى فئات يمكن ان تفسر العلاقة الدائسة فيما بينها، والتي تربطها ببعضها وتكون منها نساذا نظريا متكاملًا والاستدلال هنا استدلال رياضى موجه بالفرض الصورى الذى يخلق وهيئ الوصف والتفسير بالنسبة لعملية الرفع والصياغة

(1) Solf, Ivan, An Introduction to Hegel's Metaphysics, Chicago: The University of Chicago Press, 1969. p. 139.

(٢) السيد على شتا ، سيولوجية الانحراف فى المجتمع الجماهيرى ، المجلد الحداثة القومية ، القاهرة ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٧٢ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

#### النظرية للنسق النظرى العام .

والواقع ان الخصائص والعلاقات التى يتناولها الفرض المصورى علاقات فرعية لاندراجها رغم اننا نفترض وجودها. ونستند اليها في لهم طواهر معينة او موضوعات معينة يتضمنها النسق النظرى. ولا يمكننا فهمها الا عن طريق هذه الفروض. وربما كان ذلك اساسا منطقيا لنسبة تلك الفروض المورية بالفروض الفرعية .

واذا كان من شروط الفرض العلمى السليم قابليته للتحقق الامبيرى على نحو ما هو حادث بالنسبة للفروض الوصفية والفروض التفسيرية فان التحقق الامبيرى غير مباشر بالنسبة للفروض المورية. وما نعنيه بالتحقق الامبيرى هنا بالنسبة للفرض المصورى هو قابلية ما يستنتج منه من وصف وتفسير منطقي، لموضوعات النسق النظرى، وقضاياها المستنبطة رايضا للتحقق وكذا ما يستنبط منها من قضايا اخرى تلزم عنها يمكن تحقيقها تحقيقا امبيريا مباشرا. ومن ثم جاءت امكانية التحقق الامبيرى غير المباشر للفروض المورية .

واذا ما تناولنا خاصيتى الفرض الفرضى الوصفية والتفسيرية، تتحدد لنا طبيعة الاداء الوظيفى لهذا النوع من الفروض الذى يتوزع بين وظيفتى الوصف والتفسير . ولما كان من شروط الفرض العلمى ان يكون محددا وغير متعدد الاعداد، فيمكن ان تصاغ فروضا تُعنى بالوصف النظرى لموضوعات الانساق النظرية، و لنسق العلمى بصورة عامة. باعتبارها الظاهرة الاساسية موضوع الفرض الذى يساعدنا على فهمها، وتحديد انواع قضاياها. او القوانين المدرجة في هذا النسق وتعريفها في فئات او مجموعات بالاستناد لخصائص منطقية معينة. تؤلف بين كل منها ووصف نوع النتائج والقضايا ذات الطابع المورى التى يمكن استنباطها من تلك القضايا والقوانين ، وتحديد نوع الصفة الرباعية التى تعبر عن مجموعات القوانين والقضايا المصنفة. والشئ يستعان بها في المشتقات واستنباط القضايا والنتائج الاخرى التى تلزم منها والتي نخضع للتحقق الامبيرى المباشر .

ويمكن ان يصاص اكثر من فرض صوري وعلى لتصنيف قضايا النسق. كان يتناول بعضها الاساس التمييزي لمجموعات القضايا والقوانين، واساس التمييز ليمسا بينها بخاصية الالتقاء والمعارضة بين القضايا، ونوع كل منها وابعاده .  
بالالتقاء والاختلاف في نوع التجريد الذي تنهض عليه تلك القوانين او القضايا . والفكرة التي تتضمنها كل منها ، ونوع الصيغة الرياضية التي يمكن التعبير بها عن مور المفارقة والاختلاف بين تلك القوانين . وكذلك الاختلاف بين خصائص مجموعات القوانين والقضايا المصنفة وخصائص النتائج والقضايا التي يمكن اشتقاقها منها . والحدود التي تقبل عندها النتائج والقضايا التي تلزم من مجموعات القوانين والقضايا الاولى للتحقق الامبريقي .

وبتطبيق هذه الفروض الصورية الوصفية على الانساق النظرية في علم الاجتماع يمكننا التعرف على حدود الاداء الوظيفي لهذه الفروض بالنسبة لقيام النظرية على اساس علمي . ولناخذ مثالا لذلك بمحاولة " فان دن بيرج " للتأليف النظري بين النظرية الجدلية والنظرية الوظيفية في علم الاجتماع ، لتكوين نسق نظري عام يمكن التصور السيولوجي لعلم الاجتماع في دراسة الواقع الاجتماعي وما يحويه هذا الواقع من ظواهر ومور التفاعل والعلاقات المختلفة .

وقد تناول فان دن بيرج قضايا النظرية الجدلية، والنظرية الوظيفية بالتحليل لتحديد ما بينهما من جوانب التقاء وجوانب مفارقة وحدد مدخل لمعالجة النظرية بتحديد قضايا النظرية العامة على اساس حرك الالتقاء بين تلك القضايا ، بالنسبة للموضوعات التي تتناولها النظرية . وكان عليه منذ البداية ان يحدد خصائص تلك القضايا الأولية ، ثم خصائص القضايا العامة المشتقة منها . ولتحديد تلك الخصائص طرح فروضا وصفية اربعة ، يتناول كل منها سمة من السمات العامة

للقضايا على أساس التقائها<sup>(١)</sup> . وكان أول تلك الفروض الموروثة الوصفية  
يشير طبيعة المدخل للنظريتين إحداهما على أساس صفة الشمول والكلية .  
والمدخلين يتصلان بالكلية أو الشمولية . حيث إنهما ينظران للمجموعات  
كأنها تنطوي على أجزاء مترابطة .

وفي ضوء هذا الفرض الفرض الوصفي حددان من يبرج خاصية كلية المدخل .  
وحدد نوع القضايا التي ينهض عليها أي من الاتجاهين . وحدد طبيعة التقائهما .  
وكان الفرض الوصفي الثاني متمثلاً في ازدواجية الدور لكل من الصراع  
والاجتماع في قضايا النظريتين . وفي ضوءه حدد القضايا التي تحتل هذا الدور  
المزدوج في الاتجاهين .

ويشير الفرض الموروث الوصفي الثالث : لتقاسم واشتراك الوظيفية  
والجدلية في المفهوم البؤري . للتغير الاجتماعي . وفي ضوءه صنف القضايا  
وحدد المجموعة المشتركة بين النظريتين في هذه الخاصية والمشاركة .  
وأخيراً يشير الفرض الموروث الوصفي الرابع لفئة القضايا المشتركة الست  
تتخذ من نموذج التوازن أساساً لها والذي صاغه على النحو الذي يشير لقيام  
كل من الوظيفية والجدلية على نموذج التوازن<sup>(٢)</sup>  
Equilibrium Model  
وفي ضوء هذا الفرض الوصفي حدد خصائص هذا النموذج .

والواقع أن صياغة هذه الفروض الموروثة الوصفية أساسية، وتستند إليها  
عملية صياغة الفروض الموروثة التفسيرية . التي تتناول العلاقة بين القضايا  
المشاركة في كل خاصية من الخصائص الوصفية الأربعة السابقة . والتي في ضوءها  
ناقش العلاقة القائمة بين قضايا كل مجموعة من المجموعات الوصفية .

(1) Van Den Berge, Pierre I., op.cit., pp 695-705

(2) Wallace, Walter L., Sociological Theory, London:  
Heinemann, 1969. p. 211.

في حين ان النسق النظري " لكان من سرج " لا يتضمن أية فروض وصفية، يتحدد بموجبها نوع اللغة او الصيغة الرياضية التي يستعان بها في عملية تفسير العلاقات القائمة بين قضايا كل مجموعة وصفية، ومن ثم جاءت النتائج والقضايا اللازمة عنها، والتي يفترض قابليتها للتحقق الامبيرى غير محددة، بشكل يجعلها محققة لتكامل التناول الامبيرى، بنفس المستوى المنطقى للتكامل القائم بين قضايا النظريتين، بالنسبة لكل خاصية من خاصيات المشتركة .

كما ان غياب الصيغة الرياضية من نسق " فان دن بيرج " لم يمكنه من ميدان فروض مبررة تفسيرية، تناول العلاقة القائمة بين قضايا كل مجموعة وقضايا المجموعات الاخرى، والتي تدعم الميافة العلمية لنسق النظرية . وبذلك اقتضت الفروض المبررة التفسيرية على مجرد تفسير القضايا وعلاقتها ببعضها من خلال الخصائص الاربعة الاساسية التى تضمنتها الفروض الوصفية. كما ان غياب الفرض الوصفى الذاتى بالصيغة الرياضية للتفسير، وعدم استكمال الفروض التفسيرية التى تتناول العلاقة بين قضايا كل مجموعة من المجموعات الاربعة، وقضايا المجموعات الاخرى وعلاقته بين قضايا النسق النظرى العامة القائمة على الاتداء والقضايا الاخرى لايمن النظريتين المتقابلتين لم يمكنه من استخلاص النتائج والقضايا التى تقبل التحقق الامبيرى المباشر . والذى يعتبر شرطاً اساسياً من شروط الفرض العلمى المبرر .

ومن ثم يعتمد الاتصال بين النسق النظرى والواقع، وقابليته للتحقق والاختبار الامبيرى على استكمال ميافة الفروض الوصفية، والفروض التفسيرية، وتحديث الصيغة الرياضية، التى يستعان بها في عملية اشتقاق وتوليد النتائج والقضايا اللازمة عن القضايا الكلية، والتى تقبل التحقق الامبيرى ، وتقيم الاتصال بين النسق النظرى والواقع العلمى .



ولى فهو ذلك يمكن قبول وجهة نظر عالم الطبيعة الهولندي كريستيان هويجنز<sup>(١)</sup>،  
التي تشير الى ان هذه الفروض النظرية ترتبط بنوع من البرهان ليس على مستوى  
الرهاس الهندسى من حيث محتوى اليقين<sup>(٢)</sup>، وذلك لان علماء الهندسة يشبتون  
قضاياهم بمبادئ يقينية لا يخالجها الشك. في حين ان مبادئ الفروض النظرية  
يتم اختبارها من خلال النتائج والقضايا التي تمتنع منها. ومن ثم يخضع  
مستوى اليقين بالنسبة لهذه الفروض بمدى التحقق الامبيرى للنتائج المستنبطة  
منها. والشيء اذا ما اتفقت بصورة تامة مع الظواهر الملاحظة، وكثرت الامثلة  
القابلة للتحقق الامبيرى، فداننا نكون بعدد حقيقية قابلة للتحقق الامبيرى.  
وعلى أساسها يكون النسق الثرى موضعاً للتحقق والقبول.

#### ٢ - الفوارن بين الفروض الامبيرية والفروض النظرية .

عندما يشبت الاختبار الامبيرى للفرض صحة هذا الفرض يمكننا عند هذا  
المستوى تسمية التعميم Generalization بالقانون Law .  
شريطة ان تكون المعطيات ذات اهمية كافية<sup>(٣)</sup>، وذلك لان شوب الفرض امبيرى  
لا ينفذ دليلاً كافياً فقط على تسميته بالقانون .

وذلك لان قدرة المعطيات الجديدة التي تنتجها الفروض التي تم التثبت  
منها، على الانضمام الى المعطيات السابقة بحيث يتألف منها جميعها حكم ذات دلالة  
موحدة ، وقدرتها على تحديد المشكلة، هي التي تغنى على التعميمات مشروعية  
تسميتها بالقانون. وبذلك فان الفرض الذي يدافع به حل ما لمشكلة معينة .  
يلزمه ان يدافع بصورة تمكنه من تزويد اجابا بالمعطيات الجديدة الستى  
تملأ اللجوات التي تتخلل المعطيات التي سبق لنا ان حصلنا عليها<sup>(٤)</sup>، وذلك  
حتى يمكن تسمية التعميمات المعطاه من اختبارها امبيرى بعد التثبت  
منها بالقوانين .

(١) دكتور محمود زيدان ، المرجع السابق، ص ١٦٢  
(٢) Simon, Julian L., Basic Research Methods In Social Science  
New York: Random House, 1969, p 38.

ولاشك في أن للعلم هدف واضح يتمثل في تكوين قوانين عامة سواء كانت هذه القوانين واقعية او تمورية ، الا أن إقامة مثل تلك القوانين العامة لا تستنفذ مهمة العلم كلها . وذلك لانه عندما نعمل الى تعميم لاي معنى ذلك ان القضايا والفروض التي تناولت المفردات قد فُرِغت مهمتها على نحو ما يزعم البعض وذلك لان التعميمات دورها الفعال في تحديد المفردات ذات الدلالة العلمية في فهم الواقع .

فالواقع ان كلمة عام هنا ذات معنى مزدوج يتعلق اولها بوصف نوع من الانواع التي تنتمي اليه الظاهر<sup>(١)</sup> . فحين يدل التحقق الامبيرى على قيام اقتسيران معين بين السمات او يتأكد هذا التحقق الامبيرى بدون اليام اى استثناء يكشف عنه التحقق التجريبي نكون بمقدور تعميمه . وعندما تكون تلك العلاقة القاسمة بين الانواع عسوية في نسق من قضايا كلية متعلق ببعضها ببعض نكون في هذه الحالة بمقدور قانون يدل على ما نسميه بحقيقة عامة كقولنا " المصباح يذوب في درجة حرارة ٢٢٣ مئوية<sup>(٢)</sup> .

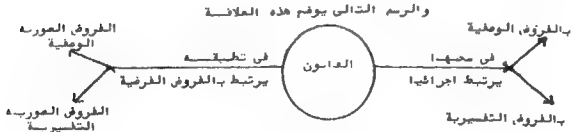
وهنا يتضح ان مهمة العلم تتجاوز حدود التعميمات ، اذ انه بعد تكوين التعميمات تستخدم تلك التعميمات في عملية إعادة تكوين المفردات التي هي اساس التعميمات بعورة موجهة . والهدف من إعادة التكوين هنا انها تساعدنا في تغيير ماذا يحدث خلال التفاعل الذي يقع في الحالة المفردة الواحدة ، وذلك لان هذا التفاعل هو الذي يقرر ماذا تكون السمات المشاهدة التي اذا اقترنت معا حدثت نوعا معينا . واذا ما ثبتت مجموعة التفاعلات او الارتباطات بين المتغيرات كانت هي نفسها التعميم . والواقع ان تجربتنا لتلك التفاعلات هو الذي يجعلها محسلة للادراك العقلي وهو يتم بالاستعانة بالمصيغ الرياضية التي ننشئ قضية كلية . على ان يكون تطوير المصنفه الرياضية خلال خطوات التفكير النظري . وبذلك يكون نتائج ذلك تعميما في شكل قانون لا يشير للوجود الخارجي بعورة مباشرة . الا انه يحدد

(١) جون ديوى ، المرحوم السابق ، ص ٦٦٨

(٢) جون ديوى ، المرحوم السابق ، ص ٥٥٩

القواعد التي تنظم بها الوقائع الفعلية، بتحقيق الإجراءات التي تنطوي عليها صيغته النظرية "أي صيغة القانون .

ومن ثم تتفتح لنا العلاقة الشائكة بين القانون والفروض الإجرائية ( وصفية - وتفسيرية ) والفروض النظرية ( وصفية وتفسيرية )



الفروض الإجرائية وصفية وتفسيرية عندما تثبت بالتحقق التجريسي وتكرر معطياتها في الأمثلة المختلفة تتحول تلك المعطيات لتعمم في شكل قانون .

وعندما تستخدم التعميمات في عملية إعادة تكوين المفردات بصورة موحدة ، والتي هي أساس تلك التعميمات فإنها تحتاج للفروض النظرية (وصفية وتفسيرية) حيث تهتم الفروض الوصفية هنا في وصف القوانين وتحديد فئاتها بصورة موسعة تتجاوز بها نطاق الأشياء التي شوهت فعلا، واستند إليها في التثبت من معطيات الفروض الإمبيريقية، تلك المعطيات التي عمت في قانون . ثم تتناول الفروض النظرية الوصفية أيضا طبيعة التفاعل الذي يقع في الحالة المفردة الواحدة ليسير به إلى كافة الحالات بحيث تكون هيئة نموذجية لمجموعة من التفاعلات . وهنا يعمل الفرض النظري التفسيري الذي يتناول تفاعل الهيئة النموذجية في علاقته بمجموعة التفاعلات أو الارتباطات بين المتغيرات، والتي إذا ثبتت لنسأمكن تسميتها بالتعميم أو القانون ، وربط مجموعة المتغيرات تلك بمجموعة أخرى من المتغيرات الأوسع نطاقا، وهذا نكون بصدد تعميم يربط أنواعا ببعضها قامت

على اساس السمات المشتركة التي اقترنت ببعضها، وتحققت عن طريق الاجراءات  
الامبيريقية. وبذلك تسهم الفروض التفسيرية في عملية تجريد التذاعسلات  
لقبولها عقليا، وميالتها في شكل قانون يمكن ان يتولد عنه نتائج اجرائية .  
تنطوي عليها صيغة النظرية، ويستخدمان بها في تنظيم الوقائع الفعلية .  
ولو طبقنا ذلك على مثال من النظريات الاجتماعية لكان النسخ الاستدلالي لصياغة  
النظرية العامة عند "دان دن برج" اكثر تلك الامثلة قبولا للتطبيق، وكذلك محاولة  
ولتر ولسر لصياغة النظرية العامة .

وبالاضافه الى ما قلناه بالنسبة لعلاقة التعميمات بالفروض المصورية  
الوصفية والتفسيرية في مثال "دان دن برج" (١) نجد ان القصور في استكمال  
صياغة النسخ النظرى العام عند "دان دن برج" يرجع لعدم استخدامه للتعميمات  
الاربعة التي اقام عليها نسقه النظرى في تنظيم المفردات التي قامت عليها  
تلك التعميمات، والتي تضمنتها قضايا النظرية الوظيفية، والنظرية الجدلية .  
وذلك لتنظيمها اى تنظيم قضايا النظريتين، والتي بلغت اربعة عشر فقرة، موزعة  
بين النظريتين في حدود سبعة قضايا اساسية. وتشكل المفردات التي نهضت عليها  
التعميمات الاربعة للنظرية العامة . وذلك لاعادة تكوين تلك المفردات على  
نحو موحده وسعوره تتيح لنا تقرير ماذا يحدث بالنسبة لكل حالة مفردة واحسده .  
والاستدلال من كل منها على كافة الحالات الاخرى، وتنظيم الارتباط فيما بينها  
في الاداء بين المتغيرات ( الارتباطات ) وادراجها في مجموعات تندرج بدورها  
تحت مجموعات اخرى اوسع نطاقا . وذلك لتحديد الارتباط بين الانواع بصورة  
تجعلها مدركة عقليا، وقابلة لاستدلال النتائج التي تقبل التحقق التجريبي  
في ضوء العلاقة بين المفردات والتعميمات التي قامت عليها، حتى نتأكد من قدرة  
هذه التعميمات على تنظيم مفرداتها وقابليتها للتطبيق عليها دون حدوث  
استثناءات تخلفن عموميتها .

(1) Wallace, W., op.cit., pp. 202-212.

وفى ضوء تحليلنا لمكونات العنصر النظرى للمنهج العلمى اتضح ان الطريقة المنطقية لبداية البحث هو ان نبدأ بالفرض<sup>(١)</sup>، والذي يحكم عملية صياغة الفرضية مدى فهمنا لاجزاء العنصر النظرى للمنهج العلمى . واعتمادنا على الاستدلال Reasoning بدائىية الاستقراي والاستنباطى باعتبارهما صورتين لعلاقة متبادلة فى عملية اشتقاق تلك الفروض<sup>(٢)</sup> .

### ٣ - مكونات العنصر الاجرائى للمنهج العلمى

ان الطريقة للمنطقية لبداية البحث هى ان نبدأ بالفرض<sup>(٣)</sup> سواء كان مصدره ملاحظة الوقائع، اى من طريق استقراء الوقائع وصياغته فى ضوءها (اى من طريق الاستدلال الاستقراي)، او كان من طريق الاستدلال الاستنباطى بمعنى اشتقاقه من القضايا العامة للنظريات او من القضايا الاقل عمومية التى تنهض عليها النماذج . تلك النماذج التى يمكن ان تنطوى تحت نظرية معينة . بحيث يمكن لنظرية واحدة ان يكون بها نموذج او نموذجين او اكثر<sup>(٤)</sup> .

وترجع كدافة عملية صياغة الفروض واستدلالها لدى استيعاب الباحث لمكونات العنصر النظرى للبحث العلمى، وذلك ما تناولناه سلفا بشئ من التفصيل .  
عمر ان البحث لا يلقى عند هذا الحد اى عند مرحلة صياغة الفروض بل يحتاج الى جمع البيانات الكافية والملائمة لكى يختبر فئتيه او ما ستفهمه الفرض من معانى وتعميمات<sup>(٥)</sup> بهدف التحقق منها . ومن ثم تكون الخطوة الثانية

(1) Gopal, op.cit., p. 123

(٢) جون ديوى، المرجع السابق، ص ٦٧٧ - ٦٧٨ .

(3) Gopal, Ibid., p. 123

(٤) مثال لذلك ان نستنبط الفرض من القضايا العامة التى حدها فان دن بيرج " للنظرية العامة . او ان تستنبطها من نموذجى النظرية المتمثلان فى النموذج الجدلى، والنموذج الوظيفى . اى ان يكون اى من النموذجين فى موقع النظرية العامة، وتستنبط منسباتها فروعها، او تستنبط من النماذج المفردة المنفردة تحتها فروضا على نحو ما حدث بالنسبة لنموذج " روبرت ميرتون " للانحراف . انظر Forrester & Richer p.65

(5) Gopal, Ibid., pp 62-61.

للمنهج العلمى هى اختبار الفروض وما تتفمنه من معانى وتعميمات من طريق جمع المادة العلمية الكافية، والملائمة حول الفرض، وبالقدر الذى يمكننا من القيام بالتحليل الوصفى، والتحليل التفسيرى للتحقق من الفرض. والذى يمثل المرحلة الثالثة للمنهج العلمى، والذى يستند عليها التنبؤ حسب سلوك الاجتماع البشرى<sup>(١)</sup> . التنبؤ الذى يعنى القدرة على توقع نتائج السلوك المعطى ، والتوقع هذا تنبؤ مبنى على تقدير علاقته ما بين ظاهرتين او حادثتين وهذه المعرفة او التحكم فى الظاهرة هو الذى يسمح لنا بالتنبؤ حول الاخرى<sup>(٢)</sup> . واذا كان الاتفاق عاما على ان الوصف والتفسير<sup>(٣)</sup> موضوعات اساسية للعلم، يعتمد عليها فى الوصول لتنبؤات سليمة حول مستقبل الظواهر والاحداث والسلوك والعلاقات الاجتماعية، فان ذلك كله يعتمد فى المحل الاول على مدى كفاية العنصر الاجرائى للمنهج العلمى، ومكوناته التى نعتد عليها فى جميع البيانات الكافية والملائمة لاختبار ما تتفمنه الفروض المعطاه (اي المطروحة للدراسة) من معانى .

ولما كان المنهج العلمى يعرف فى الانسيكلوبيدا البريطانية بأنه: معطى عام او كلي، يشير لمختلف العمليات التى تساعد فى تقيمه العلوم<sup>(٤)</sup> من احكام، ومن ثم يجرى المنهج العلمى جميع التفسيرات الضرورية لمختلف المناهج لكى تكون قابلة للتطبيق . وذلك لا يخل بوحدة منطق المنهج العلمى، ولكن يؤكد على ان المنهج العلمى واحد سواء فى العلوم الطبيعية او فى العلوم الاجتماعية، نظرا

(1) Forcese & Richer, op.cit., p. 13

(2) Forcese & Richer, Ibid., p. 6

(٣) أكد على الوظيفة الوصفية للعلم كل من " ارنت ماخ " Mach " واستدالد " Ostwald " وكارل بيرسون " Pearson ، والعديد من علماء المناهج أمثال جود Goode وهات Hatt وفورسيه Forcese وريشر Richer وجوبال Gobal وذلك ما تضمنته مؤلفاتهم التى ورد ذكرها فى صفحات هذا العمل .

(4) Encyclopedia Britannica, 1941, Vol. XX p.127. See Gobal op.cit.p.65

لذالته لإجراء التعديلات اللازمة لمختلف الطرق المنهجية اللازمة والعلامة  
لطبعة الموموع ويضع لهذا التعديل والاختبار الطرق المنهجية، والاساليب  
والادوات المنهجية والتي تعد من المكونات الاساسية الاجرائية للمنهج  
العلمي في مختلف العناصر الاجرائية الاساسية المتمثلة في الملاحظة ،  
والفروض والتحقق<sup>(١)</sup> والتي لكل منها مكوناتها الاجرائية الاساسية، ومن ثم  
ندافع المكونات الاجرائية للمنهج العلمي المتمثلة في :

- الطرق المنهجية .
- الاساليب المنهجية .
- الادوات المنهجية .
- اساليب التفصيل الوفقي والتفصيلي .

والتي تشكل مع بعضها دوائر اربعة اساسية حول مركز اساسي واحد للمنهج  
العلمي في المجال الاجرائي بعاصرة الاجرائية الثلاثة المتمثلة فسي  
الملاحظة والفروض، والتحقق .

وبالنسبة للملاحظة والفروض فقد ناقشنا هذا في سياق تحليلنا للعناصر  
النظرية للبحث اذ انهما يرتبطان ارتباطا وثيقا باخرات العنصر النظري .  
ونظرا لان هذه العناصر الاجرائية الثلاثة مقومات اساسية لثلاثة للمنهج العلمي  
نعرف، للعنصرين الاول والثاني من قبيل ابراز اوطاف الرابطة القائمة بينهما  
وبين العنصر الثالث وهو التحقق ثم نولي عنصر التحقق مزيدا من التفصيل لاذاج  
جوانبه الاساسية الثلاثة المتمثلة في :

---

(١) Guba, op.cit., p. 65

• بجانب جمع البيانات .

• بجانب تحليل البيانات الوصفى والتفسيري .

• بجانب الختام بالتنسيق .

على أساس ان هذه الجوانب الثلاثة مترابطة ويعتمد كل منها على الاخرى لجميع  
البيانات قاعدة أساسية لعملية الوصف والتفسير كما ان التحليل الوصفى اساس  
للتحليل التفسيري .

ثم يأتي التنسيق مستندا على الوصف والتفسير ، وبذلك نتناول عنصر التحليل  
كعملية ذو مراحل ثلاثة .

١ - المكونات الاجرائية على مستوى الملاحظة<sup>(١)</sup> الميدانية .

يعتمد على الملاحظة بهذا الفرع العلمى سواء كان فرعا وصفيا او فرعا تفسيريا  
او فرعا موزنا . وما نمنيه بالملاحظة هنا ليس الملاحظة العادية . وانما نعني بها  
تلك الملاحظة العلمية . التي تركز على البيانات المفيدة المتاحة للباحث  
قبل بداية بحثه . وهي التي تستقى معرفتها من مصادر اساسية ثلاثة :  
التراث المفيد سواء كان هذا التراث نظريا او كميا . والملاحظة الشخصية  
للباحث بالنسبة للوقائع المتعلقة بالمشكلة المعطاة . والتقديرات الشخصية  
للباحث<sup>(٢)</sup> .

(١) تدخل الملاحظة في عملية البحث في مرحلتين مختلفتين - اولهما هي الملاحظة  
الميدانية والتي تبدأ بالبحث . والتي تستهل البحث باعدادها فرعا أو أكثر مما  
يرصد هذا المستوى تكون المعرفة المحتملة ملائمة لهذه الملاحظة . وفي المرحلة  
الثانية تدخل الملاحظة كأداة منهجية لجمع البيانات والمساعدة في التحقق  
وليس لميافة الفروض .

(2) Cobal, op.cit., p. 65



ومن ثم نركز تناولنا هنا على الملاحظة المعيارية للفروض . والتي تعتمد على التراث النظري والكس المتاح وحيثنا المنهجية هنا الاستدلال الاستقرائي والاستنباطي لاشتقاق الفروض وانواعها المختلفة ، وهذا يكون التطبيق الواسع والتفسيرية بمثابة أداة أساسية للمصاغة أي لصياغة الفروض .

وبالنسبة لهذا النوع من الملاحظة أي بالنسبة للملاحظة المتعلقة بصياغة الفروض ثمة تحفظات تطرح نفسها لكي تكون محل اعتبار الباحث عند قيامه بعملية صياغة الفروض سواء كانت فروضاً إجرائية أو فروضاً صورية نظرية ، وهذه التحفظات تتعلق باعتماد الملاحظة هنا على الخبرة الحسية ، والتي قد لا تكون دائماً محددة ودقيقة . كما قد توجد صعوبة في التمييز بين المعادير الأولية والمعادير الثانوية التي يتبدل مثلاً على الوقائع والانطباعات . هذا بالإضافة إلى التحفظ المتعلق بالملاحظات المحددة أو البهينات المسجلة التي توجد في التراث أو من الملاحظات الشخصية . والتي قد لا تكون محددة بالقدر الكافي<sup>(١)</sup> . أف ذلك أن المعرفة الكافية بالتراث النظري والكس قد لا تكون متوفرة لدى الباحث . ومن ثم تأتى استدلالنا لغير كافية عند صياغة الفروض .

#### ب - المكونات الإجرائية على مستوى صياغة الفروض<sup>(٢)</sup>

وتتمثل الخطوة الإجرائية الثانية في المصهج العلمي في صياغة فرض أو أكثر ، يبدأ بها البحث وتوجه مسلكه في جمع البيانات وتحليلها بهدف التحقق منها . وذلك لأن جميع خطوات البحث التالية تدور حول التحقق من الفروض بهدف اختبارها وليس بهدف البرهنه على صحتها .

(١) Gopal, op.cit. p.66

(٢) /٢١/ للوقوف على مزيد من الموضوع بالنسبة لصياغة الفروض وانواعها راجع الحز' الخامس بالفروض من هذا الفصل والمصدر في العنصر النظري للمنهج العلمي .

وتتوزع هذه الفروض بين فروض امبيريقية وعقيدة كانت ام تفسيرية. وفروض  
نظرية. وعقيدة كانت اوتفسيرية ومما هو جدير بالذكر ان هناك لزوم في صياغة  
نمط الفروض الاجراشية والنظرية وذلك لان تلك الفروض النظرية وهي  
اساسية بالنسبة للفروض الاجراشية من حيث وصفها وتجميعها في لئسات  
وانواع معينة كما ان الفروض النظرية الاجراشية تتناول العلاقة القائمة  
بينها وذلك جزء من اجراءات التحقق المنهجى من الفروض ، كما ان تلك الفروض  
النظرية تلعب فى وصف التعميمات التى يمكن استخلاصها بعد التحقق الامبيريقى  
من الفروض الاجراشية ، لكشف ما بينها من علاقات يمكن ان ندرجها فى نسق متكامل  
يتسق مع نسق العلم .

والواقع انه بدون الصياغة العلمية للفروض قد لا يُنفذ البحث بطريقة  
مُرضية<sup>(١)</sup> .

#### جـ - المكونات الاجراشية لمراحل عملية التحقق الامبيريقى :

- يعتبر التحقق Verification الخطوة الثالثة من خطوات المنهج العلمى .  
وهى المحور الاساس للبحث والمدخل العلمى . وهى تتكون من ثلاثة جوانب  
اساسية تتمثل فى :
- جمع البيانات .
  - التحليل الومفى والتفسيرى للبيانات المؤدى لاختبار الفرض .
  - واستخلاص التعميمات التى يعتمد عليها العلم فى صياغة تنبؤاته<sup>(٢)</sup> .

(١) Gopal, op.cit., p. 66

(٢) Gopal, Ibid., pp 66-67.

ولكل من مراحل التحقق الإجرائي تلك مكوناتها الإحصائية الأساسية التي  
يسمى بها لتحقيق المعرفي الإجرائي منها في سداد عملية التحقق من المعرفي .

مراحل جمع البيانات : نتحدد في ضوء متطلبات التحقق من الفرض وما إذا  
كان الفرض ومعنى أو تفسيره والذي يحدد بدوره نوع الدراسة التي تجرى  
لجمع البيانات، فإذا كان الفرض ومعنى الفرض ذلك نوعاً من الدراسات الوصفية  
والإحصائية وتحدد أبعادها وما ينبغي الحصول عليه من أوصاف للظواهر ،  
وذلك لتقديم تقديرات دقيقة لحدوث الظواهر وتوزيعها وما يوجد بينها من  
علاقات، والبحث الوصفي هنا يفيد في جمع الحقائق حول الظاهرة. وهو أي البحث  
الوصفي Descriptive Research يفيد في وصف المجموعات الظاهرة  
وفئتها ويساعد في تحديد العوامل المتصلة بها تحديداً مبدئياً. ووصف العلاقات  
القائمة بين تلك العوامل. كما أنه يوفر المعلومات التي تمنح الفرصة لمبدأ  
الفروض التي تتناول العوامل وما بينها من علاقات في مواقف معينة .

ورغم أن البحث الوصفي لا يتضمن استخدام التجارب بذاتها إلا أنه يسعى للكشف  
عن طبيعة العوامل التي توجد في مواقف معينة ، ووصف العلاقات التي يمكن إيجادها  
بين تلك العوامل .

ورغم أن البحث الوصفي هنا يبنى على جمع البيانات إلا أنه بالإمكان توسيع  
نطاقه، خاصة إذا ما كانت هناك فروق وصفية تتناول خصائص الظاهرة وفئاتها  
والعوامل المرتبطة بها، وطبيعة العلاقات القائمة بينها وهنا يمكن أن تذهب  
الدراسات الوصفية في جمع المادة لحدود أبعد من مجرد جمع البيانات  
وحدولتها . حيث أنها تتضمن هنا عناصر من مظاهر تفسير معنى، أو دلالة لما يتفحصه  
الفرض الوصفي .

ومن الأساليب المنهجية التي يستعان بها في البحوث الوصفية . المسلوب  
المسح الاجتماعي سواء كان المسح الشامل أو المسح السالحيه والسلوب دراسة الحالة .  
والأسلوب التتبعي لدراسة النمو والتطور .

والتكبريفي طريقة أو السلوب جمع البيانات يتم قبل القيام بالبحث الوصفي  
وكذلك تحديد وحدات الدراسة، وما إذا كانت أفراداً أم جماعات، معينه مثل الأسرة

..... او جماعات عمل ..... او جماعات شيوخ .....ام تنظيمات اجتماعية باكملها  
او انداق للمجتمعات محلية سواء كانت ريفية او بدوية او حضرية

ثم يتبع ذلك التفكير في الادوات التى يستعان بها في جمع البيانات الوصفية من وحدات الدراسة وتحديد هذه الادوات يتوقف على طبيعة المشكلة والطريقة او الاسلوب المتبع في الدراسة، وذلك لان كل اداة تلائم الحصول على بيانات معينة. وقد يلزم في بعض الحالات عدم الاقتدار على اداة معينة ويمكن استخدام الادوات الخاصة باستطلاع الراى في الدراسة الوصفية مثل الاستفتاء الخاص باستطلاع الراى والاستفتاء الخاص بالتعرف على الاتجاهات نحو القضايا العامة في المجتمع والمواقف الاجتماعية واساليب الحيلة وبذلك يكون الاستفتاء او استمارة البحث هي احد الادوات التى يستعان بها في جمع البيانات الوصفية .

وكذلك تستخدم ادوات اخرى مثل المقابلة ، وذلك نظرا لان كثيرا من الناس يميلون للتعبير عن افكارهم شفويا مما لو طلب منهم كتابتها وبذلك يمكن الحصول على بيانات اكثر منهم عن طريق المقابلة بانواعها المختلفة كما تستخدم ايضا في الدراسات الوصفية ادوات قياس وتقدير اخرى مثل الاختبارات المقننة ، والمقاييس السيومترية والاستقاطبية .

اما عن الاساليب الاحصائية التى تستخدم في البحوث الوصفية والتى تلائم طبيعتها المادة المتاحة فهى تلك الاساليب المتعلقة باخراج النيب المئوية ومقاييس التشتت والمتوسطات الحسابية ..... الخ .

اما عن الاساليب التحليلية المستخدمة بعد معالجة البيانات الوصفية والحقن من الفرض الوصفى، اذا ما كانت الدراسة موجهة بفرض وصفى ، فهى التحليل الوصفى Descriptive Analysis ومما هو جدير بالذكر انه في حالة وجود

فروغ وصفية فإن اختبارها يتم باستخدام أطوس دراسة الدالة والمسح الاجتماعي<sup>(١)</sup> والواقع أن تطيل البيانات الوصفية هذا يتناول جانباً من الوصف هما الوصف النوعي ، والوصف الكمي ، وبذلك يهتم البحث الوصفي بملاحظة وصف العوامل التي تؤثر في موقف معين ، كما أنه قد يتعدى حدود التحليل الوصفي لمستوى التحليل التفسيري لما يوصف. ومع ذلك فإن البحوث الوصفية لا تزودنا بالنظريات التي تفسر العلاقات والتفاعلات بين الأحداث. وذلك رغم أنها تزودنا بالمعلومات والبيانات التي يمكن أن نقيم على أساسها النظريات. وبذلك يمكن اعتبار البحوث الوصفية من البحوث التي تساعد الباحث في العلوم الاجتماعية لتحقيق أهدافها في شرح السلوك والظواهر ووصفها والتحكم فيها، والتنبؤ بمستقبلها ، غير أن المعدلة المباشرة للمتغير وتوفر المعرفة المتعلقة بها يمكن تحقيقها عن طريق البحوث التجريبية<sup>(٢)</sup> .

هذا في حالة الفروض الوصفية. أما إذا كانت الفروض تفسيرية لذلك يقتضي تفسير المعرفة عن طريق المعدلة المباشرة للمتغيرات وما بينها من علاقات. وذلك يتم عن طريق البحوث التجريبية والدراسات التتبعية التي تتخذ من المنهج أي الطريقة التجريبية مدخلاً لها في اختبار الفروض .

وتستعين هذه الدراسات بالتحربة كطريقة أساسية للبحث، وقد تكون وحدات الدراسة مجموعات من الأفراد، أو جماعات ونماذج لمجتمعات محلية، ريفية أو حضرية أو بدوية . وقد تستعين بمجموعتين فابضة وتجريبية لإجراء التعارب عليها. وهنا يستخدم الاستقراء كطريقة أساسية للبحث العلمي في التحقق من الفروض التفسيرية سواء كانت فروغ بسيطة تشير لعلاقة بين متغيرين أي علاقة سببية أو علاقة بين مجموعة متغيرات أو تفاعل العديد من المتغيرات على أساس ما بينها من علاقات وظيفية . وقد يستعان بطرق<sup>(٣)</sup> حوث استوارب مثل

(1) Forcese & Richer, op.cit., p. 195

(2) Lovell, K. & Lawson, K.S., Understanding Research in Education, London University of London Press, 1970. Chapter 3.

المتشابه في طريقة الاتقاد ، وطريقة الاختلاف ، وطريقة تلازم التفسيرات  
أو الجمع بين الاتقاد والاختلاف ، وطريقة المغير النسبي، وطريقة البواقي<sup>(١)</sup>  
ومن الأساليب الأساسية المستخدمة في البحوث التفسيرية المقاييس الاجتماعية  
كذلك .

ويمكن استخدام ادوات متعددة لجمع البيانات التفسيرية حول الظاهرة  
بهدف اختبار الفروض التفسيرية ، غير ان الاداة الأساسية في البحوث  
التجريبية هي الملاحظة ، ويمكن استخدام استمارات تتضمن مقاييس فرعية  
للمتغيرات التي يستهدف قياسها .

اما عن المعالجة الاحصائية للبيانات التفسيرية فتتوزع بين مقاييس  
تحليل العلاقات واسلوب التحليل العائلي وغيرها من المقاييس التي تكون ذات  
دلالة في الكشف عن الارتباطات القائمة بين المتغيرات ومدى ما بينها من  
اعتماد .

اما عن الاسلوب السيولوجي للتحليل، فيتمثل في التحليل التفسيري  
الذي يستهدف التحقق من العلاقات التي تتضمنها الفروض التفسيرية سواء كانت  
هذه العلاقة سببية بين عاملين او بين متغيرات تابعة ومستقلة ، ووسيلة او علاقات  
وظيفية بين مجموعة من المتغيرات التي يقوم بينها التفاعل<sup>(٢)</sup> .

وبذلك فان الدراسات التجريبية بمكوناتها الاجرائية على مستوى  
الاساليب والادوات والتكنيكات الاحصائية واسلوب التحليل السيولوجي  
التفسيرية توفر الظروف التي تؤثر في الظاهرة وتغيظها وتعديلها عن قصد .  
بما يفرض وضعها تحت الملاحظة لاماكان تحليل ما يحدث في ظروف معينة وذلك كله  
يتم من تحكم وضبط تام . فتودنا لتوفير البيانات الكافية والملائمة  
للمفسر السيولوجي، والذي يوصلنا لتعميمات مطلقة لتنبؤات علمية حول  
الظاهرة موضع البحث<sup>(٣)</sup> .

<sup>(١)</sup> انظر في ذلك الفصل الخاص بالدراسات التحريبية من البحث

(2) Forcese & Richer, op.cit., p. 217-256

(3) Lovell & Lawson, op.cit., Chapter 4

وفي ضوء التحليل السابق تحدد مكونات العنصر الإجرائي للمنهج العلمي والتي صنفها يس تحديد انواع الدراسات التي تناسب الفروض المطروحة سواء كانت تفسيرية او وصفية .

١ - ويتم معالجة الفروض بين البحوث المختلفة التي ننشأول العسروض التفسيرية والوصفية والتي يمكن تصنيفها الى :

البحوث الاستطلاعية ، والوصفية ، والتنبئية ، والتجريبية ، والتاريخية .

٢ - ولكل من هذه البحوث اساليب وادواته الملائمة والطرق الاحصائية الملائمة واساليب التحليل السيلولوجي التي تتناسب مع مقتضيات التحليل سواء كان وصفيا وتفسيريا . اما عن الاساليب الاسمية للبحث الاجتماعي والتي تستعين بها البحوث والدراسات المختلفة فتتمثل في :

المسح الاجتماعي ، ودراسة الحالة ، وتحليل المفهوم ، والقياس الاجتماعي ، والتقارير الذاتية .

٣ - ولكل من هذه الاساليب مايلزمها من ادوات جمع البيانات التي تتوزم بين الملاحظة ، والمقابلة واستمارة البحث والمقاييس .

٤ - اما عن طرق التحليل الاحصائي للبيانات فتتحدد في ضوء نوعية الفروض فاذا كانت الفروض وصفية فان ما يناسبها من اساليب تحليل احصائية تتمثل في النسب المئوية ودلالة الفروق بينها ومقاييس التشبث والمتوسطات الحسابية .

٥ - وبالنسبة للبيانات التفسيرية فان ما يناسبها من اساليب احصائية تتمثل في مقاييس تحليل العلاقات مثل مقياس التوافق ، ومقاييس الارتباط ومقاييس النجاس واسلوب التحليل العنقلي . ثم ياتي اخيرا اسلوب

التحليل السيولوجي للغرض وذلك ما يحدده نوع الغرض المطروح والبيانات المتاحة من الدراسات التي تناولتها .

إذا كانت الدراسات وصية فإن التحليل السيولوجي يكون وصفيًا على المستوى النوعي والكمي لوصف الظواهر وتوقعاتها ونوع العلاقات القائمة فيما بينها .

وإذا كانت الدراسات تستهدف اختبار فروض تفسيرية فإن التحليل السيولوجي يكون تفسيرياً لتوليد المعرفة عن طريق المعالجة المباشرة للمتغيرات وما بينها من صور ارتباط وتداخل .

وعلى أساس التحليل السيولوجي الوصفي والتفسيري يمكن أن تتحقق أهدافنا في العلوم الاجتماعية في شرح الظواهر والسلوك وصفه وتفسيره، والتحكم في الظواهر المطروحة، وإصدار التعميمات المستخلصة من التفسير، واتخاذها ركيزة أساسية للتنبؤ بمستقبل تلك الظواهر (١) . بالاستناد إلى تلك التعميمات المستخلصة من المعالجة الامبيريقية للغرض المطروحة للبحث (٢) .

ولكل من مكونات العنصر الاجرائي الخمس للمنهج العلمي جوانبه اساسية الترتيبا مع بعضها، ومع مختلف الجوانب الاخرى في مراحل عملية التحليل الامبيريقى من الغرض. ومن ثم نتناول كل من هذه المكونات الاجرائية بالتفصيل في مياق معالجة عناصر البناء المنهجي المتمثلة في العداخل والطرق والاساليب والادوات المنهجية (٣) .

٤ - العنصر الشخصي للمنهج العلمي :

بقيت بعد ذلك اشارة هامة لطابعية العنصر البشرى بالنسبة للمنهج العلمى. فالشخص الذى يدير الآلة لا يقل اهمية من الآلة نفسها وذلك لان نجاح الخطوات الاجرائية للمنهج العلمى تعتمد بصورة اساسية على الباحث نفسه . ومدى ما يتوفر لديه من سلوك علمى واتجاه علمى ومدى ما يتمتع به من حيادية

(1) Lovell & Lawson, op.cit. Chapter 3, 4

(2) Gopal, op.cit., p. 67



وقدرته على توليد المشكلات الاساسية للموضوعية المتمثلة في المصدق  
والثبات وكفاية المعلومات، وعلامتها الموضوع البحث<sup>(١)</sup> والنسب  
يدعمها ايضا المعرفة العلمية المتاحة للباحث على المستوى النظرى  
والمنهجي لعلم الاجتماع .

ومن ثم نسوق مثالا يوضح اثرالعنصر الشخصى للمنهج العلمى فى  
البحوث الاجتماعية. وذلك بتحديد العناصر الشخصية للبحوث التجريبية  
فى علم الاجتماع . اذ تعتبر هذه العناصر الشخصية اكثر اهمية فى مجال  
البحوث التجريبية فى علم الاجتماع ، لمالها من اثر بالغ على سير عملية  
البحث وتفسير نتائجها واستخلاص التعميمات منها . وبذلك ينطبق على هذه  
العناصر الراى الذى يذهب الى ان الاله اقل اهمية من الانسان السدى  
بديرها. ومن ثم يكون الباحث اكثر اهمية من الخطوات الاحرائية والادوات  
الفنية . وذلك لان معرفته وقدراته وموضوعيته وخياريته تؤثرعلى معطيات البحث  
المعرفية وذلك بعينه مادفع " اسكيل بيرنر " الى حد القول بان الانسان الباحث  
يحتاج للتصور العلمى لبناء الفروض ، وكذلك يحتاج للمقدرة التحليلية  
لاقامة التجارب الحاسمة لاختبار الفروض .

ومما لاشك فيه ان المهارة والمقدرة لتنفيذ التجربة والرؤية الواضحة  
للتمييز بين ماهو اساسى وماهو غير اساسى ، من الاسباب الترتيبية للوقائع  
المفردة فى مبدأ عام<sup>(٢)</sup> . كل هذه الجوانب تعتمد فى المحل الاول على  
الباحثين بقدر مالها من اهمية فى عملية البحث . وذلك لان اى من تلك  
الكييفيات الهامة لعملية البحث يمكن اكتسابها وتنميتها . فى حين  
ان الموقف الشخصى للباحث وتقنيه لامر ما من الامور ذات علاقة بعملية

(1) Gopal, op.cit. pp. 68-73.

(2) Elgelberner, Investigation of Business Problems, p. 44

البحث واختلاص نتائجه، هو الخطر الحقيقي الكامن في عملية البحث والتفسير ومن ثم جاء تأكيد 'أرشر' على أهمية نملك النفس والسيطرة الشاملة عليها<sup>(١)</sup> .  
ولاشك ان هذه الكيفيات الشخصية تتطلب من الباحث امورا اساسية عدة ،  
لامكان جعل العنصر الشخصى غير مؤثر على سير البحث وعملية التفسير. وذلك  
ما يحدده مدخلة المنهج في الدراسة .

اذ ان اختيار المشكلة الملائمة لقدرة ، وتسهيلات البحث المتاحه  
للبيئة التى سوف يبحث فيها تلك المشكلة على جانب كبير من الاهمية ، هذا  
بالاضافة الى الجهد الذى يبذل لفهم هذه المشكلة ، والقدرة على تحديد  
جوهر المشكلة . والمعرفة الجيدة . بالطرق المنهجية التى يطبقها . كل ذلك  
يساعد على تحقيق الفهم الحقيقي والتطبيق السليم للمناهج فى دراسة مشكلة  
ومن الحقائق الاخرى المرتبطة بالعنصر الشخصى لمعرفة الباحث للحقل  
الذى يتناوله مدى معرفته العلمية بمصدر تحصيل البيانات ، حيث ان اول  
خطوة فى هذا المنحنى هى عرف التراث الموجود، والذى يمكن ان يزودنا برؤية  
حول الموضوع ويساعدنا على التفكير النظرى حول المشكلة واختبار فرضياتها  
وبالتالى يخلصنا من تكرار الجهود غير المجدية . وذلك بدوره يساعد  
الباحث على تحديد العوامل والجوانب والخطوات التى يمكن ان يتبعها فى  
تحليله . ومن ثم اهتم علماء المناهج بترشيد الجانب الشخصى لفهم حيادية الباحث  
الباحث وتبرز أهمية ذلك من تأكيد " پولين يونج " على ان البحث يبدأ كشيء  
تصورى نظرى ، يعاقبه التخطيط للبحث ثم الدراسة المكثفة . وذلك كله يقتضى  
ان ينظم البحث حول الفرض الاساسى منه .

ولو فوه ذلك يمكن ان نقرر امرا فى غاية الاهمية بالنسبة للدراسات

التجريبية فى علم الاجتماع، وهى ان هناك امرا اكثر اهمية من المدخيل

(1) Arthur, M., Philosophy of Scientific Investigation, pp 23-25.

المنهجى للباحث يتمثل في اتجاه الباحث وقدراته . اذ يجب ان يتطور ماجاء  
 من احوال معرفته لمنهوى الإحياء العلمى ، ويصفه اساميه مقدرته لتطبيق  
 المفاهيمية وعدم النخب من الولى حول المشكلة . وان يجعل هذا الاتجاه  
 فى الوضع الصحيح ، فى عملية جمع البيانات وتفسيرها .

ولاشك ان التدريب للباحث يساعد على رفع قدراته الشخصية ، وخاصة  
 بالنسبة للتجارب العملية ، والتي تحتاج لمزيد من المقدرة الحرة من  
 الباحث وذلك لان القدرات الشخصية للباحث ليست اقل اهمية من المعرفة  
 والتجربة . لان مقدرته على تحديد ماهو ذات قيمة وملائم لمشكلة البحث ،  
 تتأثر بهذا الجانب الشخصى . الامر الذى يجعل معطيات البحث المعرفية كافية للفهم  
 المشكلة كما ان التاكيد على الحقائق وحدها ومواجهتها بصورة مباشرة الفصل  
 كثير من تدخل التأثير الخارجى من قبل الشخص على تلك الوقائع .

وهذا نمل الى تقرير امرى غاية الاهمية ، وهو يتعلق باهمية التوازن  
 بين الكيفيات العقلية والاخلاقية والفيزيقيه للباحث . والتي قد نسميها  
 -التوازن الداخلى . وهذه المقدرة تساعد الباحث على رؤية الامور والاشياء  
 فى صورتها الصحيحة . ولأنك ان عملية التوازن تلك تتطلب بالممثل ...  
 توفير قدر من موضوع الصورة المتعلقة بالوضع على مستوى الاعزاء وفى الكل .  
 ولأنك ان مقابلة الاوضاع يتحقق من خلال البحث النماذج . الذى تتوفر  
 له الكيفيات المختلفة التالية ، والتي وضع لها "جوابال" ميزانا يعكس اهمية  
 كل منها بالنسبة لعملية البحث التجريبي فى علم الاجتماع .

الكميات او الخصائص	%
المعرفة	١٥
التجربة	٢٠
القدرات الخاصة	٥

١٠	الحكم
١٥	التكامل
٥	التوازن الداخلي
١٠	البصيرة
١٠	المشاهدة
١٠	والشعور والتعدد

ولاشك ان هذه الجوانب المختلفة ذات أهمية كبيرة. وما يريد ان يؤكد به النسبة لها ان كل منها في ضوء وجهة نظر جوبال ذات أهمية معينة بالنسبة لعملية البحث .

ومما تجدر الإشارة اليه ان خاصية التنوع والتعدد والتي تشير لفرق فردية معينة تؤثر بمستوى معين على عملية البحث ومن ثم يمكننا القول ان معرفة هذه الكيفيات والخصائص ، ومعدلات تأثيرها وأهميتها بالنسبة للبحث التجريبي في علم الاجتماع على درجة كبيرة مسن الأهمية . نظرا لفاعليتها وتأثيرها على المعطيات المعرفية للبحث الاجتماعي.

### الملل الخامس

#### استراتيجية المنهج العلمى للبحث فى العلوم الاجتماعية

اصبح العلم لغة العصر بين الناس ، وامتد سلطانه الى امداد واسعة و آفاق بعيدة فى حياتنا اليومية ، حتى اصبح كل منا يطلعه على تفكيره، ولهذه الامور، وذلك اذا ما اراد أن يكسب تفكيره هالة من التقدير . وقد امتدت هذه الموجة الى العلوم الاجتماعية التى ذهب انصارها الى انها جزء من التقليد العلمى<sup>(١)</sup> . وذلك لتأكيد علمية النظم الفكرية لتلك

العلوم واذا كانت العلوم الاجتماعية تهتم بدراسة مختلف جوانب الانساق الاجتماعية تلك الانساق التى تتندل الى أساس معيارى فى توجيه السلوك البشرى<sup>(٢)</sup> وتحديد مساره .

واذا كان علم الاجتماع يهتم بمختلف جوانب الظاهرة المجتمعية<sup>(٣)</sup> الا ان المعرفة العلمية لا يمكن ان تكون حكرًا لى نظام علمى بعينه دون غيره من النظم العلمية وذلك لان المجتمع وظواهره المختلفة بمثابة مشروع بحث مشترك بين المؤرخين والاقتصاديين وعلماء السياسة والسكان ، وعلماء الاجتماع وعلماء الانتروبولوجيا والجغرافيين وغيرهم من رواد النظم العلمية الداخلة فى دائرة العلوم الاجتماعية<sup>(٤)</sup> . ومع ذلك فان التخصص امر ضرورى . ورغم ان علم الاجتماع يتناول الظاهرة المجتمعية الا انه من اكثر العلوم الاجتماعية تخصصاً .

ومن ثم تطرح الاسئلة التالية نفسها : كيف يتناول علم الاجتماع الظاهرة الاجتماعية بمختلف جوانبها ثم يكون علماء متخصصاً فى نفس الوقت<sup>(٥)</sup> ؟ ثم كيف تتحقق لعلم الاجتماع علميته رغم هذا الشمول فى تناول الموضوعات الاجتماعية ؟ والى أى مدى يستند البحث الاجتماعى للمنهج العلمى ؟

والواقع انه من الامور التى جعلت الاجابه على مثل تلك الاسئلة امراً ملحاً ،

ذلك الاهتمام المتزايد بالبحث الاجتماعى فى العلوم الاجتماعية على مستوى نموذجى

1. Smith, H.W., Strategies of Social Research, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., P. 1975. p.3.
2. Varma, Ravidya Nath, A New Survey of the social Sciences, New York: Asia Publishing House, 1962. p.1.
3. Varma, Ibid. p.73.
4. Zetterberg, Hans L., In Varma, Ravidya Nath, Ibid., p.59

المجتمعات البشرية ; المتقدمة منها والنامية . وخاصة مجتمعات العالم الثالث، التي تمر بمرحلة نمو سريعة. وما استتبعه ذلك من حاجة تسلك المجتمعات لدراسة السلوك الاجتماعي، من زواياه المختلفة مثل زاوية البناء الدافعي للسلوك، وزاوية الشخصية ، والمواقف الاجتماعية، والعوامل الحفارية، والقوى التاريخية، حيث تغطي تلك الزوايا المستويات الشخصية والاجتماعية والثقافية ، لما لذلك من أهمية في توجيه عملية التنمية في تلك المجتمعات بما يجعلها تسير في مسارها الصحيح الذي يدعم وجود المجتمع .

ولذلك ان تحليل المفردات الاجتماعية يقتضى ربطها بالسياق الاجتماعي العام وتكاملها مع المستويات التحليلية الأخرى وذلك لتحقيق الإدراك الكلى للظاهرة الاجتماعية ، ولذلك ان تحقيق هذا الظم المتكامل يستند الى ان تناول المفردات في العلوم الاجتماعية يتم بغرض التحليل البنائي لتسلك المفردات، على ان يستكمل هذا التحليل بالتحليل الوظيفي الدينامي لعناصر هذه المفردات المتفاعلة مع بعضها في سياق النسق الكلى والتي ترتبط وظيفيا ببعضها ، وبهذا النسق الذي يتألف منها . وبذلك يتساند مدخل التحليل البنائي للمفردات مع المدخل الدينامي في التحليل لتلك المفردات في سياق الكلي وذلك باعتبار الاساس المنطقي الذي يستند اليه المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية، هذا ما اكد عليه كل من شلز وراثنيكي وغيرهم من علماء الاجتماع عندما ناقشوا قضية التكامل بين المدخل البنائي والمدخل الدينامي، في دراسة الظاهرة الاجتماعية خلال الحلقة الدراسية التي عقدتها هذا الخصوص، والتي اجمع فيها علماء الاجتماع المشتركين في المناقشة على ان التكامل المنهجي بين التحليل البنائي والتحليل الوظيفي يمكن ان يواحه اخطر فدايا الفكر السيولوجي التي نوحه البحث الاجتماعي في مجال العلوم الاجتماعية :

وفي ضوء ذلك نناقش القضايا المطروحة للبحث في هذا الفصل بتناول  
النقاط الاساسية الاتية :

- طبيعة العلوم الاجتماعية ومغناطيتها المبهجة للبحث .
- القضايا العامة المرتبطة بتطوير العلوم الاجتماعية .
- القضايا الاجرائية للبحث في العلوم الاجتماعية .
- التحفظات حول المعرفة في العلوم الاجتماعية .
- ابعاد التكامل النثري والمنهجي في العلوم الاجتماعية .
- المناخية الوظيفية والنكامل المعرفي في العلوم الاجتماعية .

ساعدا : موضوعية المعرفة في العلوم الاجتماعية  
وذلك ما نتناوله بشئ من التفصيل فيما يلي :

اولا : طبيعة العلوم الاجتماعية ومقتضياتها المنهجية للبحث :

تصنف العلوم بصورة عامة الى مجموعتين هما : العلوم الطبيعية ، والعلوم الانسانية والاجتماعية . وبالنسبة للمجموعة الاولى فاسها اما ان تكون فلكية او كيميائية او فيزيائية .. اما العلوم الاجتماعية فهي سواء كانت علم الاجتماع ، او العلوم الاقتصادية ، او السياسة ، او التاريخ او الانتروبولوجيا او علم النفس .. الخ فانها تعنى جميعها بالانسان ونشاطه الثقافي والاجتماعي الذي تراكم عبر التاريخ ، واصبح يمثل كجاذات اخرى تؤثر عليه وتتأثر به . ومن ثم فهي تتناول الانسان ليس على انه فرد منعزل عن الآخرين ، ولكنها نتناوله كعضو في جماعة . الامر الذي يتطلب تناول الانسان في تفاعله مع روابطه . وذلك يشر الى ان العلوم الاجتماعية تهتم بدراسة شبكة الحكم الاجتماعية ، الامر الذي يؤكد ان الانتروبولوجيا والتاريخ والاقتصاد والساسة والاخلاق ليست

فروعاً متميزة ومنفصلة/وانما هي متكاملة مع بعضها. ومتبادلة التأثير . ولا تجرى بحوثها في معزل عن بعضها . وانما عندما يقوم العالم الاجتماعي بحوثه فإنه لا يتقيد بمجال تخصصه وحدوده الفكرية التي تفصله عن العلوم الاجتماعية الاخرى بل يذهب وراء المشكلة ويتعقبها . وذلك رغم تناوله للمشكلة في اول الامر. بالاستناد للاطار المرجعي الخاص بتخصصه . مثال ذلك انه عندما يتناول عالم الاجتماع او الانثروبولوجيا احد المجتمعات التي لا يعرفها بالدراسة فإنه يحتاج بصورة اساسية لتاريخ هذه المجتمعات وتنظيمها السياسي، وبناؤها الاقتصادي وانساقها الثقافية. والاجتماعية، والمشكلات الاساسية التي يعيشها هذا المجتمع. لان ذلك يمكنه من تطبيق الفهم الشامل للمجتمع وهو امر/ومن ثم تيسر، طبيعة البحث الاجتماعي على العلماء الاجتماعيين ضرورة التأكيد على وحدة العلوم الاجتماعية . لما لهذا التكامل من دور في فهم المشكلات الواقعية المعقدة . وذلك دون ان نغفل التخصص في مجال العلوم الاجتماعية. لانه يضل من يدا من العمق في فهم جوانب الحياة وكثف افوارها البعيدة وجذورها الاساسية التي لا غنى عنها في فهم الحياة الاجتماعية مع ادراك ان هذه الجوانب مترابطة ومتبادلة التأثير مع بعضها. وذلك ما يحققه التأكيد على وحدة العلوم الاجتماعية وتربطها ببعضها واحكامها مع بعضها لتوفير المعرفة الشاملة والمادية والثابتة حول الواقع الاجتماعي وهو امره .

وبذلك تكون بحوث ودراسات تلك العلوم معتمدة على بعضها لان شمة اهتمام واحد يحررها/الا وهو الانسان الذي يتناوله كل من تلك العلوم الاجتماعية من زاوية خاصة وعند مستوى متميز عن المستويات الاخرى لبلدية العلوم الاجتماعية التي تتناولها<sup>(١)</sup> والجدير بالذكر في هذا الشأن ان هذه هي السمة التي تميز العلوم الاجتماعية عن العلوم الطبيعية والبيولوجية . كما

1. Gopal, M.H., An Introduction to Research Procedure in Social Sciences, New York. Asia. Pub. House 1964. n.12



ان ذلك يؤكد ما سبق ان ذهنا اليه من قبل، وهو ان العالم الاجتماعى يجب ان يكتسب خبرة وظيفية واسعة، وان يرى مشاكله من زاوية واسعة النطاق ، اكثر من ان ينحصر فى رؤيته لها فى زاوية محدودة النطاق ، Micro .

ونتيجة لحدثة العلوم الاجتماعيه على نحو ماذهب جوبال H.Gobal

و"بايديا فارما" Rajdya Nath Varma فان ما حققته من تقدم

بالنسبة للتكنيكات المستخدمة يحتاج لمزيد من الدعم والتعاون بين المهتمين بتلك العلوم لتحقيق مستوى التحليل، المنهجى المتكامل للظواهر التى تقع فى نطاق العلوم الاجتماعية، خاصة وان طبيعة المفهوم الذى تناوله واحد، وذات طبيعة معقدة ، الامر الذى يقتضى مزيدا من الجهد فى مجال التحسين المنهجى للتكنيكات التى تستخدمها هذه العلوم فى تحليلها للظواهر الاجتماعية . وان تتسع دائرة استخدام المناهج العلمية الاخرى، مثل المنهج التاريخى هذا مفعلا من ضرورة الاستعانة بأساليب التفكير المنطقى والخبره

الرأى على نحو ما اكد " ليفنجستون " R. Livingstone فى مؤلفه

"هندسة التنظيم والاداره"<sup>١١</sup> وذلك لفهم تناول الظواهر الاجتماعية من جوانبها المومومة

والمذاهب، ان ذلك من مقتضيات تحقيق المنهج التكاملى فى المعرفة والذى تقتضيه

الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعيه والبشرية<sup>١٢</sup> . وانطلاقا من هذا

اكد اعمال "جون جيلن" John Gillin على ضرورة تناول الظواهر الاجتماعيه

البشرية من منظورات عدة . اكثر من تناولها فى ضوء منظور واحد من العلوم الاجتماعيه .

اذ ان يعطى الاممال الوارده فى مؤلفه (ممن أحسنك معلم

الانسان الاجتماعى ١٩٥٤) تمكنا من تلخيص تأثير كل من علم الاجتماع . وايضا

الانثربولوجيا . وعلم النفس على بعضها . فى تناولها للظواهر البشرية . كما ان

"ميرا كوداروفسكى" اكدت فى مؤلفها (رؤاد العلوم الاندانية ١٩٥٧ )

على اسهامات المؤرخين وعلماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع معا ، كما ان هناك

بعض الاعمال الفردية على نحو ما حدث بالنسبة لبيترىم بروجين P. Sorokin

1) Livingstone, R., Engineering of Organization and Management, McGraw Hill, 1949.

٢١) دكتور حامد عمار ، المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، القايره ، دار المعارف ١٩٦٤ ص ١٥

3) Varma, Raj , P, 221

في مؤلفه، المجتمع والثقافة والشخصية (١٩٤٧) تسعى لايفساح الاطار النظرى العام للعلوم الاجتماعية<sup>(١)</sup> . اخذ لذلك العديد من الاعمال والدوريات التى منيت بالعلوم الانسانية بشكل مفضل .

ثانياً ؛ الفلسفيا العامة المرتبطة بتطور العلوم الاجتماعية :

Radhakamal Mukerjee ذهب رادها كامال ميكرجى

فى دراسته للقيم فى العلوم الاجتماعية الى ضرورة استناد الاطار النظرى لدراسة المجتمع وهواهر على الترابط القيمى الذى يمكن ان يعوض المعلوم الاجتماعيه عن الوحدة العامة . وذلك استجابة منه للاتجاه السائد اليوم بين العلماء لاكتشاف وحدة المعرفة<sup>(٢)</sup> . وهذه الوحدة فى نظره تلوم على المعانى والقيم التى ترتكز . على ترابط المعانى الاساسية والتبادل القائم بينها ، وكذلك على مداخل الدراسات الاجتماعية المختلفة التى تدرس سلوك الانسان وثقافته . وبذلك، يتضح تركيزه على تحقيق الوحدة بين العلوم الاجتماعية -الاستناد لمدخل التحليل الاجتماعى<sup>(٣)</sup> . وهو نفس الاساس الذى استند اليه حامد حماد فى تعليقه لوحدة المعرفة بين العلوم الاجتماعية فى فهم الظاهرة الاجتماعية وذلك بتأكيده على ان عملية التحليل مسألة ضرورية فى المنهج العلمى ، القائم على التحليل الذى استخدم فى العلوم الطبيعية وانتقلت تصوراتها الى العلوم الاجتماعية والانسانية لتفسير المجتمعات الحديثة المعقدة فى ضوء الانماط الاولى لحياة الشعوب البدائية . بحيث يتدرج التفسير من المركب الى البسيط فى درجات ووحدات تختلف فى مجرد علاقاتها ومكوناتها . وهنا تبرز اهمية هذا المدخل المنهجى القائم على التحليل

1. Varma, B.N., op. cit, P.231.

2. Varma, Ibid., p. 221

3. Mukerjee, R., Values In Social Science. In Varma, Ibid., p.221

الاجتماعى عندما يذهب " عمار " الى حد القول انه "على هدى هذا المنهج التحليلى الذى يسير من السبيل الى المركب يمكن تفسير سلوك الاجتماعى للانسان بدراسة سلوك الكائنات الحية البسيطة" . ومع تأكيد عمار على اهمية المنهج التكاملى فى المعرفة فى فهم الطواهر الاجتماعيه والانسانية ، لايدانسه بفكره الإدراك الكلى الذى يقوم على ان العناصر المفردة تعتمد معناها من الصورة الكلية ، كما ان وظائف هذه العناصر ودلالاتها انما تستمد من وضعها فى وظائف الصورة الكلية بعناصرها المتفاعله . وهو هنا يعنى بالتكامل . تكامل المعرفة بالفرد الذى تدرسه بالطريقة التجريبيه فى ضوء المفردات الاخرى المتصلة به . وفى ضوء طرق المعرفة الاخرى مثل مناهج المعرفة التاريخيه والساليب التفكير المنطقى والخبره الواعيه .

وعمار بذلك يؤكد على ضرورة تحقيق المدخل التحليلى فى الدراسات الاجتماعيه للطوائف ، بحيث تهتم تلك الدراسات بالمتغيرات والعلاقات القائمة فيما بينها ، وتظهرها على اسس كمية باستخدام اساليب التحليل الاحصائى والظروف الرباعية بهدف فهم السلوك الاجتماعى واحداث المتغيرات الممكنه . فى ضوء القواعد العلميه التى تمنح عنها التحليل ، ومن ثم ينظر للعلاقات الاجتماعيه مثل السياسة والاقتصاد ... الخ ، على انها نوع من التفسير فى العلاقات ونسبتها وعناصرها ، وذلك بعينه ما ادى للنظر الى العلوم الاجتماعيه باعتبارها نوعا من التكنولوجيا او الهندسه الاجتماعيه<sup>(١)</sup> على نحو ما اهتمت به معظم الدراسات والدوريات والكتب التى صدرت فى الحقبات الاخيرة حول العلوم الاجتماعيه .

1. McCormick, Ernest J., A. Domain Engineering, McGraw Hill, 1957.

وما ذلك الا نتيجة للاتجاه الذى يؤكد ان كل علم اجتماعى يهتم بتكوين لاعلية الانماط السلوكية فى خلق القيم وتحقيق التطور فى القيم المنتظمة ، ومن امثلة تلك القيم البناء الاخرى بالنسبة لعالم الاجتماع والبناء الحكومى بالنسبة للعالم السياسة . وجميعها تعالج من قبل العالم الاجتماعى كبيانات موضوعية ، وذلك لانه لا يمدركما على تلك القيم المنتظمة ، وانما يتناولها كما هى . وعليه اذن ان يحلل تأثيراتها على السلوك الاجتماعى ، ومن ثم يعالج هذه القيم كاسباب .

وبذلك نجد ان البحوث العلمية الاجتماعية تعنى كذلك بالنتائج الاجتماعية للسلوك البشرى ، وعليها ان تأخذ هذه النتائج السلوكية كبيانات للتحليل . ولهذا فان العلوم الاجتماعية لاتعنى فقط بالقيم كما هى معروفة فى النظم المنتظمة للمجتمع . ولكنها تعنى كذلك بالتكوين للبدائل الاخلاقية ، وذلك طالما ان السلوك ماهو الا نتيجة لقرارات اخلاقية تتخذ بواسطة الافراد<sup>(1)</sup> . وهنا تبرز اماننا بعض اللغايا الاساسية التى ارتبطت بتطور العلوم الاجتماعية ، وهذه القضايا تتعلق بالجانب النظرى من ناحية ، والجانب المنهجى من ناحية اخرى .

#### ١ - القضايا النظرية :

اما بالنسبة للقضايا التى اشيرت على المستوى النظرى . فهى البحث عن الودعه بين مختلف النظم العلمية للعلوم الاجتماعية ، وتعيين ابعاد العلم الاجتماعى . وقد حاول بعض المهتمين بهذا الجانب ان يتناولوا وحسدا العلوم الاجتماعية فى سياق مبادئ التكامل ، وصاغتها فى اطار عمل موحّد .

---

1. Varma, Op. Cit. p.222

وقد ادى ذلك، بمعنى المهتمين بهذه الوحدة لصياغة النظرية العاصمة  
(١)  
General Theory of Action، ونظرية النسق المفتوح، والنظريات متوسطة  
Leon Festinger المدى عند "روبرت ميرتون" و"ولفون فينجر" (٢)  
والواقع ان اى من تلك المداخل النظرية له قيمته الخاصة به. والتمايزه  
من قيم المداخل النظرية الاخرى. كما ان اى قرار بمحة اى مسن  
تلك المداخل لدراسة الظاهرة الاجتماعية في العلوم الاجتماعية يحتاج  
لمناقشات مطولة، ومفاهيم بين الكفاءة المنهجية لاي من تلك الاتجاهات  
في دعم وحدة المدخل النظرى في العلوم الطبيعية. تلك الوحدة القائمة  
على تكامل المعرفة والفهم السيولوجى للظواهر الاجتماعية موفـووع  
الاهتمام المشترك بين تلك العلوم الاجتماعية وهذا بالانفاة الى مدى كفاة  
هذا المدخل النظرى وقدرته على التنبؤ في العلم الاجتماعى. وذلك  
أبفا يحتاج لاستخدام متقدم لاساليب التحليل الاحصائى في دراسة الظواهر  
الاجتماعية .

## ٢ - القضايا المنهجية المتعلقة بالعلوم الاجتماعية :

اشار " فارما " الى ان القضايا التى تتلفتها مختلف العلوم الاجتماعية ،  
والتي تتلفن فكرة التوحيد بين تلك العلوم ذات طبيعة فلسفية، وذات طبيعة

1. Bertalanffy, Lulvig vons, the Theory of open system in Physics and biology.  
Science, Vol. CXI 1950. See Also James G. Miller, "Toward a General  
theory for the behavioral Sciences, Am. Psy. Sep. 1955. Reprinted in  
Leonard D. White (Ed. ) The state of the social Sciences, Chicapo.  
The University of Chicago Press, 1950.
2. Varma, Op. Cit و P.233.

واقعية. ومن ثم نتناول كل من تلك القضايا منفصلة عن بعضها. وذلك بغرض التحليل .

### ٣ - القضايا الفلسفية :

وهنا توجد بصورة عامة خمس قضايا أساسية ، تميزه عن بعضها ومن حيث نوع التوجيه الفلسفي لكل منها ، في مسانق العلوم الاجتماعية . وهي تلك التي نسميها بالنماذج وتتمثل في :

١ - الاستنباط المنطقي (١)

٢ - العدلي (٢)

٣ - السببي (٣)

٤ - الاحصائي (٤)

٥ - البنائي - الوظيفي

٦ - النفسي الاجتماعي

ورغم ان لكل من مداخل النماذج تلك انصاره ومؤيديه الا ان اختيار اي مدخل منها يعتمد على مجال البحث .

فعالم اللغة يهتم باستخدام نموذج الاستنباط المنطقي فحين ان علماء الاجتماع عابا ما يحصرون انفسهم في النموذج البنائي الوظيفي . وبالنسبة لممن يلتزمون بالتوجيه المادي التاريخي فانهم يستخدمون بصورة عامة النموذج الجدلي. وقد يستخدم بواسطة علماء غيرهم ايضا ، وخاصة تلك الطرق الجدلية التي اوضحها جريدستش. والمتمثلة في جدل الاستقطاب وجدل التفتين وجدل الاستكمال .

---

1) Logico-deductive

2) Dialectical

3) Casual

4) Statistical

اما عن النموذج السببي فهو مركز لمجالات معبنة مثل علم النفس الاكلينيكي . اما بالسبب للنموذج الاحصائي فهو اساس للاقتصاد والسكان وقد يحدث ان يتكامل اكثر من اتجاه معا في تناول الظاهرة الاجتماعية في مجال معين فمثلا نجد ان النموذج السببي والنموذج الاحصائي يستخدمان في مجال علم النفس الاكلينيكي والبيئات الوظيفية والنفس الاجتماعية في الدراسات الانثربولوجية للرموز الثقافية والظواهر الاجتماعية .

ولاشك ان الخلاف والجدل على اشده في العلوم الاجتماعية حول تلك القضايا الفلسفية وبصورة اكثر مما عليه هذا الجدل بالنسبة للقضايا الواقعية .

١ - القضايا الواقعية : وتنقسم الى ثلاثة اشكال اساسية

- قضايا تتعلق بالبيانات .
- قضايا تتعلق بالاجراءات .
- قضايا تتعلق بالاستراتيجية .

وسوف نتناول كل منها على حدة :

وبالنسبة لقضية البيانات فهي تلك المتعلقة بالخبره الخام، وهذه الخبره يمكن ان تجل بواسطة الشخص نفسه او بواسطة الاخرين الملاحظين والذين يقومون بعملية تصنيفها في فئات وتحليلها علميا، والواقع ان ثمة بيانات لا يمكن للشخص ان يفهمها مثل تلك البيانات المتعلقة بخبرة الا لمع السرور، والتي يمكن ان تفهم بواسطة الاخرين. هذا بالإضافة الى البيانات التي يمكن تحليلها عن طريق الفرد ذاته ، وهذه البيانات ذاتية في طبيعتها

كما توجد البيانات التي يمكن ان نسميها بيانات تصنيفية لنظم مختلفة من الملاحظة ذات المستوى الرفيع . وهذه البيانات موضوعية في طبيعتها، ويمكن لهذه البيانات ان ترتبط بالاتجاه الوظيفي . وذلك لان البيانات التصنيفية تفيد في تنظيم البناءات وتحليل عمليات النسق الاجتماعي الكبير . ومن البساطة بمكان ان نرى انه كلما صار الموضوع اكثر تجريدا كلما احتاج لمزيد من تصنيف البيانات على مستوى عال .

والواقع ان مشكلة تنظيم البيانات وترتيبها على المستوى الذاتي كما هي على المستوى الموضوعي لا تزال بعيدة عن الحل. اذ يوجد عدم اتفاق على التعريفات والمفاهيم والمسميات الثقافية، التي تفيد لحد كبير فسي التمييز الاصلاحي الهام .

ولا ريب في ان الجهود المبذولة في مجال التوحيد والتقنين بين العلوم الاجتماعية، لا تزال في حاجة لاسهامات اكثر. لا مكان مواجهة هذه المشكلات، التي توجه الدراسات الاجتماعية للطواهر الاجتماعية المختلفة . ثالثا : القفايا الاجرائية للبحث في العلوم الاجتماعية وموضوعاتها . تنقسم القفايا الاجرائية للبحث في العلوم الاجتماعية الى خمس فئات متميزة من حيث الموضوعات المرتبطة بها والمتمثلة في :

- الموضوع .
- التعميم
- الموضوع الخاص بالطريقة والعلاقات بين المتغيرات
- المشكلة
- الطريقة الكبرى



ينعكس الموقف بأشكلى المدق للبحث العلمى الاجتماعى وهو ليس  
من الأمور الهله التى يمكن أن تبدو على السطح .

وبالنسبة للتعميمات يواجه الشخص هنا بالعديد من المشاكل . فبالنسبة  
لمن يعتمدون على النموذج الجدلى نجد أنهم يقدمون تفسيرات مختلفة فى بعض  
الاحيان لنفس الظاهرة أكثر مما يقال بالنسبة لمتبعى الاتجاه الوطى .  
وقد يوجد فى نفس التخليد الفلسفى . ان الانتروبولوجى قد لا يتفق مع الاتهادى  
بصورة تامة .

وبالنسبة للفية العلاقات بين المتغيرات . فهى تشير للخفايا التى  
ترتبط بين الاطار النظرى والتحقق التجريى ، وهى التى نسميها بنظريات  
المدى الوسيط . وهى تمكن التفاعل الحادث بين الفياى الاولى والمعطيات الامبيريقية . والواقع

أن العديد من النظريات فى مجالات - التظيمات الربحية<sup>(١)</sup> والنمى  
الاقتصادى<sup>(٢)</sup> وبناء القرية<sup>(٣)</sup> وماشابه ذلك من نظريات تنموى جميعها  
تحت هذا العنوان .

وبقدر ما تكون هذه المجالات النظرية والحثية واضحة امام الشخص الذى  
يقوم بدورها فان الانفاق حول تلك الموضوعات النظرية يزداد بصورة واضحة .

---

(1) Simon, Herbert. As Models of Man, New York: John Wiley & Sons, 1957  
8 March, James G. and Simon, Organizations, New York. John Wiley & Sons  
Inc., 1958.

(2) Kuznets, Simon, Six Lectures In Economic Growth, Glencoe, Illinois:  
The Free Press, 1959

(3) Murdock, George P, Social Structure, New York: Macmillan and Co. 1979.

أما بالنسبة للمشكلة فتعني اختيار الموضوعات التي قد تؤدي إلى تقسيمات كبيرة بالنسبة للعلم الاجتماعي على المدى الطويل ومن الأمور المؤكدة أن تقدم العلم قد اعتمد بشكل كبير في الماضي على اختصار الموضوعات .

وأخيراً فإن قضية النظرية العامة هي الشيء الذي يواجه العلماء الاجتماعيين دائماً . وقد كان ذلك شاعراً كل من أوجست كونت وسبنر وذلك لأن خلق المقدرة التنبؤية للعلم ظلت الهدف الذي لا يستطيع أي من علماء الاجتماع الهروب منه وهذا ما يشغل المعاصرين من علماء الاجتماع اليوم .

أما من قضية تطبيق الاستراتيجية المنهجية على المبادئ الأساسية للعلم الاجتماعي فنتمثل الوقائض والنظريات لكشف عمل كل منهما وما بينهما من علاقات

وقد ذهب البعض إلى أن المرحلة الأولى من البحث في العلوم كانت بمثابة مرحلة التاريخ الطبيعي . وذلك ما أكدته "نورثروب" في مؤلفه منطق العلوم والانسانيات<sup>(١)</sup> حيث كانت مرحلة تراكم البيانات ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التحليل والتجريد الذي هيئت من خلاله النظريات ذات القيمة التنبؤية . ومما هو حدير بالذكر أن السؤال عن الوقائض يرتبط مباشرة بالنظرية وذلك ما يوفيه مؤثرات "فهم طبيعة الوقائض والتي حددها كل من "كوهين" و"ناجل" على النحو التالي:

- مبادئ التمييز المعينة للمدركات .
- القضايا التي تفر ما يقدم لنا من الخبرة
- الخصائص التي تقرر بمدى الخصائص والسمات المترابطة

- وهذه الموضوعات توجد الزمان والمكان معاً وتقوم بينهما علاقات معينة .

ورغم أن هذه المؤثرات تكشف عن طبيعة الوقائض إلا أن النوعين الأولين للوقائض يتضمنان سمورة عامة . بيانات ذاتية في حين أن الاثنين الآخرين نسميها بيانات موضوعية<sup>(٢)</sup>

(1) Northrop, F.S.C., The Logic of The Sciences and the Humanities, New York: Macmilland and Co. 1977.

(2) Cohen, Morris, R. & Nagel Ernest, An Introduction to Logic and Scientific Method, New York: Harcourt, Brace and Company. 1934, PP. 217-18

ملاوة على ذلك فإن جميع تلك الأنواع فيما عدا الأولى تنظم بواسطة النظرية،  
ومما هو جدير بالذكر هنا أن الوقائع الكاذبة لا يمكن أن تحل محل الوقائع  
الصادقة<sup>(١)</sup>، ومن ثم تستهدف المحاولات العلمية العديدة القيام بمحاولات  
تفويجية لتحديد الوقائع الصادقة بسبب التقبل غير الناقض لتلك  
الوقائع الزائفة، وذلك لضمان صدق الوقائع التي تنظم عليها المعالجات  
العلمية في مختلف العلوم، والتفرقة بين ما هو ذاتي وما هو صادق من تلك  
الوقائع.

وربما تكون استراتيجيات النظريات أكثر صعوبة في حلها من استراتيجيات  
الوقائع، وذلك ما نتناوله شيء من الشرح، إذ توجد أربعة استراتيجيات  
نظرية على الأقل في العلم الاجتماعي اليوم.

وتتمثل أول هذه الاستراتيجيات في: النظريات المعلنة الخام *Ad Hoc Theories*  
وهي تمايز منذ البداية في جميع الحقائق، وهذه النظريات تقل في وقع غير مهم  
النسبة للمفاهيم، وفي أكثر حالاتها ملاءمة نجدها متفمنة في نظريات  
متوسطة المدى كالفرايد فروميه.

وتتمثل الاستراتيجية الثانية في عملية التثمين *Codification*  
وهذا يقدم أكبر عدد من التعهيدات في المجالات المتداخلة وتخضع للتحليل  
النظري المصاغ في مفهوم التحليل الثانوي *Secondary Analysis*.  
والواقع أن النظريات متوسطة المدى قد تبرز من هذا الإجراء التحليلي  
والتألفي<sup>(١)</sup>.

(1) Merton, R, Social Theory and Social Structure, Glencoe, Illinois:  
The Free Press, 1957. Chapters V, VIII & IX.- also: Cross, Neal and  
others, Explorations in Role Analysis, New York: John Wiley & Sons, 1958.

ومن ثم توجد النظرية البديهية Axiomatic Theory بمساعدة المقدمات التي تكون في حكم المسلمات Axioms التي يتفحصها البناء النظري للعلم وهذا تكون التعميمات او صياغة القضايا على اساس ترايد كل منها بالآخرى اعم الطرق لاكتشاف الهدف النهائي لهذه الاستراتيجية هو الوصول الى النظريات العلمية والتي تقوم بالتوجيه العقل في شرح طواهر العلوم الاجتماعية<sup>(١)</sup> .

واخيرا قد تُخلق النظريات الكبرى باتساع طريقة التبيين او البديهيات او انها تخلق بواسطة المصادر . وان كان لا تتولد بصورة نهائية - فمن الاجرايين السابقين الا ان طريقة المقاديرة اقدرهم على تحقيق ذلك<sup>(٢)</sup> .

راسدا : التحفظات المطروحة حول المعرفة في العلوم الاجتماعية :

نتيجة لطورول العلوم الاجتماعية ومستوى التقدم الذي حققته بالنسبة للتكنيكات المستخدمة. ونظرا لطبيعة الموضوع الذي تتناوله العلوم الاجتماعية يمكن طرح بعض التحفظات حول المعرفة والبحث في مجال تلك العلوم العلمية. اذ ان هذه التحفظات تتمثل في ان السيطرة والتحكم الكامل في مجال العلوم الاجتماعية لاتتم اذ لا ما ينظرها في مجال العلوم الطبيعية . كما ان التكنيكات المستخدمة في العلوم الاجتماعية لم تعمل لنفس مستوى تقدم التكنيكات المستخدمة في العلوم الطبيعية . وذلك ما يؤثر على المعرفة المتحصلة في العلوم الاجتماعية .

---

(1) Zetterberg, Hans, L., On theory and verification in Sociology, New York: The Tressler Press, 1954.

(2) Lewin, Kurt, Field theory in Social Science, New York: Harper and Brothers 1951.

وهذا حقيقة أخرى واضحة للعيان ولا يمكن أن نغفلها تتمثل في أنه عندما يدرس عالم الاجتماع المجتمع البشرى فإنه يدرس نفسه على عكس الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية . ومن ثم ذهب " جوليان هكسلي " إلى أن الإنسان في دراسته على مستوى البحث الاجتماعي عليه أن يوفر إجراءات منهجية ملائمة، تمكنه من القيام بالتطبيقات العملية التي تخضع لتحكمه الكامل . سواء في مصادر تلك التطبيقات " أو المعلومات التي تتناولها .

كما أن القوانين الطبيعية لا يمكن أن تطبق في الدراسات الاجتماعية التي تتناول ردود الفعل البشرية والتي تكون عاطفية إلى حد كبير وعليه أن يتناول أيضاً المؤلف الاجتماعية التي تتأثر بالاحوال المتغيرة والمختلفة، والتي تخلق مشكلات جديدة . كما أن الوحدات رهن التحليل الاجتماعي ليست محددة بالقدر الكامل، أو بصورة مطلقة، إضافة لذلك فـإن طبيعة العلاقات البشرية التي تشكل المشكلة المحددة للبحث الاجتماعي، تتأثر، وتتشكل طبقاً لعوامل مختلفة ( ذاتية كانت أم موضوعية )

ومن السمات الأخرى المميزه للعلوم الاجتماعية عن العلوم الطبيعية أنها تقدم درجة معينة من المخاطرة، والتغير في التعميمات، والتي تتأثر باتجاه البحث الاجتماعي في المسالك التالية

ملك البحوث الوصفية على مستوى المسح والتي أصبحت ذات أهمية واضحة في البلدان النامية . وملك حل المشكلات بالاساس العملي والذي صار شائعاً إضافة إلى أن الأنشطة البحثية تهتم بمواجهة المادة المتاحة، ولأن هذه الأمور تجعل الباحث يهتم بمعرفة التكنيكات القائمة، ويجتهد لاكتشاف التكنيكات الحديثة لتحسين مفاهيم البحوث / وكذلك تعريفها بصورة مختلفة لما كانت عليه، وهذا يعني على الباحث توخي الحذر عند اشتقاق تعميماته .

ومن ثم أكد فريدريك بانتينج Frederick Banting انه علمسى الباحث ان يفكر كثيرا على اساس نظرى قويم ، ولا يكتفى بمجرد التفكير القليل مقابل العمل الكثير . وسوف تكون اطروحة الفصل التالى معالجة محدثات البحوث الاجتماعية وتحديد اجراءاتها المنهجية ومردوداتها المعرفية وما يتولف لها من ثبات ومدق وشمول .

خامسا : ابعاد التكامل النظرى والمنهجى فى العلوم الاجتماعية :

اصبحت فكرة الادراك الكلى وتكامل المعرفة ، من الموجهات الاساسية للبحث والدراسة فى مجال العلوم الاجتماعية .

والتكامل المعرفى الذى يتم فى اطار منهج التحليل يتمثل فى تكامل معرفتنا بالمفرد الذى ندرسه بالطريقة التجريبيه فى ضوء المفردات الاخرى المتمله به وفى ضوء ذلك يتفتح لنا ان نتناول التكامل المعرفى فى العلوم الاجتماعية يتحدد من بعددين اساسيين .

يتمثل اولهما فى التكامل على مستوى البعد النظرى ، ويتمثل شانيهما فى التكامل على المستوى المنهجى وفى ضوء ذلك نسير فى معالجة ثلثية التكامل المعرفى فى العلوم الاجتماعية .

١١ : التكامل النظرى فى العلوم الاجتماعية . ان اولى الخطوات الموجهة لهذا التكامل هى تلك التى تشير الى ضرورة فهم الظاهرة الاجتماعية فهما سيولوجيا . بمعنى ان نتناولها من جوانبها الثقافية ، وجوانبها الاجتماعية ، وجوانبها الشخصية . باعتبارها جوانب ثلاثة متبادلة التأثير ومتراصة مع بعضها ، وباعتبارها ظاهرة اجتماعية ترتبط بعلاقات تساند وامتداد مع بقية الظواهر الاجتماعية فى المجتمع . هذا بالإضافة لاتجاه النظرى الواضح للنظرية الوظيفية البناشبة ، التى تؤكد على ضرورة تحقيق النظرة

الشمولية للمجتمع، أي تناوُل النسق ككل يتكون من مجموعة من العناصر المتكاملة بنائياً والمتساندة وظيفياً . وبذلك يكون التصور العلمي للمجتمع في ضوء تلك النظرة على أساس أنه نسق للعلاقات بين الأفراد والجماعات، وانسجام التجمعات الأخرى .

ومما يساعد على تحقيق هذا التكامل على المستوى النظري تلك الإجراءات النظرية الممادة التي تستهدف تحقيق وحدة المفاهيم والنظريات في العلوم الاجتماعية بحيث يكون استعارة أي علم اجتماعي للمفاهيم من المجالات الأخرى المختلفة أمراً ممكناً .

ومن هنا اشتهرت أهمية تقدير البيانات المفيدة واللفظية النظرية المطلوبة وذلك لتحقيق التحليل العلمي للبيانات والفروقات، وأن لذلك أهمية في خلق النظريات الكبرى والتي تعتبر هذا جميع العلوم الاجتماعية ، وإذا ما تحقق التكامل بين النظريات والبيانات الواقعية فإن جميع معطيات العلوم الاجتماعية تكون ملائمة لمعالجة النظرية التي توجه العمل العلمي في مجال أي من تلك العلوم الاجتماعية .

#### ٢١) التكامل على المستوى المنهجي في العلوم الاجتماعية

ثمة اتجاهات منهجية ثلاثية توجد على مستوى العلوم الاجتماعية وتشتمل في الاتجاه الموسوعي Encyclopedic ، والتاريخي Historical والتحليلي الأمبيريقى Analytic and Empirical والواقع أن كل من هذه الاتجاهات يتبع مسلكاً مختلفاً من مسلكي الاتجاهين الآخرين ، وهذا يؤكد " بايديا فارمدا " أن تحقيق الوحدة والتكامل في العلوم الاجتماعية يحتاج للاتجاه التحليلي والأمبيريقى أكثر من احتياجه للاتجاهين الآخرين وأن كان ذلك لايعنى بالضرورة أن المدخل التاريخي لايفيدنا بأي شيء ، وأن المدخل الموسوعي أمير مفيد بمؤوره مطلقه، ولكن ذلك يشير في عموميته إلى أن المدخل التحليلي والأمبيريقى يدعم علمية العلوم الاجتماعية في حين أن المدخلين الآخرين يؤكدان

على تناول العلوم الاجتماعية كمشروعات . ولما كنا في حاجة لدمج  
منهجية العلوم الاجتماعية فإن التأكيد على الاتجاه التحليلي والامبريقي  
يعبء من الأمور الحيوية بالنسبة للبحوث في العلوم الاجتماعية .  
ولاشك ان مسالة دعم علمية العلوم الاجتماعية لاتعتمد على مجرد استخدام  
اجراء منهجي دون آخر ، بقدر ما تعتمد على مدى الكفاية المنهجية التي  
يستخدم بها اى من الاجراءات المنهجية في مجال البحث الاجتماعي .

ومن القضايا الهامة المنهجية التي اتفحت من خلال الحوار الفكري  
السيولوجي قضية الخطأ المنهجي الكامن فيالتوجيه السيولوجي . وذلك  
ما ناقشه ميرتون<sup>(١)</sup> وشلر<sup>(٢)</sup> وكناشيك<sup>(٣)</sup> وغيرهم من علماء الاجتماع في ندوة  
علمية عقدت لهذا الغرض<sup>(٤)</sup> لتحديد الخطأ الكامن في التوجيه السيولوجي  
والذي يظم اشره على مختلف البحوث التي تجرى في مجال العلوم الاجتماعية .  
وهو الخطأ الذي حدده المؤتمرون بالتفاوت والانفصال بين المدخل البشري  
والمدخلالدينامي في تناول الظاهرة الاجتماعية . حيث انها تدرس اساسا  
على مستوى الشبكات بتطيل عناصرها البشائية دون ان يتم تناول التفاعل  
العائلي بين تلك العوامل او بمعنى آخر دون الاهتمام بتطيل العلاقات الوظيفية  
القائمة بين تلك العناصر . واكدوا على ضرورة التآليف بين المدخلين عند  
دراسة الظاهرة الاجتماعية بحيث تدرسها من جوانبها البشائية وتحللها  
لعناصر مختلفة تتفق في فهم كل منها على النحو الذي عليه هذا العنصر  
ثم نستكمل هذا المدخل بتطيل التفاعل الدائم بين تلك العناصر وعلاقتها  
الوظيفية ببعضها . وهذا ينطبق التكاملمنهجي في دراستنا للظاهرة  
الاجتماعية بين جانبها الاستاتيكي والدينامي . هذا بالامالة الى قضية  
التكامل المنهجي من حيث نرى التماثل بين مدخل البعد الواحد ومدخل الابعاد  
المتعددة . بمعنى اننا عندما نتناول ظاهرة اجتماعية معينة ، مثل ظاهرة  
الانتماء الاجتماعي Social Alation والتي تعنى الانفصال عن النقي

(١) دكتور السيد علي شتا الاغتراب الاجتماعي في ضوء نظرية التكامل المنهجي ( تحليل  
النظرية السيولوجية من منظور الاغتراب ) رسالة دكتوراه ، القاهرة ، جامعة  
القاهرة . ١٩٧٤ .



الاجتماعى بصورة او باخرى، وهو المفهوم الذى حللته تيمان<sup>(١)</sup> الى خمسة مشتقات او عناصر مختلفة هي :

اللاقوة او فقدان السيطرة نتيجة لسلب المعرفة و سلب ملامسة  
التأثير على الوضع المحيط بالشخص .

ومفهوم اللا معنى الذى يشير لحالة غياب الهدف الموجه والمرشد لى  
الحياة . او نتيجة للحياة النمطية التى تسلب الانسان وفهم الربا بالهدف  
الذى يلقى على سلوكه وحياته معنسا ما من المعاشى .

وسلوك او عنصر اللامعيارية الذى اشتق من مفهوم الانسواء وهو الانفصال  
من المعايير او مراعاتها . وهو المفهوم الذى استخدمه ميرتون ومولج اجراضيا  
برانه يتمثل فى ثلاثة حالات : صراع المعايير السوية والغير سوية - وحالة  
غياب المعايير بصورة كاملة ، وحالة غياب المعايير السوية وظهور المعايير  
الغير سوية .

ثم الاغتراب . الاجتماعى الذى يتمثل فى الانفصال عن الهدف العام اى انفصال  
الهدف العام من الهدف الخاص بحيث يكون سلوك الشخص متجها نحو الهدف الخاص  
دون العام . وان اندماج الشخص او ادائه لدوره يرجع بدلا من تشرب العام  
والاهتمام بتحقيقه بحيث يتحقق الهدف الخاص من خلاله الى الاداء نتيجة الخوف  
من توقيع الجزاء او نتيجة لامتناع الشخص على دخله من الوظيفة .

ثم الاغتراب النفسى او الذاتى وهو الذى يشير لانفصال الانسان من شخصيته  
المتجسدة لى ذات جده واهدائه نتيجة لخروجها من نطاق سيطرته لسيطرة  
الاخرين ومن ثم لا يملك التعرف لى ابداع شخصيته الذى يعبر عنها وهنا يكون  
مفتربا عن ذاته الحقيقية<sup>(١)</sup> .

---

(١) دكتور السيد على شتا ، تحليل النظرية السيولوجية من منظور الاغتراب ، المرجع  
السابق .

هذه جميعها عناصر أساسية للافتراب وعندما نتناول مفهوم الافتراب مسبقاً مدخل البعد الواحد أى من مدخل الافتراب كمفهوم عام، فإن ذلك لا يتعارف مع مدخل الأبعاد المتعددة، أى من خلال تناولنا له من عناصره الخمسة وذلك لأن مفهوم الافتراب هو بمثابة تجريد من الخصائص المشتركة بين العناصر الخمسة إلى العنصر العام الذى يشتمل على خصائص مشتركة لتلك العوامل وهو مفهوم الافتراب. وبذلك يتحقق التكامل فى تناولنا للظاهرة الاجتماعية من مدخل البعد الواحد والأبعاد المتعددة. على ألا يفهم من ذلك أن ليس الامكان تناول الافتراب من زاوية البعد الواحد. مثال ذلك دراسة أى مسكن عدالت فلقدان السيطرة أو اللامعنى أو اللامعيارية أو الافتراب الاجتماعى أو الافتراب النفسى أو بعضها دون شمولها جميعاً بالدراسة، لأن ذلك لا يحقق التكامل المنهجى فى دراسة الظاهرة الاجتماعية نتيجة لاقطاف بعض العناصر من حسابها فى تحليل الظاهرة. فى حين أن أى من تلك العناصر يتكامل بناءها مع بقية العناصر الأخرى فى دعم وجود تلك الظاهرة. كما أنه يتأكد وفيلها مع بقية العناصر فى توفير شروط تواجد مثل هذه الظاهرة الاجتماعية .

كما أن هناك تأكيد واضح على ضرورة استخدام منطق التحليل الرباعى لبعض النظريات والمناهج الدارجة . وقد قام " أرنست ناغل " <sup>(١)</sup> بمثل تلك المعاولا كما أن " تالكوت بارونز " يربط فى أن يرى التحليل الرباعى ينمو فى تلك الاجتماعي <sup>(٢)</sup> وأن كان ذلك لم يتم تطبيقه بعد .

سادساً : البناية الوظيفية والتكامل المعرفى فى العلوم الاجتماعية :

ظهرت فكرة البناء الاجتماعى عندما اهتم البعض بدراسة المجتمع ككل . ودراسة أى نظام من نظم فى علاقته بنظم المجتمع الأخرى، ولما لهذه النظم من تأثير متبادل على بعضها . وبذلك نجد أن الاتجاه البناي يشند لمنطق تكامل المعرفة حول المجتمع بدراسة ككل . وعلى هذا الأساس قام نحو الاجتماع نحو دراسة البنية الحركية الداخلية لأى بناء على متكامل، على أساس معرفى

1. Nagel, Ernest, Logic without Metaphysics, Glencoe, Illinois: The Free Press, 1956, Ch.7. & Nagel. The structure of Science, New York: Harcourt, Brace, & World Inc., 1961.

2. Parsons, Talcott, The social System, A General Theory of Action in Roy. R. Grinker. ed Toward A unified Theory of Human Behavior, New York: Basic Books, Inc. 1950. PP.61-68

وهذا هو كشف العلاقات المتبادلة التي تربط بين الابنية الجزئية لهذا الكل . وذلك لامكان تفسيره تفسيراً صحيحاً . ومن ثم يمكن القول بأن البنائية اتجاه منهجي يقوم على الربط بين اجزاء اى بناء كلي لكشف ما بينها من روابط وعلاقات .

وعندما نتحدث عن البنائية كمدخل منهجي للدراسة في العلوم الاجتماعية فإننا نتناول العلاقات دون الأشياء . ونهتم بدراسة العلاقات والروابط الموضوعية القائمة بين الاجزاء . وبذلك يتدأى المدخل البنائي الاساس التجريدي في الاهتمام بذاتية الانسان على نحو ما فعل هورلر في مدخل الفينومينو لوجيا وكذلك مارتز والوجوديون وانصار الحداثة التاريخية . وذلك لالتناع انصار الاتجاه البنائي بأهمية تناول العلاقات الموضوعية التي تربط الانسان مع غيره من البشر . ومن ثم اصبحت البنائية كمدخل منهجي في العلوم الاجتماعية بعامة ، وعلم الاجتماع بخاصة ، بمثابة تحليل للبناء الانساني او الاجتماعي وكشف للعلاقات الموضوعية التي تربط شئ اجزاء هذا البناء ببعضها .

وعليه اننا من البنائية كمدخل منهجي هذا يلتزم ان نتناول القواصد الاساسية لهذا المدخل التي يمكن استخلاصها من تحليلات اشهر مؤسسي هذا الاتجاه وهو كلود ليفي شتراوس<sup>(١)</sup> ، والذي قدم العديد من الدراسات السبولوجية في هذا الميدان باستخدام المدخل البنائي في معالجة الظواهر التي تناولها في مؤلفاته العديدة ( المجتمعات البدائية ، والطوعية اليوم ، العقل البدائي ، البنائيات الجوهرية لعلة القرابة والنسب ، عالم ليس الطريق الى الاندثار ، الاساطير ..... الخ ) .

---

(١) يعتبر شتراوس من اشهر مؤسسي البنائية ، وهو فرنسي الجنسية وقد تخصص في الانتروبولوجيا وشغل كرس الانثروبولوجيا في باريس ، كما عمل مديراً للمعهد الانثروبولوجيا ايذا .

ورغم أن هناك إسهامات وأبحاث من علماء الأنثروبولوجيا وخدمة البريطانيين منهم في إثراء الاتجاه البنائى<sup>١١</sup> إلا أن معالم المدخل البنائى وخصائصه عند شتراوس تكشف لنا بوضوح عن مدى اعتماد تحقيق التكامل المعرفى لفلسى العلوم الاجتماعية على هذا المدخل فى معالجة المجتمع وظواهره. وذلك ما تأكد بوضوح لدى غالبية أعلام هذا الاتجاه حيث ظهر الاهتمام بالبنائية كمدخل منهجى قبل أن تكون مذهباً جامداً ومغللاً. وذلك لأنها منهج تحليلى وتركيبى يتناول شتى أجزاء البناءات الانسانية والاجتماعية بهدف الكشف عن العلاقات الداخلية، التى تربط بين مكونات أى بناء . كما أنه يهتم بالشكل الكلى والعلاقات العامة التى تربط الظواهر الاجتماعية ببعضها. ومن ثم يؤكد المدخل البنائى على ضرورة تناول المكونات الجزئية على أساس التقاطعها مع الشكل الكلى فى وحدة مترابطة تحكمها علاقات محددة ومتبادلة ليس لى منها أولوية على الأخرى .

وبذلك يحقق المدخل البنائى التكامل بين الجزء والكلى . ذلك التكامل الذى يظلم على الجزء والكلى معناه . وذلك يعنى أن العناصر الجزئية لى بناء ليست ذات معنى فى حد ذاتها، وفى حالة انفرادها وإنما نطلع عليها هذه العناصر عندما ترتبط هذه الأجزاء بالعناصر الجزئية الأخرى فى علاقات منتظمة وثابتة . ومن ثم أصبحت الأولوية فى البنائية للعلاقات دون الأشياء. وذلك لأن هذه العلاقات هى التى تحدد وظيفة تلك الأشياء وتطوّر عليها معانيها المختلفة ، كما أنها تجعل لكل شىء بناءه المتكامل والذي يرتبط بدوره مع البنية الأخرى بعلاقات أكثر اتساعاً .

---

(١١) دكتور أحمد أبوزيد ، البناء الاحتمالى ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٧

وذلك لان كل بناء ، مثل اللغة والمجتمع والانسان .... له بمثابة العلاقات التي تجمع بين الاجزاء المتعددة ، وهي التي تحدد طبيعة هذه الابنية ووظيفتها . والدور التاريخي والاجتماعي لهذه الابنية .

ولما كان اكتشاف هذه العلاقات الدائمية بين الاجزاء وبعضها ، وبينها وبين الكل الذي يجمعها جميعا . وبين البناء الكلي وغيره من البناءات الكلية الاخرى . يلد في ترتيب تلك العلاقات بين هذه العناصر بمستوياتها المختلفة . والارتقاء بادائها الوظيفي ، فقد اصبح المدخل البنائي ذات اهمية معينة في العلوم الاجتماعية ، والتي تشهد تطبيق التآدم والارتقاء للمجتمع البشري . وبذلك يمكن تحديد اسي التحليل البنائي في العلوم الاجتماعية والتي تدعم المعرفة وتحقق تكاملها على النحو التالي :

١ - تحليل البناء لعناصره الجزئية ، وكشف العلاقات الموضوعية التي تربط هذه العناصر ببعضها . وإعادة تركيبها في بناء جديد ، يكون اكثر تقدما وارتقاء من البناء الكلي السابق .

٢ - الكشف عن الماهيات الكامنة خلف كل بناء ، والتي تشمل في العلاقات الموضوعية الدائمة بين عناصر هذا البناء وجزائه .

٣ - التأكيد على الحلة الانسانية التي تعتبر في قوة هذا الاتجاه اساس دراسة اي بناء . وبذلك تبرز الخصلة الانسانية في الاتجاه البشري .

ومن ثم تتكامل اسي التحليل البشري مع اسي التحليل الوظيفي لتحقيق تكامل المعرفة . وذلك لان اسي التحليل الوظيفي يستلزم من القاد البشري التآدم

---

(١) دكتورة فادية عمر الجولاني ، التغير الاجتماعي في المجتمع الحري في ضوء النظرية الوظيفية الاجتماعية . رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ١٩٧٦م

- النظرة الكلية للمجتمع باعتباره نسقا يحتوى على مجموعة من الاجزاء المتساندة وفيها لبلوغ النسق لاهدافه .
- استناد العملية الاجتماعية لتعدد العوامل الاجتماعية وتبادل التأثير .
- رغم ان التكامل لا يكون تاما على الاطلاق، الا ان الاندائ الاجتماعية تلغى لدالة من التوازن الدينامي / الذي يشير لقيام حالة الاتعابه التلاؤمية للتغير الخارجى والتى تعززها ميكانيزمات التلاؤم والخطب .
- ان التوترات والانحرافات والظهور الوظيفى، يمكن ان تكون داخل النسق . غير انها تل نفسيا بنفسها ومولا للتكامل والتوازن .
- وان التغير يحدث بصفة تدريجية تلاؤمية .
- وان التغير يأتى نتيجة للاختلاف الوظيفى للعناصر بـ الادالة الى التغيرات الخارجية والتجديد والابداع من جانب افراد المجتمع وجماعاته .
- وان العامل الاساسى والهام فى خلق التكامل الاجتماعى - يتمثل فى الاتفاد العام على القيم .
- وبذلك يتفهم لنا ان الاتجاه الوظيفى يؤكد على التبادل الوظيفى بين عناصر البناء ومكوناته، كما انه يبرز الطابع الاجتماعى للتطيل الوظيفى لهذه العناصر، والذى يتمثل فى طبيعة التأثير والاداء الوظيفى المتبادل بين العناصر، اى انه يؤكد على الوظيفة الاجتماعية، وذلك ما يمكن استخلاصه من اللغاضيا الوظيفية السابقة والتى تبرز بوضوح اسس التطيل الوظيفى التالية .
- الكشف عن التساند الوظيفى بين عناصر النسق واجزائه، والتى تجعل النسق يبلغ اهدافه .
- تحديد الماهية الكامنة فى تلك الوظائف والتى تتمثل فى تبادل الاداء الوظيفى بين تلك الاجزاء . وهذا التبادل هو الذى يقف على الوظيفة الاجتماعية

معناها ومفازها بالنسبة للنسق الاجتماعي الكلي .

١ - التأكيد على الملمة الاجتماعية لوظيفة العناصر، والدائمة على فكرة التبادل والتماثل مع بعضها .

وبذلك تتكامل أسس التحليل البنائي مع أسس التحليل الوظيفي لتحقيق الفهم الكامل للإنسان، والاجتماعية. وذلك يعني أن تحقيق تكامل المعرفة في العلوم الاجتماعية يتحقق بمدى اعتمادها على المدخل البنائي الوظيفي في دراسة النسق الاجتماعي وعناصره، لأن أسس المدخلين يحققان تكامل التناول للنسق، من حيث جوانبه الإنسانية التي يحققها التحليل البنائي، وجوانبه الوظيفية التي يحققها التحليل الوظيفي لعناصر النسق ومكوناته في العلوم الاجتماعية .

سابعاً : موضوعية المعرفة في العلوم الاجتماعية :

ثمة اتجاه واضح بين علماء الاجتماع يؤكد على ضرورة تحقيق موضوعية المعرفة في العلوم الاجتماعية ، وإن كان أصحاب هذا الاتجاه يتخذون محركات معينة ومختلفة في بعض الأحيان لبلوغ هذه الموضوعية . فمنهم من يؤكد على ضرورة تحقيق حيادية الباحث في مراحل البحث المختلفة ، ابتداءً من صياغة النظرية التي توجه البحث إلى مرحلة جمع البيانات وتحليلها ، وتفسيرها، ومنهم من يؤكد على محركات الصدق والثبات وكفاية المعلومات في البيانات التي تنهض عليها المعرفة في العلوم الاجتماعية .

وأخيراً يذهب فريق من العلماء الاجتماعيين وعلماء المناهج ومنهم "جوربال" إلى أن تحقيق موضوعية المعرفة يقتضي إسناداً على الحيادية من جانب الباحث ، وصدق وثبات وكفاية البيانات التي تنهض عليها المعرفة، فليس

المعلوم الاجتماعية في جانب آخر<sup>١١</sup> ، باعتبارها جميعا محركات تساهم على فهم عملية الظاهرة وتمكننا من تحقيق التقويم الطلي المناسب لها ، وتحقيق حيادية الباحث باعتبارها محكا أساسيا وشروطا ضروريا لموضوعية المعرفة. تعنى في المنحل الأولى ألا يكون هناك احكاما معيارية من قبيل الباحث بحيث لا يوجه نظريا لما ينبغي ان يكون او ما يجب ان يكون عليه الحال بالنسبة لهم فكرة معينة ، او ظاهرة معينة في وضع بياناته حولها ، او تفسيرها. وهذا لا يكتفى اعلان الباحث من موقفه النظري على نحو ما ذهب جوشار ميردال لتوفير الحيادية وموضوعية المعرفة. فزعم ان ذلك يكشف لنا عن خطية الباحث النظرية. وبالتالي يمكن التعرف على تأثيراتها في توجيهه مسلك بحثه في اختيار الظاهرة او وضع البيانات حولها ، وتحليلها وتقديم تفسيرات لها. الا ان اعلانيه عن موقفه النظري رغم ما يقدمه من وضوح الرؤيا باتجاهات الباحث ، فانه لا يساعدنا على تخليص المعرفة من تأثير معياري معين في جميع مراحل البحث . وذلك بعينه ما دفع " جوبال " لانتقاد كارل ماركس واعتباره " تميز موضوعي في تفسيراته للحواث الاقتصادية والتاريخية " ، واعتباره دائما " سياسي اكثر من كونه عالم اجتماعي " وذلك رغم اعلان ماركس عن موقفه النظري في تفسيراته<sup>١٢</sup> . وذلك لان الالتزام بوجهة نظر معينة يترك بصمات معيارية على جميع خطوات البحث . في حين ان عالم الاجتماع يجب الا يقدم لنا الاشياء كما يراها بل يقدمها لنا كما هي<sup>١٣</sup> .

1. Gohal, M.H. op. Cit., p.80.

2. Gohal, M.H., Ibid., pp. 80-81.

3. Smith, H.K., Strategies of Social Research, New Jersey: Prentic Hall, Inc., 1975. p.3.



ومن ثم يكون الابتعاد عن أي أحكام معيارية شرط ضروري لتطبيق الحيادية. على أن يكون التوجيه النظري للباحث قادماً على الحوار النقدي للنتائج النظرية المختلفة، ووفق قضاياها في حوار مع معطيات البحوث الأسبريقية للواقع موضوع البحث .

أما من ناحية، الثبات في المعرفة فذلك يقتضي تحقيق درجة من الصدق والثبات في ادوات (وسائل) البحث، وذلك باختبار ثباتها بإعادة تطبيق ادوات البحث على نفس مهنة الدراسة مرة ثانية. بعد فترة زمنية معينة . لمعرفة إلى أي مدى تكون البيانات المتصلة في حالة التطبيق الثاني مطابقة للبيانات المتصلة في التطبيق الأول (١) .

كما أن الإنسان باعتباره ملاحظ للظاهرة يؤثر على عملية ثبات المعرفة ، إذا لم يلاحظ لنفسه كيفية تحقيق ثبات المعلومات حول الظاهرة ، ولذلك بالعمول على اتفاق من المبحوثين حول القضايا التي يذاشها معهم، والتي تهم موضوع البحث. وهذا الاتفاق على البصائر أو الملاحظات تحقيق ثبات المعرفة ، أما من الأساس الثاني لتحقيق الثبات في المعرفة، وبالتالي تحقيقها فهو تمثيل وحدة الدراسة سواء كانت فردية أو جماعية أو مجتمعاً معيّن معتملة لهذه الوحدة، بحيث تتوفر فيها كافة خصائص المجتمع الأصلي وأن يكون ذلك بنسبة كافية لتمثيل وحدة الدراسة الأساسية أو مجتمع الدراسة الأساسي .

أما الحقيقة الثالثة لتحقيق ثبات المعرفة من قبل الملاحظ أو الباحث فترتبط بالباحث نفسه . وذلك لأن الثبات يمكن أن يتحقق بالدرع معقول ، إذا ما اتبع قواعد واسعة ومحددة لمدارسه للبحث، وذلك بأن يوفّر العوامل الشخصية الكلية يجعله في حيوية فكرية وجماعية، كافية بتناول

---

1. Gopal, op. cit., pp 206-207.

الظاهرة بوضوح كالمفهوم ان يكون متحيزاً، وذلك بتوفير المعرفة الكافية حول الظاهرة، واستبعاد أى أحكام مسبقة أو اعتداد فى أحكامه فقط لمعطيات الواقع حول الظاهرة مفهوم البحث<sup>(١)</sup>

فى حين ان صدق المعرفة يعتمد على مدى الاتساق بين بنود ادوات البحث وموضوع دراسته او مدى ما تتمتع به ادوات جمع البيانات حول الظاهرة من اتساق . هذا فضلاً عن تلازم التكنيكات المنهجية لموضوع البحث . ولأنه ان شئت البيانات يحقق تلق المعرفة حول الظاهرة .

وبالنسبة للكفاية المعلومات حول الظاهرة لتفسيرها، فذلك من المحركات الأساسية لتحقيق موضوعية المعرفة، إذ من الضروري ان تتوفر لدينا البيانات الكافية حول الظاهرة لتمكن تقديم التفسيرات العلمية لها، ولتمكن التعمُّل على كافة جوانبها البنائية والدينامية .

هذا لذلك ان موضوعية المعرفة تستند اساساً الى مدى تكامل المعالجة المنهجية للظاهرة، بحيث نتناولها من جوانبها البنائية والوظيفية، لما يحمله ذلك من رؤية الظاهرة من زواياها المتعددة، وبصورة كاملة . فضلاً عن كون المفاهيم البنائية والوظيفية محققان لتكامل الجوانب الاجتماعية والانسانية المرتبطة بالواقع الاجتماعى .

ولما كانت موضوعية المعرفة مسألة هامة فى العلوم الاجتماعية، كان من الضروري ان يوفر البحث موضوعية الوصف Description والتفسير Explanation والتنبؤ Prediction للسلوك الاجتماعى البشرى . فى حين ان العلوم الاجتماعية لاتنفصل عن الانسان، لأن العلماء لايهتمون بالوصف البسيط للحقيقة

1. Gopal, op. cit., pp. 179-181.

الرائع، ولكنهم يرفضون في التنبؤ بالحوادث المستقبلية ( فالعلم بالافلاحة الى كونه مشروع وعلى ذاته يتفحص العلم كتنبؤ). والتنبؤ قد يؤدي الى مزيد من الغبط ، والغبط للمبشر الاخرين ليس بالقرار العلمي لحسب ، ولكن الغبط هذا اي غبط البشر هو ايضا قرار اخلاقي ومعيارى<sup>(١)</sup> .

ولفلا من ذلك فان العلوم الاجتماعية لا يمكن تناولها منعقدة مسن السياق المجتمعى Societal Context ، وذلك لان نشاطات تلك العلوم ومعطياتها ذات اهمية اجتماعية بالغة بالضرورة<sup>(٢)</sup> .

ونتيجة لعدم انفعال العلوم الاجتماعية عن الانسان يمثلها في العلماء والبشر الذين يخضعون لمطية الغبط-التي يقتضيها التنبؤ في تلك العلوم وما يتفحصه هذا التنبؤ من قرار اخلاقي ومعيارى من ناحية /وارتباطهم/ اي ارتباط العلوم الاجتماعية بسياق المجتمع الذى تكون معطيات تلك العلوم ذات اهمية بالغة وضرورية له من ناحية اخرى، اصبحت لفية مفهومية المعرفة في تلك العلوم على درجة كبرى من الاهمية . ومن ثم تتأكد لذا اهمية تطبيق محكات الموضوعية المشار اليها سلفا لضمان قدر معقول من موضوعية المعرفة في العلوم الاجتماعية، التي يمثل نشاطها، وترتبط معطياتها بالانسان في جانب، والمجتمع في جانب آخر، والتي تشكل ضرورة لافنى عنها لكل مسن الانسان والمجتمع .

---

1. Smith, H.W., op. cit., pp. 3-4.

2. Forcese, Dennis & Richer, Stephen, Social Research Methods, New Jersey: Prentice Hall 1973. p.15.



## الفصل السادس

### محددات البحث الاجتماعي ومعطياته المعرفية

يكشف تحليلنا لاجتماعية المعرفة، عن طبيعة المعرفة المتحصلة لدينا حول الوجود البشري، سواء كانت مصاغفة في شكل نظرية مكتملة، او لم تكتمل بعد، والتي تتخذ كإساس لتفسير الواقع الاجتماعي وهو المجرى من محددات المصادر المعرفي للعلوم الاجتماعية، والذي يختلف نسبيا من المصادر المعرفي للعلوم الطبيعية من حيث الثبات والصدق والشمول . وان هذا رغم اتساعها بذاتية الاجتماعية التي تميز المعرفة العلمية عن المعرفة الفلسفية ذات الطابع المطلق، الا ان احتمالية كل منهما تتفاوت من حيث درجة اليقين، والمتطلبات المنهجية لتحققها . وذلك يعني ما جعل عالم الاجتماع الامريكي جورج هومانز<sup>(١)</sup> يذهب في مؤلفه (طبيعة العلم الاجتماعي ١٩٦٧)<sup>(١)</sup> الى حد القول بان الكشف عن العلاقات الأكثر عمومية بين الخواص يتحقق بنسبة اقل في العلوم الاجتماعية، عما يتحقق بها في العلوم الاخرى . وذلك يشير بوضوح الى ان تحقيق العلوم الاجتماعية لهدي الفهم، والتنبؤ، يتأثر بمدى تقدير تلك العلوم للعلاقات المكتشفة بين الظواهر والخواص، التي نحى لاكتشافها في المحيط الاجتماعي.

ولا يعني ذلك ان النظام العلمي للعلوم الاجتماعية عامة، وعلم الاجتماع خاصة، اقل كفاءة من النظام العلمي للعلوم الطبيعية ، وانما يعني ان عمل العلوم الاجتماعية يمتدّ به بعض العثرات التي قد ترجع في بعض جوانبها لطبيعة الظواهر الاجتماعية ومحيطها الاجتماعي من ناحية ، ولتلك التعديلات التي تواحه النظم العلمية لتلك العلوم من ناحية اخرى، بمعنى ان العلوم الاجتماعية وبوجه خاص علم الاجتماع يواجه بتحديات خارجية تتعلق بطبيعة الظواهر التي يعالجها، وبطبيعة المحيط الذي تتعامل فيه تلك الظواهر .

1. Homans, George C. The Nature of Social Science, 1967.



هذا بالإضافة لتلك التحديدات التي يواجهها من الداخل على مستوى عناصره  
البدائية المتعلقة بنسبته النظرية/وإنشائه المنهجي . وذلك ما ينعكس  
بدوره على البحث الاجتماعي ومعطياته المعرفية .

وفي ضوء ذلك نعالج محددات البحث الاجتماعي ومعطياته المعرفية، بتمناول  
الموضوعات التالية :

- محددات تتعلق بطبيعة الظاهرة الاجتماعية ومحيطها .
- محددات تتعلق بالنظم العلمية للعلوم الاجتماعية .
- محددات تتعلق بالذات المتعدد والوحدة في علم الاجتماع .
- محددات تتعلق بالنسق المرجعي لعلم الاجتماع .

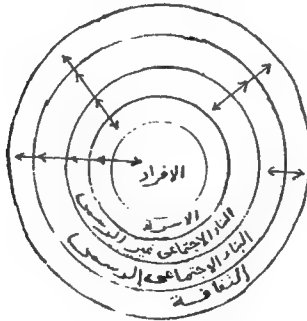
أولاً : محددات تتعلق بجوانب الظاهرة الاجتماعية ومحيطها :

ان أول ما يمكن طرحه من معجلات البحث الاجتماعي يتمثل في كون الكائنات  
البشرية تتناول بالدراسة كائنات بشرية أخرى، وذلك ما يؤدي الى تدخل  
القيم والأيديولوجيات بصورة تؤثر على معطيات البحث المعرفية . وذلك  
يعني ان الجانب الشخصي ( اللا عقلاني ) يظهر في البحث الاجتماعي ملازماً  
للجانب الموضوعي ( العقلاني ) ، في أكثر من موقع . بمعنى ان الجانب الشخصي  
يؤثر على اختيار الباحث لموضوع بحثه ، وانتقائه للإجراءات المنهجية .  
المادة الى تدخل الجانب الشخصي في عملية تأويل البيانات وتفسير العلاقات .  
وبذلك تبرز توجيهات القيم والأيديولوجيات بالنسبة لمعطيات البحث  
الاجتماعي المعرفية . هذا من حيث تأثير الجانب الشخصي للباحث على معطيات  
البحث في العلوم الاجتماعية . اما بالنسبة لتأثير الجانب الشخصي للبحوث  
على معطيات البحث الاجتماعي ، فتشير لحدسية المبحوث بالنسبة لمفردات  
البحث التي يشير لها الباحث . وذلك لارتباطها بمورثات الانسان الثقافية  
والاجتماعية . والتي تلعب دوراً واحداً في توجيه سلوك الانسان ، وذلك ما يؤدي  
الى اخفاء المبحوث لكثير من الطوائف من الباحث . ولتلك معجلات البحث  
الاجتماعي عند مستوى ظهور الجانب الشخصي وتأثيره على الجانب الموضوعي  
في عملية البحث ، وذلك لان البحث الاجتماعي يواجه بمعجلات أخرى غير شخصية  
تؤثر على معطياته المعرفية ايضاً . وتمثل تلك المعجلات الموضوعية  
في كون الظاهرة الاجتماعية ، والتي تعتبر الموضوع الاساسي للبحث الاجتماعي ،

ذات طبيعة مجردة لاستنادها لمفاهيم وقضايا جريدية - الأمر الذى يجعل  
الوصول إلى المظاهر الاجتماعية الفعلية من المسائل التى تتأثر بالبحث  
المادية لذلك طبيعة المحيط الاجتماعى الذى توجد فيه الظاهرة الاجتماعية  
وما يتم به من تعقيد وتشابك يؤثر على تناول الظاهرة الاجتماعية  
وفهم العلاقة المرتبط بها .

فإذا كانت الظاهرة الاجتماعية بمثابة طوك يتكرر الحدوث ويتسم بعلة  
الجبر والالتزام للأفعال - المشاركون فيه - فإن الذى يفسر هذه العلة هو  
المحيط الاجتماعى ذاته . ذلك المحيط الذى تناولته " ندان لين " بالتحليل.  
لتحديد المجال الذى يغطيه البحث الاجتماعى والكشف عن مكوناته البنائية  
وطبيعة العلاقات القائمة بين تلك المكونات .

حيث ان المجتمع يتفهم جوانب ثنائية وجوانب اجتماعية / جوانب شفهية ،  
تتربط فيما بينها ، وتتبادل التأثير . وذلك ما يوفقه الشكل التالى :





وأذا كان السلوك الاجتماعي للأفراد هو الموضوع الأساسي للبحث الاجتماعي ، فإن هذا السلوك يتأثر بالمحيط الأسري للفرء ، والبناء الاجتماعي الرسمي ، وغير الرسمي للمجتمع ، بالإضافة لتأثير السياق الثقافي للمجتمع على الأفراد وسلوكهم . وبذلك توضح شبكة العلاقات والتفاعل بين العناصر البنائية للمجتمع ، مدى تعقيد المحيط الاجتماعي الذي تدرس فسي نظرية الظاهرة الاجتماعية <sup>(١)</sup> .

وإذا كان الواقع الاجتماعي يتكون من مجموعة الظواهر الاجتماعية المتداخلة مع بعضها من ناحية ، ومع المجتمع ( المحيط الاجتماعي ) من ناحية أخرى ، فقد اهتم بتحليلها علماء الاجتماع ومنهم عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز<sup>(٢)</sup> ، والذي ذهب إلى أن الظاهرة الاجتماعية تنطوي على جوانب أساسية تتمثل في الجوانب الثقافية ، والجوانب الاجتماعية ، والجوانب الشخصية ، وبذلك فإن الواقع الاجتماعي ينطوي على جوانب ثلاثة متداخلة مع بعضها . وتتمثل في الجوانب الاجتماعية ، والجوانب الثقافية ، والجوانب الشخصية ، وذلك باعتباره نتائج لمجموع الظواهر الاجتماعية الدافعة في المجتمع . ومن ثم يتسق مفهوم الواقع الاجتماعي مع مفهوم الظواهر الاجتماعية المكونة له .

وذلك يعني أنه جعل الظواهر الاجتماعية التي يتناولها البحث الاجتماعي ذات طبيعة معقدة . تلك الطبيعة التي انعكست بدورها على مفهوم المعرفة التي يقدمها البحث حول تلك الظواهر ، والتي تتضمن معرفة حول الجوانب الثقافية ، والجوانب الاجتماعية ، والجوانب الشخصية ، والعلاقات الدافعة فيما بين تلك

الجوانب .

---

1. Lin, Nün, Foundations of Social Research, New York: McGraw-Hill Book Company, 1976, pp.1-2.

ويسوقونه ألتطيل السائق الى حد القول بان الجانب الشخصى منمهر مسرع  
الجوانب الموضوعية الاخرى ( الثقافية والاجتماعية ) ، فى المجال الاجتماعى  
الذى يتحكم فى مسار وتداول الظواهر الاجتماعية . التى تشكل هذا المجال .  
شأنه فى ذلك شأن المجال العفائيسى وتأثيره على فعل قوى الجسذب  
و الطرد . الا ان المجال العفائيسى خلو من فعل الجانب الشخصى ومن ثم يكون  
امر قياسه خافضا لمحكات ومعايير موضوعية . فى حين ان المجال الاجتماعى  
وظواهره يتأثر بالجانب الشخصى سواء من طريق الباحث او المبحوث . بمعنى  
ان مواطن الناس وانفعالاتهم تدخل فى عملية البحث . وذلك ما جعلنا نؤكد  
على ان الباحث متغير اساسى فى عملية البحث . لانه مغفل لدراسة سلوك  
مشابه لسلوكه . وذلك يعنى ان موضوع الدراسة فى العلوم الاجتماعية  
مالسوك للباحث نتيجة للمباشرة الذاتية الدائمة بين الباحث وموضوع  
بحثه . اى نتيجة للاتصال المباشر بين الذات للباحث وموضوع البحث .

وهذه المباشرة الذاتية بين الباحث وموضوع بحثه ترجع فى الاصل الى :

١ - كون الكائن البشرى \ الباحث \ يدرس كائنات بشرية اخرى \ المبحوث \  
وهو يحمل من المواطن والاتصالات مثل ما يحمله الآخرون .

ب - وكون السلوك الذى يدرسه الباحث يتشابه مع سلوكه ، سواء كانت الظواهر  
السلوكية التى يدرسها فى محيطه الاجتماعى والثقافى الذاتى ، او فى محيط  
اجتماعى وثقافى مفارقتا لبعده وتأخره .

ج - كما ان دراسة الباحث فى العلوم الاجتماعية ، تتناول ظواهر سلوكية تشكل  
محور اهتمام الناس ، والايغال البشرية المتعاقبة . والتى تنقل لبعدها الكثير  
من معارفها حول السلوك البشرى . ورغم ان هذه المعرفة العادية قد تلحق  
او تعيب عندما يعتمد عليها الانسان العادى فى تصرفاته . الا انها السد  
أشرت على اتجاه العلوم الاجتماعية ، لاكتشاف الظواهر السلوكية على اساس

علمي، تمهيدا لتفسير نتائجها، والعوامل المتحركة في هذا الاتجاه. بحث اتجاه جهود العلماء الاجتماعيين الى التفسير بصورة اكثر من الاتجاه الى الاكتشاف. وذلك بدوره ما جعل مهمة التفسير شاقة ومعقدة في العلوم الاجتماعية، عندها في العلوم الاخرى .

د - كما ان عملية التفسير التي تقوم بها العلوم الاجتماعية للظواهر السلوكية تعتمد على مستويات متعددة على نحو ما ذهب عالم الاجتماع "جروفيتش" . حيث يتم هذا التفسير على مستوى الفرد، و مستوى الجماعة، ومستوى المجتمع الكبير، إضافة لذلك فإنه يشتمل على مستويات العلاقة بين الجوانب الثقافية والجوانب الاجتماعية (الجوانب الشخصية) . وذلك ما يجعل التفسير الاجتماعي أكثر تعقيدا في العلوم الاجتماعية منه في العلوم الاخرى .

هـ - وأنه في جميع حالات الاكتشاف للظواهر السلوكية، وتقديم التفسيرات العلمية لها، يظهر الجانب الشغلي للباحث، حيث يكون موجها بقيم وتصورات فكرية معينة، تؤثر على اختياراته للموضوع، وانتقائه للتفسيرات التي يقدمها للمعطيات الامبيريقية ونتائجها . الامر الذي يترك اثره المباشر على هدفه الفهم والتنبيه في العلوم الاجتماعية .

ونظرا لان الظاهرة الاجتماعية ظاهرة فوق العنصرية لأنها تختلف من الظواهر دون العنصرية مثل الظواهر الجيولوجية . والفلكية ، ومن الظواهر العنصرية مثل الظواهر النباتية والبيولوجية . ويؤكد هذا الاختلاف وبصورة اولية في كون الظاهرة الاجتماعية ذات طبيعة مجردة، بمعنى ان ادراك عناصرها والعلاقات القائمة بين خواصها، لا تدرك ادراكا مباشرا. من خلال المفاهيم والصيغ المعبرة

من العلاقات بين المفاهيم. وذلك لأن مفاهيمها وصيغها بمثابة تجريدات ذهنية تعبر عن أفكار معينة لها تحديداتها الواقعية. وبذلك لا تعمس مباشرة من التجريدات الواقعية كما هو الحال بالنسبة للمفاهيمات في العلوم الأخرى. فمفهوم المنور. ومفهوم الغاز، ومفهوم الجاذبية ذات تجريد مباشر في الواقع، وليست مجرد تعبير عن أفكار لها تجريداتها في الواقع. في حين أن المفاهيم المرتبطة بالظواهر الاجتماعية بمثابة تجريد ذهني للأفكار معينة لها تجريداتها الواقعية. وذلك مثل مفهوم الثقافة، ومفهوم البناء الاجتماعي، ومفهوم الدور، ومفهوم الاختراب. فهي جميعها بمثابة تجريدات ذهنية لأفكار معينة. لا يمكن تحديد تجريداتها الواقعية إلا بمفاهيم وتجريدات أخرى ذات طبيعة إجرائية يمكن استخدامها في البحث الاجتماعي.

وتزداد هذه التجريدات شدة بالنسبة للمفاهيم التي تقام بين المفاهيم والمفاهيم المرتبطة بالظاهرة الاجتماعية. إذ أن هذه العلاقات لا تدرك إدراكاً مباشراً كما هو الحال بالنسبة للعلاقات التي تقام بين مفاهيم العلوم الأخرى. مثال ذلك العلاقة القائمة بين وجود الكليتين وعدم وجودهما لدى الإنسان، والحياة أو الموت. إذ أن هذه العلاقة مدركة إدراكاً مباشراً في حين أن العلاقة بين مفهوم الثقافة، والتعب، أو بين الاختراب والانحراف، أو السلبية مثلاً لا تدرك إدراكاً مباشراً وإنما إدراكها يتم من خلال مفاهيم وتجريدات إجرائية تلحق للقياس والتحقق الأميري. وذلك بعينها جعل البعض يتصور أن المفاهيم والقياسات السبولوجية العامة مبنية على الفرض. وذلك راجع في أساسه لكونها لا تعبر مباشرة عن الحقائق العملية. وبذلك يكون الاتصال المباشر أو المباشرة العلمية بين الباحث وموضوع بحثه مختلفة في العلوم الاجتماعية منها في العلوم الطبيعية. وحيث أن المباشرة العلمية متوفرة بين الباحث وموضوع بحثه في العلوم الطبيعية وغير متوفرة بين

بالباحث وموضوع بحثه بنفس الصورة في العلوم الاجتماعية . وذلك بدوره  
يزيد من مصطلحات البحث الاجتماعي. حيث توجد المباشرة الذاتية بيسن  
الباحث وموضوع بحثه في الوقت الذي تغيب فيه المباشرة العلمية بينهما.  
وبذلك يعمق غياب المباشرة العلمية/الذاتية وتأثير المباشرة الذاتية  
على مصطلحات البحث الاجتماعي المعرفية . وتتخلل تأثيرات المباشرة الذاتية  
على المعطيات المعرفية للبحث الاجتماعي في :

١ - تأثير التوجيه الأيديولوجي للباحث على معطيات البحث وذلك لان  
الافكار والآراء والتصورات التي توجه اختيارات الباحث بالنسبة لموضوع  
البحث وانتقائه لأجرائه منهجية معينة تجنح بالبحث تجاه بعض  
الوقائع دون الأخرى/كما انها تجعله ينتقل من التفسيرات ما توجه  
به الافكار والتصورات التي توجهه او بذلك يقدم لنا معرفة متحيزة  
وخلوة من بعض الحقائق التي قد تشكل الأساس الجوهري لفهم الظواهر  
الاجتماعية ومن ثم تكون تعميدهاته حول العلاقات الدائمة بين خواص  
الظواهر محدودة الدائدة في عملية التنبؤ. لانها لاتقدم لنا فهما متكامل  
لحقيقة الوقائع الاجتماعية لذلك لان هذه التعميمات موجهة بالافكار  
وتمورات معينة قد تجنح بلحتمنا عن حقيقة الظواهر. وبالتالي تلطس  
الثبات والصدق والشمول من المعطيات المعرفية للبحث الاجتماعي، ولذلك لان  
التزام الباحث بأي من الدعاوى الموجبة يجعله يتخذ مبادئ معينة،  
للتوصل لحقائق معينة. وهذا ما يطلب معطيات البحث المعرفية مضمونها  
العلمي .

ب - ونفس الشيء يمكن ان يقال بالنسبة لتأثير التوجيهات الشاذية والاجتماعية  
الخاصة بالسياق الاجتماعي ، والاحكام المسبقة من قبل الباحث، والفسولة  
الباحث العلمية، فجميعها تؤثر على مضمون المعطيات المعرفية للبحث  
الاجتماعي .

والواقع ان المعطيات المتعلقة بالجانبا الذاتى، وبطبيعة الظاهرة الاجتماعية ومبناها الاجتماعى، تؤثر على مفهوم المعطيات المعرفية للبحث الاجتماعى، وما يمكن ان يولسه لها، من شئ وصلق وشمول .

ثانياً : محددات تتعلق بالنظم العلمية للعلوم الاجتماعية:

تهتم العلوم الاجتماعية بصورة اساسية بدراسة السلوك الانسانى، لتوفير معرفة علمية دقيقة حول الظواهر تلك فنظم التى تختلف فى طبيعتها وتكوينها، عن غيرها، من الظواهر التى تهتم بدراستها العلوم الاخرى، والنسب، لاتخضع لتفسير مستمر كما هو الحال، بالنسبة للظواهر الاجتماعية. والنسب بالظواهر الخاص بضرورة تؤثر على تطبيق الفهم، والتنبؤ الدقيق حولها . وذلك يعينه مادام بهم على المعاصرين للحدث من نماذج الاحداث الغير مؤكدة الحدود، او التى تعتمد على الصدفة فى العلوم الاجتماعية .

كما ان التحيز المطلق لاي من العلوم الاجتماعية او مداولة الاعتماد باى منها من العلوم الاجتماعية الاخرى، مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسة والاشترولوجيا، وتصور معطياتها منفصلة تماماً عن معطيات العلوم الاجتماعية الاخرى، قد افاق تقدم بعض العلوم الاجتماعية . وذلك لان اى من تلك العلوم لا يستطيع ان يتقدم فى فراغ، ولذلك ما اشار اليه "هارى" و"سيكورد" لى مؤلفهما بعنوان "تفسير السلوك الاجتماعى عام ١٩٧٣ ص ٢" ، عندما ذهبا الى انه يمكن التوصل الى علم نفس اجتماعى دقيق من طريق التعاون بين علماء النفس والفلاسفة وعلماء الاجتماع ، وانه من المؤكد ان اى منها لم يتمكن من النجاح بمفرده . كما ان جون دىوى وبهر، المفكرين المعاصرين ومنهم " تشير شمان " يذكروننا دائماً بان المنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع ليست علوماً منفصلة وانما هى طرق مختلفة لدراسة نفس الشئ . الا وهو طبيعة المعرفة وعلاقاتها بالقوى الدافعة<sup>(١)</sup>

1. Mitroff, Jant. & Kilmann, Ralph P., Methodological Approaches to Social Science, London. Jassay-Pass. Publishers, 1978 pp.8-9.

ولاحض ذلك ان النظم العلمية للعلوم الاجتماعية متداخلة، وليس محسودة المجال والاطار. وإنما قصد به الإشارة الى أهمية استعادة العلوم الاجتماعية من بعضها سواء من حيث المعطيات المعرفية، او من حيث التقدم الذى يخلقها، أى منها فى مجال البحث وتحصيل المعرفة حول الظواهر الاجتماعية .

ب- المحددات النظرية للبحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية :

وإذا ما نظرنا بصورة مباشرة للنظام العلمى لعلم الاجتماع، لوجدنا انه رغم التقدم الذى حققه هذا العلم فى مجال التفكير النظرى، والحوار المنهجى . فإنه ما زال يعاني من مشكلات فى التحليل النظرى، وذلك نتيجة لتعدد النظريات التى تتناول ظاهرة معينة، وتدخل الجانب الذاتى فى اختيار نظرية دون أخرى لتفسر الظاهرة . إضافة لذلك فإن غياباً ما وراء النظرية Metatheory من الباحث عند اختياره لنظرية معينة، يؤثر على مفهوم المعرفة المتحصلة حول الظاهرة، وذلك لأن ما وراء النظرية يشكل الاسس القيمة التى تقوم عليها النظرية وبعبارة أخرى يشكل الايديولوجية الكامنة وراء الجانب الظاهسى للمعرفة .

كما ان عدم تمكن المحاولات المتواصلة بين علماء الاجتماع من النجاح فى تحديد النموذج النظرى العام لعلم الاجتماع، او ما يمكن تسميته بالنظرية السيولوجية، التى تخضع تحديداً للتمور السيولوجى لتناول الظاهرة الاجتماعية . والتمور السيولوجى لمعالجتها وتحليلها، من طريق الكشف عن الرابطة القائمة بين الاتجاهات النظرية العامة لعلم الاجتماع، امثل الاتجاه الوظيفى واتجاه النظرية السيولوجية الاجتماعية، والاتجاه الوضعى والاتجاه القياسى، والاتجاه التحليلى . قد اعاق الى حد كبير تقدم النظام العلمى لعلم الاجتماع . وبالتالى تركه لمرما كبيرة لتدخل الجانب الذاتى فى عملية البحث، وتحصيل المعرفة . الأمر

الذى ادى الى النظر لعلم الاجتماع على انه نظام معرفى متحيز

## ٢ - المحددات المنهجية للبحث الاجتماعى ومعطيات المعرفية :

ثم تأتى بعد ذلك المحددات المنهجية للبحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية وتشير تلك المحددات للمعطيات والمشكلات المتعلقة بالبنية المنهجية لعلم الاجتماع باعتباره إحدى العناصر البنائية لنظامه العلمى .

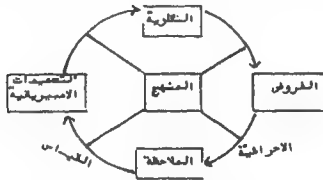
اذ ان الاهتمام المفرط من قبل علماء الاجتماع بمشكلات التحليل النظرى، ومبدأية نماذج نظرية لتحليل الظاهرة الاجتماعية قد جعلهم لا يهتمون الجانب المنهجى لعلم الاجتماع من الاهتمام ما يكفى لتحقيق تقدم معادل للتقدم الذى حققه فى مجال المعطيات النظرية وذلك يخلق فى اساسه لقناعة معظمهم بمنطق وحدة المنهج العلمى بالنسبة لمختلف النظم العلمية . سواء اكانت اجتماعية ام طبيعية ورغم ان قناعتهم تلك تقوم على اسس صحيحة الا ان طبيعة الظاهرة الاجتماعية التى يعالجها علم الاجتماع واختلافها عن ظواهر العلوم الطبيعية ، يأتى تطوير الاجراءات المنهجية بما يلائم طبيعة الموضوع ومع الابقاء على الاسس المنطقية والمبادئ الاساسية للمنهج العلمى، وتطوير الاجراءات المنهجية يعنى ادراج مداخل وطرق منهجية تلائم طبيعة الظاهرة الاجتماعية ، بالإضافة الى الطرق المنهجية التى تتبع فى العلوم الأخرى . فالمسألة الى تطوير الاساليب المنهجية ، والادوات المنهجية بما يلائم طبيعة الموضوع والمجال الذى نتناول ، فيه الظاهرة الاجتماعية بالدراسة . وذلك لغد ان تطبيق اللياقة المنهجية بين موضوع الدراسة والاجراءات المنهجية المستعملة . وهذا التطور للاجراءات المنهجية لا يأتى جدلا او جزاءا وانما يحتاج لعمل متواصل لاختبار كفاءة المداخل والطرق والاساليب والادوات المنهجية فى معالجة الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالسلوك البشرى .



وقد كان لهذا اليوم مردوداته السلبية، التي شكلت في الوقت الراهن  
المحددات المنهجية للبحث الاجتماعي، ومعانيته المعرفية، حول الفواهيسر  
الإيجابية. ونتمثل هذه المحددات المنهجية في :

١ - عدم وفوح الاساس المنهجي لاعادة التكوين والصياغة للثقافة الاجتماعية  
في البحث الاجتماعي . وذلك لان الثقافة في العلوم الاجتماعية قديما  
احتمالية وليست مطلقة. فهي دائما تتعرض لاعادة التكوين، والصياغة فليس  
غرو معطيات البحث الاجتماعي، وم ذلك فليس هناك اساس منهجي واضح  
لتحقيق احتمالية الثقافة دون الاخلال بمفهوم العمومية، والداطنة. بحيث  
يمكن استخدامها في البحث الاجتماعي وتنميتها من خلاله في نفس الوقت .

وقد حث بعض المنظرين والمنهجيين في علم الاجتماع لتأكيد احتمالية الثقافة  
تلك بتأكيدهم على اهمية ربط الصياغة النظرية بالواقع، واختبار النظرية فليس  
غرو الواقع، ومداولتهم لرسم استراتجية منهجية لتحقيق هذه الاحتمالية ومن هذه  
المحاولات محاولة كولتر وليس، واختبار النظرية: والتي يوقعها الشكل التالي :



وبذلك فان نموذج وليس لتحقيق احتمالية الثقافة النظرية يشير لمعالجتها  
بالتعميمات الإمبريقية على اساس منهجي. الا أن نموده لم يكشف لنا عن مواقف  
من الدماوى الموجهة للنماذج النظرية العقلية في علم الاجتماع، والتي لاتخضع  
لغايات المحبة الاحتمالية .

1) Wallace, W. Sociological Theory, London, Heinemann, 1969.

كما ان<sup>١٠</sup> شان ليس<sup>١١</sup> تسمى لتحقيق احتمالية الفضايا النظرية في علم الاجتماع برسم استراتيجية منهجية لعملية التحقق من النظرية على اساس ان الفايضا البحث تتولد من النظرية، حيث يتم في فوثها تحديد مشكلة البحث وسحب العينة المناسبة والخداع الفضايا للقياس، وجميع البيانات حولها، ثم تحليل البيانات والقيام بتأويلها، تلك البيانات ومراجعة صياغة المفاهيم والفضايا النظرية، في فو<sup>١٢</sup> التعميمات الامبريقية وهي بذلك تخفف النظرية للقياس، وتؤكد احتمالية الفضايا التي تقوم عليها .

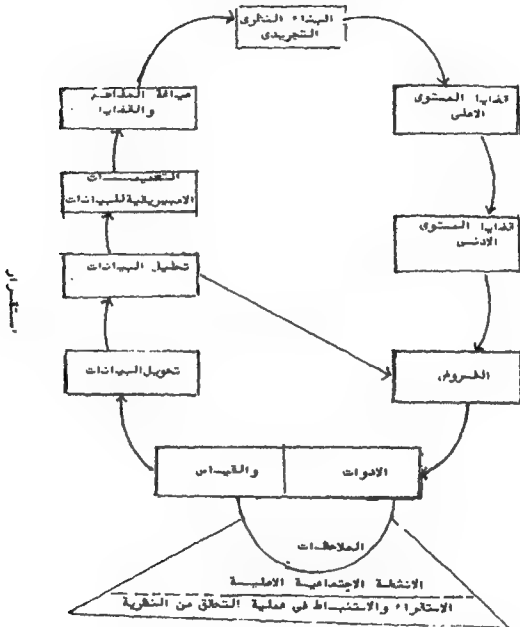
ولكي تطلق هذه الاحتمالية تقوم برسم معالم الاستراتيجية المنهجية للتحقق من النظرية/ وذلك بتحديد الفضايا المستوى الاعلى للنظرية والفضايا المستوى الادنى والتي يتم سحب الفروض الإجرائية عنها من طريق الاستنباط ثم تحديد الأدوات واجراءات القياس التي يتم بواسطتها الخداع النظرية للملاحظات، ثم تحول البيانات الى مستوى الكم، حيث يتم تحليلها في فو<sup>١٣</sup> الطرق المستنبطة من الفضايا النظرية. ويبدأ على استقراء تلك البيانات، يتم الوصول الى التعميمات الامبريقية، التي نستند اليها في اعادة صياغة المفاهيم والفضايا، التي يستند اليها البناء النظري التجريدي .

والشكل التالي يوضح استراتيجية شان لين<sup>١٤</sup> المنهجية للتحقق من النظرية<sup>١٥</sup> :

---

١) Lin, Nan, op. cit., P.17

الشكل التالي يوضح نموذج لبن للتفاعل بين الكيف والكم في الصياغة النظرية .



وإذا كانت محاولة كل من " ولتر ولس " و"ان لسن" تكشف بوضوح عن احتمالية القضايا النظرية في علم الاجتماع، لذلك لانها يقرران سلفاً خضوع النظرية من حيث مفاهيمها وقضاياها، لمراجعات المعطيات الامبريالية التي يتم على اساسها اعادة صياغة تلك المفاهيم والقضايا . على اساس استقرارها . الا انها بهذا ان عملية البحث على اساس استنباطي باستنباط الفروض الاجرائية من القضايا النظرية الاخرى والتي تستنبط بدورها من القضايا النظرية الاخرى ( الاولى ) التي يتلخصها البناء النظري . وهذا بذلك يستبعدان فكرة القضايا المطلقة التي تتلخصها الدعاوى الموجهة لبعض النماذج النظرية المغلفة والتي تخلف في نظرها لمراجعة المشاهدات الامبريالية التي يحفلها البحث الاجتماعي .

وبذلك تنتهي الاستراتيجية المنهجية لتطبيق احتمالية القضايا النظرية في علم الاجتماع على اساس التاليف بين عمليتي الاستنباط والاستقراء في عملية البحث التي تبدأ بـ" بداية استنباطية " بتحديد الذاتي ( الفردي ) من العام ، القضايا / وتنتهي بالاستقراء بالوصول الى العام ، اعادة صياغة المفاهيم والقضايا / على اساس الذاتي { المعطيات الامبريالية للتحقق من الفروض } .

ويأتي تأكيد دكتور محمد هادي عثمان<sup>(١)</sup> على احتمالية القضايا في المنهج الاجتماعي عامة وعلم الاجتماع خاصة عندما ذهب الى ان " تطبيق المنهج العلمي هو الاصرار على النقد المستمر لدعاوى المعرفة في ضوء القواعد التي تحكم بمقتضاها على شذات طرق البحث التي استخدمت في الحصول على المعطيات التي يحويها البرهان العلمي<sup>(١)</sup> اذ انه اضعف دعاوى المعرفة - للنقد المستمر - وفي ذلك قناعة . خاصة باحتمالية الحكم او القضية سواء كانت تلك القضية ومفية او تفسيرية

---

(١) دكتور محمد هادي عثمان . المنهج في علم الاجتماع ، الجزء الثاني ( نظرية التكامل المنهجي في علم الاجتماع ) القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٣ ، ص ١٠٦ .

الإمام إمام هذا البعد على أساس منهجي عندما أشار إلى أن البعد المستمر  
لداوى المعرفة، يتم على أساس القواعد التي نحكم بمقتضاها على ثبات طرق  
البحث التي استخدمت في الحصول على المعطيات وذلك ما جعله يولي البعد  
المنهجي للبحث الاجتماعي اهتماما واحدا. وذلك لقناعته بأن البناء المنهجي  
للبحث الاجتماعي ليس إرادية ولكنه وسيلة لقامة البناء المنطقي لعلم الاجتماع  
كما أن اهتمامه بالواقع بتحقيق التأثير الوظيفي بين التصورات والملاحظات  
التجريبية<sup>١١</sup> يحوى من الأدلة المنطقية ما تؤكد على اعتدالية القضاة المعرفية.  
وذلك لأن الواقع الاجتماعي متغير، وهذا التغير ينعكس على الملاحظات  
التجريبية التي تراجع بدورها التصورات النظرية، والتي تتأثر وظيفيا مع  
الملاحظات التجريبية. وذلك ما تضمنته بوفرة تحليلاته للبناء المنطقي لعلم  
الاجتماع، والذي يتألف من نوعين من القضاة هي: القضاة التجريبية الوظيفية  
والقضاة النظرية التفسيرية . وتأكيده على تأثرها وظيفيا . بقوله  
( وهذان النوعان من القضاة يتطلبان للوصول اليهما تأثر الاداء المنهجي  
للملاحظات الحسية والتصورات العقلية على طرفي سوا<sup>١٢</sup> . وقد كان لذلك  
تأثيره الواضح على اتجاه ارساء دماكم نظرية التكامل المنهجي التي  
استهدف بها رسم معالم الاستراتيجية المنهجية لتحقيق التكامل المعرفي بين  
التصورات العقلية، ومعطيات الملاحظة التجريبية كأساس لدعم البناء  
المنطقي لعلم الاجتماع وما يأتلفه من قضاة وظيفية تجريبية، والقضاة  
تفسيرية نظرية .

وبذلك فإن الدكتور محمد عارف يتخذ من نظرية التكامل المنهجي أساس  
لدمج طرق البحث التي تستخدمها في الحصول على المعطيات المعرفية باعتبار هذه  
الطرق أساس لدعم البرهان العلمي . وهو في ذلك يتفق مع "أرنست نجل" على أن

---

١١) دكتور محمد عارف عثمان ، المرجع السابق ، ص ١٠٦

١٢) دكتور محمد عارف عثمان ، المرجع السابق ، ص ١١٠

شدت طرق البحث تلك أساس لتقدير قوة البرهان التي تستند اليه نتائج المعرفة العلمية<sup>(١)</sup> وقد كان اهتمام عالم الاجتماع الفرنسي "اميل دوركايم" بتحديد قواعد إقامة البراهين السيولوجية في مؤلفه (قواعد المنهج في علم الاجتماع)، وإصراره الواضح على تطبيق طريقة التغير النسبي لحسب من بين الطرق التجريبية الأخرى وذلك لأنها تلائم طبيعة الظواهر الاجتماعية والتغيرات التي تطرأ عليها باستمرار. وراح إلى أن الحياة الاجتماعية في نخره سلسلة متصلة الحلقات من التغيرات التي تساقق بعض التغيرات الأخرى، التي تطرأ على شروط الوجود الاجتماعي. فالمسألة لذلك فإن إشارة دوركايم إلى أن هناك عددا كبيرا من الظواهر الاجتماعية التي يعم وجودها في المجتمع بأسره، وإنما تتشكل رغم عموميتها بحور مختلفة تبعاً لاختلاف المناطق الجغرافية والمهن وغيرها من الظروف والأوضاع الاجتماعية<sup>(٢)</sup> وتأكيده اميل دوركايم بشكل واضح على استمرار تغير الظواهر وتشكلها رغم عموميتها بحورة مختلفة باختلاف المحيط الاجتماعي، يخش بحورة واضحة أن القضايا السيولوجية هي بالضرورة قضايا احتمالية وليست مطلقة. كما أن إصراره على استخدام علم الاجتماع لطريقة التغير النسبي من بين الطرق التجريبية تشير إلى اهتمام دوركايم برفع مستوى اليقين في القضايا السيولوجية بالاستناد إلى طريقة وإساليب منهجية تناسب طبيعة الظاهرة الاجتماعية المتغيرة، وبذلك يطلق علماء الاجتماع إحدى مبادئ المنظر العلمي الأساسية والمتشكلة في النسبية، والتي تشير إلى أن العالم لا يعتبر النتائج التي وصل إليها نتائج حاسمة وعامة، ومطلقة، من حيث الحق، وتحقيق مثل هذا المبدأ يدعم إحدى مبادئ المنظر العلمي في مجال البحث الاجتماعي وهو مبدأ الشك العلمي الذي يشير إلى رغبة الباحث في السؤال حول كل شيء، والنظر فيما وراء الأمور الظاهرة محاولة منه لتحديد

1) Nagel, E., The structure of Science, New York: Harcourt, Prace and World, 1961. p. 13.

2) Durkheim, Emile. The rules of Sociological Methods, New York: The Free Press, 1966. pp. 134-135.

مدى صدق النتائج التي يصل إليها<sup>(١)</sup>. ويعتبر عالم الاجتماع الإيطالي "لفريدو بارينو" من أوائل الرواد الذين اكدوا على احتمالية القانون وذلك بتأكيد ان القانون يتغير كلما اكتشفنا حقائق جديدة. وتوصل الباحث الى وجود شبه او مطابقة مشتركة بين الخواص والظواهر لم تكن معلومة سلفاً. وذلك بعينه ما جعل الاسس المنهجية عند بارينو ملتزمة بالحقيقة الموضوعية. وللاحتمال قوانينه الرياضية المعادة في معادلات رياضية متعددة تبدأ بأبسط قوانين الاحتمال وتنتهي بأكثرها تعقيداً<sup>(٢)</sup>.

وفي ضوء ذلك نجد ان جهود علماء الاجتماع متواصلة لرسم معالم الاستراتيجية المنهجية، لتأكيد مبادئ المنظور العلمي في مجال البحث الاجتماعي وتطبيق احتمالية التعميم في المصاحبة النظرية، والابتعاد عن الدماوى النظرية الموجهة، والتي تبني عليها الانساق النظرية المغلقة. الا ان هذه الجهود رغم ما خلقت من تقدم في القامة الرابطة بين التصورات النظرية والمشاهدات التجريبية، والتأليف بينهما، اصبحت الوصول الى القضايا السيولوجية التي ينهض عليها البناء المنطقي لعلم الاجتماع. وهذا الإسهام في حد ذاته ليس بقليل. خاصة وان فتح الطريق امام مزيد من المحاولات المعاصرة لتقليل تأثير الدماوى الموجهة على معطيات البحث المعرفية، والسعى لتحقيق التسايد الوظيفي بين الاستدلال الاستقرائي والاستدلال الاستنباطي، في صياغة القضايا السيولوجية. بمعنى ربط المشاهدات التجريبية بالتصورات النظرية في عملية البرهان العلمي، على صفة القضايا والوصول الى مستوى قراءة الظواهر الاجتماعية على اساس من الفهم العلمي، القائم على وصف الوقائع وتفسيرها، بعمق تنادى الطبيعة المتغيرة للظواهر الاجتماعية. لامتانة الصياغة النظرية في ضوء تلك التغيرات.

1) Fitzgerald, Jack. D. & Cox, Steven. M., Unraveling Social Science, Chicago; Rand McNally College Publishing Company, 1975, pp.7-8.

2) Fararo, Thomas J., Mathematical Sociology, New York: A Wiley-Inter-Science Publication, 1979. pp.2-3.

## ب- القياس واجراءاته المنهجية

يشكل القياس بمستوياته الأربع <sup>١١</sup> الاسمي ، الترتيبي ، الفاصلي والنسبي ، أداة للعبادة النظرية في علم الاجتماع . ولذلك فان النماذج النظرية تتوزع بين خمسة نماذج اساسية تتفق في منطلها مع مستويات القياس الأربع سالفة الذكر، وتتمثل تلك النماذج النظرية في .

- النموذج التتميزي - حيث يتم تقسيم القسم والذوات او طبقات المفهوم على اساس التميز والشمول فتكون فئات المفهوم مثل مفهوم الطبقة الاجتماعية عندما تقسم الى طبقة عليا وطبقة وسطى وطبقة دنيا . وقد تكون الفئات متماثلة مثل : الدور ، الوضع ، والصفة .
  - ثم يأتي النموذج التنميطي حيث يتم تعيين التوزيع الهدهي لمفهومين او اكثر مثل نموذج ميرتوتو المتعلق " بالاهداف - والوسائل " .
  - النموذج الاحتمالي - ويشير الى ان احتمال الحدوث لمفهوم يؤدي لحدوث الاخر، فاذا قبل شخص الاهداف احتمال ان يقبل الوسائل اكثر من رفضها واذا رفض شخص الوسائل احتمال ان يرفض الاهداف اكثر من قبولها .
  - اما النموذج الارتباطي فيحدد شكل العلاقة وما اذا كانت العلاقة بين مفهومين طردية ام سلبية .
  - ويشير النموذج الوظيفي الى ان قيمة متغير مرتبطة بقيمة متغير اخر، مثل أ- متغير مستقل ب - متغير تابع بحيث تكون الوظيفية عكسية فيما بينهما وذلك ما يوضحه الشكل التالي :
- أ ← ب ← ب

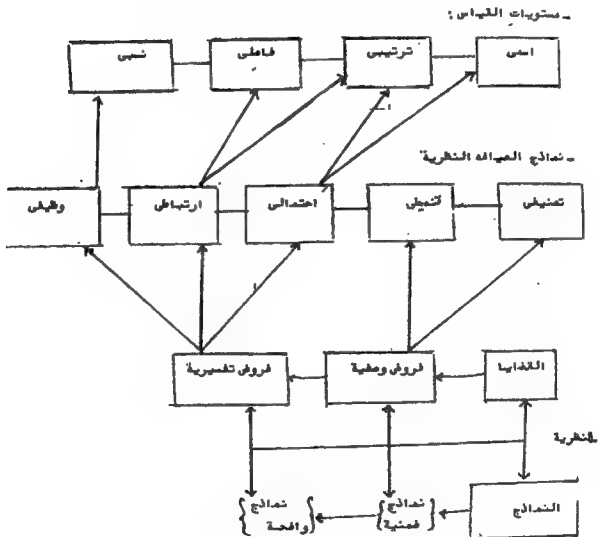
ويرتبط النموذج الاحتمالي من الناحية الاجرائية بالمستوى الاسمي والمستوى الترتيبي، اما النموذج الارتباطي فيرتبط بالمستوى الفاصلي والمستوى الترتيبي ويرتبط النموذج الوظيفي بالمستوى النسبي للقياس .

---

(١) دكتور السيد علي شتا ، البناء النظري لعلم الاجتماع ، الخبر ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢ ، الفصل الخامس عشر .



والنماذج الثلاثة للصياغة النظرية للاحتدائي والارتباطي والوطني / والتي ترتبط بمستويات القياس الأربعة على نحوها أولحاً تدهم بملة أساسية فسي صياغة الفروض التفسيرية التي تتضمنها نماذج النظرية الواحدة في حين أن النموذج التعميلي والنموذج النظري التعميلي مرتبطان بالفروض الوصفية التي تتضمنها النماذج الفنية للنظرية. وذلك ما يوفعه الشكل التالي :



ويشير الشكل التوفيعي الى ان النموذج النظري الذي يمكن اختباره هو النموذج الاحتمالي حيث يتم اختبار متغيراته على مستوى القياس الاسمي والقياس الترتيبي. في حين ان العلاقات الارتباطية يتم اختبارها على مستوى القياس الترتيبي والفاصل. وهي اشكال العلاقات الارتباطية بالمعنى الخطي الست يمكن اختبارها . في حين ان المتغيرات التي يمكن ان تقاس على المقياس النسبي فهي العلاقات الوظيفية بين المتغيرات والتي يمكن قياس نسبتها على مستوى هذا المقياس .

في حين ان النموذج التمثيلي والنموذج التنميطي لينحصر ادا شهدا الوظيفي على مستوى النماذج العددية للنظرية والمتمثلة في الفروفي الوظيفية. في حين ان النماذج النظرية الاخرى فتعمل على مستوى النماذج النظرية الواضحة والمتضمنة للفردي التفسيرية في بناء النظرية (١) .

وتكمن معقلة القياس هنا في كونه ضرورة اساسية لعملية البحث باعتباره اداة للمعالجة النظرية يعتمد في تحليله على اجراءات منهجية متعددة. تبسدا بتحديد المدخل المنهجي. والفرق المنهجية الموضوعية مثل الطريقة التجريبية والتي بدورها تستند إلى المدخل العددي. والمدخل الرياضي وتستعين بالاساليب منهجية محددة مثل اسلوب القياس وادوات منهجية محددة مثل المقاييس. وذلك يلتبس من الباحث مهارات منهجية واصحابية معينة اضافة الى المينة واصالها صحها. ومدى تمثيلها المجتمع الدراسة من حيث الخصائص والسمات. ومدى تطبيق هذا التمثيل من طريق المينة العشوائية والمينة المنتظمة. وهذا يسكون الاختبار امام عالم الاجتهاد. هو ان يصبح رياضييا. وعلى درجة عالية من التجريد. والجدير بالذكر هنا ان علم الاجتماع في امريكا بدأ ينحو تجاه هذا الاختصار. ولكن هال توفر للباحثين من المهارات الرياضية. والمنهجية ما يجعلهم ليس

1) Lin Nan, op. cit., p. 192

مستوى هذا الاختيار ؟ وهل الظاهر الاجتماعية بذلك يمكن فهمها دون أن  
تعالج بالمداخل المنهجية الذاتية مثل المداخل الانثروبولوجية والفينومينوا  
والاشنوميشودولوجية والتي تشكل داخلة المعالجة الكلية لذاتية للظواهر  
الاجتماعية في علم الاجتماع . وإذا كانت هذه المداخل الذاتية ضرورية  
لتعميق فهمنا للظواهر الاجتماعية فما هي حدود امكانية الباحث لتطبيق  
المهارة بين المداخل المنهجية الموضوعية التاريخية والمفاهيمية  
والتجريبية - والرياف / والمداخل المنهجية الذاتية الانثروبولوجية /  
الفينومينولوجية ، والاشنوميشودولوجية ؟.

ثالثا : قضايا التعدد والوحدة في علم الاجتماع

تنتقل المعالجة العلمية للقضايا التعدد والوحدة من مبادئ النهج  
العلمي الاساسية وخاصة المبدأ المتعلق بالموضوعية وذلك لان العالم يحاول  
بوصف تأكيد استناد النتائج التي يصل اليها على المشاهدات الواقعية والبحث  
اكثر من تقديراته وانطباعاته الشخصية. ورغم ان ذلك مطيح اساسي للباحث  
الاجتماعي، ولعالم الاجتماع، الا ان استبعاد التوجيه الذاتي لا يتحقق بكامله .  
وذلك ما يجعل الوصول الى الموضوعية في العلوم الاجتماعية، وعلم الاجتماع  
خاصة اكثر صعوبة منه في العلوم الطبيعية . ويرجع ذلك في اساسه لكون عالم  
الاجتماع، والباحث الاجتماعي يتفاعل مع موضوعه (الكائنات البشرية) في حين  
ان عالم الطبيعة والكيميائي لا يتفاعل مع موضوعه بنفس مستوى تفاعل عالم الاجتماع  
ونتيجة لذلك ينبغي على ان عالم الاجتماع، والباحث الاجتماعي ان يهتم بتقريب  
اوجه تميزه في الوقت الذي يسعى فيه للوصول الى مستوى الموضوعية قدر الامكان ؛  
وهذه الصورة تمكن بجلاء حالة من الذاتية في مجال البحث الاجتماعي، تلك الذاتية  
المتعلقة بضرورة تحقيق الموضوعية لدمج علمية علم الاجتماع باستناد على  
مبادئ المنظور العلمي وعدم القدرة للتخلي بصورة تامة من التوجيهات الذاتية

1. Fitz gerald, J. and Cox, S., op. cit., p.7.

في عملية البحث . وذلك ما جعل علماء الاجتماع يهتمون بمعالجة لقيمة الموضوعية في علم الاجتماع معيا منهم لتحديد امكانية تحقيقها في مجال البحث الاجتماعي لجعل معيياته المعرفية معبره عن حقيقة الواقع الاجتماعي<sup>(١)</sup> وفي نفس الوقت سعى البعض الاخر لمعالجة النزعة الذاتية باعتبارها طريقة من طرق علم الاجتماع وانها اي الذاتيه جزء لا ينفصل عن المعالجة الاجتماعية لخواص الواقع الاجتماعي<sup>(٢)</sup> .

والشائعية هذا لتشير للصور في النظام العلمي لعلم الاجتماع والتداخل بموقف الباحث وعدم تمكنه من تحقيق الموضوعية كمبدأ من مبادئ المنظر العلمي منذ تناوله للخواص الاجتماعية . وانما تشير الى وهي الباحث بطبيعة الحقائق التي يريد قياسها ، والمعاني الاجتماعية التي تسعى لمعرفة حول خواص الواقع الاجتماعي المعبره عن النشاط والسلوك البشري .

ولا شك ان للإنسان تصوراته حول عمليات تكوين الأشياء كما ان له معتقداته من القيم التي تنظم سلوكه ، الا ان ذلك لايعني ان معرفتنا تلك منذ مجرد تصور الانسان لهذا الواقع ومعتقداته من القيم الموجهه لسلوك الانسان بحيث يمكن قبول هذه المعرفة باعتبارها معطائنا فيها اذ ان خضوع نظريات عالم الاجتماع للاختبار والمعالجة بالاساليب والطرق العلمية المقترحة مالم ضرورة للتحقق من صحة معرفتنا وشمولها ودرجة شباتها .

وان كان لهذا المؤلف مردوداته على الإجراءات المنهجية لمعالجة تصورات حول الواقع وخواصه اذ هزت الاتجاهات التي تتخذ من المداخل المنهجية الذاتية اسما للتحقق من تصوراتنا باعتبارها انصب المداخل لهم طبيعة الواقع .

1. Hutcheon, Pat Duffy, Sociology and the Objectivity Problem, Sociology and Social Research, 1970, Vol. 51. №2.p.153.

2. Fenton, C. Stephen, The Myth of Subjectivism As a Special Method In Sociology. The sociology Review, 1968. Vol. 16. N.3.P.333.

كما ههر الاتجاه الذى يؤكد على المداغل الموفومفة ،اللى ترى فى التحكم والبطوالتحرف من اى فوفبه ذاتى فى معالفة ففورا فى فوف السواقع اساسا لفلففة الموفومفة وقد فربف على الاففلاف بفالفمال الفافب الفاففس من الفافب الموفوف فى ففم الففافف الاففامفة فلفف ففاففة فى الفففساف المنهف لفلم الاففامف .

وهذه الففاففة المنهفة اففبف بفورها بففاففة الففسفر للفواهر الاففامفة .وفففر الاففامف الفى فركف على الفوافب الفاففة للفواهر .واففامف الفى فركف على الفوافب الموفومفة للفواهر . وذللفللفق بفوره ففاففة فى الفففر السفولوفى لففسفر الفواهر الاففامفة .

ولاف افر هذا الفوف بمورة مامة على فلفق الفافم فى مفال ففاففة الففرفة السفولوففة المامة ، الفى ففلاف الفففر السفولوفى لففلاف والمفالفمفة . والفففر السفولوفى لففسفر . ولاف كان هذا الموفف فففة مفافففة لففمف الففلففة لفلففة الانسان ، والمفمف من فاففة . والفرف الملمفة المفمف فى ملمفة فففل المرفة من فاففة افرى . ولفى مفف لفلفل الاففمف على ففاففة الففم للوافع الاففامف كانت ماملا موفلا فافما لففام لففم الفى ففم الاففامف . اف ان هذه الففاففة مامفة على فففر ففم الاففامف لفماف الفمف وابفكافه المفافف والاسالف الففماف على فلفق الففم للفمفون الفافى للوافع الاففامف ،الذى فففل فى ففمفه من الفواهر الفى ففاولها المفرف الاخرى ،الفى ففلف فرفة مامفة من الموفومفة ففى معالفهما فوذلك ففلف ففم الاففامف فموا فاففا فى ففاففه الففرف والمنهفى بماففمف فافما ملمفا ملاما لففمفة موفومفة .

الا أن محاولات فهم طبيعة الإنسان والمجتمع والعلاقة الدائمه فيما بينهما قد كشفت عن وجود الجانبين الشخص والموضوعي معاً، ووجدنا انفصال فيما بينهما . وباعتبارهما جانبين لحقيقة واحدة، هي الواقع الاجتماعي، وإن فهم أي منهما منفصلاً عن الآخر لا يفيده في تقديم معرفة حقيقية، أو معرفة معبره عن الواقع المعلى، كما أن بعض تلك الإتجاهات قد اكدت ايذا على وجسود الاسلوبين داخل النظام العلمى لعلم الاجتماع، وإن النظرية العلمية هي تلك التى تغطى صورة كاملة لكيفية عمل العلماء . فليس التهور السيولوجى لعلم الاجتماع بكامل ما لم يتفهم الجانب الموضوعي، والجانب الذاتى على مستوى تناول الظاهرة ومعالجتها، أو على مستوى تفسير الظاهرة وتأويلها . ولكن مع تزايد الاهتمام بهذا الاتجاه فقد باليت مشكلة التعدد والوحدة، إحدى محددات البحث الاجتماعى، نتيجة لعدم وفوح الأساس الذى نقيم عليه هذا التاليف بين الجانبين على المستوى المنهجي، والمستوى النظرى لعلم الاجتماع، وذلك رغم أن فهم طبيعة العلاقة بين الجانبين قد حقق تقدماً بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والمجتمع، أي لطبيعة الواقع الاجتماعى . إلا أن معالجة هذا الواقع ما تزال تعاني من انفصال المداخل المنهجية الذاتية عن الموضوعية في عملية المعالجة، وانفصال فهم الجوانب الذاتية عن فهم الجوانب الموضوعية على مستوى الاتجاهات السيولوجية، وبالتالي انفصال التصورات النظرية عن الوقائع المشاهدة . وما زال الباحث أمام معضلة تحقيق التكامل بين نشاط بحثي بهدف الوصول الى نتائج ومعرفة متكاملة حول ظواهر الواقع الاجتماعى .

١ - المطابقة والالتقاء بين الذاتية والموضوعية .

يشتمل التحليل هنا بطبيعة النظام العلمى لعلم الاجتماع، وبطبيعة عمل العلماء، ومدى تولد جانبى الموضوعية / العقلانية / والذاتية / اللاعقلانية / على أساس اتجاهات داخل النظام العلمى، وفى نطاق عمل العلماء أنفسهم .

وذلك لان متطلبات صياغة النظرية العلمية ليست بالضرورة شخصية او غير عقلانية ، كما انها ليست بالضرورة موضوعية او عقلانية وذلك لان النظرية العلمية تحاول ببساطة ان تقدم فهما للمعتقدات والاسواق البنائية للمجتمع . وهذا الفهم قد يبنى لدى البعض على اساس تصوري عقلي حيث يظهر فيه تأشير الجانب الذاتى . وقد بنى هذا الفهم لدى البعض الاخر على اساس المشاهدات الواقعية . وكلا الاتجاهين ينطلق من اهداف سيولوجية لها اهميتها فى تحديد مفهوم عملها . حيث ينطلق الفريق الاول من رؤى مودها ان من الضروري لعلم الاجتماع ان يطور مقولاته المتعلقة بحياة الافراد والاحداث ومعانى الاشياء وتفاعل الاشخاص على اساس تصور عقلى لما يمكن ان تكون عليه صور التفاعل ومعانى الاشياء فى الواقع .

فى حين ان البعض الاخر ينطلق من رؤى مودها ان المشاهدات الواقعية لحياة الافراد وصور تفاعلهم ، اساس لفهم هذا الواقع وتشكيل تصوراتنا حوله . ورغم ان سلك اى من الفريقين يأخذ من حادافا يرا لمنه الفريق الاخر فى فهم الواقع ، حيث يقيم الفريق الاول وزنا كبيرا للتصورات العقلية حول المجتمع ، واحداثه وقواهره ، وصور التفاعل بين اعضاءه من الافراد والجماعات على صياغة تصورات تصول الواقع الاجتماعى ، فى حين ان الفريق الثانى يقيم وزنا كبيرا للمشاهدات والملاحظات الواقعية فى تطوير فهمنا للواقع الاجتماعى . الا ان كلا الفريقين ينطلق من هدف سيولوجى واحد ، يتمثل فى زيادة علمنا الاجتماع بالضرورة تطوير مقولاتنا النظرية المتعلقة بحياة الافراد والقواهر ، ومعانى الاشياء ، وصور التفاعل بين اعضاء المجتمع باعتبارها اساسا لتطوير النظم العلمى لعلم الاجتماع .

وقد يتمكن هذا المؤلف من البناء النظرى لعلم الاجتماع على موقف العلماء من طبيعة البناء المنهجى لعلم الاجتماع .

حيث أكد انصار الاتجاهات العقلية على المداخل المنهجية الذاتية لفهم الواقع الاجتماعي ومعاني الأشياء . والتعبير عنها بمفهوم لغوي أو ومعنى، في حين ان انصار الاتجاه الآخر الذي يشغل من الملاحظات والملاحظات الواقعية أساسه لفهم الواقع فتجده يؤكد على المداخل المنهجية الموضوعية، في معالجة ظواهر المجتمع وأحداثه . وكلا الفريقان ينطلق من هدف سيولوجي يشير لضرورة اتباع طرق منهجية معينة إذا ما أردنا تطوير النظام العلمي لعلم الاجتماع .

وإذا كان الاتجاه بين المعاصرين من علماء الاجتماع يؤكد على أهمية البناء النظري والبناء المنهجي لدعم النظام العلمي لعلم الاجتماع فإن ذلك يشير إلى أن مواقف العلماء على المستوى النظري والمستوى المنهجي يؤكد أن المتطلبات النظرية والمنهجية للنظام العلمي تنطوي على حوارات موضوعية وحوادث ذاتية واتهما<sup>١</sup> الذاتية والموضوعية ( يتداخلان معاً على مستوى عناصر العلم والنظرية والمنهجية ، وذلك ما حل " ميتر ولف " Nitroff وكيلمان Kilman يذهب إلى أن البحوث السيكلوجية والسيولوجية المعاصرة قد كشفت النقاب عن وجود كل من الموضوعية والذاتية معاً، وأن الموضوعية والذاتية يعملان معاً داخل النظام العلمي والعلما<sup>٢</sup> أنفسهم (١) .

وهنا يطرح السؤالين التاليين وهما: كيف يستطيع الباحث أن يتلمس هذه المعايير بين الحواشي الموضوعية والحوادث الذاتية على المستوى النظري والمستوى المنهجي للعلم ؟ وكيف يستطيع الباحث أن يقيم علاقة بين الجانبين في عملية البحث فونما ان يخل بالمفهوم العلمي للمعطيات المعرفية

لبحثه ؟ .  
1. Nitroff, Ian, and Kilman, Ralph H., Methodological Approaches to Social Science, London: Jossey Boss, Publishers, 1978. p.6.



خاصة وأن معايضة الذاتية / الجانب الشخصي / للموضوعية / الجانب الغير شخصي / أصبحت مسألة - يراعى به النسبة للباحث على مستوى العلوم الاجتماعية عامة. ولا مناص لاي باحث من مواجهتها من ومن وراية دون مراوغة او مناورة جدلية للتهرب من التصدي لهذا . وذلك لان اتخاذ الباحث لهذا الموقف الاخير سوف يترتب عليه نتائج مباشرة لايمكنه مقابها بالنسبة للمفسون العلمى ومستوى اليقين لمعطيات بحثه المعرفية. وذلك ما يؤكد بوضوح التراث السيولوجى عامة. وفى الطبقات المعاصرة خاصة .

إزلا نكاد نرى مرجعا نظريا فى علم الاجتماع او مؤلفا يعالج البنىات المنهجية، واستراتيجيتها فى البحث الاجتماعى. الا وتناول بصورة مباشرة قضية الذاتية والموضوعية . وفى ذلك نشير لبعض المراجع لمؤلفين معاصرين تناولوا بصورة مباشرة قضايا الذاتية والموضوعية على مستوى التراث الاجنبى حيث عالج " ستيفين فونتون " النزعة الذاتية فى مقالته الشهيرة بعنوان " اسطورة النزعة الذاتية كمدخل خاص فى علم الاجتماع <sup>(١)</sup> ومعالج " بات ديفى هتشون " الموضوعية فى مقالته بعنوان " علم الاجتماع ومشكلة الموضوعية <sup>(٢)</sup> كما عالج قضية المهادية والنزعة الانسانية قبلهما كل من " هربرت فيجل " و " ماي بروديك " فى مؤلفهما " قراوات فى فلسفة العلم <sup>(٣)</sup>. وتعذى جوناى ميردال لهذه القضايا

1. Fenton, Stephen C., The Myth of the Subjectivism As A Special Method In Sociology, The Sociology Review, 1968. Vol. 61. N3. pp.333-347.
2. Hutcheon, Pat Duffy, Sociology and the objectivity Problem, Sociology and Social Research, 1970, Vol.54. N.2-pp.153-171.
3. Feigl, Herbert & Brodbeck, May, Readings in the Philosophy, New York: Appleton-Century - Croft, 1953.

في مؤلفه " القيمة والنظرية السيولوجية <sup>(١)</sup> ومؤلفه الموضوعية في البحث الاجتماعي <sup>(٢)</sup> يهدف لذلك العديد من المراجع والمقالات العلمية التي غنيت بقطاها الذاتية والموضوعية، وأثرها على الميادان النظرية والمعالجات المنهجية <sup>(٣)</sup>، ولا يخلو التراث العربي من معالجات علمية مباشرة لقطاها الموضوعية والذاتية للعلوم الانسانية <sup>(٤)</sup> عامة وعلم الاجتماع خاصة <sup>(٥)</sup> وما أشرنا اليه من معالجات للموضوعية والذاتية على مستوى التراث الاجنبي والتراث العربي قليل من كثير. فقد اهتم بهذا علماء الاجتماع سواء كانوا نظريين او منهجيين . إذ أن " دلتي " يلزم الوحدة بين الموضوعية والذاتية على اساس ان اكثر البحوث موضوعية هي تلك البحوث الأكثر ذاتية. ولذلك فإنه يتخذ من التلهم منطلقه لتحديد رؤيتهما وصياغة تصورها. ذلك التلهم الذي ينشأ منه وينمو كاتكاس للتجارب التي تحدث للاخرين في عقل الفرد، الذي يلج نفسه في موقع الاخرين ويحدد فعلهم، ويكرر استجاباتهم للمواقف في عقله. وهي عملية مستمرة تشير الى علاقة الجزء بالكل، وللهما توجه عبارة " دلتي " التي تشير الى أن التلهم هو الاسم الذي يطلق على العملية التي تصبح بها الحياة العقلية معروفة من ثنائيا تعبيراتها المعطاء للحوادث ، وذلك فان الخبرة في العلوم الانسانية لا تترك بوسطها موجدات فعلية في زمان ومكان محددين وإنما تترك من خلال حياتنا العقلية. وبذلك يتأكد لنا بوضوح ان

(١) Myradal, G., Value and Social Theory: Essays on Methodology, New York: Harper and Row, 1958.

(٢) Myradal, G., Objectivity in Social Research, London. Garold Duchworth & Co. L.T.P. 1970.

(٣) انظر في ذلك :

Diesing, P. Objectivision Versus Subjectivism in Social Sciences: Philosophy of Science, 1966, Vol.33 M.I Scheffler, I., Science and Subjectivity, Indiana Pol Robbs. Merrill, 1967.

Davis, M. That's Interesting towards a Phenomenology Philosophy of the Social Sciences, 1971. 4,309 - 344, Hesp, J. L. Roth P.A. " On Phenomeno Logical Sociology. Am. Social R., 1973, 38 PP. 354-367 and Schwartz, Howard & Jacobs, Jer Qualitative Sociology, London: Collier Macmillan Publishers, 1979.

(٤) دكتور صلاح قنوه ، الموضوعية في العلوم الانسانية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ .

(٥) دكتور محمد مارك عثمان ، المنهج في علم الاجتماع ، جزءان ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٧ .

"دلتاي" يجعل تفهم الكل سابق على التحليل الذي يجعل التفسير معناه ومن ثم يعتمد تفسيرنا للوقائع الجزئية على الفهم المتمثل للكل الذي يرتبط به جزئيات الوقائع تلك .

ولقد جاءت معالجة " ماكس فيبر " للقضية الموضوعية والذاتية في علم الاجتماع بما هو مخالف الى حد كبير لاتجاه "دلتاي" الذي يربط الظواهر الاجتماعية بالافعال ، باعتبارها مجرد اساليب رمزية للتعبير او لتجسيد المعنى . وبذلك يقصر "دلتاي" مهمة عالم الاجتماع على مجرد تفهم المعنى دون السعي لتقديم تفسيرات علمية . غير ان "ماكس فيبر" قد اتخذ موقفا معينا من دور عالم الاجتماع حيث علمه مسئولية تقديم تفسيرات على مستوى المعنى بالإضافة الى التفسيرات التي يقدمها من جهة العلية . وذلك ما جعل "ماكس فيبر" يعنى بقضية الموضوعية في العلوم الثقافية ( العلوم الانسانية ) عامة وعلم الاجتماع خاصة . وهو في سبيل ذلك يسعى لايجاد حل للقضية الموضوعية والذاتية في عملية التفسير التي تتم على مستوى المعنى والعلية . وهو هذا يقرر انه بإمكان توفير درجة كافية من الموضوعية اذا ما خلقنا انفعالا تاما بين عالم الواقع وعالم القيمة ( الذاتية ) ، الا انه قرر امكانية حدوث ذلك اذا ما كان المعارف في حالة من الصلابة الفعلية (المتبادلة) بين العالمين دون ان يكون مستغرقا كلية في احدهما . ولكن يخرج الباحث عند ماكس فيبر من هذا الوهم المعبوي يتمكن من تطبيق الموضوعية (أكسد على قيمة الحياد من مناصب الباحث ، وأشار الى ضرورة صياغة النماذج المثالية على اساس تنظييم عقلى بحيث تكون عناصر تلك النماذج على علاقة بالواقع التجريبي . ولذا استمد نموذج المثالي للبيروقراطية من الملاحظات التجريبية لعديد من التنظيمات الرسمية التي لها سمات بيروقراطية مميزة من السمات التي يتسم بها نموذج المثالي، والتي لا يمتلك احدها كل هذه السمات التي يمكن انراكها

واختبارها . وبالتالي يمكن استخدامها بواسطة الآخرين لدراسة المواسم والاحداث الفريدة . وهو بذلك يقرر امكانية تطبيق الموضوعية عند هذا الحد ففيلير بذلك لم يقصد بهذه المثلثة ان تكون اساسة لانساق نظرية مجردة كما حاول عالم الاجتماع الامريكى "بارسونز" .

وقد رفض كارل مانهايم فكرة "ماكس فيبر" من وجود عالمين عالم الواقع وعالم القيمة . وذهب الى ان التفكير العقلي غير المتميز هو الذى يحرر نفسه من القيود الثقافية ، فيستطيع باستمرار ان يخلق مجموعة من الانطباعات . وبهذا يخلق نتيجة اكبر من الموضوعية ، كما انه وفي الراى الدافئ بان محسبى كلف المعنى الاجتماعى للتخبر او العلم به يودى لتطبيق الموضوعية . كما انه اعلم مثل "ماكس فيبر" انه بدلا من ذلك فان كل انطباع يشمل حقيقة جزئية . وقد اهتم "جون ديوى" بالموضوعية مثل "ماكس فيبر" و"كارل مانهايم" الا انه وفي الطسول الجزئية التى قدمها المذهب التاريخى والوصفية الجديدة والوجوديون ولذلك صام المشكلة على اساس ان للانسان معتقداته التى يمنحها له البحث العلمى معتقداته . من عمليات بشاء الاشياء ولديه ايذا معتقداته من القيم التى تنظم سلوكه . وان الاجابة على كيفية تطبيق تداخل هذين الطرفين لامتلاك ساد بطريقة مستمرة ولعالمه من اهم المشاكل التى قدمتها الحياة لنا ، وقد ذهب جون ديوى ابعد من "كارل مانهايم" الى رفضه لجميع المعتقدات الرابطة حول القيم ، وراى ان القيمة الوحيدة هى الاكتشافات الممكنة للواقع والاجتهاد لتطبيقها<sup>(١)</sup> وبذلك فالقيمة عند "جون ديوى" تستمد من واقع العالم المادى . وفى حين ان القيمة الانسانية النهائية عند "كارل مانهايم" تمثلها " حرية الارادة " ، والتس تتعلق فقط بالدرجة التى يستطيع فيها الانسان تحرير نفسه من البيهة المادية . وبذلك يتضح ان اى مواءم من الموضوعية يقتضى ان يتفهم عند "جون ديوى" قبول العلاقة القائمة بين عمليات المعرفة والعمل والتكوين كما تحدث

1. Hutcheon, Pat Duffy, Op. cit., pp. 162-163.

في العالم المادى . وذلك بدوره يقتضى نوعاً من التوليد بين الذاتية والموسومية مع استبعاد الفروض الفلسفية المطلقة : كل من وجهتى التفسير المتطرفة للعالمين المثالى والواقعى . وذلك ما جعل " هربرت فيغل " يذهب الى ان الموسومية ليست بالمتحرر من التحيز الشخصى والثقافى فقط / ولكنها تنهزم على لابلية المعرفة للذات والاختبار من جانب اى شخص يكون على قدر من الذكاء ومنزود بالادوات الفنية للملاحظة والتجريب (١) .

وبذلك فإن الاتجاهات التى مالت اليها الموسومية قد كشفت عن ضرورة خضوع المبادئ النظرية للتحقق والاختبار التجريبى على نحو مذهب "ماكس فيشر" ، والسامة الوحيدة بين الموسومية والذاتية على نحو مذهب "جورج ديوي" ، وغفوم المبادئ النظرية ومتطلباتها المعرفية لاجراءات القياس والقياس من جانب اى شخصه، قدر من الذكاء ، ومنزود بالادوات الفنية للملاحظة والتجريب على نحو مذهب "هربرت فيغل" الا ان أى من تلك الاتجاهات لم تقدم لنا محاولة لرسم معالم الاستراتيجية التى يمكن ان تعلق لنا وحدة الموسومية والذاتية لاختراع معطياتها المعرفية لاجراءات القياس والتجريب . ولذلك ما تزال هذه اللغايا تشكل احدى تحديات البحث الاجتماعى ومعطياته المعرفية .

٢- المبارزة والالتقاء بين الكم والكيف فى البحوث الاجتماعية .

تسمى مختلف العلوم لتحقيق اهدافاً محددة فى تناولها للظواهر الستة تقع فى نطاق عمل كل منها . ويمثل اولى تلك الاهداف فى الفهم من طريق اكتشاف الرافع ومطابقتها واكتشاف العلاقات الدائمة بين خواصها وتفسيرها .

1) Feigl, Herbert. The Scientific Outlook; Naturalism and Humanism" in Feigl, H. & Brodbeck, May, (Eds) op Cit. p.11.

وبذلك فهو يتخذ من الاكتشاف الوصفي والتفسير واداءها لتحقيق الغرض كهدف معين للعلم، ويمثل الهدف الشاغل الذي تسعى العلوم لتحقيقه في التنبؤ بمقتبل الظواهر، والعوامل التي تتحكم فيها . وذلك لتحقيق الهدف النهائي الشاغل للعلم والمتمثل في التحكم والسيطرة على تلك الظواهر وتوجيه مسارها .

وعلم الاجتماع واحد من تلك العلوم التي تسعى لتحقيق تلك الاهداف بالنسبة لموضوع دراسته الذي يشمل الظواهر الاجتماعية والثقافية، والتي تختلف من حيث طبيعتها وتعليلها من ظواهر العلوم الطبيعية الاخرى . التي تتقليد في دراستها تأثير الانطباعات والطلبيات الاجتماعية والثقافية للباحث . ويتميز علمه سبل استخدام القياس الكمي، واتباع خطوات التعميم التجريبي في القيام بالملاحظات التجريبية . وبذلك تساعد طبيعة تلك الظواهر الباحث لتحقيق هدفه فمضى للعلم يتمثل في الوصف العلمي الذي يتحقق بالاستناد للمواقف الفعلية . في حين ان الظواهر الاجتماعية التي يسعى علم الاجتماع لدراستها تتيج بحكم طبيعتها وتعليلها وارتباطها بالانسان فرصة اكبر لمعمل الانطباعات الذاتية والتوجيهات الاجتماعية والثقافية والفكرية للباحث، وتأثيرها على معطيات المعرفة لدراسة تلك الظواهر، وذلك يشير الى ان الباحث في علم الاجتماع يدخل في عملية البحث باعتباره احدى متغيراته الاساسية . وذلك يعينه ما اشار الجدل حول تأثير الجانب الذاتي على معطيات البحث ولكيفية تحقيق الموضوعية في دراسة الظواهر الاجتماعية وتفسيرها . وجعل فهم الظواهر الاجتماعية والدقة في دراستها مشأراً للجدل والاختلاف بين علماء الاجتماع على المستوى النظري والمنهجي .

## ١ - الممارسة والالتقاء بين الكم والكيف على مستوى البناء النظري

حاول البعض الوصول الى فهم للوقائع الاجتماعية من طريق التعورات العقلية التي تتخذ من النظرية الكلية للمجتمع وهواهره وابعاده وعملياته اساليب لافح الرؤية وتوجيه المشاهدات التجريبية . وبذلك يخلق علم الاجتماع الوهم العلمي بتوجيه التعورات النظرية للمشاهدات الواقعية وتفسير معطياتها . الا ان فريقا اخر في علم الاجتماع يسعى لتحقيق هدف الفهم في دراسة للوقائع الاجتماعية بالاستناد الى المشاهدات الواقعية للظواهر دونما توجيه نظري. وذلك لتقليل تأثيرات الجانب الشخصي ( الذاتي ) على المشاهدة وانتقاء اساليب البحث وادواته المنهجية التي يستعان بها في القيام بالمشاهدات الامبيريقية متخذين سبيلهم لتوفير المعلومات التي تساعد على فهم الظواهر الاجتماعية وبذلك يسعى انصار هذا الاتجاه لتحقيق الوهم العلمي كهدف فني لعلم الاجتماع / ب اقامة فهم الظواهر على اساس المعطيات الامبيريقية .

وبذلك يختلف اسلوب الادراك المعرفي للوقائع الاجتماعية وتحقيق الوهم العلمي لدى الفريقين حيث يستند الفريق الاول في صياغته لمذاهب علم الاجتماع وصياغة قضاياها وتعريفاته الى التصورات النظرية التي توجه مسار البحث ومثل ذلك الباحث في دراسته للظواهر الاجتماعية في حين يستند انصار الفريق الثاني في صياغته لمذاهب علم الاجتماع وصياغة قضاياها وتعريفاته لمعطيات المشاهدات العملية لتلك الظواهر . وذلك يعني ان الفريق الاول اتخذ من اسلوب الاستنباط مدخله لفهم الظواهر الاجتماعية في حين ان الفريق الاخر اتخذ من الاستقراء مدخله الاساس لتحقيق هذا الفهم . وقد ترتب على موقف كل فريق من اسلوب الفريق الاخر في فهم الظواهر الاجتماعية انعدام بين انصار كل فريق . بالنتيجة لاسلوب فهم

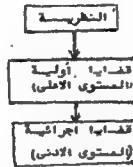
الخواهر الاجتماعية وصياغة مفاهيم علم الاجتماع وقد اياه ، فعلى مستوى  
انحصار الاتجاه النظرى الكيفى يتطرق البعض فى التأكيد على أهمية توجيه  
التصورات النظرية لعمل عالم الاجتماع فى صياغة انساق نظرية عامة مجردة  
كما حاول "تالكوت باسونز" . فى صياغته للنظريات العامة مثل نظريته عن الإنسان الاجتماعى  
فى حين ذهب البعض الآخر الى ضرورة وجود انساق منطقية متماسكة تقوم على  
تنظيم عقلى لعناصر مميزة "محموعة" لها علاقة بالواقم التجريبى. وذلك على  
نحو ما ذهب "ماكس فيبر" الذى رفض الانساق النظرية المجردة واقام نماذج  
المشالية مثل نموذج البيروقراطية من واقع الملاحظة الامبيريقية لعدد من  
التنظيمات الرسمية . ولتى لكل منها سمات بيروقراطية مميزة من السمات التى يتميز  
بها نموذج المشالى . ولا يمتلك احدها جميع هذه السمات بحيث يمكن استدامها  
بواسطة الآخرين فى دراسة المواقف والاحداث الفريدة . وهو أى "فيبر" يعتبر ان  
الموضوعية فى علم الاجتماع ممكنة فقط عند هذا الحد (١) . ورغم ان "ماكس فيبر"  
يحاول ان يثقلنا من صياغة النماذج النظرية العامة المجردة كما هو  
الحال عند "بارسونز" الى صياغة النماذج النظرية الجزئية المستندة على  
المشاهدات الامبيريقية كما هو الحال بالنسبة لنماذج المشالية الا انه يثقل  
مع "بارسونز" فى جعل تلك البناءات النظرية مغلقة من حيث المفاهيم والقياسات  
والتصنيفات بحيث لا يفتح للمراجعة فى ضوء المعطيات الامبيريقية وبذلك لا يجل  
"ماكس فيبر" من التفاعل بين النظرية والبحث عملية مستمرة .

وبذلك فان انصار الاتجاه الكيفى العقلانى فى علم الاجتماع يعمون لان يتخلوا  
من النظريات اصناف التنظيم الواقع وايضا احده والعلاقات القائمة بين  
هذه الابعاد . كما انهم يعولون المفاهيم والقياسات التى تنهض عليها تصوراتهم  
النظرية على اساس عقلى ويتخذونها كوسائل لتنظيم مشاهداتهم وواقع التفسيرات  
لنتائج تلك المشاهدات التجريبية دون ان يكون هناك تفاعلا متبادلا بين معطيات  
المشاهدات التجريبية والمفاهيم والقياسات التى تنهض عليها انساقهم النظرية

1. Hutchon, Pt. Duffy., Op. cit., P. 159.

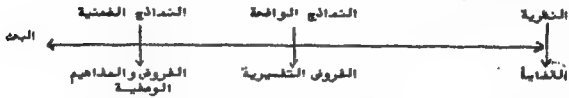


التي تتسم بطبيعة تأملية استنباطية فقط . حيث تتضمن النظرية الفايضا  
اولية عامة ، يتم التعبير عن معانيها واحوالها بواسطة الفايضا المستوى  
الثاني الاقل عمومية، والتي تسمى بالفايضا الاجرائية، والتي يتم تفسيرها  
بواسطة الفايضا المستوى الاعلى العامة . وذلك ما يوضحه الشكل التالي :

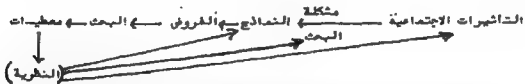


وتعتبر من هذا النوع النظرى بومفوج الانساق النظرية المغلفة، مثل النماذج  
النظرية عند كل من "بارسونز" بالنسبة لمتغيرات النمط الخمس، وما كان فيهم  
بالنسبة للنموذج البشائى للبيروقراطية ، وتعتبر محاولة "دافيد بن بيرج"  
لمعادلة النظرية العامة في علم الاجتماع، احدى هذه النماذج النظرية الاستنباطية.  
حيث اعتبر الفايضا الانساق الاربعة بين الوظيفية والجدلية، فأيا اولية للنظرية  
التكنولوجية، في حين ان الفايضا الاربعة على مستوى كل من الوظيفية والجدلية ،  
فأيا المستوى الأدنى، في حين ان انصار الاتجاه الكمي يذهبون الى ان النظرية  
نقل تفسيره وليست نسقا تأمليا، وانها بذلك مفهوم او هدف للمعلم، مسلاوة  
على كونها معطى ونتيجة للبحوث المتراكمة . وانه نظرا لاستمرار عمليات  
البحث للظواهر الاجتماعية المتغيرة، فان النظرية لا تكون بذلك نهائية، وانما  
تكون دائما في نمو من حيث مفاهيمها وفأياها، وان هذا النمو يتحدث بها المعطيات  
والنتائج المتراكمة للبحوث المستمرة . وبذلك يكون التفاعل مستمرا بين

النظرية والبحث على نحو ما ذهب عالم الاجتماع الأمريكي روبرت ميرتون<sup>١</sup> والذي اعتبر أن مدخلات النظرية بمفاهيمها وقضاياها مدخلا امبيريقيا وليس عقليا<sup>٢</sup> كما أن "كينز فورس" وستيفن ريتش<sup>٣</sup> يذهبان الى حد ابعد من ميرتون فيؤكدان أن التفصل لا يحدث فقط بين النظرية والبحث وإنما يتم بين البحث والنظرية ونماذجها. بمعنى أن التفاعل يبدأ بالمفاهيم والفروض الوصفية ثم الفروض التفسيرية، وينتهي بالتفاسيا النظرية<sup>٤</sup> وذلك ما يوضحه الشكل التالي :



وبذلك تكون صياغة النظرية استقرائية ومستندة الى القضايا المتراكمة للبحوث المستمرة للظواهر الاجتماعية المتغيرة. عليه تخفج النظرية للنمو المستمر. وذلك بعينة ما جعلهما يلبسان التفاعل بين النظرية والبحث، والبيئة الاجتماعية، حيث يمكن تطبيق نتائج البحث على الوقت السدي تؤثر فيه البيئة على اختيار مشكلة البحث، والذي يؤدي بدوره الى تنمية نماذج النظرية ومفاهيمها . تلك النماذج التي يستمد منها في التأثير على البيئة، وعلى توجيه البحث فيما بعد<sup>٥</sup>. وذلك ما يوضحه الشكل التالي :



١) Forcese, Dennis P. & Richer, Stephen., Social Research Methods, New Jersey. Prentice Hall, Inc., 1973. P. 47.

٢) Forcese and Dennis, Ibid, P. 46

٣) Forcese and Richer, Ibid, p. 49.

وبذلك يرى انصار الاتجاه الكمي ان تنمية البناء المنطقي لعلم الاجتماع،  
يعتمد على المعالجات الكمية الدقيقة، التي يوفرها البحث في تناوئيه  
للظواهر الاجتماعية، التي ينفجها لإجراءات التجريب والقياس من حيث  
ترابطها وتغيرها . وبذلك تخضع افتراضات الباحث حول الظاهرة، للتعميم  
التجريبي، لكي يتمكن من الوصول الى الاستدلالات التفسيرية الدقيقة حول ظواهر  
الواقع الاجتماعي .

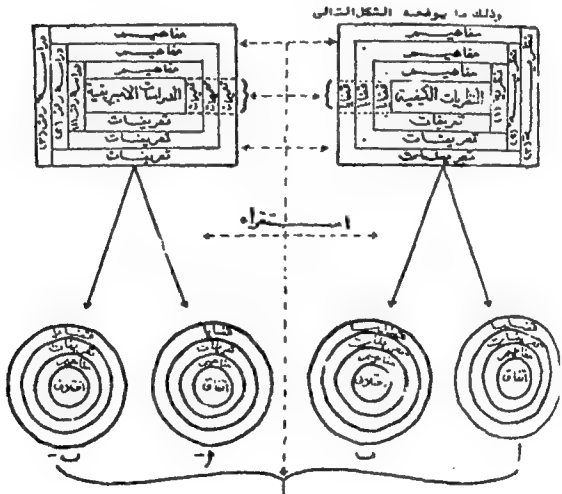
وبذلك فان انصار الاتجاه الكمي يرون ان تطوير البناء النظري لعلم الاجتماع،  
يعتمد على اتباع الطرق العلمية العرفية في البحث الاجتماعي، في حين ان انصار  
الاتجاه الكيفي يرون ان تطوير مقولاته النظرية يعتمد على الاستدلالات العقلية.  
ولذلك ما جعل فريق من العلماء يؤكد على ضرورة تحقيق التفاعل بين الاستدلالات  
النظرية، والاستكشاف الامبيريق في تنمية البناء النظري لعلم الاجتماع . ورغم  
ان الاتجاه الآخر يجد له انصار ومريدين من بين علماء الاجتماع، الا ان المحاولات  
التي تسمى لتحقيق هذه الوحدة بين الاتجاهين، ما تزال على المستوى النظري  
والمستوى الفلسفي للعلم، وذلك ما تصدى له دكتور محمد دارق في معالجته  
لنظرية التكامل المنهجي، التي استهل بها تحقيق التكامل البنائي والتناهي  
الوحي بين الاتجاهات الكيفية، والاتجاهات التجريبية ( الكمية )  
فمنس تنمية البناء المنطقي لعلم الاجتماع .  
وهو في ذلك منطلق من مجموعة من القواعد المعرفية الاساسية التي يتخذ منها  
اساسا لتحقيق التكامل المنهجي بين الكيفي والكم في علم الاجتماع والمتمثلة في  
اعتبار الروح الناذية لتجريبية، الروح العلمية السليمة، التي توجه ملك البحث  
وهي القاعدة التي تقوم عليها القاعدة الشائبة، والتي تشير الى ان التصور المتكامل  
لعملية البحث الاجتماعي الذي تتفمنه القاعدة المعرفية الاولى يجر تكامل  
العناصر الشائبة لهذه العملية، ويؤكد تساندها الوحي، وان القيمة المنهجية

لجبراً، البعث يحدثها الاداء الوظيفي لهذه الاجراءات وان ذلك، يشيرون  
ان هناك اتسالا منطقياً واستمراراً منهجياً للسير من الدراسات الكيفية المتألمة  
الى البحوث الكمية الدلالية. ومن ثم يربط القسمة بين الكيف والكم في علم الاجتماع<sup>(١)</sup>  
وهو بذلك يحدد مبادئ المنظور العلمى لنظرية التكامل المنهجي في تحقيق الوحدة بين  
الكم والكيف في علم الاجتماع بحيث نجد ان المنهجية التى يمكن الانطلاق منها  
لتحقيق هذه الوحدة، تزال في اقص الحاجة لمزيد من التحديد والوفوح لامكان  
تحقيق التداول بين معطيات الكيف ومعطيات الكم في تنمية البناء النظرى لعلم  
الاجتماع .

وهذا يطرأ السؤال التالى نكسة كيف يتم تحقيق هذه الوحدة بين الكم والكيف  
في عملية البحث الاجتماعى ؟ . واذا كان البحث الاجتماعى يبدأ بالمعالجة النظرية  
التي تشير لالطار التصورى وما يتضمنه من مفاهيم وقضايا وتعريفات لكيف  
تتحقق الوحدة بين معطيات الكيف ومعطيات الكم في معالجة هذا الاطار التصورى.  
وذلك تمهيداً لتحقيق الوحدة بين المداخل المنهجية الكمية والكيفية في عملية  
معالجة هذا الاطار البتمورى ؟ فالاجابة على مثل تلك التساؤلات تلقى ان نبدأ  
بتأكيد ان الاطار النظرى هنا بمثابة نسق تفسيرى يساعد الباحث في تحقيق  
وفوح الرؤية بابعاد الواقع الاجتماعى، والظواهر التي يعالجها ويوجه مسار  
بحثه، ويساعده في تقديم التفسيرات العلمية لمعطيات البحث التي تراجع بدورها  
مناصر النسق التفسيرى. وما يشتمل عليه من مفاهيم ومعطيات وتعريفات . وهنا  
تألف معالجتنا لوحدة المعطيات الكيفية والمعطيات الكمية، وتكاملهما بنائياً  
وتساندهما وظيفياً في تنمية وتطور البناء النظرى لعلم الاجتماع. عند مستوى  
معالجة النسق التفسيرى. الذى يحقق للباحث وفوح الرؤية ويساعده في عملية  
التفسير. حيث يبدأ البحث بتحديد موضوع الدراسة او الظاهرة التي تخرج للمعالجة  
ثم يبدأ بتحديد النظريات المتاحة في التراث، والتي تقدم في تحقيق وفوح الرؤية  
بابعاد الظاهرة المطروحة للبحث ثم تحليل هذه النظريات لعناصرها الاساسية

(١) دكتور محمد مارك عثمان . المنهج في علم الاجتماع . المرحم السابق ص ٢ - ٥ .

المتشابه في المفاهيم والقضايا والتعريفات ثم يقيم حواراً جدلياً بين تلك النظريات لتحديد صور الالتقاء والمداولة بين عناصرها ، ونفس الشيء يحدث بالنسبة للبحوث الكمية التي عالجت الظاهرة حيث يتم تحليلها للعناصر الاساسية المتمثلة في المفاهيم والقضايا والتعريفات ثم يقوم الباحث بجهود تحليل جدلي بين تلك العناصر ويعطها على مستوى النظرية وعلى مستوى البحوث ثم نقيم بعد ذلك حواراً يقيم صور الالتقاء والاختلاف بين معطيات تحليل النظريات ومعطيات تحليل البحوث . ليخرج في النهاية بالادوار النظرية العام (النسق التفسيري للظاهرة موضوع البحث).



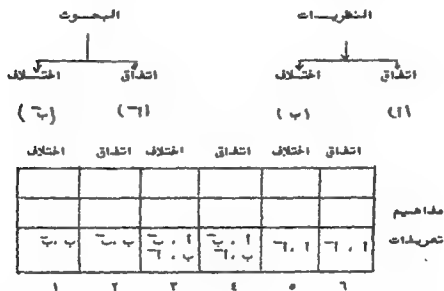
### والاقتدان على مستوى البحوث

آی بهین ا    آ    . وین ا . پ + آ    آ    وین پ ، پ

بحيث يكون لدينا ثلاثة مستويات للتفاعل من حيث درجات الاتفاقة، يتضمن كل منها

مستويين بحيث يكون النطق التفسيري مختلفا على ستة مستويات تعميمية وذلك

على النحو التالي :



وبذلك يكون النسخ التفسيري للظاهرة المطروحة للدراسة ، والذي يحدد مفهوم الرؤية للباحث، ويعدده على تفسير معطيات البحث، محققا للوحدة بين الاتجاهات الكلية /ومعطيات الاتجاهات الكمية/ على مستوى الصياغة النظرية .



وبذلك يتحقق التكامل البنائي والتماثل الوظيفي بين الكيف والكم  
بماتباع هذه الاستراتيجية في صياغة الاتفاق التفسيرية في علم الاجتماع .  
حيث يتم صياغة هذه الاتفاق التفسيرية منذ البداية على اساس استقرائى  
ثم يتم تنمية الفاراهام ومفاهيمها وتعريفها على اساس استقرائى  
ايضا . ومن ثم يتحقق التداخل المتبادل بين الاتجاهات الكيفية والاتجاهات  
الكمية على مستوى البناء النظرى لعلم الاجتماع .

ب- المداخلة والتقاء بين الكم والكيف على مستوى البناء المنهجي .

استند علماء الاجتماع في دفاعهم عن علم الاجتماع ، وتأكيد علميته على اس  
معينة منها مايتعلق بتطبيقهم مبادئ وقواعد المنهج العلمى في مجال  
علمهم ومنها مايتعلق باستخدام الطريقة العلمية ، وقواعد المنهج العلمى .  
باعتبارها قواعد مشتركة بين مختلف العلوم . ويرجع اتخاذ هذا  
الاساسين وكبره للدفاع عن علمية علم الاجتماع . لكون مبادئ المنهج  
العلمى ، واستخدام قواعد الطريقة العلمية ، يرتبطان ببعضهما ارتباطا قويا .  
لتحقيق مبادئ المنهج العلمى يعتمد على استخدام الطريقة العلمية ، كما  
ان استخدام قواعد الطريقة العلمية يتطلب من الرغبة لتطبيق مبادئ المنهج  
العلمى في دراسة الظواهر .

فإذا كانت مبادئ المنهج العلمى تتمثل في النزعة التجريبية والموضوعية  
والنسبية ، ونزعة الشك والحيادية الاخلاقية . ووحدة الاشار التفسير الشامل<sup>(١)</sup>  
فان ذلك مايعنى لتطبيقه علم الاجتماع . الا ان اى علم من العلوم بما فيها علم  
الاجتماع . لن يستطيع ان يحقق تلك المبادئ في فهمه لظواهره دون ان يتخذ من  
الطريقة العلمية ادخله لدراسة ظواهره من ناحية ، وتنمية بنائه النظرى  
من ناحية اخرى . ولهذا جاءت الدعوى المعارفة لعلمية علم الاجتماع  
منطلقة من النظرة التى ترى ان التكنيكات المنهجية التى تستخدمها العلوم  
الاجتماعية ، ليست علمية بالمعنى لتكنيكات العلوم الاخرى مثل الكيمياء .

١) Fitzgerald, Jack D. and Cox, Steven M., Unraveling Social Science, Chicago:  
Rand McNally College Publishing, 1975, pp. 7-8.



والفيزياء والبيولوجيا . والواقع ان انصار هذه الدماء قد داب عنهم  
منطق وحدة المنهج العلمي وان الطريقة العلمية واحدة من حيث خطواتها،  
وقواعدها التي توجه ملك البحث وان اختلاف طبيعة الموضوع الذي تناوله  
العلوم الاجتماعية، وعلم الاجتماع خاصة، تختلف من طبيعة موضوعات العلوم الأخرى في  
الوقت الذي تؤكد فيه قواعد الطريقة العلمية على مبدأ الثبات المنهجية  
بين المفهوم والإجراءات المنهجية التي تتبع في دراسة، وذلك بدوره يعني ان  
علم الاجتماع عندما يدرس موضوعه فهو مطالب بان يحقق اللياقة المنهجية .  
وذلك باستخدام مداخل وأساليب وأدوات منهجية تلائم موضوع دراسته واستخدامه  
لهذه الإجراءات المنهجية، لايلبه استخدام قواعد الطريقة العلمية، وانما  
يجعله متلائم منطق هذه القواعد، والمبادئ المنهجية التي توجهها .

واذ كنا قد وصلنا الى قدر من الاتفاق، على ان اتباع الطريقة العلمية  
لايتنافر مع تنوع المداخل والأساليب والأدوات المنهجية، من علم آخر حسب  
طبيعة موضوعه، على مستوى العلوم الطبيعية ذاتها . فان ذلك يمكن ان يحدث  
بالنسبة لعلم الاجتماع دون ان يحول بينه وبين استخدام قواعد الطريقة  
العلمية في دراسته لموضوعه . وهذا يجزنا للحديث عن موضوعات العلوم  
ومقتضاها، من المداخل والأساليب والأدوات المنهجية، لعلم الطبيعة مشكلا  
وعلم الفلك، وعلم البيولوجيا لكل منهم طواهره الخاصة به، وكل ظاهرة من تلك  
الطواهر تتمايز في طبيعتها نسبيا عن الأخرى، لعلها ماضون العفوى، مشكل  
الطواهر الفلكية والطبيعية، والطواهر الكيميائية ومنها ما هو بيولوجي . وهذا  
التمايز قد اقتضى استخدام تكتيكات وأدوات منهجية تناسب طبيعة كل منها .  
ورغم ذلك فانها جميعها تتفق من حيث كونها لآليات تأثير على الباحث، ولا تتأثر  
به . في حين ان الطواهر الاجتماعية والتي تتمايز طبيعتها عن تلك الطواهر

جميعها؛ حيث انها ظاهرة لوعي العفوية / وانها تؤثر على الباحث وتتأثر به، لان الباحث في علم الاجتماع كاشعان يدرس البشر، ويتعامل معهم<sup>(١)</sup> ويتأثر بهم، وهو ايضا يحكم انه انسان، لانه قد يؤثر على دراسة الظاهرة باتجاهاته والكاره وثقافته، ومن ثم التزام عالم الاجتماع بمبادئ المنظور العلمى وقواعد الطريقة العلمية يقتضى منه ان يحلق مبدأ المبالغة المنهجية بين موضوعه والتقنيات والأدوات المنهجية التى يستخدمها فى معالجته . وذلك لان استخدامه لنفس التقنيات المنهجية التى تستخدمها العلوم الطبيعية للظواهر يمكنه من تحقيق الفهم لظواهره، فى الوقت الذى يعتبر فيه الفهم مطلباً أساسياً لمبادئ المنظور العلمى .

ولاشك فى ان مختلف المجالات المعرفية باتفاقها جميعاً على مبادئ المنظور العلمى، ومعها لتحقيق تلك المبادئ، انما تحقق قدراً من الاكتشاف بالنسبة لبعض الطرق المنهجية، التى تكفل تحقيق الموضوعية، حيث يكون التجريب مطلباً أساسياً لعالم الاجتماع - شأنه فى ذلك شأن جميع العلماء اذا ما اراد تنمية واختبار النظريات والفروقات بالاعتماد قدر الامكان على الملاحظة للحوادث الواقعية . وذلك لتأتى نتائجه النهائية مستندة للملاحظة والبحث، اكثر من استنادها لتقديرات الشخصية . وهذا ما يحقق موضوعية العلم . واذا كان مبدأ النسبية عاماً بالنسبة لمختلف العلوم، فهو متحقق بالنسبة لعلم الاجتماع، حيث لا يعتبر عالم الاجتماع النتائج التى يبل إليها، نتائج عامة ودائمة وصادقة بصورة مطلقة . وذلك لان الظواهر الاجتماعية التى يدرسها ذات طبيعة متغيرة . إضافة لذلك فان تطبيق علم الاجتماع لمبدأ الحيادية الأخلاقية، يجعله يتفق مع بقية العلوم الأخرى فى استبعاد الاهتمام بما هو صحيح أو خطأ، وما هو خير أو شر، والتأكيد على ما هو حقيقى أو غير حقيقى - وهذه الجوانب جميعها تؤكد على اتفاق علم الاجتماع مع بقية العلوم الأخرى على ضرورة ادراج المداخل المنهجية الموضوعية، مثل التجربة، ضمن مداخله المنهجية، لدراسة الظاهرة الاجتماعية، والاستعانة

١) Fitzgerald and Cox., op. cit., p.9.

بالقياس كاصلوب منهج في معالجة الظاهرة واختصاصها للقياس . وهو بذلك يؤكد على الجوانب الكمية لبناء المنهج . الا ان مطلب الفهم لا يحصله بلد عند مستوى القياس الكمي فقط. وذلك لان الظواهر الاجتماعية لها جوانبها الكلية التي تتخذ فيها مداخل منهجية واساليب منهجية اخرى بصورة مباشرة. وتساعد على تعميق المعالجة الكمية، ودعم فهمها لها ، ولتأكيد ذلك نسوق مثالا لايحاج الحاجة الى مداخل منهجية اخرى، بجانب المدخل التجريبي . والتداخلية الرمزية تمثل احدى الاتجاهات او المدارس الفكرية العديدة في علم الاجتماع. وهي في معالجاتها للظواهر الاجتماعية، كمثل مختلف المنظورات تقسيم مجموعة من المفاهيم المترابطة التي تنظم حول جوانب معينة، ومختارة للسلوك البشري. ومن بين هذه المفاهيم المفيدة للتحليل من منظور التداخلية الرمزية الفاعل ، والذات ومفهوم الذات ، والآخر وشغل الدور والآخرين وتعريف الموكلف والرمز والفاعل والتفاعل . كما ان الفرضيات الاساسية حول السلوك البشري من منظور التداخلية الرمزية يمكن تحديدها على النحو التالي :

- ان البشر فئة متميزة من الكائنات الحية، وان القليل من البشر هم الذين تحكم سلوكهم الفرائض . وهم يعتمدون على التعليم كميكانيزم اولى للتكيف مع البيئة .

- وان الاختلاف الاكثر دلالة بين البشر والمخلوقات الاخرى تتمثل في الوسائل التي من خلالها يتم اتصالهم بفهمهم . والتي تتمثل في : اللغة ، واللغة شق رمزي . وان الرموز اللغوية معلومة من قبل الذين يتبادلون الاتفاق حولها حيث يكون لها دلالة ومعنى في الاحتكاك . فعندما يستخدم شخص رمزا للاتصال مع شخص آخر فان الرمز يعنى نفس الشيء بالنسبة لكل من المتحدث والمستمع . كما ان الناس يبتكرون دائما الرموز الجديدة لتشير للجوانب الجديدة المتنوعة لبيئاتهم .

- .. وبذلك فإن اللغة البشرية نسق مفتوح في حين أن انساق الاتصال بين مختلف الكائنات مغلقة . وبهذا المعنى يكون التعليم عاملاً مهماً في نمو اللغة .
- وإن جميع الخبرات البشرية يعبر عنها برموز تطلق على الموضوعات من خلال استخدام اللغة . وذلك يعنى أن الإنسان يبتكر الموضوعات الرمزية لنفسه، ثم يستجيب لها .
- وعليه فإن تحليل التفاعلية الرمزية للمحادثة بين اثنين من الناس يتم على النحو التالي :
- أنه عندما يكون التفاعليون ( الناس ) في نفس المكان ونفس الوقت فإنهم يتفاعلون مادة بحيث أن كل منهم يتعرف على الآخر ويتكيف مع سلوكه . وإن التكيف المتبادل للسلوك يشير إلى أن كل من التفاعلين يأخذ دور الآخر، وفي شغله لدور الآخر، فإنه يقدم نفسه للآخرين .
- وبذلك يكتف منقول التفاعلية الرمزية لهم الواقع الاجتماعية من أبعاد الرؤية الذاتية للموقف الاجتماعي . وبذلك تلتقي طبيعة الظاهرة الاجتماعية لمداخل وطرق واساليب منهجية تناسب هذه الطبيعة، بالإضافة إلى المداخل والطرق الموضوعية، التي تستهدف تحقيق القياس الكمي الدقيق للظواهر . وقد أصبح هذا الوضع الآن في علم الاجتماع واضحاً وإن كان لم يصل الباحثون بعد إلى اتفاق حول أي من المداخل المنهجية الذاتية والموضوعية يمكن استخدامها معاً في بحث موضوع معين . ورغم ذلك فإن المداخل والاساليب الموضوعية تشكل محور الجانب الكمي في علم الاجتماع . حيث يتم التعبير عن ملاحظاتهم للظواهر الاجتماعية في صورة أرقام ومعادلات رياضية دقيقة كتنتج وطبيعة التجريب

والتي بالظواهر في حين ان المداخل الذاتية والتي تعبر عن الرؤية الذاتية للباحث والمعدل ( الفيتو ميثلوجيا ) فانها تشكل محور الجانب الكيفي لعلم الاجتماع . حيث يعبر علماء الاجتماع عن ملاحظاتهم بظواهرات لغوية وصفية .

ولذلك ان الاختلاف بين الكم والكيف على هذا النحو يؤدي الى التماثل في القيم والاهداف والجراءات المنهجية التي تتبع عند القيام بالبحوث السيولوجية .

والواقع ان الذي يتحكم في اختيار الباحث لأي من المداخل الكمية او الكيفية في محاولته لفهم الظواهر ومعالجتها هي الاهداف السيولوجية التي تحدد مضمون المعالجة . حيث يرى البعض انه من الضروري لعلم الاجتماع ان يطور مقولاته التي تهتم بحياة الافراد ولذلك عليه ان يهتم بالاحداث ومعاش الاشياء وتعامل الانسان في سبقي الحياة اليومية . وهذا الهدف بدوره يقر الاتجاه الكيفي في علم الاجتماع ويحدد مضمونه .

ولي مقابله ذلك فان البعض الاخر يرى ان علم الاجتماع يستطيع تطوير نفسه باتساع الطرق المنهجية العلمية العرفية ، وذلك يشير الى استخدام المناهج الموضومية التي ينهض عليها الجانب الكيفي في علم الاجتماع .

وبذلك فان المناهج الكمية تتعامل بالعلم الوفعي الذي يعتمد على جمع البيانات و اجراء القياس واختبار الفروض الامبيريقية بالطلب منطقي في حين ان المناهج الكيفية تعتمد على الجانب اللغوي . فمما تلصده بمصطلح حياة الافراد يشير الى الحوافز والمعاش والعواطف وغيرها من المظاهر الذاتية لحياة الافراد والجماعات وتتضمن كذلك سلوكهم وتعرفاتهم اليومية في الظروف والاوزاع الصادية .

واذا كانت تعريفات الافراد وسلوكهم يمكن ملاحظته بطريقة موضوعية ، يتحقق فيها استخدام الاجراءات الكمية فان الامر يقتضي وجود بعض المقولات لبعض المعاش.

والمقولات الاخرى المرتبطة بالظاهرة . وذلك حتى يتمكن لنا رؤية السلوك  
النموي بطريقة مفصلة . وفي ذلك نسوق مثالا توضيحيا حيث ان الشخص  
الذي لا تكون له دراية بلعبة الشطرنج عندما يشاهد اللعبة، فإنه يصل  
مباشرة على انه مجرد شخصان يحركان قطعاً من الخشب على لوح . وهذا ما يثير  
الى وجهة النظر الذاتية للداخل، والتي تشكل محورا لعلم الاجتماع الكيلى<sup>(١)</sup> .  
والمثال الذي قلناه هنا لمجرد ايفاج الرؤية الذاتية للافعال، والتي  
لا يمكن بدون شك حقيقة تلك الافعال، وانما تعكس رؤية الشخص الذاتية لتلك  
الافعال . واذا انتقلنا من هذا المثال الى عالم الواقع الاجتماعي، لوجدنا  
ان المداخل الذاتية تتخذ من الافكار والمعاني محورا لها . ولذلك ليس  
تسمى لهما سوا . من وجهة نظر الباحث او من وجهة نظر المبحوث . وهي  
لذلك تقيم امتزاجاتها المنهجية على اساس الملاحظة الظاهرية والتطبيقات  
الشخصية للحوادث، اللهم المعاني والافكار والكلمات، اللهم هنا يقوم على  
اساس رؤية الشخص وتفسيراته الذاتية للمواقف، وبذلك تنطلق المداخل لـ  
الذاتية من الرؤية التي تشير الى انه لما كانت الظواهر الاجتماعية نتيجة  
لتفكيرنا، فليس لنا الا ان نستطلع شعورنا الذاتي لكي نستطيع فهمها، ومعرفة  
العناصر التي استخدمت في خلقها، والطرق التي طُكِّنها في تكوينها، وهنا  
يتم اصيل دور كايهم على انصار هذا الاتجاه باننا قد ورثنا من الاجيال  
السابقة الذاتية المعظم من الظواهر الاجتماعية، وبأننا لم نساهم في خلقها،  
ومن ثم فليس بمادورنا الكشف عن اسبابها اذا ما اكتفينا بتحليل اراءنا  
الشخصية التي كونناها عنها . وأنه بالنسبة للظواهر التي نكتشف اننا صاهنا  
في تكوينها يكون من العسير علينا معرفة الاسباب التي دفعتنا لهذا العمل .  
والتي حددت نوعية التأثير المعروف على فهمنا وذلك لجهلنا بكل ما يدور بشعور

الاخرين<sup>(٢)</sup> .  
1) Schwartz, Howard and Jacobs, Jerry, Qualitative Sociology, London: Collier MacMillan Publishers, 1979. p.5

2) Durkheim, Emile, The rules of Sociological Method, New York: The Free Press, 1966, p. XIV.

وإذا كانت هذه الرؤية قد شغلت كل من دلتاي وماكس فيبر اللذين اكدا على التلهم في تحميل المعرفة وتطورات الرؤية فيما بعد لتشكل المدخل الـ فينومينولوجي، فإن اهتمام عالم الاجتماع الفرنسي اميل دوركايم بالظواهر الاجتماعية باعتبارها اشياء ذات وجود حقيقي، وأنه يمكن دراستها، وانها لا تخضع لاي ارادة فردية<sup>(١)</sup> لانها خارجة عن الشخص وتمارس نوعا من القهر ( الجبر ) عليه . وبذلك فهي تدرس بواسطة القوى الخارجية للظهر الذي تدارسه على الاجتماعي ومن ثم اجتهد علماء الاجتماع الذين ينتمون لهذا الاتجاه الأخير لتوفير البيانات التي يمكن بواسطتها التحقق من صحة الاحكام حول الودائع الاجتماعية بطريقة علمية، تتخذ من التجريب والقياس اساسا لتحميل المعرفة بالتحقق من النظريات في علم الاجتماع<sup>(٢)</sup> . ونظرا لأن الظواهر الطبيعية تكفي مشاهدتها من الخارج، فإن ذلك قد اقتضى اتخاذ المداخل المنهجية الموضوعية اساسا لهم تلك الظواهر وتوفير المعرفة حولها . وهي نفس المداخل المنهجية التي يستعين بها عالم الاجتماع لهم الظواهر الاجتماعية من الخارج، إلا انه نظرا لكون الظواهر الاجتماعية من نوع خاص، وان فهمها يقتضي بالإضافة لهم عناصرها الخارجية فهم عناصرها الداخلية ، فقد اقتضى ذلك ابتكار مداخل منهجية تساعد على فهم العناصر الداخلية للظواهر الاجتماعية، بجانب المداخل الموضوعية التي يستعان بها ايفاء لدمهم لهذا للعناصر الداخلية للظواهر الاجتماعية .

مثال ذلك دراسة ظاهرة الهجرة الداخلية في اى مجتمع فإنها ذات تجسيدات خارجية ظاهرة تخضع للقياس والتجريب، يمثل اتجاه الهجرة من الريف الى المدينة وفئات المهاجرين، ومقدار الهجرة، وكثافتها، ومناطق تجميع المهاجرين ، والموائل الدافعة للهجرة من الريف الى المدينة . لان فهم تلك التجسيدات

(١) اميل دوركايم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ترجمة دكتور محمود لاسم ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٢ ، ص ٢٦

(2) Schwartz, Howard and Jacobs, Jerry, Qualitative Sociology, op. cit., pp.2-8

الذارجية لظاهرة الهجرة الداخلية في المجتمع تقتضي تعميق فهم عناصرها الداخلية. وذلك لانها تنطوي على الكار ومعاني واتجاهات معينة تعمق فهمها إلتناولنا لظاهرة الهجرة الداخلية، وفهم هذه العناصر الداخلية لظاهرة الهجرة يقتضي المصاهرة بين المداخل الذاتية والمدخل الموضوعية. حيث ان فهم الافكار والمعاني التي تنطوي عليها اهداف المهاجر، والتي توجه سلوكه، وتجعله ذات دلالة ومعنى بالنسبة له، يمكن فهمها بالمداخل الذاتية، بجانب المداخل الموضوعية، التي تخضع اتجاهات المهاجر والفكر ومعارفه، والقيمة التي يخلعها على الهجرة، لاجراءات القياس الموضوعي . وبذلك يمكن لمعلم الاجتماع ان يحلق المصاهرة بين المداخل الذاتية، والمداخل الموضوعية في فهم الظواهر الاجتماعية، ودراستها ومعالجة نظرياته حولها.

٢- تعدد نظريات علم الاجتماع ووحدةها :

يواجه الباحث في علم الاجتماع بالعديد من النظريات التي تتناول ظاهرة معينة. حيث تقدم كل منها تمورا معينة للتداول والتفسير . واذا كانت النظرية هي بمثابة مجموعة من القضايا المترابطة بصورة منطقية، وذات معنى، فان تلك القضايا قد تختلف في فهمها لطبيعة الواقع، والعوامل المفسره له . ويرجع ذلك الاختلاف في اساءه لاختلافه الاساس الذي وجه كل من المنظرين لمعالجة نظرياته. لقد تكون اسم معالجة العالم لنظرية معينة منحصر في نسق المعتقدات، وذلك مثل، ماكس فيبر الذي اخذ من الاخلاق البروتستانتية منطلقه في معالجة نظرياته المفسره للواقع الرأسمالي . وقد يكون لاساس متشابه في التوجهات الاجتماعية والثقافية في السياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع، وذلك على نحو ما فعل عالم الاجتماع الامريكي "تالكوت باسونز". وقد يكون الاساس



متمثلا في الاحكام المسبقة التي تحكم فكر الباحث . وقد يكون الاساس متمثلا في ايدولوجية معينة او فلسفة للحياة . وقد يكون الاساس ابعدا متمثلا في الفسوفية العلمية للباحث . وكل من تلك الاسس تؤثر على عمل الباحث وتوجهه لمعالجة قضاياها النظرية بصورة معينة ، تحدد منها معنا لتناول الواقع ومبادئ معينة للتفسير . وهذا نجد الباحث امام عدد من النظريات المختلفة في مداخلة لتناول الواقع، والمتباعدة في الاسس التي تفسر في فروعها هواهر الواقع . لما هو موقف الباحث من تلك النظريات والى اي منها يستند في تناول الواقع وتفسيره ؟ . وهل يتخذ من النظريات الكبرى وقائها اساسا للتشاور والتفسير، ام انه يتخذ من النظريات المفرد والوسيطنة مدخله ؟ .

والواقع ان الباحث هنا يكون في وضع محير الى ان استناده لنظرية معينة من تلك النظريات تجعل تناوله للظاهرة معينة، وتفسيره لها، محكوما بالاساس الذي ميّز في فروع تلك النظرية . وبذلك يأتي تفسيره للظاهرة محكوما بنسق المعتقدات او التوجهات الاجتماعية والثقافية او الاحكام المسبقة او

الايدولوجية وفلسفة الحياة التي وجهت الى من المنظرين لمعالجة نظريته . وبذلك يكون الباحث الاجتماعي في وضع محير ومربك، لانه ان يختار اي من تلك النظريات او اما ان يتخلص من التوجهات النظرية مطلقا . ويبدأ بمبادئ امبيريقية لاتستند الى وفهم نظري حول طبيعة الواقع واجماده . وفي كلتا الحالتين توجه للباحث من النقد والتذنيب ما يقلل من القيمة العلمية لمعطيات المعرفة لبحثه . وذلك ما جعل بعض المنظرين يؤكدون على اهمية النظرية العامة المفسرة للواقع وذلك على نحو ما ذهب كل من برون راس

فولتر ولسل ومان دين بيرج . عندما حاولوا ان يقدموا لنا نماذج نظرية شامة على اساس التاثيريين بعض النظريات او تحقيق التكامل فيما بينها . لكسي

يتمكن الباحث من إيجاد أساس نظري أكثر ملائمة لتناول الواقع وتفسيره .  
إلا أن تلك المحاولات لم تقدم للباحث الصياغة النظرية التي تيسر عليه  
العمل العلمي بل وفهته في مواقف أكثر تعقيداً ، وذلك باستبعاد بعض  
النظريات أو بعض قضاياها النظرية والافتاء على بعضها ، على نحو ما حدث في  
نموذج فان دين بيرج التآلفي ، والذي أقامه على أساس الالتقاء بين النظرية  
الوظيفية والنظرية الجدلية أو تنمعه في مواقف معقدة ، وذلك على نحو ما هو  
جاءت في نموذج روتر ، وليس التكامل بين المنظورات السيولوجية .

ولذلك راجع في أساسه لانطلاق هذه المحاولات من توجيه نظري معين أبلغه  
وابتداعها من الأسس المنهجية في صياغة تلك النماذج النظرية بحيث لا يجد  
الباحث أمامه إجراءات منهجية معينة ينطلق منها في التعامل مع تلك  
النظريات بل عليه أن يتخذ من أي من وجهات النظر تلك أساسه لاختيار  
القضايا النظرية ، التي توجهه معالجته للظاهرة وتفسيرها . وبذلك يتأثر  
في معالجته بأي من الأسس التي وجهت النظر في صياغة نظريته . هذا بالإضافة  
إلى تعدد نتائج البحوث التي عالجت الظاهرة ، بتعدد النظريات التي توجهه  
عمل الباحث عند دراستها وتفسيرها . فكيف يستفيد الباحث من تلك النتائج  
التي وصلت إليها البحوث حول الظاهرة ؟ وكيف يحقق التكامل فيما بين نتائج  
تلك البحوث للاستفادة منها ؟

وبصورة عامة ما هو سبيل الباحث للخروج من تلك المحددات المتعلقة  
بتعدد نظريات علم الاجتماع المفسره للظاهرة معينة ؟ بحيث لا يكون عمل الباحث  
في نهاية المطاف عملاً متحازاً . وهل يتحقق ذلك بأن يشك في قيمة النظريات  
أم أن نطرح نماذج بديلة لتلك النظريات ؟ فالنتيجة واحدة بالنسبة لأي  
من الاختيارين إذ أن شككنا في قيمة أي من النظريات يعني رفضنا للأساس  
الذي بنيت عليه أو انطلقت منه أي من تلك النظريات ، وهذا تحت تأثير  
توجيهات أخرى قد لا تكون أكثر حيادية من الأسس التي رفضناها . كما أن طرح

نموذج بديل لنظرية معينة أو لنظريات معينة يجعلنا نخضع في تناوّلنا وتفسيرنا للمظاهر لتوجيهات النماذج البديلة، ومن ثم تكون نتيجة البحث ومعطياته المعرفية في وضع غير محايد بدورها .

وقد أدى هذا الوضع المحير لاختيار نظرية معينة لتفصيل نظرية على أخرى ببعض المنظرين أن تناوّلوا أسس تفصيل نظرية على أخرى حيث ذهب رويسرت حينئذ إلى مؤلفه بناء النظرية إلى أن تفصيل نظرية على أخرى يعتمد على الاتفاق<sup>١١</sup>، والذي حدد اسمه على النحو التالي :

- اهتمام واجتماع مشترك بين المنظرين على أن نظرية معينة تساعد على الفهم وتسمح بتحقيق التنبؤ حول الوضع المشاهد او الملاحظة المطروحة للبحث والدراسة .

- أن يكون المنطق المستخدم في بناء النظرية مشتركاً ومعاداً .
- البرهنة على صحة النظرية من خلال الاختبارات الإمبريقية .

وهذا الأساس الأخير يساعد على تطبيق حيادية الباحث وعدم تأثره بأي من الوجوه التي تدافع بين الأشياء والأمور من ناحية وتحليل الموضوعية بالرجوع للوقائع الفعلية في تقرير صحة النظرية من ناحية أخرى .

وبمراجعة الاتجاهات المختلفة لتحديد الأسس التي يتم في ضوءها قبول نظرية ما ورأي آخر نجد أن هناك شبه اتفاق عام بين المنظرين والمنهجيين على الشروط الأساسية لقبول النظرية التفسيرية بالإضافة للأسس التي حددها أيضاً رويسرت حينئذ وتنحصر هذه الشروط بصورة عامة فيما يلي :

- ١ - الاتفاق على كفاءة النظرية لتحقيق الفهم والتنبؤ حول الواقع الفعلي .
- ب - وحدة المنطق المستخدم في صياغة النظرية .
- ج - البرهان على صحة النظرية من خلال الاختبار التجريبي - بحيث تتعلق حيادية الباحث وموضوعية البرهان .

---

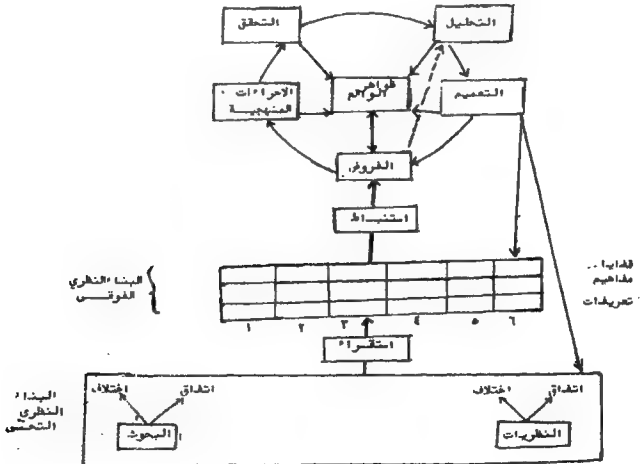
١) Dupen, Robert, Belding Theory, op. cit., pp. 13-14.

- د - تداعيل عناصر التوجيه النظرى من حيث درجة التحقق بمعنى أن تكون مبادئ النظرية وفكرها وتعميداتها بنفس المستوى من حيث الشمول والتعلق،
- هـ - أن تكون العناصر الثلاثة متكاملة ومتجانسة ومتسقة منطقيا مع بعضها ومع طبيعة الوقائع الملاحظة .
- و - استبعاد النظرية للظروف النسبية بين الثقافات بمعنى أن تكون النظرية قادرة على تحديد الخصائص المشتركة للظواهر ومستويات التداوت فى بعض الخصائص على مستوى الثقلات المتباينة .
- ز - أن تنظر النظرية على نماذج فنية وعلمية ونماذج معلنة وواضحة والتي تشير إلى الظروف والظواهر التفسيرية .
- ح - تحقيق التفاعل بين النظرية ونماذجها وبين البحث الامبيرى فى عملية الصياغة (١) .
- ط - استبعادها لصور المقابلة والتنوع بين الاتجاهات النظرية لتفسير الواقع .
- ث - أن تساعد على تحديد اتجاهات النظريات والبحوث فى تحقيق وضوح الرؤية بأبعاد الواقع والدقة فى تقديم التفسيرات المنطقية له .
- ق - أن تكون محددة الأبعاد ومحققة للشمول فى تفسير الظاهرة الملاحظة .
- ل - أن تكون متنامية بالصورة التى تجعلها قابلة للمراجعة، والإضافة فى ضوء المعطيات المعرفية للتجريب .
- م - أن تكون قادرة على كشف ما وراء النظرية والبحث من توجيهات أخلاقية، وثقافية واجتماعية ..... الخ / .
- ن - أن تكون متنامية مع الإطار المرجعى لعلم الاجتماع، ومحققة للتفاعل مع عناصره البنائية . بمعنى أن تكون شاملة للجوانب الموضوعية والذاتية للظواهر وأن تكون مستوية لمظاهر السلوك وما يرتبط به من مبادئ موضوعية، تساعد على إخضاعه للتحليل السيلوى .

1) Forcese and Richer, op. cit., p. 47.

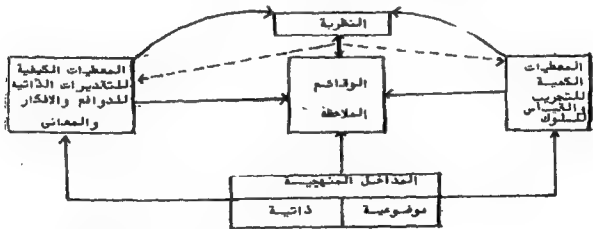
وبذلك تشير هذه الشروط بما تتلغنه من أسس بنى عليها قبولنا للنظرية التفسيرية لاتتألف من منطلق المبادئ الأساسية للمنظور العلمي - حيث يحلق بها الباحث التجريبية والموضوعية والنسبية والشك ووحدة البعد وتمسك التفسير - وذلك بدوره يعنى ان صياغة المنطق التفسيري لاتخلع لتوجيه معين، او لمعطيات امبيريقية معينة - وانما تخلع لاستراتيجية منهجية معينة، تكفل التزام الباحث بمبادئ المنظور العلمي، وتساعد على تحقيق التكامل المنهجي بين معطيات كل من النظريات والبحوث على حدها من ناحية - وبين معطياتهما معا من ناحية اخرى، الى صياغة المنطق التفسيري، بحيث تتوفر له شروط قبوله لتوجيه عمل الباحث وتداوله لقواهر الواقع وتفسيره -

والشكل التالي يوضح معالم الاستراتيجية المنهجية لصياغة المنطق التفسيري والتحقق الامبيريقى من صحته -



وقد أوضحنا ملحقاً كيفية صياغة البنية النظرية الفلوس<sup>١</sup> النسق التفسيري، من البنية النظرية التحتي<sup>١</sup> النظريات والبحوث التي يتناولها طواصر الواسع، ثم يتم توليد الفروقات الإجرائية من قضايا البنية النظرية الفلوس على أساس استنباط على أن يتخذ الباحث من المفاهيم والتعريفات الواقعية في نفس مستوى القضايا التي يجب منها فروقها الإجرائية، لاخضعها لإجراءات القياس التجريبي. ولا يحول ذلك بين استخدام الباحث لبعض القضايا والمفاهيم والتعريفات من المستويات الأخرى التي يتلفنها البنية النظرية الفلوس<sup>٢</sup> كوسائل مساعدة لإجراءات القياس دون أن تكون محل القياس. على أن يستعين الباحث في تحقيق الملاحظة والقياس التجريبي للظروف بإجراءات منهجية متكاملة، وتكامل الإجراءات المنهجية هنا لايعني كثرة مدها، ولكنه يشير لإقامه الوحدة بين المداخل المنهجية الذاتية، والمداخل المنهجية الموضوعية في إجرائها، الملاحظة والقياس.

والشكل التالي يوضح تكامل البنية المنهجية في عملية صياغة النظرية، والتحقق من صحتها. حيث تتساند المعطيات الكيفية، والمعطيات الكمية في عملية البرهنة على النظرية والتحقق الإمبريقي من صحتها<sup>(١)</sup>.



١) Schwartz and Jacobs, op. cit. pp. 4-5.

رابعا : محددات تتعلق بالنسق المرجسي لعلم الاجتماع :

يشكل النسق المرجسي للمعلم ذلك الاطار العام الذي يحدد تصور المعلم لتناول ظواهره وتفسيرها . بحيث يرجح الباحث لذلك الاطار عند تمييزه لى من المعالجات للظاهرة / لتحديد ما اذا كانت هذه المعالجات تنتمي للمجال المعرفى للمعلم ، وتنطلق من نموذج / لى معالجة الظواهر وتفسيرها ، انهما تنتمي لى من المجالات المعرفية الاخرى . وبذلك يكون النسق المرجسي للمعلم بمثابة مظلة وقائية للمجال المعرفى . ولذلك تزداد اهمية هذا النسق المعرفى بالنسبة للعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة . وذلك لارتباط موضوعات علم الاجتماع بالموضوعات التى تتناولها العلوم الاجتماعية الاخرى من ناحية ، ولتعدد اتجاهات التناول والتفسير للظواهر الاجتماعية من ناحية اخرى .

واذا كان مفهوم النسق الذى نستخدمه فى هذا المجال <sup>General</sup> يشير لتلك العناصر المتكاملة بنائها ومتساندة وهيئتها ، والعتبادلية <sup>General</sup> التبادلية <sup>General</sup> السياق المرتبط بها ، فان تعيين حالة النسق الذى تتناوله على مستوى الهيئات الفكرية تتحدد من خلال السمات الاساسية المتمثلة فى :

- كون وحدات النسق ذات قيم معيَّنة ومحددة .
- كون مجموعة قيم الوحدات داخلة ومستمرة على مستوى الترات .
- كون هذه الوحدات مرتبطة ببعضها وبالعلاقات المحتملة بها .

وذلك يعنى ان عناصر النسق الفكرى هذا متكاملة بنائها ومتساندة وهيئتها مع بعضها فى معالجة الظاهرة وتفسيرها .

وفى ضوء ذلك يشير مفهوم النسق المرجسي لعلم الاجتماع / لذلك الاطار العام الذى يحدد التصور السيولوجى لتناول الظاهرة الاجتماعية وتفسيرها . بحيث

يتوفر له معلومات المنطق بين وحداته حول الهدف العام، المتمثل في المعالجة، والتفسير للظواهر الاجتماعية . ويحتكون قيم وحداته مميزة ومحددة، وذات استمرارية على مستوى التراث السيولوجي . وان يتوفر فيما بين وحداته درجة من التكامل النهائي، والتأند الوظيفي التي تمكن علم الاجتماع من بلوغ اهدافه التفسيرية على اساس الارتباط بين وحدات ذلك الاطار واثاقه التفسيرية . وفي ضوء ذلك تكون النظرية السبولوجية واتجاهاتها النظرية محورا لمعالجة النقي المرجعي لمعلم الاجتماع بمفهومه الذي لى لتحليل وتحديد عناصره المتمثلة في التفاعلية الرمزية (داخل اطار الاتجاه الاجتماعي النفس) والاتجاه الوظيفي ، الاتجاه الوظيفي ، الاتجاه القياسي . الاتجاه التحليلي والذات التفاعلية الرمزية تتخذ من وجهة نظر العامل مدخل للمعالجة للظواهر الاجتماعية، بحيث تتمثل العناصر التي تعالجها الى العامل والفعل والاخر ، والتعامل بين المواقف الاجتماعية وما يترتب بها من رموز ومعاني وافكار ولغة فانها تقدم تفسيرها للوظائف الاجتماعية على اساس التفاعل والتبادل الاجتماعي، الذي تتحكم فيه المعاني الاجتماعية المرتبطة بموقع معين وما يترتب بها من رموز<sup>١</sup> والمعلومات والانتظامات<sup>٢</sup> ، والاتجاه الاجتماعي ومواصله<sup>٣</sup> . وبذلك فان

- ١) Blumer, H., Symbolic Interactionism Perspective and Method, Prentice-Hall Englewood Cliffs, New Jersey. 1969. pp. 10-50.
- ٢) Goffman, Erving, The presentation of self in Every day life, doubleday, New York: 1959, pp. 1-22, 79.
- ٣) Blau, Peter, Exchange and Power in Social Life, New York: Wiley, 1964, Chap.12



التفاعلية الرمزية ترى ان الافراد يخلقون المجتمع كل يوم بواسطة الممارسات الاجتماعية، التي تتحكم فيها الرموز والمعاني والمعلومات والانطباعات والتجارب الاجتماعية، وبذلك فان النظام الاجتماعي مادي الا انتاج فعال لجهود الافراد ويتم بالدينامية والتغير .

ونظرا لان التفاعلية الرمزية تشكل احد المحاور الاساسية للمعالجة / والتفسير، الذي تقدمه النظرية الاجتماعية النفسية للظاهرة الاجتماعية بالتركيز على الجوانب الرمزية للتفاعل، وما يرتبط به من معلومات وانطباعات ذهنية للمتعاملين . فان التبادلية الاجتماعية التي قدمها "بتر بلو" تحقق اتجاها التفاعلية الرمزية في التناول والتفسير، وتفيد للنظرية الاجتماعية النفسية بعدا جديدا للمعالجة والتفسير للظواهر الاجتماعية حيث تقيم التبادل الاجتماعي داخل التنظيم الاجتماعي، وما يتبعه من مراكز متفاوتة، على اساس التجاذب الاجتماعي . بحيث يعتبر التبادل بالادافاة لكونه نتيجة لتوازن القوى والهيكل لتحقيق التوازن ، في العلاقات، وتوزيع المكافآت، انه قد يكون نتيجة ايهما عدم التوازن في العلاقات، وانه بذلك يؤدي للتداعي والتفسير الاجتماعي . وبذلك فان التفاعلية الرمزية والتبادلية الاجتماعية يكملان بعضهما في اطار الاتجاه الاجتماعي النفسي لتفسير الظاهرة الاجتماعية ويتخذان من الوحدات المعرفية مدخلا لمعالجة حالة البنية الاجتماعية، وتفسير توازنه، وتغيره .

وهذا بذلك يتسلمان مع مدخل الاتجاه الوظيفي الذي يهتم بمعالجة نمواتنق وتنشوره، وتحليل عمليات التفاعل وتناول العناصر البنائية للنسق . وبذلك للاتجاه الوظيفي يتكامل مع الاتجاه الاجتماعي النفسي لتحقيق التناول المتكامل للواقع الاجتماعي، بجانبها الفردي والموضوعي، وذلك ما تولفه الفدايسا التي يستند اليها الاتجاه الوظيفي في معالجة الظواهر الاجتماعية وتفسيرها .

وإذا كان تناول الوقائع الاجتماعية من المنظور التفاعلي، والمنظور الوظيفي يحلّق التكامل على المستوى الكيفي للتناول والتفسير للوقائع الاجتماعية ذات الاتجاه الوظيفي. يحلّق في جعل التناول الكيفي للاتجاهين متما بالطاقم الوظيفي، القابل للقياس وذلك لأنه يؤكد على عناصر إجرائية لتناول ومعالجة الظواهر الاجتماعية، وتتمثل تلك العناصر التي ينهي عليها الاتجاه الوظيفي في معالجة للظواهر الاجتماعية في : تناول السلوك باعتباره التجسيد الفعلي لعمليات التفاعل داخل النسيج الاجتماعي . وذلك لتحقيق العنصر الثاني المتمثل في قياس هذا السلوك ومعالجته كميًا . على أن يعالج تلك المعالجات على أساس من التعريفات الإجرائية للمفاهيم، وذلك يعني أن الاتجاه الوظيفي يتأكد على عناصر التناول المتمثلة في دراسة السلوك ، والقياس الكمي لهذا السلوك، وتقديم التعريفات الإجرائية، يستهدف جعل معالجة الاتجاه الاجتماعي النفسي، والاتجاه الوظيفي قابلة للتناول المفهوم، لدعم التحليلات الكيفية، وما يرتبط بها من تفسيرات، بمعطيات المشاهدة التجريبية . وبذلك فهو يقيم علاقة بين الاتجاه الاجتماعي النفسي، والاتجاه الوظيفي من ناحية، وبين الاتجاه القياسي من ناحية أخرى . وتحقيق عناصر القياس المتمثلة في القياس الاسمي ، والقياس الترتيبي ، والقياس الدائلي، والقياس النسبي . حيث يساعد القياس الاسمي والترتيبي في تحليل العلاقات الاحتمالية كما يمكن معالجة المتغيرات المعبرة من العلاقات الارتباطية فلسفي المقادير الترتيبية والداصلية بالمعنى الخطي الذي يخلق للاختبار في حين أن المتغيرات التي تقاس على القياس النسبي فهي العلاقات الوظيفية بين المتغيرات .

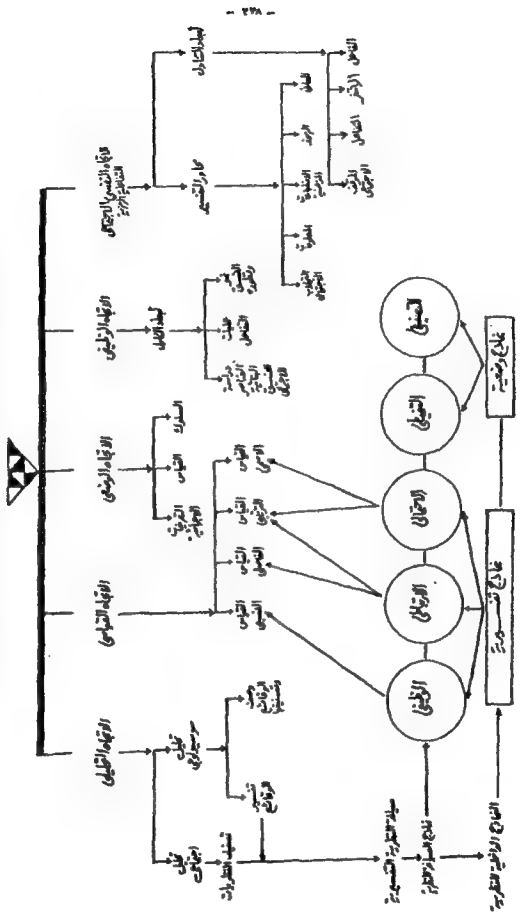
وبذلك يساعد الاتجاه القياسي في الدامة الرابطة بين التصور السلوكي  
لتناول الظاهرة الاجتماعية، والتصور السلوكي لتفسيرها، وتوثيق العلاقة  
بين الاتجاهات النظرية والاجتماعية، والوظيفية والوظيفية، والاتجاه التطبيقي  
الذي يشتمل على ابعاد اجتماعية وتشتمل في تصنيف الواقع، وذلك يخدم في عمل  
الاتجاهات المختلفة، ثم تصنيف النظريات، ومعالجة النماذج التفسيرية للقواهر  
الاجتماعية . واذا كانت النماذج النظرية المرتبطة بالنسق التفسيري تشتمل  
في النموذج التعميمي، والنموذج التنميطي، والنموذج الاحتمالي، والنموذج  
الارتباطي، والنموذج الوظيفي، فان تلك النماذج تتعامل مع مستويات القياس  
ومعاصرة حيث يرتبط عمل النموذج النظري الاحتمالي بالمستوى الاسمي للقياس  
ويرتبط النموذج النظري الارتباطي بالقياس الترتيبي والقياس الداسمي  
ويرتبط النموذج النظري الوظيفي بالقياس النسبي، والنماذج النظرية الثلاثة  
الاحتمالي والارتباطي والوظيفي تخدم في معالجة الفروق التفسيرية  
ومعالجتها، بمعنى انها ترتبط مباشرة بالنماذج الواحدة للنظرية التفسيرية .  
في حين ان النموذج النظري التعميمي والنموذج النظري التنميطي مرتبطان  
بالفروق والمعالجيم الوظيفية التي يقوم عليها النموذج الفهمي للنظرية  
التفسيرية<sup>١١</sup> لعلم الاجتماع .

والشكل التالي يوضح الابعاد التي تعالجها الاتجاهات النظرية  
لنظرية السلوكية، والتي تشكل وحدات النسق المعرفي لعلم الاجتماع .

---

11 Lin, Nan, Foundation of Social Research, N.Y., McGraw-Hill Book Co.,  
1976, P. 192.

# والنفس والوجداني للعلم الاجتماعي وحالاته، بما في ذلك صيغته النظرية والتفسيرية



وبذلك تتعدد قيمة المعطيات المعرفية للبحث بمدى استيعاب الباحث لابعاد النسق المرجعي لعلم الاجتماع وعناصر كل منها على مستوى التناول والتفسير للظاهرة الاجتماعية من ناحية ، وتكاملها بشاخصا وتماسكها وهيكلا لتحقيق التناول السيولوجي والتفسير السيولوجي للظاهرة الاجتماعية من ناحية أخرى ، ولانتمى بذلك ان ما قدمته البحوث من معطيات معرفية دون استيعاب من الباحث لابعاد النسق النظرى لاتنطوى على قيمة معرفية وانما تعنى ان الباحث اذا ما اراد ان يتعامل مع المعطيات المعرفية لتلك البحوث يكون في أمس الحاجة اليهم مما يفسد النسق لتحديد ما يتوفر لتلك البحوث من تصور سيولوجي في معالجة الظاهرة الاجتماعية وتفسيرها ، وذلك لكي يستطيع ان يعالج النتائج المعرفية لهذه البحوث وتمديد مدى تكامل معطياتها المعرفية في فهم الظواهر الاجتماعية ، وعليه فان رمى الباحث (عندما يشرع في اجراء بحثه) بالنسق المرجعي لعلم الاجتماع وعناصره في التعامل الحادث بين تلك العناصر/بشخصا في مواجهة العديد من محددات البحث الاجتماعي وتحقيق المعالجة العلمية الدقيقة للظواهر الاجتماعية وتجاوز حدود اى من المعالجات الكيفية أو الكمية لفظ للظواهر الاجتماعية ، وبذلك تأتي معطيات البحث المعرفية متكاملة ومتسقة مع طبيعة تلك الظواهر .

## الباب الثالث

### علم الاجتماع والمنهج العلمي في دراسة المجتمع

#### تمهيد :

تزايد الاهتمام بالمنهج العلمي واستخدامه من قبل علماء الاجتماع في دراسة المجتمع البشري وظواهره منذ بداية ثلاثينيات هذا القرن . وذلك ما ترتب عليه اهتمام علماء الاجتماع وعلماء المناهج بمعالجة المنهج العلمي وعناصره البنائية وحدود استخدامه في البحث الاجتماعي . ومن ثم خصت مؤلفات بكاملها لمعالجة البناء المنهجي لعلم الاجتماع بعد ان كانت معالجاته متضمنة في لمؤول بعلى مؤلفات علم الاجتماع . كما ادرج المنهج ضمن برامج الدراسة الأكاديمية بمختلف الجامعات . وقد وصل الاهتمام بالمنهج العلمي في الوقت الراهن الى الحد الذي اصحت فيه مناهج البحث مدرجة في كافة مجالات العمل العلمي والدراسات الأكاديمية في علم الاجتماع (١) .

وقد ادى هذا الاهتمام المتزايد بالمنهج العلمي ومكانة استخدامه لى دراسة المجتمع وظواهره اتساع دائرة المعالجات التى قدمها علماء الاجتماع للمنهج العلمي بحيث شملت الوقف المنطقي للمنهج العلمي بالنسبة للتعليق العلمى عامة ونظام علم الاجتماع خاصة . وطبيعة البناء المنهجي لعلم الاجتماع والعناصر التى يشتمل عليها هذا البناء المنهجي . وهدى تكامل المناهج الكمية والمناهج الكيفية لعلم الاجتماع في وحدة البناء المنهجي لهذا العلم . وقاعدية المنهج العلمي في تحقيق موضوعية الدراسة للمجتمع البشري وظواهره . وذلك بهدف الوصول لرسم معالم الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية وصياغة النظريات العلمية المفصلة لتلك الظواهر . وفى ضوء ذلك نعالج في هذا الباب الموضوعات التالية :

(1) Goode, William, J. & Hatt, Paul, K., Methods in Social Research, New York: Graw-Hill Book Company, I.N.C., 1952. p.1

- البناء المنهجي والنظام العلمي لعلم الاجتماع .
- الذاتية والموضوعية في علم الاجتماع .
- تصنيف طرق البحث مداخل دراسة المجتمع .
- البحث العلمي بين النظرية والتطبيق .
- الاستراتيجية المنهجية لدراسة الظاهرة .

ومعالجتنا لتلك الموضوعات تتم في سياق معيننا لاستجلاء المبادئ والاسس التي تحكم عمل منصر المنهجية بالبناء المنهجي للعلم ، بالنسبة لدراسة الوقائع والظواهر الاجتماعية بجانبها الكيفي والكمي . وتحليل عناصر البناء المنهجي الاخرى للمعلم الاجتماعي، والمتمثلة في المداخل والطرق المنهجية، والاساليب والادوات المنهجية، والعلاقات التي تربطها ببعضها، من حيث تتابع اداؤها الوظيفي في عملية البحث الاجتماعي . وذلك بهدف الكشف عن معالم الاستراتيجية المنهجية للدراسة العلمية لظواهر المجتمع .

### الفصل السابع

#### البناء المنهجي والنظام العلمي لعلم الاجتماع

ان الحديث عن النظام العلمي لعلم الاجتماع ليس وليد عمرنا الحاضر لقد شغل هذا النظام رواد هذا العلم بعد أن أعلن أوجت كونت ميلاد هذا العلم عام ١٨٣٠م حيث تمادى في المحاولة تلوي الأخرى لتحديد هوية هذا النظام وإسناده المنطقي والمنهجي ولتأكيد الكفائية العلمية لعلم الاجتماع كنظام علمي له أنطوره النظرية والمنهجية ، التي تشكل معالمه العليا متميزة ومن ثم كانت هذه المحاولات المبكرة تستهدف علم الاجتماع في حد ذاته متخذة من طبيعة موضوعه ، وأهميته بالنسبة لحياة الإنسان والمجتمع سندها لتأكيد هذا النظام العلمي وضرورية . وبعد ان تحددت معالم هذا النظام العلمي استمرت مسيرة البحث والتنقيب في مجال هذا العلم للوصول به الى مستوى الموضوع الذي يعالجه . بمعنى ان النظام العلمي لعلم الاجتماع ظل موضوعا للبحث والدراسة بجانب ثورته في تناول المجتمع البشرى ، وظواهره . وان كانت محاولات الرواد قد اتسمت بالتطرف في دعم النظام العلمي لعلم الاجتماع ، ولذلك ما اقتضته ظروف هذا العلم وحداثة عهده وحاجته لاسناد قويه لبلورة نظامه ، الا أن الفترة الراهنة من تاريخ علم الاجتماع تتسم بالاتجاه المتطرف بهذا من حيث الاهتمام بالنظام العلمي لعلم الاجتماع . بمعنى ان علم الاجتماع ما زال هدفنا في حد ذاته لمحاولات متكررة لدعم النظام العلمي لهذا العلم . الا ان الهدف من هذه المحاولات لا ينحصر في تحديد هوية هذا العلم بقدر ما تستهدف الوصول بهذا النظام العلمي للمستوى الذي يساعد على توفير فهم اعمق وادق لموضوعه او بالتالي تحديد نطاق عمله بالصورة التي تساعد على تمييز أنطوره النظرية عن غيرها من الأنطوريه الأخرى .



ورغم ان المحاولات المبكرة لم تكن قد نجحت بعد، إلا انها كانت تتسم بالشمول لمختلف ابعاد النظام العلمي لعلم الاجتماع، في حين ان المحاولات المعاصرة قد تتخذ من بعض جوانب النظام العلمي لعلم الاجتماع موضوعا لها - لسمها ما يعالج الجانب المنهجي/ومنها ما يعالج الجانب النظري، وحتى المعالجات النظرية للجانب النظري تنحصر في بعض الاطر والزوايا النظرية لهذا العلم وهذا لا ينفي وجود بعض المحاولات المعاصرة التي تنطلق من منظور اوسع في معالجة النظام العلمي لعلم الاجتماع/وذلك على نحو ما فعل "توماس كيهن" في دراسته لهذا الشوق العلمية عام ١٩٦٢ ومحاولة روبرت فريدرش لتحليل الاساس المعرفي لعلم الاجتماع كنظام علمي<sup>(١)</sup> هذا بالإضافة للاتجاهات المعاصرة التي تستهدف معالجة الشق العلمي لعلم الاجتماع وبما فيه المنهجي والنظري على نحو ما فعل هاري R. Harre في مؤلفه "فلسفات العلم ١٩٧٢، ومبادئ التفكير العلمي ١٩٧٠، وقد جاءت محاولة "ولترولس" في مؤلفه "منطق العلم في علم الاجتماع" مستهدفة معالجة الشق العلمي لعلم الاجتماع، من حيث بذاشه النظري والمنهجي، وتعمق الحوار حول البناء المنطقي لعلم الاجتماع بشكل المحاولات التي استهدفت تبادل الجانب الكيفي والجانب الكمي لعلم الاجتماع في الدراسة الرائدة التي قدمها هوارد زغوارتز وجوسي جاكوب بعنوان علم الاجتماع الكيفي ١٩٧٩. وغيرها من المحاولات التي عالجت علم الاجتماع الكمي. وما تشير اليه تلك المحاولات هو الاهتمام المتزايد اليوم بمعالجة البناء المنطقي لعلم الاجتماع كنظام علمي لتحديد طبيعة البناء المنهجي لهذا العلم، وما ينطوي عليه هذا البناء من عناصر منهجية تتمثل في المبادئ المنهجية، والمداخل والطرق المنهجية والاساليب والادوات المنهجية والتي تشكل مع بعضها وحدة متكاملة تتمثل في البناء المنهجي لعلم الاجتماع.

- 1) Kuhn, Thoms, The Structure of Scientific Revolution, Chicago, University of Chicago Press, 1970.
- 2) Friedrichs, Robert W., A Sociology of Sociology, London, Collier Macmillan Publishers, 1970.

وفي ضوء ذلك نتناول الجوانب التالية :

- معالم الحوار حول النظام العلمي لعلم الاجتماع .
- تطور الحوار حول البناء المنهجي لعلم الاجتماع .
- الكم والكيف في علم الاجتماع .
- عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع .

اولا : معالم الحوار حول النظام العلمي لعلم الاجتماع

منذ ان طرح "أوجست كونت" الحوار حول النظام العلمي لعلم الاجتماع أمام  
١٨٢٠م، والمحاولات مستمرة لإبراز دافعية النقي العلمي لعلم الاجتماع في الإجابة  
على التساؤلات التي تشغل البشرية منذ زمن بعيد في محاولتها لفهم الواقع  
وهو امره . وتشتمل هذه التساؤلات في ماذا ؟ أي ماذا حدث ؟ هو يتصلق  
بمحاولات الكشف عن الظواهر والحوادث ومفهمها، بتحديد خصائصها وسماتها،  
وقد تولى علماء الاجتماع الإجابة على هذا السؤال من خلال مفاهيم الاشتاتيك  
الاجتماعية، والمورفولوجيا الاجتماعية، والتي طوّر تبعاً لذلك لاستخدام مفهوم  
البناء الاجتماعي . فـأوجست كونت قم الدراسات في علم الاجتماع بالدراسات  
اشتاتيكية، ودراسات ديناميكية . وتستهدف الدراسات الاشتاتيكية "هذا الإجابة  
من سؤال ماذا؟ أما "فونر كايم" فقد قم بالدراسات في علم الاجتماع الى دراسات  
مورفولوجية، ودراسات فيزيولوجية، وتستهدف الدراسات المورفولوجية الإجابة  
من نفس السؤال ثم طوّر مفهوم الاشتاتيك والمورفولوجيا بواسطة علماء  
الانثروبولوجيا والمعادرين من علماء الاجتماع . ومنهم عالم الاجتماع الأمريكي  
"روبرت ميرتون" باستخدام مفهوم البناء الاجتماعي . وقد سلك في ذلك استخدام  
"جورفيتش" لمفهوم البناء الاجتماعي وان كان استخدامه اقرب الى مفهوم النسق

وكذلك كارل مانهائيم<sup>١</sup> الذى يرى ان مفهوم البناء قابل للتطبيق. وقد يكون شابتا اوديشنا<sup>٢</sup> ميا ! كما ذهب مانهائيم<sup>٣</sup> الى استخدام مفهوم البناء الى ان الانثى مدفوعة ذاتيا لتحقيق اهدافها، وقد وقع الاتجاه البنائى بشكل عام، لدى لى شتراوس<sup>٤</sup> الا ان استخدام ميرتون<sup>٥</sup> لمفهوم البناء الاجتماعى كان اكثر تحديدا واتساقا مع الاتجاه المعاصر فى علم الاجتماع . الامر الذى ادى الى شيوع استخدام هذا المفهوم بين المعاصرين من علماء الاجتماع . وتعتبر الدراسات البنائية للظاهرة الاجتماعية من منجزات الاتجاه الوظيفى فى علم الاجتماع .

وفى محاولة علماء الاجتماع للاجابة عن السؤال الثانى الذى شغل البشرية وهو لماذا اى لماذا حدثت الظاهرة . وهو سؤال يتعلق بالجانب التفسيرى للظواهر والحوادث . وقد سعى اوجست كوت لايران<sup>٦</sup> لفاعلية علم الاجتماع فى الاجابة على هذا السؤال من خلال الدراسات الديناميكية . والى طورت عند اميل دوركايم<sup>٧</sup> فيما بعد بالدراسات الفزيولوجية واستخدم مفهوم التفسير بدلا منها من قبل علماء الاجتماع . ثم استخدم مفهوم الوظيفة الاجتماعية بمعناها الحالية بواسطة علماء الاجتماع المعاصرين ومنهم روبرت ميرتون . وذلك فى محاولة الاجابة عن سؤال لماذا ؟ ومن ثم اصبح البناء والوظيفة مدخلين اساسيين لفهم الظاهرة واكتشاف الوقائع الاجتماعية ، ومعها وتفسيرها . اى الاجابة عن السوالين ماذا ؟ ولماذا ؟ . يتحقق الفهم للظاهرة الاجتماعية المعقدة . وبهذا الفهم للظاهرة يمكن الاجابة عن السوال الثالث الذى شغل البشرية وهو كيف ؟ اى كيف تحدث الظاهرة فى المستقبل حيث يتم فهم الظاهرة وبالتالي التنبؤ بالكيفية التى تحدث بها الظاهرة فى المستقبل والعوامل التى تتحكم فى هذا الحدث .

وعلى امتداد فترة زمنية تبلغ قرناً ونصف من الزمان وهي العصر الزمني  
لعلم الاجتماع، منذ ان أعلن ميلاده عالم الاجتماع "أوجست كونت" بالمحاولات مستمرة  
من قبل علماء الاجتماع للإجابة عن سؤال ماذا ولماذا يهدف فهم الظاهرة  
الاجتماعية لا مكان الإجابة على السؤال كيف ؟ اي كيف تتحقق امكانية التنبؤ  
بالظواهر والحوادث والعوامل التي تتحكم فيها في المستقبل .

ولم تكن محاولات الإجابة تلك بالأمر الهين فبقدر ما كان علماء الاجتماع  
يستفيدون من علم الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي وظواهره كان عليهم ان يسعوا  
في بلورة النظام العلمي لعلم الاجتماع لدعم نسقته العلمية بما يجعله بمستوى  
لهم الواقع الاجتماعي وظواهره . وهذا طرحت العديد من التساؤلات منها " علم  
الاجتماع لبنين ؟ وهل هو في خدمة المجتمع ام في خدمة نسقته العلمية ؟

ومن ثم سار الحوار الذي ادارته علماء الاجتماع في مسلكين متوازنين،  
مملك يتعلق بإمكانية علم الاجتماع وكفاءته في فهم الظواهر الاجتماعية  
ومملك يتعلق بمساعدة النطق العلمي لعلم الاجتماع وتنميته بما يجعله على  
مستوى العلوم الأخرى من ناحية، وبما يعزز فاعليته في فهم المجتمع وظواهره من  
ناحية أخرى . ولم يكن المملك الأول المتعلق باستخدام النظام العلمي لعلم  
الاجتماع لفهم الواقع الاجتماعي وظواهره بمعزل عن المسلك الثاني المتعلق  
بتنمية النظام العلمي في حد ذاته، وذلك لانه كثيرا ما مهد المملك الأول

عندما لا يتمكن بعض العلماء من فهم ظاهرة معينة لبدء الحوار في سبيل  
المملك الثاني بهدف تنمية النظام العلمي لعلم الاجتماع، بما يجعله ملائم لفهم  
الواقع الاجتماعي وظواهره . وقد ترتب على هذا الحوار توفير تراث نظري  
ومنهجي حول النظام العلمي لعلم الاجتماع تراكم خلال تلك الفترة وبموره جعلت  
من هذا التراث مورسوما في حد ذاته . وقد استفاد المملك الثاني من هذا

الحوار بشكل مباشر لأنه يتعلق بالنظام العلمي لعلم الاجتماع مباشرة ، وذلك لأن الحوار هنا كان يهدف فهم هذا التراث واستجلاء معالم النظام العلمي لعلم الاجتماع من خلاله -ومن ثم كانت من أهم القضايا التي طرحت خلال الحوار حول هذا التراث والتي شغلت علماء الاجتماع انفسهم بغية استجلائها تلك القضية المتعلقة بمعالم النسق العلمي لعلم الاجتماع .

وعليه سار الحوار في نطاق الملوك الثاني المتعلق بعلاقة النسق العلمي لعلم الاجتماع، واتخذ مداخل متعددة تمثلت في الحوار المبكر لدى رواد علم الاجتماع -والذي دار حول استقلال علم الاجتماع وتعريفه وتحديد أفراسه وأبوابه . وطرقه المنهجية وحدود استخدامها وتطبيقاتها .

#### ١ - مسارات الحوار حول استقلال علم الاجتماع وتبويبها

بدأ الحوار حول النظام العلمي لعلم الاجتماع عندما اشتق أوجيت كوست مصطلح علم الاجتماع Sociology من اللغة اللاتينية واليونانية . حيث أن شالي المصطلح Logy وتعني الدراسة ذات المستوى الرابع من حيث العمق والدقة و Socio ويعني المجتمع وبذلك يشير مصطلح علم الاجتماع للدراسة العلمية الدقيقة والمتعمقة للمجتمع . ثم انشطر الحوار حول تعريف علم الاجتماع بين علماء الاجتماع فمنهم من اخذ يعرفه بموضوع الدراسة ومنهم من أكد على ضرورة تعريف موضوع الدراسة بواسطة علم الاجتماع ذاته .

ومهما كانت إنجازات الفريق الأول الذي سعى لتعريف علم الاجتماع بمفوضية، فإنها تشير جدلاً بجرئاً بعيداً عن مناقشة النظام العلمي في حد ذاته، في حين أن الاتجاه الثاني الذي يؤكد على ضرورة تعريف موضوع العلم بواسطة النظام العلمي ذاته، أي تعريف المجتمع بواسطة علم الاجتماع، يجعلنا نبدأ بالحوار حول ماهية النظام العلمي لعلم الاجتماع ، كي ننطلق منه لتعريف الموضوع الذي يعالجه . ولا يعني ذلك رفضنا المطلق لأسهامات الاتجاه الأول، ولكن ما يعنيه

هو تأكيدنا على أهمية الانطلاق من النظام العلمى لتحديد المفهوم الذى يدرسه العلم . ومما يؤكد هذا ذلك الاختلاف القائم بين اتجاهات تعريف علم الاجتماع بموسوعه، فمنهم من عرفه بأنه علم المجتمع على نحو ما ذهب لستروارد، ومنهم من عرفه بأنه علم الظواهر الاجتماعية كما ذهب ادوارد روس . ورأى سمولل انه العلم الذى يدرس العمليات الاجتماعية فى حين ان روبرت ماكينر يذهب الى ان هذا العلم يدرس حول العلاقات الاجتماعية، ورأى موريس جنتز برع انه دراسة العلاقات والانسانية وما يرتبط بها من هوى وأشياء وبذلك نجد ان تعريفاتهم لعلم الاجتماع بموسوعة تأثرت بوجهات نظر كل منهم واهتماماتهم بطرف . جانب معين من جوانب الواقع الاجتماعى . وهذا الاتجاه فى تعريف علم الاجتماع رغم امكانية اتخاذه كمؤشر لمناقشة موضوع علم الاجتماع الا انه لا يقدم لنا اساسا صامدا مشتركا ومتقفا عليه بالنسبة لتعريف علم الاجتماع . ومن ثم ظهر الاتجاه الاخر الذى يتخذ من النظام العلمى لعلم الاجتماع اساسا لتعريف هذا العلم . فذهب "هنرى جيمس" فى تعريفه لعلم الاجتماع الى انه الدراسة العلمية للمجتمع . وذهب "رينيه مونيه" عام ١٩٢٠ الى ان الدراسة الوصفية المقارنة التفسيرية للمجتمعات الانسانية حينما تسمح به ملاحظة تلك المجتمعات فى حدود الزمان والمكان .

ويذهب "أوزوبول" فى تعريفه لعلم الاجتماع من هذا المنطلق الى انه، نسق القوانين الاجتماعية التى تحكم المجتمع فقط .

وان كانت هذه التعريفات قد اتخذت طريقة دراسة علم الاجتماع لموسوعة، وهادئة من دراسة المجتمع اساسا لتعريف هذا العلم . الا انها ركزت على طبيعة النظام العلمى لعلم الاجتماع فى تعريفه كنسق علمى . وقد كان تعريف العالم التشيكوسلوفاكى "زوندك اولس" لعلم الاجتماع بأنه علم موضوع يبحث عن وجهة نظر عامة السمات والانتقادات التى تنظم حياة الناس مع بعضهم . يعنى

تركيز بصفة أساسية على طبيعة النظام العلمى لعلم الاجتماع وطبيعة الموضوع الذى يتناوله هذا العلم والطريقة التى يتبعها فى دراسة هذا الموضوع.

ويمتد الحوار بعد التعريف لهذا العلم ليتناول استقلاله وتمييزه من الفلسفة الاجتماعية، والعلوم الانسانية والاجتماعية، وفى ذلك اهتمام ايضا لتمييز النيق العلمى لعلم الاجتماع . والذى يعمله ذلك الحوار الذى شغل رواد علم الاجتماع امثال "ابن خلدون" و"أوجست كوت" وأميل دور كايم" حول تسيب الدراسة فى هذا العلم وتحديد فروعه والعلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعيات والفروع المختلفة .

وقد اتسم الحوار حول استقلال علم الاجتماع وتمييزه عن العلوم الاخرى . بالاتفاق الذى لم يتحقق بكامله بين الاتجاهات فى تعريف هذا العلم ، فقد لاقى التمييز الذى وضعه عالم الاجتماع الأمريكى "ليبرتم بروكنر" بين علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية قبولا وافعا من قبل علماء الاجتماع . حيث يرى ان لكل طائفة من الظواهر الاجتماعية العديدة الاقتصادية ، وسياسية ودينية وغيرها علوم خاصة بها متطابقتها معها ، وبالإضافة لتلك العلوم تبرز المروية لعلم الاجتماع الذى يهتم بالحقائق المشتركة، والعامية والشائعة بين جميع انماط الظواهر الاجتماعية وما بينها من علاقات ، وذلك لأن علماء اجتماعيا خاصا لا يمكنه فى حد ذاته ادراك هذه الوظائف معا بصورة مرضية (١) ، كما ان الحوار حول تسيب علم الاجتماع وتحديد فروعه قد حقق درجة كبيرة من الاتفاق الذى يدعم النظام العلمى لعلم الاجتماع .

## ٢ - سوا الاهتمام بالمنهج العلمى وتطبيقاته :

بنى الاهتمام بمناهج البحث وتطبيقاتها بين علمى المنفلين فى مجالات اخرى غير علم الاجتماع . غير ان الشخص الذى يكون له اهتمام هاد بالمجتمع

(١) سيولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، (ترجمة) القاهرة ، دار المعارف .

البشرى والاساس العلمى لهم فواهره يكون اكثر حاجة لغير من المعرفة حول طبيعة تلك المناهج وحدود استخدامها فخراسة المجتمع البشرى ومعالجة فواهره واحداشه .

ومن ثم ذهب كل من " وليم جود وبرايل هات " الى ضرورة ترتيب سبب الحاجات التى تسامد فدراساتنا لخرق البحث وما يرتبط بها من تكنيكات والمعمل على تحقيقها، وذلك لتزويد الدارسين الذين يعدون لتولى اوضاعا ادارية او اممالا معينة كل بقدر حاجته من تلك التكنيكات المنهجية، وبالمسورة التى تسامده فى مجال العمل والنشاط الذى يزاوله، وذلك لان اكتساب هذه المعرفة ضرورية لهم نظرا لحراكم التصادمى فى مختلف الاعمال الستى يزاولونها . ولحاجاتهم لتقويم التقارير التى قد يعدها الآخرون لشكون لديهم المقدرة الفنية على تلخيص هذه الدراسات وهذه البحوث التى انجزها الآخرون. ولكى تتولى لديهم المقدرة لتقرير متى تكون صادقة بالقدر الكافى لامكان استخدامها كاساس لقراراته ... وبالمثل المستظنون بمجال 'الرأى العام' .

وباحش الاتمال والدمامية . لان جميع هؤلاء يجمعون وقائع من اجل اتبام احتياجهم الحكومه او الاعمال .. ومن ثم يجب ان يتولى لديهم ايضا المعرفة حول البحث الاجتماعى لان هذه المعرفة على درجة كبرى من الفائدة فى عملية اعداد التقارير المرتبطة بمجال تخصصهم .

هذا فضلا من المسئولية المدنية التى تواجه المواطن العادى فسى الاحكام والقرارات التى يتخذها حول الاحداث الجارية وتلقيها ، والتى تعتمد درجة الصدق فى احكامه تلك على مدى اعتماد قراراته هذه على الوقائش العلمية .

ومن ثم راج استخدام عبارات 'الخراصة العلمية' والمنهج العلمى، والاساليب العلمية . وقد كانت نتيجة ذلك تزايد عدد الراغبين من فسير



العلماء في المعرفة العلمية حول مناهج العلم الاجتماعي . هذا فضلا عن تزايد الاهتمام بنفريس مناهج البحث بصورة أكثر عما كانت عليه من قبل كنتيجة لتنمو هذا الاتجاه في مجال علم الاجتماع ذاته ، إضافة لذلك شيوع التأكيد بأن تقدم أي علم يعتمد على تطور تكتيكات البحث في ذلك المجال<sup>(١)</sup> ، ومن ثم تزايد التأكيد على منهج البحث والتطور الغرض بين العلوم الغربية لعلم الاجتماع .

والواقع أن الدراسة العلمية للإنسان والمجتمع دراسة أساسية للتفكير الإنساني في العصر المعاصر لأن كان تقويم الإنسان لمعاييره وفهم دوافعه والتنبؤ بمستقبله .

والمنهج العلمي واحد من الممطلحات المستخدمة والتي تشير إلى التكتيكات التي يستخدمها نظام خاص لجمع البيانات واكتساب المعرفة وذلك يشير المصطلح للتجريد الذي يتعلق بدراسة الأساس المنطقي للنظام نفسه ، وهذا الاستخدام يربط المنهج بمصطلح فلسفة العلم . ومثالنا الكلاسيكي للمنهج بهذا المعنى هو النسق المنطقي لجون استوارت مل<sup>١٨٩٨</sup> والذي ساد في تعميم نماذج البحث وإيجاد مدى مدقها . حيث فمنه مناقشة للاستنباط والاستقراء ، وفكرته من قانون الطبيعة والسبب ، والتجربة ، وعملية التعريف ، والتصنيف وما إلى ذلك من أساسيات منهجية . ومن الأمثلة الحديثة جدا لفلسفة العلم ، بناء العلم "لداجل" ١٩٦١ . وكذلك أكير لازار زهيل لعلاقة المنهج بعلم الاجتماع عندما ذهب إلى أن مهمة عالم الاجتماع تتمثل في دراسة الإنسان في المجتمع ، أما مهمة عالم المنهج تتمثل في دراسة العمل الذي يقوم به عالم الاجتماع ، وإيجاد اهتمام مرشون في علم الاجتماع اليوم ١٩٥٩ بالمشاكل المنهجية - والحقيقة أن الاهتمام

(1) Goode, & Hatt, op.cit., p. 2.

متزايد الان بالاعتماد العلمى المتبادل بين المنهج والعلوم الاجتماعية • وفى ضوء هذه الاهتمامات تثار مجموعة من الاسئلة حول قضية المنهج العلمى منها:

- الى اى مدى يمكن ان تتقارب العلوم الاجتماعية فى المذاهب والاجرايات مع العلوم الطبيعية ؟

- كيف يمكننا اكتشاف قوانين التفاعل البشرى عندنا لانتمكن من السيطرة على موضوعات البحث على نحو ما هو حادث فى عملية التجريب فى العلوم الطبيعية ؟

- ألم تكن الحقيقة ان العلوم الاجتماعية تهتم بدراسة الكائنات البشرية، ومن ثم تحتاج لمدخل مختلف من ذلك المدخل المتبع فى العلوم الطبيعية ؟

- ألم تتأثر دراساتنا لموضوعات العلوم الاجتماعية الى حد ما بالحالات الذاتية الذاتية الامر الذى يجعل تحقيق الموضوعية فى العلوم الاجتماعية على نحو ما هو حادث فى العلوم الطبيعية امرا صعبا ؟

وكما نلاحظ نجد ان الآراء المطروحة حول هذه القضية متعادلة ان لم تكن مختلفة بصورة كاملة • فماكن ليهبر • يذهب الى ان عالم الاجتماع وهو يتناول الفعل الاجتماعى يتمرن نفسه من خلال عملية التفهم /وكأنه متوحد مع الداخلين الاجتماعيين/والذين يكونون موضوعا لدراسته • كما ان السلوكيين فى الجانب الاخر يؤكدون امكانية دراسة السلوك البشرى دون الرجوع الى ما نسميه بالحالات الذهنية. وذلك ما اتفق عليه "واطسن" فى مؤلفه النزعة السلوكية عام ١٩٣٠ •

وبهذا المدد اثيرت عدة اعترافات على مقبرة عالم الاجتماع على توليف شروط الموضوعية فى مجال عمله، بالعورة التى يوفرها علماء الطبيعة والكيمياء والتشريح ..... الخ • وذلك لان الموضوعية فى العلوم الاجتماعية تتأثر بالقيم المطروقة على مختلف جوانب ومراحل البحث الاجتماعى • وذلك لان القيم يمكن

ان تدارس تأثيرها على مقدرة العالم الاجتماعى فى عملية التحليل بالطرق  
والكيفية التالية :

- ١ - بتعيين وتحديد المشكلة المختارة للبحث والدراسة .
- ٢ - واخيرا من طريق دخولها وتحكمها فى عملية مساعدة اطراف التعورى .
- ٣ - بدخول القيم فى عملية التحليل ذاتها من طريقة تعريف المعطيات .
- ٤ - تمارس تأثيرها فى عملية تفسير البيانات .

ونتيجة لهذه المعطيات التى تواجه عمل عالم الاجتماع فى البحث العلمى  
المتعلق بلهم القوانين التى تحكم حياة الجماعات والافراد .. اثرت العديد  
من الانتقادات على يد كل من ماكس فيبر<sup>١</sup> ووردال<sup>٢</sup> ، ولازاروفيلد<sup>٣</sup> وناجل<sup>٤</sup> ،  
الامر الذى جعل المناقشات المنهجية الحديثة تميل الى تجنب هذه القضايا  
الواضحة واهمالها نسبيا ، والاهتمام بتناول الطريفات المنهجية المتعلقة  
بالتكنيكات المختلفة للبحث والتحليل . وذلك مثل التحليل البنائى الفينى  
والتحليل متعدد الابعاد والمتغيرات ، ونظرية القياس . وذلك ما هو واضح  
فند كل من لازاروفيلد<sup>٥</sup> . "فورد نهرج" فى مؤلفهما "لغة البحث الاجتماعى"  
١٩٥٥م ، وعند A. Cicourel<sup>٦</sup> فى مؤلفه المنهج والقياس فى علم  
الاجتماع ١٩٦٤م .

ثانيا : تطور الحوار حول البناء المنهجى لعلم الاجتماع :

- ١ - الحوار حول البناء المنهجى فى المرحلة المبكرة من نشأة علم الاجتماع .  
تأثر الحوار حول البناء المنهجى فى علم الاجتماع بمتطلبات كل مرحلة من  
مراحل تطوره ، وبطبيعة الحوار النظرى الدائر فى كل مرحلة ، ومن ثم تعرض لعلماء  
الحوار المنهجى فى علم الاجتماع من خلال الاسهامات النظرية لكل مرحلة ومما  
تعافت عنه من مداخلات لعناصر البناء المنهجى لعلم الاجتماع . اذ ان المرحلة

المبكرة من تاريخ علم الاجتماع والتي ادار الحوار فيها الرواد الاوائل امثال أوجست كوت ( ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ) "وينغر" و"كيتليه" و"لويسلي". قد اتسمت بالحوار حول المبادئ المنهجية، التي تحكم عملية البحث في علم الاجتماع، ومدى اتباع علم الاجتماع في دراسته لخطوات المنهج العلمي ، وامكانية استخدام الطرق العلمية في دراسة الظاهرة الاجتماعية . لذلك يمكن القول "أوجست كوت" العلوم الى علوم عملية تطبيقية وعلوم نظرية ، ويذهب بعد ذلك لتمثيل العلوم النظرية الى علوم وضعية تهتم بالظواهر الملموسة وتعالجها وعلوم مجردة تهتم باكتشاف القوانين الطبيعية التي تحكم هذه الظواهر من حيث نشأتها وتتابعها . ثم نجده يحدد بعد ذلك العلوم النظرية المجردة في سلم متناهي من الدرجات بحيث تعتمد فيه كل درجة عليها على الدرجات التي تسبقها معتمدها على ذلك على طبيعة الظواهر التي تدرسها تلك العلوم ودرجة تركيبها بحيث تأسس التعريفات في قاعدة السلم، لانها تهتم بالجوانب المجردة لجميع الظواهر تليها في التركيب الميكانيكا والتي خلط بينها وبين تلك التي تسمى الفيزياء والكيمياء ، والبيولوجيا ، ويأتي فوق ذلك كله علم الاجتماع . وهو يؤكد بذلك على اتساق النظام العلمي لعلم الاجتماع مع نسق التفكير العلمي لتلك العلوم . وان سلم الاجتماع يتبع الخطوات الاساسية للمنهج العلمي في معالجته للظواهر الاجتماعية ، شأنه في ذلك شأن العلوم الاخرى. وانه يستند في معالجته للظواهر الى نفس المبادئ المنهجية التي يستند اليها النسق العلمي للعلوم الاخرى . ومن ثم عندما اعلن كوت عن تصوره المنهج لدراسة ظواهر المجتمع اكد على المدخل الوفي باعتباره انصب المداخل المنهجية لتداول الظواهر الاجتماعية .

ومن ثم اتخذ من الإجراءات المنهجية المتعلقة بالملاحظة والتجربة والمقارنة والمنهج التاريخي أساساً لتحقيق المدخل العلمي باعتبارها انصب الاحتمالات المنهجية لتحقيق المدخل الوفقي لتناول الظواهر الاجتماعية .

وبأنى إسهام "هريست سينسر" ١ ١٨٢٠ - ١٩٠٣ في دعم البناء المنهجي لعلم الاجتماع بتحديدته لإعداد التعمور المنهجي لتناول الظاهرة الاجتماعية) وذلك بتأكيدته على أهمية تناوّل درجة ارتباط سمات الظاهر الاجتماعية وخاصة ما يتعلق منها بالبناء<sup>٢</sup>، والوظيفة، وذلك لمعرفة علاقات التساند والتعايش الذى تتأهم فيه الظواهر الاجتماعية، وان كان سينسر لم يتلبد بالمدخل المنهجي في تناوله للظاهرة الاجتماعية، إلا انه أكد على طريقة المقارنات المنهجية بين أشكال مختلفة<sup>٣</sup> المجتمعات تنتمى لمراحل مختلفة من التطور، وذلك تأكيداً للمدخل التطوري في معالجة الظواهر الاجتماعية ، وقد قام بتحقيق ذلك خلال مقارنته لنماذج ثقافية مختلفة ومنفصلة انصفاً شامداً من الزمان والمكان هذا بالإضافة الى تأكيدته على مجموعة من المبادئ الأخرى التي تصور أنها أساسية لمعالجة الظاهرة منها مبدأ المماثلة العنوية، المماثلة الاستنباط على الاستدلال الاستنباطي، حيث بدأ بنظرية التطور التي اكتشفت بواسطة الاستنباط ثم اشتق منها مراحل معينة لتطور المجتمع البشري .

وبذلك تجد معالجة سينسر المنهجية تتناول المبادئ الأساسية لعملية البحث بالإضافة لتحديدته للتعمور المنهجي أي للمدخل المنهجي لتناول الظاهرة والطريقة المنهجية التي يستند إليها لتحقيق هذا المدخل في معالجة ظواهر المجتمع والتغلب منها .

ثم تأتى معالجة "أدولف كيتليه " ( ١٧٩٦ - ١٨٧٤ / للجانب المنهجي لعلم الاجتماع، مركزه على ضرورة المدخل الرياضي لمعالجة الظاهرة الاجتماعية، متخذاً

من التباس المطلوب المنهجي الاساس لتداول الظاهرة ، وقد كانت لاسهامات  
كتيلية هذه اثرها الواضح فيما بعد على مبادئ الوضعية المحسنة  
في تداول الظاهرة الاجتماعية .

ويشأتر "فريدريك لوبلان" ( ١٨٠٦ - ١٨٦٢ ) باوجت كونت من حيث تأكيد  
على المعرفة الامبيريقية لتحقيق التكامل والاستقرار للنظام الاجتماعي العام  
في المجتمع، ومواجهة الاضطرابات التي سادت عصره ومن ثم كانت اسهاماته  
منهية على المطلوب المنهجي الذي يذاب توفير المعرفة الامبيريقية. واتخذ من  
دراسة الحالة كالمطلب اساسا لتداول المشكلات والظواهر الاجتماعية، مع تأكيد  
الواضح على الملاحظة بالمشاركة الواعية الدقيقة للظاهرة الاجتماعية  
كاداة مناسبة لدراسة حالة المجتمعات في عصره . وبذلك جاء اسهامه على  
مستوى الاساليب والادوات المنهجية المناسبة لعلم الاجتماع في مجاله  
للمجتمع البشري والواحد .

ومن ثم نجد ان اسهامات هذه المرحلة المنهجية كانت اجتهادات متفرقة  
للتسم بالاتصال والترابط وان كانت قد تناولت المبادئ المنهجية التي تحكم  
عملية البحث من وجهة نظر كل من كونت وسنسر، والتصورات المنهجية لمعالجة  
الظاهرة عندهم والتي ترتب عليها التأكيد على المدخل التطوري عند كونت . وان كان  
مدخلا متعددا مع التأكيد على العوامل الفكرية الايديولوجية . واتسم بالنزعة  
الكونية عند سنسر وان كانا يؤكدان معا على التطور التقدمي والذي رفعه  
كل من تاييلور وجوبيتو "ولوبلان" .

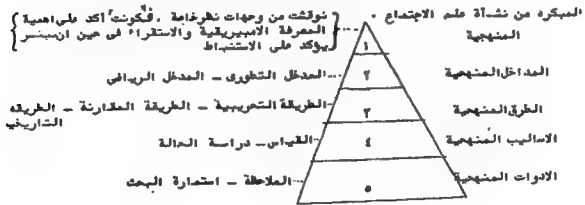
في حين انكتيلية قد اكد على المدخل الرياضي في دراسة الظاهرة الاجتماعية  
وبالنسبة للطرق المنهجية فقد اكد كونت على اهمية التجربة والمقارنة والتاريخ  
كطرق منهجية ملائمة للبحث في علم الاجتماع . واكد من بعده سنسر على طريقة  
المقارنة .

اما بالنسبة للاحاطب المنهجية فلقد كان الاسهام في هذا المجال منحصرا على مستوى الاسلوب منهجيتي ولوليكيتي لانه اكد على امكانية استخدام اسلوب القياس في معالجة الظاهرة الاجتماعية في حين ان لويلاي اكد على استخدام الاسلوب دراسة الحالة وان . كان استخدام هذين الاسلوبين المنهجين في علم الاجتماع لم يبدأ الا في العشرينات من القرن العشرين .

وبالنسبة لاسهامات رواد هذه المرحلة بالنسبة لادوات البحث فلقد بسسدت بادارة كونت للملاحظة وان كان لايعني بها الملاحظة بالمعنى المعاصر حيث كان يلمد بها بشكل مباشر للملاحظة كمنظرة من خطوات المنهج العلمي الا ان لويلاي قد اكد على الملاحظة كأداة منهجية ، ووضح اهمية الملاحظة بالمشاركة في دراسات علم الاجتماع . فلما من استخدامه لاستدارة البحث كأداة من ادوات البحث الاجتماعي وهو يصدد دراسة حالة الطبقة العاملة في اوروبا .

وبذلك لان معالجة البناء المنهجي خلال هذه المرحلة ليست متكاملة ، وان كانت المحاولات المتفرقة بين رواد هذه المرحلة قد تناولت عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع من بعرف جواشبه .

والشكل التالي يوضح عناصر البناء المنهجي التي تطرق اليها رواد المرحلة



والانحصار على طرفي اراء كل من كونت وينسر وكتيليه ولوبلاي باعتبارهم روادا للمرحلة المبكرة من علم الاجتماع لكونهم كانوا على دراية بانهم يقيمون علما جديدا لدراسة المجتمع على نحو ما فعل ابن خلدون وهو يحدد القامة وما هم علم العمران ( علم الاجتماع ) لدراسة العمران البشرية في القرن الرابع عشر الميلادي .

اما بالنسبة لاسهامات كل من "جوينزو" و "بكل" و "اتيلفكي" فلقد منحت امثالهم على اساس انها تنتمي للفلسفة التاريخ في حين ان "تاييلور" و "مورمان" تنتمي امالهما لميدان التكنولوجيا . ومن ثم اكتفينا بالاشارة لامال الرواد الذين كانوا على دراية بانهم يقيمون علم الاجتماع ويحسون لراة دماهم بذاته المنهجي لتأكيد علميته لدراسة المجتمع البشرية ولهم هواهره .

٢- الحوار حول البناء المنهجي بين المدارس المتنافسة :

لم يحظ البناء المنهجي لعلم الاجتماع بنصيب يذكر من الحوار الذي دار بين انصار النزعة التطورية والذين شغلهم الى حد كبير المدخل التطوري للمجتمع وهواهره . ومن ثم نجد هم يحصرين علم الاجتماع في الدراسات الديناميكية الاجتماعية احيث يتم تحرير بناء المجتمع ووظيفته في فوه المرحلة التطورية التي يمر بها . ورغم ان الانهام انهم على مستوى تأكيد المدخل التطوري لحسب الا ان "ميلوفتش" و "اتنهورف" قد اكد على ضرورة جعل مفهوم الاجتماع علما . بمعنى انهما يثيران الى ضرورة تطبيق المناهج المستحدثة في العلوم الطبيعية في ميدان علم الاجتماع بل ان هذه المناهج كانت مرتبطة بالادوات التطوري . ومع ذلك فانها لم يقدم لنا فوها محدد ودليلا لعناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع، هذا على مستوى انصار الداروينية



الاجتماعية ويأتى اسهام "لستروارد" وهو من انصار النزعة التطورية السيكولوجية ليشير الى ان علم الاجتماع علم واقعى لانه يعالج مجموعة محددة من الظواهر لها طابع ومسلك منتظم ، وقد اتخذ "وارد" موقفا متصنفا من الرياضيات لانه ليس ضروريا فى نظره ان نمبر من العمليات الاخرانية يميخ رياضياتية كما ان وارد رغم انه كان يلجأ الى الملاحظة الدقيقة للاحداث الا انه اشغل من الحدى مدخله للوصول الى العديد من القاءات السيكلوجية ، وهو بذلك لا يركز على المدخل الفينومينولوجى وان كان يهدف له بتأكيد أهمية الحدى فى الوصول لبعض القاءات السيكلوجية التى شادى بها .

وينحصر اسهام "جذنجز" وهو من انصار النزعة التطورية السيكولوجية فى تأكيد أهمية المدخل التطورى/الا انه يصر على ضرورة استكمال التتبع التاريخى والاستنباط. وبالوصى الكامل بكافة الاحتمالات النفسية، وهو بذلك يهدف مع "وارد" للمدخل الفينومينولوجى دون ان يكون ليهما وعيا بحدود المدخل السيكلوجى الفينومينولوجى فى معالجة الظاهرة الاجتماعية .

ويأتى رواد الاتجاه التحليلى المبكر فى علم الاجتماع ليخرجوا مدخلا تقليديا آخر وهو المدخل الصورى ، إذ يتخذ "تونيوز" من الإرادة الإنسانية بنمطيهما الرئيسى والتحكمى اسما لكافة العلاقات الاجتماعية التى تنتج منها، إذ ان هذه الإرادة تكمن وراء النشاط الإنسانى. وهى بذلك تتغير نموذجه التصورى الذى يتخذ كإداة تصويرية لتحليل وجود الجماعات البشرية ، ويتخذ "هيرل" تارد<sup>١</sup> ١٨٣٤ - ١٩٠٤ من التكرار والتعارفى والتوافق العمليات الاساسية التى يقوم عليها البحث العلمى اشيرا للأن الاختراع والمحاكاة يمثلان النمط المميز للعملية الاجتماعية. ورغم ما ترتب على اتجاه تارد من دعم للنزعة التطورية الا انه لم يتمكن من تطبيق النتائج العلمية لتصوره للمحاكاة .

ويذهب " جورج زيميل " ١ ١٨٥٧ - ١٩١٨ / الى انه من المصير لهم المجتمع على انه وحدة مسيولوجية مستقلة عن عقول الافراد . وذلك لاعتقاده بان العقل الانساني يميل الى خلق بنى ذات فورية، وبأن تحليل الصور او الاشكال تحليل مجرداً هو جوهر الدراسة في علم الاجتماع . وهو بذلك يشير الى ان الاشكال المعقدة للعلاقات الاجتماعية متشابهة في كل زمان ومكان رغم التباين في ملامحها، وعلى اساس ذلك يتخذ من هذه الصور الاجتماعية مدخلة للدراسة في علم الاجتماع . اما من حيث المنهج فهو يؤكد على المقارنة باعتبارها طريقة منهجية اساسية للدراسة في علم الاجتماع دون ان يحدد اية قاعدة لعملية المقارنة تلك .

ورغم ان الرواد الثلاثة للاتجاه التحليلي المبكر في علم الاجتماع قصدوا من ابعاد المدخل المصوري التقليدي لتداول الظواهر الاجتماعية الا انهم لم يتلقوا فيما بينهم على نموذج مصوري معين لتحليل الظواهر الاجتماعية .

وبذلك يتحلى اهمام انصار الاتجاه التحليلي المبكر في علم الاجتماع على المستوى النظري، اما بالنسبة للجانب المنهجي في علم الاجتماع فليس هناك اهتمام واضح ، اللهم الا بكونتهم للمدخل المصوري التقليدي في علم الاجتماع . وهو لا يخدم كثيراً البناء المنهجي لعلم الاجتماع بالمفهوم المعاصر .

## ٢ - مرحلة الحوار المنظم حول البناء المنهجي لعلم الاجتماع

لم يحظى البناء المنهجي لعلم الاجتماع، لدى الرواد الاوائل، وعلماء النظرية الاجتماعية باهتمام يذكر . وذلك ما اشار اليه بوضوح اميل دوركايم " فيمدخل مؤلفه ١ قواعد المنهج في علم الاجتماع / وان كان " كونت " قدما لج المنهج المقدم

جاءت مع الاجتهاد رغم انها شملت معظم عناصر البناء المنهجي متمثلة بالقول  
فلا من كونها محاولة منهجية استهدفت تأكيد الطريقة العلمية التي يعتمد  
عليها علم الاجتماع كما ان الطريقة العلمية لعلم الاجتماع لم تغفل "هربرت ميسر"  
كثيرا، رغم تأكيدده على اهمية اعتماد علم الاجتماع على الطريقة العلمية.  
اما المعاولات الاخرى التي تمخضت من جهود كتيليه ولويلاي فمزم انها قدمت  
لنا بعض عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع، الا انها لم تشمل البناء المنهجي  
متكاملا ومن ثم جاءت محاولة اميل دوركايم في مؤلفه قواعد المنهج في علم  
الاجتماع كمحاولة رائدة بالنسبة لمعالجة البناء المنهجي لهذا العلم .  
ورغم ان دوركايم قد خصص هذا المؤلف لمعالجة البناء المنهجي لعلم الاجتماع،  
الا انه كان مهتما بمعالجة النقي العلمي لعلم الاجتماع، فقدم تعريفه لعلم  
الاجتماع وحدد موضوعه من خلال تعريفه للظاهرة الاجتماعية كما انه حاول  
ابراز بعض القضايا النظرية الاساسية التي ينهض عليها الجانب النظري  
لعلم الاجتماع ولم يأت ذلك من دوركايم علويا وانما جاء نتيجة لادراكه للمصلحة  
الوثيقة بين النظرية والمنهج، ومدى اهم الحوار حول النظرية في بلورة  
الحوار حول المنهج، ولذلك كانت معالجة البناء المنهجي لعلم الاجتماع متمثلة  
بالشمول لمختلف عناصر البناء المنهجي، وان كانت لم تشمل كافة الجوانب التي  
تبلورت في الوقت الراهن . وذلك لانه تناول الجوانب العامة للبناء المنهجي دون الاستفراد بـ

التفاصيل فمعالج المنهجية اي المبادئ التي تحكم عمل عالم الاجتماع . و تناول  
التصور المنهجي لمعالجة الظاهرة اي المدخل لتناول الظاهرة وحدد الطرق  
المنهجية لعلم الاجتماع وتعريف للااليب والادوات المنهجية من خلال منجزاته  
العلمية الاخرى. ورغم انه لم يتناول الاساليب والادوات المنهجية بما يقدم  
التطبيق المعاصر للبناء المنهجي الا انه كان واعيا في معالجته للبناء المنهجي

على مستوى المنهجية والمداخل والطرق العلمية التي يستند إليها علم الاجتماع في إقامة البراهين العلمية .

ويمكننا ان نتدخل من مجموعة الاسئلة التي طرحها اميل دوركايم في مستهل مؤلفه قواعد المنهج في علم الاجتماع حول البدء المنهجي على ابعاد معالجته للبناء المنهجي لعلم الاجتماع . ان انه يذهب الى انه لابد بقدر عدد كبير من المسائل المتعلقة التي لاتجد حلا والتي تشير اليها الاسئلة التالية :

- ما الحقيقة التي يجب ان يتخلها الباحث اثناء ملاحظته للظواهر ؟
- ما الطريقة التي يجب اتباعها في عرض المشاكل الاجتماعية الرئيسية ؟
- وما الاتجاه العام الذي يجب ان توجه فيه البحوث ؟
- ما الطرق الخاصة التي تسمح لهذه البحوث بان تكون منتجة ؟
- وما القواعد التي تحتل المقام الاول لدى إقامة الأدلة ؟

ولقد بدأ اميل دوركايم بتعريف الظاهرة الاجتماعية باعتبارها الموضوع الاساس لعلم الاجتماع بحيث انها تشير الى " كل سرب من السلوك ثابتا كان ام غير ثابت ، يمكن ان يباشر نوعا من القهر الخارجى على الافراد ، او هي كل سلوك يعم في المجتمع بأسره ، وكان ذا وجود ذاتي مستقل عن المور التي يشكل بها في الحالات الفردية (١) وانطلاقا من هذا التعريف لموضوع علم الاجتماع ذهب دوركايم لتحديد القواعد الخاصة بملاحظة الظواهر الاجتماعية، والتي تعتبر بمثابة المبادئ الاساسية التي توجه عملية البحث العلمي حول الظاهرة الاجتماعية، والتي يتخل منها البعض اسما للدراسة العلمية في علم الاجتماع. ويأتي تحديد دوركايم مجموعة القواعد الخاصة بملاحظة الظواهر الاجتماعية في نطاق اجابته عن السؤال الاول

ما الحقيقة التي يجب ان يتخلها الباحث اثناء ملاحظته للظواهر ؟

١/ اميل دوركايم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة / القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠ ، ٤٦٠ - ٤٧

وبأسس الإجابة على هذا السؤال عدداً من النقاط  
بالحديث للقواعد والاسس العلمية لدراسة الظواهر الاجتماعية عند  
" أميل دوركايم " والتي تتمثل في :

- تحرير عالم الاجتماع من كل فكرة سابقة من الظاهرة الاجتماعية
- يجب البدء بتعريف الظاهرة التي يدرسها .
- حصر موضوع البحث في طائفة الظواهر التي سبق تعريفها وتحديد خصائصها والتي تتولى فيها شروط التعريف .
- تحقيق موضوعية الدراسة وذلك بتجريد الظاهرة الاجتماعية من المصور الذاتية التي تشكل بها والتأكيد على الطابع الموضوعي للظاهرة الاجتماعية، وإدراكها على ما توجد عليه في حقيقة الأمر. بمعنى أن يدرس عالم الاجتماع الظاهرة الاجتماعية من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن مظاهرها الفردية.

كما ان القواعد التي حددها دوركايم للفرقة بين الظواهر وكذلك القواعد التي حددتها لإقامة البرهان العلمي تمثل في مجملها المبادئ الأساسية للمنهجية في علم الاجتماع (١) .

ولو تناولنا أميل دوركايم من حيث كونه عالم الاجتماع والمؤثرات التي طبعت تفكيره واتجاهه في تحديد معالم البناء النظري لعلم الاجتماع الوجدنا انه تأثر بشكل واضح بونيهية "أوجست" كونته والفكره الاساسية من علم الاجتماع ومنهجيته ومفاهيمه الخاصة بالامتدادات الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية ونظرة كونت لهما باعتبارهما مدخلين للدراسة في علم الاجتماع (٢) ومن ثم جاء تقسيم دوركايم للمورفولوجيا الاجتماعية والطوبولوجيا الاجتماعية كأساس للمدخل العلمي لدراسة المجتمع من منظور علم الاجتماع . كما انه قدم تفسير للظاهرة الاجتماعية في سياق علم الاجتماع على اساس التفسير الاجتماعي بمعنى الاهتمام بالظاهرة في سياق الوظائف الاجتماعية للظواهر الاجتماعية الاخرى. ومن ثم قدم تحليله

(١) أميل دوركايم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع ، المرجع السابق ، المصـول ٢٠٢٠ .

(٢) Wilsst, Robert, A., The Sociology of Emile Durkheim, London, Heinemann, 1975. pp. 26-27.

التفسيرى على اساس مقارن ، واعتبر التاريخ المقارن مدخلا اساسيا يقوم عليه علم الاجتماع ، والتاريخ المقارن فى نظر دوركايم يساعد على فهم العلاقات السببية فى نظره ، بين الحوادث وما يطرأ عليها من ظروف مختلفة تدل على تعلق احدهما بالآخر . وقد حدد اشكال ثلاثة للمدخل المقارن فى علم الاجتماع تمثلت اولهما فى طريقة تناول التقلبات المتسلسلة ، وهى تتناول بوجه خاص حوادث حسية اجتماعية عامة - كالحوادث المتعلقة باحدا الجماعات البشرية كالزواج - والمواليد والانتحار ، والتي يتولد عنها بيانات احداثية واحدة ومتسلسلة ، وهذا يتم المقارنة فى نظر "اميل دوركايم" بين التقلبات الحادثة حسب المقاطعة ( المنطقة ) والطبقة الاجتماعية ، وسكان الريف وسكان المدن وحسب النوع ، والعمر ، والاحوال الشخصية . والمقارنة من النجوم الاول عند دوركايم "تتناول احداثا تخص مجتمعا واحدا .

اما النجوم الثانى للمقارنة فيتناول احداثا تعود الى عدد من المجتمعات التى تشكل جميعها نموذجا واحدا . وهذا يؤكد دوركايم على ضرورة بسط المقارنة على مستوى عدة مجتمعات من نموذج واحد . ومن ثم يؤكد دوركايم على اهمية هذا النوع من المقارنة لان المجتمعات التى تكون من نموذج واحد ليست بالشئ الواحد مطلقا ، وذلك لان لكل تجمع انساني فرديته الخاصة به رغم وجود خاصائص عامة مشتركة تجعلها من نموذج واحد . ومن ثم يرى انه من المفيد المقارنة بين مجتمعين او عدة مجتمعات من نموذج واحد وليست افعالها الاجتماعية واحدة بصورة مطلقة . وهو يأخذ لذلك النموذج بسلسلة التحولات الجديدة لمقارنتها بالتحولات التى تنجم فى نفس الوقت ، وفى كل مجتمع من هذه المجتمعات من الوضع الاجتماعى المستهدف لدراسته .

أما النوع الثالث من المقارنة عند اميل دوركايم فيتمثل في مقارنة أحداثا مستعارة بين عدة نماذج اجتماعية متمايزة . وهناك النموذج الواحد للنماذج المختلفة . وذلك كأن يقارن بين الاشكال التي تتخذها مؤسسة ما أو نظام ما في مجتمعات مختلفة النماذج . والتي قارن في فروعها اشكال الحياة البدائية . والخطوات التي اتخذتها تلك الاشكال والطرق التي يمكنها لكي نصل الى اشكالها الأكثر تعقيدا . وقد عقد دوركايم نظريته المقارنة في دراسته لكثير من الموضوعات الاجتماعية كما قام بعقد مقارنته الواحدة بين نموذج المجتمعات البدائية ذات التفاضل الى الميكانيكي ونموذج المجتمعات المتقدمة ذات التفاضل العفوي . وفي ضوء تلك السمات الثلاث للمدخل المقارن الذي حددته دوركايم في مؤلفه الاقواعد المنهج في علم الاجتماع نجد ان النموذج الاول يرتبط بالاحصاء كاداة في حين ان النموذج الثاني للمقارنة يرتبط بمدخل في دراسة الشعوب يرتبط النموذج الثالث من المقارنة بالمدخل التاريخي لدراسة المجتمع البشري . وذلك فان التحليل المقارن لدور كايم كما يذهب روبرت ثورنت " يجعل من الممكن تجنب مشكلة الاستدلال الاستنباطي الاستنتاجي " وما يرتبط به من معالجة جدلية . ويرتبط التفسير بالوقائع المرتبطة بالعوامل المختلفة . وما تتم به من تلازم في التمايز أو الاختلافات . ودور كايم هنا يشع منطق " مسبق " الذي يشير لطريقة التفسير النسبي ( التلازم في التفسير ) (١) .

The Method of Concomitant Variation والتي يسميها بالاداة الممتازة

للتحليل السببولوجي . ورغم ذلك فان " هان سلفين " Hanan Selvin يربط طريقة دوركايم في التحليل المقارن بما نسميه اليوم بالتحليل متعدد المتغيرات المختلفة الذي يستعان به في تفسير العلاقات المتداخلة بين الخصائص المختلفة .

---

(1) Durkheim, Emile, The Rules of Sociological Method, New York: The Free Press, 1966 ., p. 133.

والواقع ان المدخل المنهجي المقارن لدوركايم غير قابل للانفصال من علم الاجتماع العلمي في نظر دوركايم ، وذلك لان علم الاجتماع المقارن ليس فرعا خاصا لعلم الاجتماع ، ولكنه علم الاجتماع ذاته. وذلك لانه بمثابة الوصف النظري الذي يساعد على تقدير الوقائع (١) كما ان التاريخ في نظره مدخل للمهم الحاضر (٢) ومن ثم جاء تأكيد على اهمية المدخل التاريخي المقارن لديهم علمية علم الاجتماع وقدرته على تفسير البناء الاجتماعي والظاهرة الاجتماعية. وقد جاء اهتمام دوركايم بالجانب المنهجي لعلم الاجتماع نتيجة مباشرة لامتداده بان هذا الجانب لم ينل القدر الكافي من التحديد عند من سبقوه من رواد علم الاجتماع ، وبصفة خاصة عند اوجت كورت الذي كان مهتما بتأكيد النزعة الوصفية. ومن ثم جاءت مناقشاته دامغة بالنسبة للمعالجة المنهجية لعلم الاجتماع . ونس الشيء النسبة لمنس الذي كان مهتما بمناقشة امكانية الدراسة الاجتماعية العلمية وما تواجهها من صعوبات .

ورغم ان دوركايم قد تناول الجانب المنهجي لعلم الاجتماع في مجسات متعددة من اعماله الا ان مؤلفه الخاص بقواعد المنهج في علم الاجتماع (٣) قد تضمن مضافة واحدة للقواعد المنهجية التي يتعين اتباعها في دراسة الظواهر الاجتماعية ، حيث اكد على ضرورة التخلي عن الفكارنا المسبقة عند ملاحظتنا للظاهرة. وان تعدد موضوع كل بحث في علم الاجتماع. وتشير هذه الفقرة بضرورة حرص اهتمامنا في نطاق الظواهر الاجتماعية ، وان نعتز الظواهر الاجتماعية مستقلة عن مظاهرها الفردية وذلك لياتي تفسيرنا للظاهرة الاجتماعية تفسيراً سيولوجياً اي تفسيرها في نطاق المجتمع ذاته. ثم نجد ان دوركايم يرفض فكرة اوجت كورت من المنهج التاريخي ويعتبرها فكرة غير صالحة لان مجرد تتبع التقدم في التطور التاريخي صده يتجه دليلاً على العلية. وذلك لان السببية

(1) Nisbet, R. op.cit., p 71.

(2) Nisbet, Ibid - p. 256.

(3) Durkheim, E., The Rules of Sociological Method, New York, The Macmillan Co , 1915.



تمثل ثلاثة ضرورية بين هروف سابقة واوراع لاحقة للظواهر . ومعرفة هذه العلاقة يحتاج مقدارة اكثر من حالة ، ومن ثم يقدم لنا نموذج المقارنسة التاريخية ولما كان البحث عن العلاقات الاجتماعية بين الظواهر واجباً هاماً من وجهة نظر علم الاجتماع فقد اكد على المدخل الوظيفي الذي يلائم الظواهر الاجتماعية . وهذا المدخل المنهجي الوظيفي يذهب للمنهج الدائسي الذي يتفح من اعمال كونت وسبنجر ومدخله الوظيفي يشير الى ان تفسير الظواهر الاجتماعية يتحقق بلهم قدراتها على اشباع الرغبات الانسانية ورغم قصور هذا الهم للوظيفة الا انه يؤكد على ان علم الاجتماع معنى بالتطبيق الوظيفي للظواهر الاجتماعية ، فكشف عن الكيفية التي تسهم بها في تحقيق الكيان الاجتماعي واستمراره .

وقد اكدت اسهامات عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر على المدخل التاريخي المقارن والذي يعتمد بدوره على قضايا خاصة بالالفهم Verstehen ، والعلم الموقر Positive Science ، فقد كان معنياً في منطقة السيولوجي لدراسة المشاكل بدراسة الشذافات الخاصة والفترات التاريخية . ومن ثم عالم ماكس فيبر نموذج المشالي Ideal Type كطريقة منهجية خاصة للتحليل التاريخي الشذافي الاجتماعي . وان كان ماكس فيبر قد عني بالمناهج الكمية للمعظم الانبيري لما ذلك الا لتأكيد على أهمية يد الشفره بين تحليل المعنى الذاتي بالنسبة للفعل والمناهج الكمية . وذلك ما جعله يؤكد على البحث التاريخي المقارن لومف الانساق الاجتماعية . الا انه وضع في اعتباره المعنى الذاتي للموقد بالنسبة للفعل . وقد قصر معنى الفهم على المفهوم اكثر من شكل الفصل الاجتماعي فلكن نفهم الفعل الاجتماعي علينا ان نربط السلوك المباشر بالسلوك التاريخي من خلال أطار تطبيقي واحد<sup>(١)</sup> . واعتبر النماذج المعشالية وما تتعلمه من قضايا تفرير مثالا لتلك العلاقات السببية<sup>(٢)</sup> .

(١) دكتور محمد علي محمد ، رواد علم الاجتماع ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٦ ، ص ٢٢٢ .

(2) Sahay, Arun, Max Weper and Modern Sociology. London, Routledge & Kegan Paul, 1971. p. 19.

وماكن ليس بذلك يوافق<sup>(١)</sup> رلتاي على ان المعاني والقيم مفهوم علم الاجتماع . فهو العلم الذي يبحث عن الاسباب وعلى نفس الوقت يدرس المعاني ، وذلك لان طبيعة المفهوم الذي يتناوله علم الاجتماع يقتضى ذلك المفهوم الثنائية مفهوم قيمى ، ولما كان العلم فى نظره يهدف صياغة القوانين العامة التى تتناول العلاقات السببية بين الوقائع، والتى ينبى على اساسها تفسيراته الشاملة الصادقة، لما يتناوله من ظواهر، فان ذلك يشير الى ان غاية العلم تنطوى على حكم قيمى اطلق عليه مفهوم الحقيقة المطلقة التى تشير الى القضايا ذات الغايات المطلقة، الا انه يرى فى الأدوات المنهجية التزام بالموضوعية، لمعالجة القضايا العامة الصادقة . وهو يذهب كما هو الحال بالنسبة لمرداك<sup>(٢)</sup> الى اننا نبلغ الموضوعية باعلان وجهة نظرنا<sup>(٣)</sup> .

ومن ثم نجد ان ماكن ليس اولى مناهة خاصة بالجانب المنهجى لعلم الاجتماع ، الا انه كان يرى انه من المعبوفع منهجيا دائما يصلح اساسا للتفسيرية الاجتماعية، فى مختلف الميادين، والسبب فى ذلك ان العلوم الاجتماعية عرفة لتدخل ارادة الانسان<sup>(٤)</sup> .

وقد كانت اسهامات " فلوريدو باريتو " ( ١٨٤٨ - ١٩٢٢ ) V. Pareto بالمنهجية بمثابة دفعة قوية ابدا لدمج علمية علم الاجتماع، وذلك لانه اكد على علم الاجتماع كعلم منطقى تجريبي فى مؤلفه (العقل والمجتمع)<sup>(٥)</sup> . وقد كانت هذه

(1) Sahay, A. Op.cit., p. 19

(٢) دكتور معظمى الشباب ، علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثالث ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٧٥ ، ص ٦٤ .

(2) Pareto, Velfredo, The Mind and Society, tr. 1935, Trattato di Sociologia Generale, 1910.

المحاولة معدرا مباشرا لرفع اهم عالم الاجتماع الإيطالي باريتو بالنسبة لعلم الاجتماع ، وهو بذلك يذهب الى انه لا يدخل في مجال البحث العلمى الا ما يطلع للملاحظة والتجربة. كما انه يؤكد على المدخل الوظيفى فى فهم الظواهر الاجتماعية وتفسيرها، وذلك لانه يرى ان تلك الظواهر متشعبة وهى قابلة ومتبادلة التأثير، ومن ثم يكون التفسير العلمى لتلك الظواهر قاصدا على اساس هذا الفهم فى نظر باريتو . وهو بذلك يرفض اى اراء منهجية يتم بمقتضاها تناول الظواهر الاجتماعية من جانب واحد، يجعل ظاهرة معينة اصل فى كل الظواهر، اى انه يرفض التفسير السببى للظواهر لانها فى نظر متشعبة وهى قابلة ومتبادلة التأثير . ومتكاملة بنسبها ليرسم الموراكسية المتكاملة للظواهر الاجتماعية، الذى ينهض على مجموعة الوظائف والادوار التى تؤدىها تلك الظواهر .

ومن ثم نجد ان باريتو كان على حق تام بطبيعة التفاعل القائم بين الظواهر الاجتماعية، بتأكيدده على الاعتماد المتبادل فيما بينها . وضرورة تحليل صور الترابط والعلاقات القائمة بينها. وهو بذلك يؤكد ان التفسير العلمى للظواهر الاجتماعية يرتكز على الفهم المتكامل للتفاعل القائم بين تلك الظواهر. والذى يحلله تحليل العلاقات القائمة بينها. وذلك يشير سوفهم لظهور باريتو الممكن لاهمية الالوب المنهجى المرتبط بتحليل العلاقات، ومدى اهمية العلمى فى تقديم التفسير العلمى للظواهر الاجتماعية<sup>(١)</sup>.

وبتحليل المعالم الاساسية للمدخل المنهجى لعلم الاجتماع فى دراسة الظاهرة الاجتماعية يمكننا ان نال على الصوري المتكاملة للمعادرات المنهجية الاساسية لعلم الاجتماع عند باريتو : فتعديدها بمد المدخل العلمى لعلم الاجتماع، والذى اسماه بالمنهج المنطقى التجريبي<sup>(٢)</sup> .

(١) دكتور محمد عاطف هيث ، علم الاجتماع ، الجزء الاول ، الاسكندرية ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٣ ، ص ٦٠ - ٦١ .

(2) Mitchell, D. A Dictionary of Sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1968. p. 129.

أنه يؤكد مراعاة أن كل ما لا يخلج للملاحظة والتجريب لا يدخل في نطاق البحث العلمي ، وهو في ذلك متأثراً بلهم أوجبت كونه بالنسبة للجوانب المنهجية في علم الاجتماع. والتي إقامها بحلة أساسية على الملاحظة والتجربة التي كانت أساساً في فهم علمي في نطاق أي علم من العلوم. ومن ثم حاول ترسيخها في نطاق علم الاجتماع لتبرير علمية هذا العلم .

نقرأ لأن لهاها العلم تتسم بالشبهات النسبية، فإنه يؤكد على أهمية استبعاد كل ما هو عرضي ومؤقت من نطاق دراسته، ويركز على الحقائق التي تتسم بالدوام والاستمرار الحقيقي. لأنها هي التي تمكننا من تأكيد المصداقية العلمية لعلم الاجتماع .

يعتبر "باريتو" المقارنة أساساً منهجياً قوياً لعلم الاجتماع، وهي المدخل لإقامة دعائمه. ومن ثم يعتبر علم الاجتماع المقارن أساساً تمهيدياً لإقامة هذا العلم على أن تحقق هذه المقارنة بدراسة المسائل والأمور المشتركة بين الناس في المجالات المكانية والزمانية المختلفة. ومثل هذه الدراسة في نظريته يتوأسسها المقارنة التي يستهدفها علم الاجتماع المقارن . وذلك ما جعل فيهم باريتو المنهج لعلم الاجتماع متسقاً نسبياً مع فهم دوركايم للمدخل المقارن والذي أشار إليه مبكراً عالم الاجتماع الفرنسي أوجيت كونه "إلا أن المقارنة عند باريتو تأخذ بعداً أساسياً يجعلها ترتبط بلهم دوركايم للمدخل المقارن في بعض جوانبه .

يؤكد باريتو أن المدخل الوعسي الكمي أساس المدخل المنهجي لعلم الاجتماع وهو ركيزة أساسية للمدخل العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية وعليه تكون المعرفة يقينية لاستنادها إلى الحقيقة الواقعية، التي تعتبر أساساً لتحقيق الموضوعية في علم الاجتماع، واستبعاد الأحكام القيمية، التي تبني على خيال

الباحث وأهدافه. كما أن هذا المدخل الموضوعي للدراسة في علم الاجتماع تمكننا من تلهم حقيقة النظم الاجتماعية وتقليداتها .

وهذا الفهم الموضوعي للدراسة في علم الاجتماع عند باريتو ترتبط بالفهم الذي اكده اميل دوركايم بالنسبة لشيخة الظاهرة، واعتبارها أشياء كمية يمكن حسابها وقياسها. وبذلك يكون الاتصال المنهجي قوى بين فهم دوركايم وباريتو من هذه الزاوية .

وفي ضوء المصادر المنهجية التي طرحها فليريدو باريتو بالنسبة للمدخل العلمي لدراسة الظاهرة في علم الاجتماع يؤكد باريتو على المدخل الوظيفي لدراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها متداخلة وظيفيا ومتبادلة التأثير ومن ثم يعتبر تحليل العلاقات بين الظواهر المتداخلة مع بعضها أساسا للتفسير العلمي لذلك الظواهر. وهو هنا يتوصل باميل دوركايم من حيث الفهم الوظيفي للظاهرة الاجتماعية، ولكن ليس على أساس سببي كما هو الحال عند دوركايم . لأنها في نظر باريتو متبادلة التأثير. وهذا التبادل لا يلهم بتحليل علاقة ظاهرة اجتماعية بظاهرة أخرى على أساس سببي، ولكن بفهم مابين الظاهرتين من تبادل التأثير والامتداد .

وهذا الفهم المنهجي عند باريتو يجعلنا نقيم أوجه الشبه بينه وبين علماء المنهج المعاصرين. أمثال كارل بيرسون ودويمتويو انكاريه، إذ أن مدخله العلمي لدراسة الظواهر الاجتماعية يتقارب في جوانب كثيرة مع جوانب المنهج العلمي المعاصر . الذي يؤكد على تناول الحقيقة الموضوعية حسب . وذلك لأن باريتو يؤكد على الاستدلال الاستقرائي القائم على المقارنة بين الحقائق الواقعية، والظواهر المتعارف عليه بين مختلف المجتمعات البشرية . وهو يعتبر ذلك أساسا لمبدأ القوانين الاجتماعية التي تلخص في تغيرها للحقائق المكتشفة

الجنيدة، التي تؤكد وجود صفات عامة مشتركة لم تكن معروفة سلفا . والتي  
تحدد ابعاد العلاقات المتبادلة بين الفواهر والحقائق الاجتماعية .

وبذلك يمكن اعتبار علماء هذه الفترة الكلاسيكية من أكثر من رغبوا  
منهجية علم الاجتماع نظرا لانهم قدموا اسهامات منهجية تتمثل باسهامات  
مفكرى المرحلتين السابقتين على تلك المرحلة. كما انها تتمثل باسهامات  
المرحلة الرابعة من التطور المنهجي لعلم الاجتماع، لقد اعترف جورج هومانس<sup>(١)</sup>  
G. Homans بتأثير "فلسفة دياريكو" عليه (٢) .

٤ - المرحلة الرابعة من التطور المنهجي لعلم الاجتماع :

رغم ان اسهامات مفكرى المرحلة الثالثة المنهجية كانت موجهة اساسا  
لنقد المدخل الجدلى الماركسي، الذي يقدم تفسيراً معيناً للتاريخ، والذي جعل  
مدخله المنهجي لدراسة الظاهرة الاجتماعية احادى البعد الا ان علماء الاجتماع  
فى الفترة الرابعة من التطور المنهجي وخاصة تالكوت بارسونز وميرتون  
"شترابوس" و"جيفيتش" أكدوا ان النقد الذى وجه من علماء الاجتماع الكلاسيكيون  
وهم ثوركاييم وماكب، فيبر وباريتو ليس بالقدر الكاف (٣) .

وقد ترتب على مواقف ممثلى علم الاجتماع الأكاديمى فى امريكا ، بارسونز وميرتون،  
وممثلى علم الاجتماع الأكاديمى فى اوروبا ، على شترابوس وجيفيتش ..... الخ (٤)،  
من المدخل المادى التاريخي، لديهم الاحداث والظواهر الاجتماعية، ظهور ثلاثية

(1) Homans, George, Review of J. Freeman's An American Testament, in  
Saturday, R. of Literature, XV October, 1936. Vol. 31, N.6. See also,  
Gouldner, Alvin W., London, Heinemann, 1973. pp. 148-149.

(2) Gouldner, Ibid. p.181

اتجاهات منهجية أساسية يمثل أولها اتجاه اليسار الجديد الذى نعدى  
للاستقادات التى وجهها علماء الاجتماع الأكاديميون للاتجاه المادى التاريخى .  
وكان موقفهم منها موقفا شريفا ، وقد كان ذلك بعد الحرب العالمية  
الثانية وقبل سنوات هذا القرار . ثم أتى علم الاجتماع الأكاديمى بصورة  
عامة ، وفى أمريكا بوجه خاص ، موقفين أساسيين يمثل أولهما فى دعم الرواد الأوائل  
للمناهضة الوظيفية لموقفهم ، للرد على اليسار الجديد وتمثل الموقف  
الناش لعلماء الاجتماع الأكاديميين بعد عام ١٩٦٠ فى كون تطويرهم لموقفهم  
ليس على أساس شيرى على نحو ما فعل رواد هذا الاتجاه ولكن على أساس ردى ،  
أى رد المادية التاريخية للوظيفة بتوسيع المدخل الوظيفى والمناهضة  
على نحو ما فعل "كونزور" وأرندورف .

فى ان الموقد الجديد لعلم الاجتماع الأكاديمى وعلم الاجتماع لدى انصار  
المادية ادى الى محاولة بعض علماء الاجتماع للتأكيد على أهمية المدخل  
العلمى لعلم الاجتماع والذى تعتمد طبيعته على استناده للمنهج العلمى الحديث ،  
كمدخل اساس لدراسة الظاهرة الاجتماعية على ان يكون هذا المدخل موجها نظريا  
بمدخل نظرى متكامل يتسع لرؤية الواقع الاجتماعى من ابعاده المتعددة دون  
ان يحصر المعالجة المنهجية فى زاوية واحدة دون اخرى ومن ثم ظهر الاتجاه  
التالىفى (١) على المستوى النظرى والمنهجى لدعم علمية علم الاجتماع .  
وقد نزع هذا الاتجاه كل من "فان دن بيرج" ، "وولترولس" وغيرهم ممن اسهموا  
فى تطوير الاتجاهات المنهجية فى النظرية السيولوجية مثل الاتجاه البناء الوظيفى والاتجاه  
النفسى الاجتماعى ، والاتجاه الوقى والاتجاه القياسى والاتجاه التحليلى

أى ان التفسيرات السيولوجية للظاهرة الاجتماعية والتى قدمها كل من  
دوركايم وبريتون وماكي فيسر تتلق مع بعضها جميعا فى رفض التفسيرات

---

(١) Gouldner, I., op.cit., pp 158-159.

الدارجية والمعادية ، والتفسيرات الاقتصادية للسلوك الانساني ، ولد كان مدخل تالكوتون بارسونز<sup>(١)</sup> ١٩٠٢ T.PARSONS للتفسير السيكولوجي الشامل للفعل الانساني امتندا الى مور التشابه القاسمة بين تحليلات كل من ماركس فيبر ودور كايم وبريتو . وقد ظل بارسونز يؤكد لفترة طويلة الحاجة لوضع نظرية منهجية عامة للسلوك البشري ، وذلك لامتداده بان وقع نظرية مجردة تعتبر دليلا على منطج العلم . وذلك لان النظرية تساعد في نظر بارسونز على تحليل التعليل الوهمي ، و البحث الامبيرقي .

وبذلك بدأ اهتمام بارسونز بتأكيد على التعليل الوهمي باعتباره وظيفة اساسية لعلم الاجتماع .

اما من حيث النشأ النظرى العام الذى يؤكد عليه بارسونز فيشترط ان يكون وظيفيا<sup>(٢)</sup> بنائيا . بمعنى انه يؤكد على المدخل البنائى الوظيفي . وقد كانت اول محاولاته متمثلة في تقديم نظرية عامة عن الفعل الاجتماعى ورسم ما تنقسمه نظريته من الفعل من تمليد ، الا انه اعتبر الفعل الاجتماعى سلوكا اراديا . واكد ان التحليل السيكولوجي للفعل يعتمد الى حد كبير على مخطط الواضات ، والعمليات .

الا ان نظرية بارسونز عن الفعل الاجتماعى كانت معمنة في التجريد الذى جعل تطبيقها والاستدانة بها في البحث عن الامور المعينة .

وذلك ما دفع بارسونز لاجراء تعديلات جوهرية على نظريته في مؤلفه مقالات في النظرية السيكولوجية (النظرية والتطبيق) ١٩٤٩ ثم نقيح هذه التعديلات في مؤلفه النشأ الاجتماعى " ١٩٥١ حيث بدأ بارسونز يتحول من الفعل الاجتماعى كنوع من الوحدة الذرية التى تتكون منها المجتمعات الى معالجة الفعل الاجتماعى

(١) تختلف الوظيفة في معناها عند بارسونز عن معناها عند الوظيفيين نسبيا .  
لذا وظيفية تشير عنده الى ان الابنية الاجتماعية الحرشية تقوم بعملها كميكانيزمات تؤدي الى كفاية المتطلبات الوظيفية لاستمرار الانساق الاجتماعية وهو يهاجمين هذا المعنى للوظيفة ، وبين الوظيفة باعتبارها الفعل الاجتماعى ذاته .



على انه نسق، وهذا التحول يشير الى انه وحدة التحليل السبيلولوجي في علم الاجتماع هي الاسماء الاجتماعية .

وقد اكد بارسونز على اهمية التحليل البنائي الوظيفي والذي يتطلب معالجة منظمة لادوار ومراكز الداعلين في موقف اجتماعي معين بالاعتماد على معالجة النظم الاجتماعية المتضمنة لها ، وهذا هو بارز بالنسبة لاجهاده المتعلقة بالمدخل الوظيفي مقدمه من تحديد (١) للمتغير والناحية المتعلقة الخمسة المتمثلة في : الوجدانية في مقابل الحيات الوجداني ، والمصلحة الذاتية مقابل المصلحة الجمعية ، والعمومية مقابل الخصوصية ، والاداء مقابل النوعية ، والتخصص مقابل الانتشار ، وهي بمثابة أدوات تعززية للتحليل الوظيفي .

وما تشير اليه الاتجاهات البنائية بصورة عامة هو تفسيرها للظواهر الاجتماعية من خلال الرجوع الى المراكز الاجتماعية المقررة للمشاركين، وهي تتميز بأنها تهتم بالاشياء التي يطورها المشاركون الاجتماعيون، خلال علاقاتهم المتبادلة .

وقد ظهرت الترمية البنائية Structuralism في علم الاجتماع الاكاديمي الغربي لدى كلود ليفي شتراوس وهو استاد الاثنوسولوجيا الفرنسي (١) الذي يؤكد على الطبيعة المتكررة، والمحددة لاشكال المجتمع والثقافة . وهو يستعين بوسائل التحليل اللغوي للتاريخ لوتحدد معالم هذا الاتجاه البنائي بتأكيد على اهمية الشكل الكلي، والعلاقات العامة التي تربط بين شئ فواهر الوجود الاجتماعي (٢) . وهو بذلك يؤكد على اهمية تحليل اي بناء الى عناصره الجبركية

---

(١) من اهم مؤلفاته : المحتمات البنائية ، القومية اليوم ، العقل البدائي ، البنائيات الجوهرية لمللة القرابة والسب عالم في الطريق الى الانتشار الاساطير ، والسبي والمتوى .

(2) Ekeh, Peter, Social Exchange Theory, London, Heinemann. p. 1974. pp. 38-39

التي يتكون منها/ وذلك بهدف معرفة العلاقات المفهومية التي تربط بين تلك  
الجزئيات ثم يعاد تركيبها في بناء كلي جديد ارتقى من البناء السابق/ وذلك  
على أساس من الوعى: الكامل بطبيعة التبادل الاجتماعى Social Exchange  
الذى يعرف بالشكل المنتظم للسلوك فى سياق المعايير والقواعد المجتمعية (١)  
والبنائية بذلك مدخل منهجى تحليلى وتركيبى للبناءات الانسانية يهدف  
لكشف العلاقات الداخلية التي تربط بين مكونات كل بناء . وذلك تمهيدا  
للتحكم فيه وإعادة ترتيبه، والارتقاء بمستوى ادائه الوظيفى .  
والبنائية بذلك نزعة انسانية تهدف الى تطوير الابنية الانسانية  
المختلفة بالارتقاء بالعلاقات الوظيفية التي تربط الجزئيات ببعضها، وتعدد  
طبيعتها ودورها التاريخى والاجتماعى . كما ان المدخل البنائى يستهدف كشف  
الماهيات الكامنة خلف كل بناء وهذه الماهيات ليست ماهيات عقلية مجردة  
وانما هي العلاقات المفهومية نفسها .

وقد استعان بهذا المدخل البنائى كل من ليفى شتراوس واتباعه لفسى  
دراسة الابنية الانسانية المختلفة امثل اللغة، والمعادن، والاداب، لمعرفة  
العلاقات المتبادلة (٢) Reciprocal Relationship الى تربطها  
واكتشاف حقيقة الانسان والارتقاء بدوره الوظيفى في مجالات الحياة الاجتماعية  
المختلفة .

وقد ظهر فريق من انصار الماركسية يعارضون هذا الاتجاه ويريدون الاضافة لهذه  
الاتجاهات البنائية الوظيفية التي اشترطوا فيها كمدخل منهجية لعلم الاجتماع  
منذ كل من باربروس وليفى شتراوس تيلور اتجاهات بنائية اجتماعية ثلاثية  
تمثلت في :

(1) Ekeh, Peter, op.cit., P. 45.

(2) Lévi-Strauss, The Elementary Structures of Kinship, (trs.)  
Boston, Beacon Press, 1964. p. 51.

- البنيائية الوظيفية لميرتون ودالمر .
- والبنيائية التبادلية لتايوت وكيلي وبلاور .
- والاتجاه البنائي في دراسة الصراع لكونر ، ودهرن دورف .

أ - وبالنسبة للاتجاه البنائي الوظيفي لكل من ميرتون ودالمر فإنه يؤكد على الاعتماد المتبادل بين الكل والجزء . ويسلم بأن تفسير الظاهرة الاجتماعية يقتضي البحث من حيثها أي النتائج المترتبة عليها بالنسبة للنسق الاجتماعي العام . التي تعتبر الظاهرة جزء من أجزاءه . وإذا كان " كنجولي ديلز " يذهب إلى أنه ليس ثمة تمييزاً واضحاً بين التحليل الوظيفي والتحليل السيولوجي وذلك لأن أي بحث عليه أن يكون وظيفياً ، لذلك يرجع لاعتقاده بأن اكتشاف الصراع يعتمد على تتبع نتائج السلوك والنظرية الوظيفية كمدخل منهجي للدراسة في علم الاجتماع . تعتمد على أدوات تحليل وظيفي تتمثل في تجديد انشواام الوظائف وتعيينها بين الوظيفة الظاهرة Manifest والوظيفة الكامنة Latent والبدائل الوظيفية ، والإداء الوظيفي Functional والطور الوظيفي Dysfunctional . وهذه التعيينات لأنواع الوظيفة بمثابة أدوات للتحليل الوظيفي الذي يستخدم لوصف الأجزاء المنهج في البحث (١) .

ب - والمدخل المنهجي للبناءية التبادلية لدراسة الظواهر الاجتماعية يختلف من المدخل المنهجي للبناءية الوظيفية والذي يتناول أساساً العلاقة بين متغيرين مثل الكل وأجزائه ، على أساس الاعتماد المتبادل فيما بينهما . ومن ثم فإن البناءية التبادلية تعني بتحويل كافة أنماط التفاعل المتولدة بين المتغيرين ، وبذلك تشير التبادلية لغزوة بحث كلا الجانبين دون الاقتصار على بحث النتائج المدعومة للمتغير ( أ ) على الظاهرة الاجتماعية ( ب ) والفرض أن تأثير ( ب ) شيء آلى لاحتياج للدراسة على نحو ما هو حادث بالنسبة للبناءية الوظيفية

(1) Homans, G Contemporary Theory in Sociology, op.cit., pp. 951-977.

وإذا كانت بذائيةً لى شتراوس تؤكد على التبادل الاجتماعى باعتباره مدخلًا تحليليًا وتركيبيًا للبنيات الاجتماعية الانسانية، يفتى مكوناتها الجزئية ، وذلك بهدل التعرف على العلاقات المتبادلة بين مكونات كل بناء ، وإفادة ترتيبها والتحكم فيها ودعم ادائها الوظيفى . فانه بذلك يؤكد على الشكل الكلى للعلاقات العامة المتبادلة بين شتى الظواهر ، لئلا تنحصر اتجاهات اخرى اهتمت بالعلاقات المتبادلة العامة اكثر من الاهتمام بالتبادل اللازم بين الاجزاء ، كما ان بعض الاتجاهات اهتمت بالجزئيات .

اما بالنسبة لپيتر بلاو P. Blau فانه يتبنى وجهة نظر ميكولوجية حيث يذهب الى ان العمليات الاجتماعية الاساسية التى تحكم الترابط بين الناس لها جذورها فى العمليات السيكلوجية الاولى (١) وهذه العمليات الاولى تنقسم بدورها الى اثنتين، حيث تكون الاساسية منها بالنسبة لپيتر هى ما غمىها بالسيكلوجية وهى التى ناقشها على اساس ان الفرد يشد للاخر اذا ما تولد من ارتباطه به مكافآت لذاته بآية صورة ، ولاهتمامه بتوليع المكافآت الاجتماعية يتجاوب مع الاخر (٢) وهذا الاصل فى المكسب او المنفعة نوع من نفس الشيء الذى اشار اليه كل من فرازر Frazar وداينوفسكى Malinowski وليفن شتراوس Lévi-Strauss والدواغ الاقتصادية

فى التبادل الاجتماعى . وإذا كان بىلور قد ركز على العامل السيكلوجى الا انه اهتم ايضا بالدواغ الاقتصادية فى نظريته عن التبادل الاجتماعى (٣) اذ ان تلقيهم المرء للتجاوب مع الاخر من محكوم بتلك الدواغ الاقتصادية فى نظره

(1) Blau, Peter, Exchange and Power in social Life, New York: John Wiley & Sons, 1964, P.19.

(2) Ekeh, peter, op.cit., p. 169

(3) Blau, p, Ibid, p. 6.

ج- اما بالنسبة للمدخل البنائى فى الصراع <sup>(١)</sup> عند كل من كوزر وداهرندورى ،  
 كانت يحاول على نحو ملاحظ انماز المدخل البنائى التبادلى استيعاب كائنة  
 العلاقات القائمة بين المتغيرات والظواهر دون ان يلزمها على جانب واحد  
 فى تحليل العلاقة بين المتغيرات <sup>(٢)</sup> .

وبذلك نجد ان البنائية التبادلية والبنائية فى دراسة الصراع  
 تحاولان تناول صور التداخل المختلفة المرتبطة بالمتغيرات والظواهر  
 الاجتماعية المطروحة للبحث وذلك لانهان تقديم التفسير العلمى السليم  
 للظاهرة .

وبالنسبة لعالم الاجتماع الفرنسى جورج جوركوش <sup>١</sup> : ١٨٩٦ - ١٩٦٥ /  
 G. Gurvitch فقد اضافا تأكيداً والما لاهمية التفسير الديناميكى  
 وحذر من اى تفسيرات تنكس للظواهر الاجتماعية . وذلك لانه يرى أن كل شئ  
 فى المجتمع دائم الحركة ورغم اشارته لذلك مرة واحدة فى كتابه " دور علم  
 الاجتماع " لم يحاول وصف حالة الاندفاع الاجتماعية ، على ان يتم ذلك من قبيل  
 الملاحظة ، وفى الوقت الباقى المحدود الذى يختاره ، باعتباره ان ذلك جزء هام  
 جدا من التحليل العلمى . وذلك يشير الى ان دراسة الديناميات الاجتماعية  
 أى التحليل التفسيرى الذى يستند اليه جزء لا يتفصل من الدراسة البنائية  
 او الاتيحية لهذا التفسير . أى ان التحليل التفسيرى جزء لا يتفصل من التحليل  
 العلمى فى علم الاجتماع .

وبذلك نجد ان "جوركوش" يؤكد على ان القوانين العامة توجد فى صورة قوانين  
 احصائية للترابطات المتباينة بين المتغيرات ، وقد اكّد فى اواخر حياته على  
 النزعة الاسيريقية القيدانية فى الناحية وربما اراد بها البحث من مذهب

1. Coser, L., The Functions of Social Conflict, Glencoe, 1956 & some Function of Deviant Behavior..., The Am.J. Sociology. 1962.Vol.LXV. No.2.

(٢) دكتور محمد عاطف ، المواقف النظرية فى علم الاجتماع . الاسكندرية . دار الكتب الجامعية . ١٩٧٧ ص ١١٦ .

الامبريقية وماتهم به في ميدان القوانين في علم الاجتماع .  
ونفرا لسطرة التوجيه الايديولوجي السياس على الميادانات النظرية  
في علم الاجتماع في الفترة الاخيرة ، تطور البناء في علم الاجتماع ، فقد ادى  
ذلك لتمايز النظم الاكاديمية لعلم الاجتماع ، فاصبح هناك علم الاجتماع  
الاكاديمي الأمريكي والاوربي ، وعلم الاجتماع الاكاديمي الماركسي . ولكل  
منهم توجهاته النظرية وتبريراته السياسية الخاصة به ، بالنسبة لمدخله  
المنهج لمعالجة الظاهرة الاجتماعية ، واتخذ بعض علماء الاجتماع من الاساس  
المنهجي ايدولوجية له ، وبذلك اصبح التوجيه المنهجي اسما له في فهم  
الانسان والمجتمع ، على اعتبار ان الاساس المنهجي يجهنهم تأثيرات التوجيه  
السياسي على النظرية الاجتماعية . وذلك لان اتباع المعيار المنهجي في البحث  
يساعد على تقديم التصديقات الدليقة ، ويحقق التحكم في مادة البحث .  
وبذلك يكون الاساس المنهجي هنا بمثابة الوسيلة التي تجنبهم التأثير  
الايديولوجي ، وتوجيهاته في البحث ، ويحقق ثبات المعلومات حول الواقع ، على  
مستوى جمع البيانات وبناء الاستنتاجات ، وتجنب الميمنة والتطبيقات التي تدل على  
في نطاق المعالجة المنهجية للظاهرة موضوع البحث . وبذلك اكّد البعض  
على الاسس المنهجية ، والتوجيه المنهجي ، لتجنب تأثير التوجيه السياسي  
في الميادانات النظرية<sup>(١)</sup> .

ومن ثم نجد ان التحليل السيولوجي في علم الاجتماع قد تحدثت ايضا عنه  
الوظيفية والتفسيرية ، في فهم المحاولات المنهجية ، والمداخل المختلفة التي  
بدأت باوجست كوتنر ، والذي اكّد على الجانب الوظيفي والجانب التفسيري ، ثم  
تأكدت في المرحلة الثانية على يد اميل دوركايم عندما اكّد على الجانب  
المورفولوجي والجانب الفيزيولوجي ، ثم جاءت الاتجاهات المعاصرة في المرحلة

(1) Gouldner, op.cit., pp.50-51.

الآخيرة من تطور البناء المنهجي لعلم الاجتماع لتؤكد على الجانب المنهجي الوصفي والجانب التفسيري في التحليل السيولوجي .

وإذا كانت ثمة اتجاهات قد قلبت الاستدلال الاستنباطي شارة على نحو ما فعل بارسونز، فإن الاتجاهات البنائية والوظيفية الأخرى قد أكدت على الاستدلال الاستقرائي في المدخل العلمي لصياغة التصميمات .

ألا إن التطريد بين نمطي الاستدلال على هذا النحو لم يرقى انحصار الاتجاه التأصيلي في علم الاجتماع، وخاصة بعد أن حدث التداخل بين علم الاجتماع الأكاديمي الأمريكي والأوروبي، وعلم الاجتماع الماركسي . وأصبحت هناك ثقافة عامة توجه الفكر السيولوجي، وأصبح المدخل العلمي المعاصر وبخبرة أساسية لدعم التأليف النظري بين تلك الاتجاهات بحيث أصبح الاستدلال الاستنباطي والاستدلال الاستقرائي أساس المباحثة النظرية في علم الاجتماع . وذلك بدوره يستند على نمطي التحليل الوصفي والتفسيري للواقع الاجتماعي وفواهيره .

ثالثاً : الكم والكيف في علم الاجتماع :

يشير معظم المعلم Science ، لاستخدام الإنسان لطرائق معينة، في اكتشاف الأشياء، والتحقق منها . وهذا المعنى يرتبط بما نسميه بالعلم الوصفي، الذي يختلف من وجهة نظر الدارس . وذلك ما يتفق عليه التقابل بين استخدام الأعداد، واستخدام اللغة الطبيعية . وإذا كانت العلوم الوضعية تصني باستخدام الأعداد، فإن علم الاجتماع يحكم تعامله مع الأشخاص والجماعات والمجتمعات البشرية، بمعنى تاماً استخدام اللغة الطبيعية، لأنه يتناول العالم الاجتماعي، إلا أن ذلك لا يعني تغطية عن استخدام الأرقام لتعيين ملاحظات الكيفية حول الواقع الاجتماعي (١) .

(1) Schwartz, Howard & Jacobs, Jerry. Qualitative Sociology, New York, The Free Press, 1979. pp. 3-5.

## ١ - الاجتماع الكيفي والبناء المنهجي لعلم الاجتماع :

وإذا كان انتماء الاتجاه الكيفي من علماء الاجتماع يقررون ملاحظاتهم الوصفية حول الأنشطة اليومية لاكتشاف الدوافع والمعاني والأفهام - ويردود فعل الاندماج في سياق حياتهم اليومية من خلال اللغة لذلك يرجع لحدود قناعاتهم التي تلقى عند مجرد الوصف لجوانب الحياة الاجتماعية بسدلا من محاولة اكتشاف الأشياء وخواصها والعلاقات القائمة بين خواصها وتفسيرها والتنبؤ بها. وإذا ما تجاوزت طموحات علماء الاجتماع حدود هذه القناعات التي تلقى عند مجرد فهم الظاهرة الاجتماعية بوصفها - يمتد اهتمامهم لاستخدام الاسداد لتعيين وتحديد الملاحظات الكيفية لتقديم تلك البيانات في ضوء فهمنا للنشاط الاجتماعي المتعلقه بالشخص والجماعة أو المجتمع - وهذا يكون الوصف والتفسير الدقيق أساسا لفهم السلوك البشري في علم الاجتماع (١) .

وفي ضوء ذلك تتبين بعض أوجه الاختلاف بين الاجتماع الكيفي والاجتماع الكمي ومن ثم يكون علم الاجتماع بين اختيارين يحددان في ضوء طموحاته بالنسبة لفهم الظاهرة الاجتماعية - فإما أن يكتفى بالتقرير الكيفي لملاحظاته ، وهذا تلقى طموحاته لفهم الظاهرة عن مجرد الوصف أو أن يطور طرقه وإجراءاته لجمع بياناته حول حياة الشخص والجماعة والمجتمع على أساس من القياس الدقيق الذي يمكنه من تفسير الظاهرة الاجتماعية تكميم ملاحظاته الكيفية حولها . وإذا ما فرقت المعايير المعيارية على اختياره تشتمل معالجته للظاهرة الاجتماعية في سياق الاجتماع الكيفي ومداخلها الدراسة الانتروبولوجية المتمثلة في الانثروبولوجيا في الفيزيولوجيا واتجاهاته الاندماجية المتمثلة في توجهات الاجتماع المعنوي . وبذلك يكون البرهان مرتبطا على التحليل الجدلي للظاهرة الاجتماعية (٢)

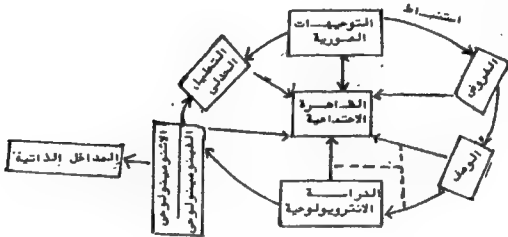
(1) Chambliss & Rytter, op.cit. p.3

(2) Schwartz & Jacobs, op.cit., pp XIII, 4.



حيث يتبنى الباحث منظورا فلسفيا (١).

والشكل التالي يوفى الاستراتيجية المنهجية للاجتماع الكيفى فى دراسة الظاهرة الاجتماعية .



والجدير بالذكر ان غالبية علماء الاجتماع الكيفيين يرون انه من الضروري تجنب مستويات المعايير القياسية التى طلقها الاجتماع الكيفى بالنسبة للمفاهيم التى يتناولونها بالدراسة . ومن ثم فان البحث بالنسبة للكيان شكل فنيانه يتطلب استخدام أدوات بحثية مختلفة جدا، سواء كانت تلك الاموات نظرية او اجرائية . والاكثر اهمية بالنسبة لهم ان البحث يتطلب من الباحث ان يكون قادرا على تحسين مفاهيمه الخاصة وطرقه المنهجية للدراسة الاوضاع التى يعاينها.

وبذلك لايقبل غالبية علماء الاجتماع الكيفى وضع استراتيجيات منهجية لمعالجة نظرية عامة يستند اليها فى توجيه عملية البحث كما انهم يرفضون مراجعة النظرية بمعطيات الدراسة، وذلك لان النظرية عندهم بمثابة اداة تمورية لتحليل الواقع . كما ان اختياراته الاجرائية المنهجية تتخلف لاجتهاد الباحث دون التزام منسب

(1) Mitroff, Ian I. & Kilman, Ralph H., Methodological Approaches to Social Science, San Francisco & London, Jossey : Boss Publishers 1978. p. 83.

بأن مستوى مقنن . وبذلك تكون تحليلاته للظاهرة في حدود التناول الجدلي الذي يستند اليه . وقد الظاهرة في ضوء التوجيه المورى الذي يستند اليه في تحديد مفاهيمه التي تمكنه من اعادة بناء العالم على نحو ما يراه هو . ويدركه . وفي ضوء ذلك يتضح ان وجهة النظر الذاتية للفاعل في محور الاجتماع الكلي (١) .

والواقع انه من الصعب على باحث معين ان يهمل هذا الجانب في تناول الظاهرة الاجتماعية ومحاولة فهم حياة الآخرين وما يتضمنه ذلك من دوافع ومعان ومواقف وغيرها من الجوانب الذاتية لحياة الافراد والجماعات وذلك لان الانسان متفعنا في الظاهرة التي يتعامل معها فلم الاجتماع (٢) لذلك لا ينطسي الجوانب الاخرى التي تتضمنها الظاهرة ايها مثل الافعال والسلوك اليومي . في الازدواج والمواقف المرتبطة . وكذلك بناء تلك الافعال وايضا الاحوال الموضوعية المصاحبة والتي تؤثر على تلك الافعال . وهنا نجد ان بعض تلك البنود قابلة للملاحظة المباشرة وهي بهذا المعنى موضوعية ومن ثم نجد ان الحداثة ماسة لاستخدام الاجراءات الموضوعية والتي يستند اليها العلم الوضعي نظرا لانها تسمح لنا بتحقيق درجة من الدقة والدقة والشبكات في جمع البيانات التي تسمح لنا باختيار الظروف الامبيريقية بطريقة متسقة منطقيا .

## ٢ - الاجتماع الكمي والبناء المنهجي لعلم الاجتماع

بذلك يكون من الضروري للاقترب من المعاني وغيرها من الظواهر الداخلية ' أن يوصف السلوك اليومي بشيء من التفصيل مستندين في ذلك على الاجراءات المنهجية الموضوعية التي تساعد على تحقيق درجة من الشبكات والدقة في الوصف فيس الممولوات التي يمكن توفيرها حول الظاهرة الاجتماعية على نحو ما اثرتنا سلفا

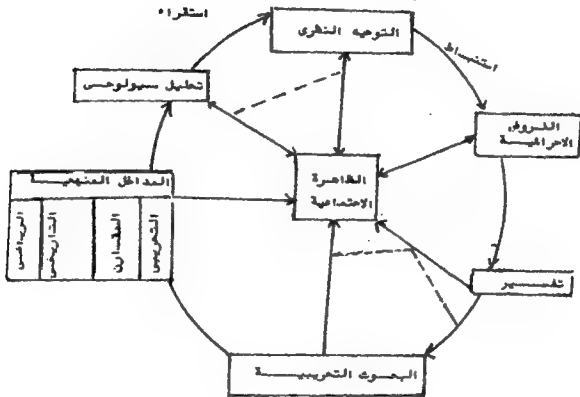
(1) Schwartz & Jacobs, op.cit., p. 5

ومن ثم فإن استقامات علم الاجتماع الوضعي الكمي، للمجتمع تتمثل في تزويدنا بالمعلومات الأكثر تحديدا ودقة، وذلك لأنه يطور إجراءاته القياسية للمفاهيم، بحيث تكون قابلة للاستخدام في النظرية العلمية . ومن ثم تكون إسهاماته أكثر وضوحا كما . إن الصورة التي يقدمها للعالم تكون أكثر مدقا . ولهذا فإن مما جعل الوهميين يعتقدون بإمكانية إيجاد علم الاجتماع الكمي هو ظهور المجتمعات والانتماء إلى الاقتصادية، وشبكة العلاقات والتركيب السكاني، كشيء له حياته، وينشأه الناس، وهي التي يجعل مجيئها يبدو مستقلا إلى حد ما من الأفراد الذين يتتمسك عليهم . وقد برزت طريقة التفكير حول كل هذه الجوانب في علم الاجتماع في شكل النزعة البنيائية : وتأكيده أنصار الاجتماع الوهمي على الظواهر الاجتماعية والواقع الاجتماعية، لمبر أن وجهة نظر الداعل ليست من اختصاص علم الاجتماع . وهم يؤكدون بذلك على تركها لعلما : النفس والفلسفة والدينومينولوجيون .

كما أنهم يذهبون إلى أن فهم المعاني والواقع الأفراد سوف لا يمكننا من تفسير الظواهر الاجتماعية : وذلك ما أكدته أميل دوركايم في دراسته للانتحار، حيث أنه أوضح أن معدلات الانتحار تأخذ نفس المعدل بين جماعات معينة . وعليه فإنه من هذا المنطلق نجد أن وجهة نظر الداعل لا يمكن أن تشرح أنماط السلوك والإنكار التي توجد في جماعات . أما كيف تفسر سلوك الأفراد . لذلك مما أوفعه أكثر عندما أكد أنه لا يمكن تطبيق ذلك بالرجوع لوجهة نظر الداعل دائما ومن وجهة النظر السلوكية فإن فهم الشخصية ودور الفعل للسلطة وغيرها من الأدلة لا يتحقق بالرجوع لطبقات الذات وإنما بدوام كواشيف السلوك التي تحكم هذه الجوانب .

والشكل التالي يوضح إستراتيجية المنهجية للاجتماع الكمي:

والشكل التالي يوضح الإستراتيجية المنهجية  
للاهتمام الكمي



وفي ضوء ذلك نجد ان كل من النموذج الكيفي والنموذج الكمي يتغلب جانبا  
امبيريقيا ، الا ان امبيريقية النموذج الكيفي قائمة على اساس فهم الواقع  
الاجتماعي من وجهة نظر الفاعل ، كما ان التوجيه النظري لا يظم لمراجعات  
الواقع ومعيارية الامبيريقية في حين ان النموذج الكمي لعلم الاجتماع يؤكد على  
فهم الواقع على اساس المعايير ، والقياس الملائم . الممتد لاجراءات موضوعية ،  
تظهر من الاحكام المعيارية كما ان التوجيهات النظرية تخفف هذا لمراجعات  
الواقع الذي يخلق للقياس .

وتناولنا للاجتماع الكيفي والاجتماع الكمي على هذا النحو برجم لمطلبي  
لتحليل النسق العلمي لعلم الاجتماع وما يتعلمه من نظم علمية ، لذا لسان  
تناولنا للاجتماع الكيفي والاجتماع الكمي كتفاضلين علميين لا يجلنا نلتزم في  
عرفنا لا نيك والكم على مستوى التوجيه النظري . وذلك لاننا نتناول بهذا نظم  
علمية تندرج في سياقات التوجيهات النظرية مع الاختلافات المنهجية .

والواقع ان اي من هذين النظامين لا يشكل منفردا بهذا النظام العلمي  
العام لعلم الاجتماع وان كان كل منهما يدخل في تاسيس النسق العلمي لعلم  
الاجتماع ، الا أنه لا يشكل كيانا مستقلا ومتعلما في سياق النسق العام ، الذي يحدد  
موقعه بالنسبة لاي منهما ، ومدى تمايزه عنهما من خلال موقعه من النسق العام  
للعلم في جانب ، وتولده من سياقات النظرية السيولوجية في جانب آخر .

رابعا : عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع :

في ضوء التحليل السابق لطبيعة البناء المنطقي لعلم الاجتماع ، ومرآة  
تطور الحوار حول البناء المنهجي ، والجوانب الكمية والكيفية لعلم الاجتماع ،  
والمداخل التي تنطوي عليها هذه الجوانب في دراسة المجتمع الثري ومعالجه  
قواه . تتمين المعالم الاساسية للبناء المنهجي في علم الاجتماع ، وما ينطوي

عليه هذا البناء من عناصر أساسية تتكامل مع بعضها بشاغلها وتتساند وهيكلها،  
لتشكل وحدة هذا البناء المنهجي .

#### ١ - المنهجية : Methodology

تمثل المنهجية أولى عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع، وهي تشير لمنطق  
تطبيق المنهج العلم في دراسة المجتمع البشري وهواهره<sup>(١)</sup> . وبذلك فإن المنهجية  
لأتماليج باعتبارها تحتاج للبحث العلمي . ولكن تعالج باعتبارها العملية  
التي يتولد بها هذا النتائج، والخطوات التي تتبع في ربط النظرية بالبحث  
الأمبيريقى . وبذلك فالمنهجية تمثل الأساس الذي يحدد لنا الكيفية التي  
تعمل بها معارفنا، وما الذي علينا أن نعرفه حول المجتمع البشري وهواهره .  
وبذلك فإن المنهجية تساعدنا هنا في تحديد أي من المدخل والطرق والأساليب  
والأدوات المنهجية تناسب دراسة ظاهرة ما من الظواهر الاجتماعية .

وبذلك فإنها توجه عملنا في تحديد موضوع البحث وصياغة فرضياته، ثم توجيهنا  
في صياغة عملية البحث وتحديد خطواتها وإجراءاتها : المنهجية والمتطلبات  
المنهجية والنظرية لتحميل المعرفة حول الظواهر الاجتماعية، وإقامة البرهان  
العلمي للتحقق من صحة هذه المعرفة وثباتها . وهي بذلك تشير للكيفية  
التي تطبق بها مبادئ المنهج العلم، المتمثلة في التجريبية والموسومية<sup>١</sup>  
والنسبية والتكيفية، ووحدة البعد التفسيري في معالجة الظواهر الواقعية الاجتماعية .  
ومحاولة فهمها وصياغة تنبؤاتنا حولها . والمنهجية بذلك دامة، لأنها تحكم  
عمل عالم الاجتماع في مجال دراسته للمجتمع وهواهره، وعملياته الاجتماعية .  
وما يتطوّر عليه من مشكلات وأحداث وقاسم .

(1) Fitzgerald & Cox, op.cit., p. 15.

## ٧- المدخل المنهجية : Methodological Approaches

تأتى المدخل المنهجية فى المستوى الثانى من مستويات البناء المنهجى ،  
وهى تشكل احدى عناصره الاساسية كما انها تشير للتصور المنهجى للدراسة المجتمع  
ومعالجة طواهره . فى ضوء مبادئ المنهج العلمى . التى تعدد المنهجية الاساس  
المنطقى لتطبيقها . فى دراسة الواقع والطواهر المطروحة للمعالجة (١)  
ونظرا لطبيعة الطواهر الاجتماعية والثقافية وما تنطوى عليه من جوانب  
معارية معينة . فان مدخل علم الاجتماع تتسع لتشمل المدخل الموضوعية  
التي تستخدمها مختلف العلوم فى جانبها والمدخل المعيارية التى تناسب  
طبيعة الطواهر الاجتماعية فى جانب آخر . وقد تحدثت معالم المدخل  
المنهجية الموضوعية والمعارية المستخدمة فى علم الاجتماع من خلال  
معالجتها للجوانب الكيفية والجوانب الكمية للبناء المنهجى لعلم الاجتماع .  
حيث تتمثل المدخل الموضوعية فى المدخل التجريبي . والمدخل المقارن .  
والمدخل التاريخي . والمدخل الربحي . وهى المدخل التى يستند اليها علم  
الاجتماع فى تحقيق مبادئ المنهج العلمى المتمثلة فى التجريب والموضوعية .  
وما يرتبط بهما من طرق المعرفة وشبائنها وعموميتها . فى حين ان المدخل  
المعيارية تتمثل فى المدخل الانثروبولوجي . والمدخل الفيزيوميثولوجي  
المدخل الانثروبولوجي . وهى تغطى الجوانب الذاتية فى معالجة الطواهر  
اجتماعية . والشائى لامناهي للباحث . معالجتها لاستكمال هذه المعالجة . وتحقيق  
هم الباحث على الرعى العلمى بطبيعة الواقع الاجتماعية . وما تنطوى عليه  
جوانب موضوعية . وجوانب معيارية .

واذا كانت المنهجية واحدة من حيث توجيهها للعمل العلمى وملامحها .  
وجوانبها التى تتخذ لمعالجة الطواهر الاجتماعية . بما فيها المدخل  
المنهجية التى نصحتها . لتتخذ منها تصورا المنهجى للدراسة . فان المدخل

(1) Mitroff, I an, I. & Kilman, Ralph , H., Methodological Approaches  
Social Science, London, Jossey, Bab Publishers, 1978. pp 5-7.

المنهجية هنا لا تكن بالضرورة واحدة، إذ أنها تتحدد في ضوء المنهجية، وطبيعة الموضوع، وخصائصه المطروحة للمعالجة . ولذلك فهي متعددة، وإن كان تعددها معكوماً بإمكانية الباحث، وماتفسيرات معالجة الموضوع . فقد يختار الباحث المدخل التاريخي والمدخل المدلّين مثلاً في دراسة ظاهرة ما من الطواهيـــــ كما أنه قد يتخذ من المدخل التجريبي والرياضي مدخله للمعالجة والدراسة، أو أن يتخذ من المدخل الانثروبولوجي أو أي من المدخلين الاثنوبولوجي والفينومينولوجي منطلقاً له لتعمين تصوّره المنهجي للدراسة . وحتى لو استخدم باحث ما أكثر من مدخل منهجي فإن ذلك معكوم بوجود مدخل منهجي اساسي، يعين بدوره المداخل المنهجية المساعدة له في معالجة الموضوع، وذلك كأن يتخذ الباحث من المدخل التاريخي مدخله لمعالجة ظاهرة ما، فإن ذلك يقتضيه أن يتخذ من المقارنة مدخلاً مساعداً للعلاج المقارنات بين الثقات والظواهر في فترات زمنية معينة، كما أن الباحث منعهما، يتخذ من المدخل التجريبي مدخله للدراسة، فإن ذلك يشير الى حاجته لاتخاذ المدخل الرياضي ايضاً في معالجة الظاهرة، وبالنسبة للباحث الذي يتخذ من المدخل الانثروبولوجي مدخله الرئيسي في الدراسة فإنه يحتاج لاتخاذ اي من المدخلين الفينومينولوجي والاثنوبولوجي كمدخل مساعده . وقد يتخللهما معاً . ويمكن أن يتخذ الباحث اي من المداخل المساعدة مدخلاً رئيسياً للدراسة، الامر الذي قد يقتضيه أن يستعين بأي من المداخل الاخرى . المساعدة او الرئيسية كمدخل مساعده له في الدراسة، ومكملة للمعالجة المنهجية للموضوع . والذي يحكم عملية الاختياراً للمدخل المنهجي، مبادئ المنهج العلمي، وطبيعة الموضوع المطروح للدراسة والمعالجة او الفريـــــ المشافهة حول الموضوع . وبالنسبة للمدخل الرياضي فإنه مدخل مساعده بالنسبة لبعض المداخل المنهجية التي تعتمد عليه، إلا أنه قد يكون مدخلاً اساسياً للمعالجة، وذلك عندما يكون الهدف من الدراسة هو إقامة البرهان، بالنسبة لمـــــ بعض الفروض العنصرية، او التحقق منها على مستوى المبدأة النظرية، للتحقق من اتساق النتائج النظرية، وتبنيها وتنبؤها وعدم تعارضها، في بناء النظرية



## Methodological Methods

## ١ - الطرق المنهجية :

تأش الطريقة المنهجية في المستوى الثالث من مستويات البناء المنهجي وهي تعنى التطبيق العملي لقواعد المدخل المنهجي في معالجة الظواهر. وهي بذلك تعبر، بأنها مجموعة القواعد التي تنظم إجراءات البحث وتحدد مساهمة معالجة الظاهرة علمياً، بمعنى أننا عندما نتخذ من المدخل العالان تعورنا المنهجي لمعالجة ظاهرة اجتماعية معينة، ثم نشرع في إجراء المقارنة وتطبيقها فلسي دراسة الظاهرة، مستخدمين في ذلك قواعد المقارنة الأساسية، سواء كانت المقارنة بين فئات وظواهر على مستوى مجتمع واحد - أو كانت بين ظاهرتين في مجتمعين من نفس النوع، أو كانت مقارنة بين ظاهرتين في مجتمعين متمايزين من حيث النوع، عند هذا المستوى نكون قد استخدمنا الطريقة (المنهج) المقارنة في دراسة الظواهر، ومعالجتها، والذي يساعدنا في تحديد الطريقة المنهجية المناسبة للدراسة، التصور المنهجي المعلن للدراسة، والذي يشير لمدخل الدراسة المنهجي، وطريقة وموضوع الدراسة، والطرفيات المطروحة للمعالجة - ومن ثم فإن الطسرق المنهجية تتعدد بتعدد المدخل المنهجية، التي يتفهمها البناء المنهجي لعلم الاجتماع .

## ٢ - الأساليب المنهجية : Methodological Techniques

بتحديدنا للطريقة المنهجية المتبعة في دراسة الظاهرة، يتحدد الأسلوب المنهجي الذي يتبع في تناول الظاهرة ومعالجتها . وبذلك يشير الأسلوب للكيفية والمستوى الذي يتم بهما تناول الظاهرة المطروحة للدراسة، وتشير كيفية التناول لنوعين من الأساليب المنهجية، هما أسلوب تحليل المفهوم والمحتوى، وأسلوب القياس . فإذا كانت الطريقة المتبعة هي الطريقة التاريخية، يكون أسلوب تحليل المفهوم، أما السند، والوثائق التاريخية وتفرغ محتوياتها<sup>(١)</sup>، أما إذا كانت الطريقة

(1) Mayntz, Renate, Holln, Kurt & Hufbner, Roger, Introduction to Empirical Sociology, London: Ranguin Education, 1976, p. 145

المتبعة في معالجة الظاهرة هي الطريقة التجريبية، يكون القياس الأسلوب المنهجي المناسب للتداول الظاهرة ومعالجتها. وبالنسبة لمستوى المعالجة واتجاهها فإنها تشير إلى أسلوبين أساسيين من أساليب الدراسة المنهجية وهما: أسلوب دراسة الحالة، وأسلوب المسح الاجتماعي. ويتحدد الاختيار ما لا من أسلوب الدراسة في ضوء القواعد المنهجية المتبعة لطريقة ما من الطرق المنهجية، وطبيعة الموضوع المطروح للدراسة، والظروف المصاحبة حوله . والجدير بالذكر أن نمى الأساليب المنهجية يتصاهران معا في بعض الدراسات، إذ قد تستخدم أسلوب المسح مع أسلوب تحليل المضمون، أو أسلوب القياس، أو كلاهما معا. ونفس الشيء يحدث بالنسبة لأسلوب دراسة الحالة، حيث يمكن استخدام أسلوب تحليل المضمون أو القياس أو أي منهما على حدة . وبذلك يحكم تعدد الأساليب المنهجية الطريقة المنهجية المتبعة في معالجة الظاهرة، ومقتضاياتها من تلك الأساليب المنهجية.

#### ٥ - الأدوات المنهجية : Methodological Tools

تعرف الأدوات المنهجية بأنها وسائل جمع البيانات حول الظواهر، والواقع أن استخداما لأسلوب منهجي معين يحدد نوع الأدوات التي يستخدم بها فسي جمع البيانات حول الظاهرة/ إضافة لذلك فإن نوع البيانات المراد تحليلها، وطبيعة الدراسة، والعينة المستهدفة، تهم أيضا في تحديد الأدوات المناسبة للدراسة . فعندما يستخدم أسلوب القياس Measurement لتتضمن الظاهرة ومعالجة الظروف، تكون المقاييس Scales الأدوات المناسبة للقيام بعملية القياس وتحليل إجراءات تحليل البيانات حول الظاهرة موقع القياس . ومن الأدوات الأخرى المستخدمة في علم الاجتماع بالإضافة للمقاييس الملاحظة Observation والتي يمكن أن تكون شائعة من حيث الاستخدام، إذا ما كانت منتظمة<sup>(١)</sup> Systematized

(1) Fitzgerald & Cox, op.cit., p. 45

وتتيح الملاحظة للباحث فرصة مراقبة الأحداث والسلوك كما يقع - و يحدث بالفعل - إلا أنها لا تتيح له فرصة ملاحظة الحوادث التي وقعت بالفعل، كما أنها لا تتيح للباحث فرصة التنادل إلى الاتجاهات والآراء والمشاعر المرتبطة بالوضع . ولكن يحمل الباحث على معلومات من هذا النوع فإن عليه أن يسأل المبحوث عما يدكر فيه ، أو يشعر به . وهذا عليه أن يتخذ من المقابلة وسيلة لجمع المعلومات (١) . ومواء كانت المقابلة مقننة أو مفتوحة فإنها تسمح للباحث لأن يحمل على البيانات التي لم توفرها له الملاحظة . أما بالنسبة للوقائع الأخيرة من أدوات جمع البيانات فتتمثل في استمارة البحث Questionnaire ، والتي قد تعني باستمارة المصحح (٢) أو استمارة دراسة الحالة أحياناً ، وهي أداة أو وسيلة أساسية من وسائل جمع البيانات حول الآراء والاتجاهات ومعرفة خصائصها من الجداول . وقد تكون الاستمارة في بعض الأحيان بمثابة شكل معين للمقابلة . وخاصة إذا تم تطبيقها بواسطة الباحث . حيث يعرف الباحث الأسئلة على المبحوث كتابياً ، وليس شفهاً ، كما يحدث في بعض أنواع المقابلات . والواقع أن استخدام استمارات البحث قد يشير احتمالات سوء الفهم ، وذلك لأنها تزيد المسافة والتباعد ( الفيزيقي والرمزي ) بين الباحث والمبحوث . ومع ذلك فإن الباحث يستخدم غالباً الاستمارات بدلاً من استخدام المقابلة . وذلك لأنها أقل تكلفة ، كما أنها تحتاج لمهارة وتدريب أقل من الباحث . والواقع أن أسلوب الدراسة المتبع وطبيعة الموضوع ونوع الدراسة وطبيعة بيئة الدراسة تسهم معاً في تحديد نوع الأداة المناسبة لجمع بيانات معينة حول ظاهرة أو واقعة ما من الوسائل الاجتماعية .

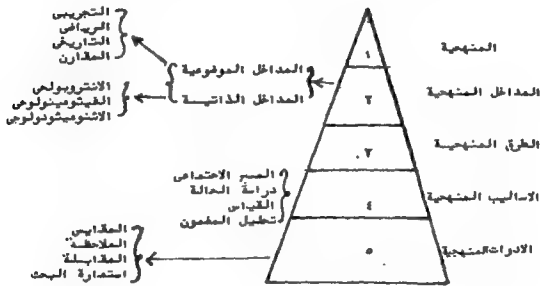
والواقع أن معالجة طرق البحث وأساليبه وأدواته المنهجية ذات طابع اجرائي ، لأنها ترتبط بالمعالجة الإجرائية بصورة مباشرة ، وذلك ما جعل كل من "فيتزجيرالد" و"كوكس" يمالان الطرق المنهجية من خلال ارتباطها بالأساليب الدراسية

Fitzgerald & Cox, op.cit., p. 49

Fitzgerald & Cox. Ibid., p. 52

واندائها المنهجية<sup>(١)</sup> في علم الاجتماع ، في حين ان المنهجية والمداخل  
المنهجية يعالجان على المستوى الكلي/ باعتبارهما يشيران للمبادئ والشعراء  
المنهجية لمعالجة الظاهرة/ وتحديد اجراءاتها المنهجية .

والشكل التالي يوفى عناصر البناء المنهجى في علم الاجتماع :



ومن التحليل السابق لعناصر البناء المنهجى يتضح ان المنهجية عامة، لانها  
توجه عمل الباحث واختياراته المنهجية لمعالجة موضوع الدراسة في حين ان مكونات  
العناصر المنهجية الاخرى ابتداء من المداخل المنهجية، تنقسم بالخصوصية مع  
تنوع الاستخدام، بمعنى ان كل مدخل من المداخل المنهجية يناسب نمطا معيناً من  
الدراسة، ويمكن ان يستخدم في دراسة معينة اكثر من مدخل، الا ان التعدد في المداخل

(1) Fitzgerald & Cox, op.cit., pp 30-60.

محدود وتحكمه طبيعة الدراسة. فلقد يعلن الباحث من اتباعه للمدخل التاريخي كـ **منهج لمعالجة الظاهرة** أو يتخذ معه مدخلا آخر، أما بالنسبة للطريقة المنهجية فيمكن تنوعها بما يخدم المدخل المنهجي المعين للدراسة . بحيث يمكن تطبيق قواعد الطريقة التاريخية، والطريقة المقارنة، إذا ما كان المدخل المنهجي هو المدخل التاريخي . ونفس الشيء يحدث بالنسبة للأساليب المنهجية، والتي يمكن أن تتعدد فيغزو متطلبات طريقة منهجية معينة، تنظم عملية دراسة الظاهرة . كما أن أسلوباً منهجياً معيناً قد يقتضى أدوات متعددة لجسع البيانات حول الظواهر . وبذلك يزداد تعدد الاستخدام، والتنوع كلما هبطنا إلى أسفل البناء المنهجي. وينحصر الاستخدام للإجراءات كلما معدنا لقمة البناء المنهجي. كما أن كل مستوى من مستويات البناء المنهجي يحدد تبادلاً ما يستخدم من عناصر المستوى الذي يليه، من مستويات البناء المنهجي .

١٠١ بالنسبة لتحقيق التكامل المنهجي لذلك يشير لتحقيق المهارات بين المداخل المنهجية: الكمية، والمداخل المنهجية الكيفية، في معالجة الظاهرة. وما يستتبعها من تكامل بين الإجراءات المنهجية الكمية والإجراءات المنهجية الكيفية الأخرى، التي ترتبط بالمداخل الكمية، والمداخل المنهجية الكيفية لعلم الإيتدام .

في حين أن تعدد الإجراءات المنهجية، واستخدام أكثر من طريقة، أو أكثر من أسلوب، أو أكثر من أداة، يفضي أو يشير لفكرة المنهج التكامل . وإذا كان التكامل المنهجي بين الإجراءات الكمية والإجراءات الكيفية صلباً فورياً في دراسة الظاهرة الاجتماعية، فإن مبدأ اللياقة المنهجية بين الإجراءات والمنهجية وموضوع الدراسة، هو الذي يحدد ملائقيات البحث ومتطلباته من الإجراءات المنهجية .

## الملل الشامن

### الذاتية والموضوعية في علم الاجتماع

استحوذت قفيتش الذاتية Subjectivity والموضوعية Objectivity

على اهتمام فلاسفة العلم عامة والمفكرين وعلماء المناهج في علم الاجتماع خاصة. وإذا كان الاهتمام بالذاتية والموضوعية قد تزايد بشكل ملموس منذ تأسيس علم الاجتماع على يد عالم الاجتماع الفرنسي أوجست كوتنر وحتى الوقت الراهن ، فذلك يرجع في أساسه لطبيعة الظواهر التي يعالجها هذا العلم وارتباطها المباشر بالبشر والذين يشكلون محور اهتمام علم الاجتماع من ناحية ولرغبة علماء الاجتماع الداخلية في تحصيل المعرفة الدليّة والصادقة حول المجتمع وظواهره ، بالإضافة لرغبتهم الدائمة في دعم النظام العلمي لعلم الاجتماع ولما كان توليفاً هذه المعرفة من ناحية أخرى .

ومع ان قفيتش الموضوعية والذاتية من اقدم القضايا التي واجهها الانسان ، وذلك لانهما يتعلّقان بأسلوب تفكيره ومدى متقدمته ، ومواقفه كاتسان بين عالم الواقع والمعرفة المحتملة لديه ، حول هذا الواقع . فان ما يشاء من حوار حولهما بين المعاصرين من علماء الاجتماع قد بلغ اشدّه وذلك لانهم يحسون بشكل مباشر لتحديد الكيفية التي يمكن عن طريقها ان نحصل على معرفة موضوعية حول الواقع الاجتماعي . ومن ثم اتخذ الحوار حولهما مسالك متعددة ومتباينة ، فمن العلماء من دالّج الموضوعية باعتبارها مقابلة بشكل متعارض مع الذاتية<sup>(١)</sup> ، وذلك لان الموضوعية تقوم على الوقائع التي تقبل الملاحظة الموضوعية للسلوك الظاهر ، في حين ان الذاتية تقوم على الاستبطان ، وذلك ما اشار اليه "جوتار ميردال" بالتعارض القائم بين ماهو فرد وبين ماهو عام ومتكرر . كما اتجه البعض في معالجته لمشكلة الذاتية والموضوعية لعلم الاجتماع لرسم معالم استراتيجية منهجية لتحليل

(1) Diesing, P., Objectivism versus subjectivism, Philosophy of science, 1966, Vol. 33, N. 1-2, p. 124

الموضوعية في علم الاجتماع<sup>(١)</sup>. ليس ان هناك فريقا من المعنيين بمعالجة مشكلات الذاتية والموضوعية في علم الاجتماع يؤكد على ضرورة الاعتبار الذاتية كمدخل معين للنظرية السيولوجية ، وانه ينبغي ان ننظر اليها باعتبارها جزء من المدخل السيولوجي ومتكاملة معه<sup>(٢)</sup>. وقد ترتب على تأكيد البعض على الموضوعية، وكيفية تحقيقها، وتأكيد البعض الآخر على الذاتية واعتبارها جزءا من المدخل السيولوجي مكملا له، ومتساندا معه في اداة الوظيفي . اشارة البعض لفنية المناقشة تلك باعتبار كل من الذاتية والموضوعية طريقا ن مختلفتان للمعالجة النظرية للانسان وتنظيماته الاجتماعية<sup>(٣)</sup> .

وبذلك نجد انفسنا أمام تنوع فكري في معالجة قضيتي الذاتية والموضوعية من ناحية، وتنوع في استخدام الموضوعية، وإشارة قضية المناقشة في المدخل السيولوجي من ناحية أخرى. وذلك ما يدفعنا لمعالجة قضيتي الذاتية والموضوعية بتنسيق اول الجوانب التالية :

- الموضوعية في علم الاجتماع .
- الذاتية في علم الاجتماع .
- النزعة الموضوعية والنزعة الذاتية في المدخل السيولوجي .
- الوضع الراهن لقضية الموضوعية في علم الاجتماع .
- شروط تحقيق الموضوعية في علم الاجتماع .

(1) Hutcheon, Pat Duffy, Sociology and the objectivity problem, Sociology and Social Research, 1970, Vol. 54, N.2. p. 153.

(2) Fenton, C. Stephen, The Myth of Subjectivism as a special Method in Sociology, The Sociology Review, 1968, Vol. 16, N.3. p. 333

(3) Skidmore, op.cit., p. 24.

## أولاً : الموقفية في علم الاجتماع :

تتمثل أبعاد القضية المطروحة حالياً وهي الموقفية في علم الاجتماع ، وإمكانية تحقيقها في دراسة المجتمع البشري وفهم طواغره ، في مدى الاختلاف القائم على مستوى النوع والفرقة اللتين تتعلق بهما الموقفية في النظم المعرفية المختلفة . أما بالنسبة لاختلاف نوع الموقفية لذلك يتعلق بالتساؤل عما إذا كان هناك موقفية في الفكر الفلسفي ، وموقفية في التفكير النظري في علم الاجتماع . أو موقفية على مستوى المعالجة المنهجية في علم الاجتماع أيضاً ؟ وما إذا كانت هذه الأنواع من الموقفية تختلف عن الموقفية الدائمة في العلوم الطبيعية ، أم أن الموقفية قسمة واحدة لا تختلف باختلاف المواد ونوع المعرفة والنظم المعرفية ، وأن اختلافها يتمثل في درجة تحقيقها فقط في أي من مستويات التفكير والعمل العلمي المختلفة ؟ .

وتتمثل بعض الأبعاد الأخرى المرتبطة بقضية الموقفية في أنه إذا ما تأكدنا <sup>من</sup> أن الموقفية في العلوم الطبيعية تختلف في درجتها عن الموقفية في التفكير النظري والمنهجي لعلم الاجتماع ، فهل تدخل الذاتية في التفكير على مستوى العلوم الاجتماعية ، وعلم الاجتماع ، بقدر ما تقتل في مجال العلوم الطبيعية . وإذا ما تعلق غيابها الذاتية بين الذاتية والموقفية استناداً إلى الدرجة التي تتولى بها الموقفية فهل تختلف الموقفية في درجاتها على المستوى المنهجي ، أو المستوى النظري ، بحيث يمكن القول أن الذاتية دائمة على مستوى التفكير النظري في علم الاجتماع ، بدرجة أكثر مما هي عليه بالنسبة للتفكير المنهجي ؟ .

وإذا أصبح ذلك يكون الاختلاف في درجات تحقيق الموقفية مرتبطاً بتفاوتات تداخل العنصر البشري في عملية التفكير ، وتحصيل المعرفة ، بحيث يمكن القول بأن الموقفية في العلوم الطبيعية لا يوجد فيها العنصر الذاتي ، في حين أن وجود



العنصر الذاتي أمراً ممكناً وقادراً في العلوم الاجتماعية عامة، وعلوم الاجتماع خاصة. وإن كان ذلك يتم بدرجات متفاوتة فيما بين التفكير النظري، والتفكير المنهجي .

وإذا كانت المناقشات التي دارت حول درجات الموضوعية الممكنة في علم الاجتماع ، والتي صيغت في مصطلحات والفكر قد تأثرت بالتغير الحادث في طبيعة المعرفة نتيجة لتقدم علوم البيولوجيا والطبيعة ، لذلك مساً ترتب عليه اهدال المفاهيم والحقائق السابقة ، وبالنسبة لتغير موازين الموضوعية ، والتي تؤثر على ادراك الباحث ووعيه بالحقائق التي يحاول قياسها ، وتعطى ملاحظات معنىً جديداً . وذلك ما تتكشف ابعاده من خلال تحليل التراث ومراجعة موازين الموضوعية ، وحدود تحقيقها في مجال علم الاجتماع ، وتحصيله المعرفة ، حول الواقع الاجتماعي ، وصياغة النظريات المفسرة لهذا الواقع . وقد ترتب على اختلال وجهات النظر بالنسبة لدرجات الموضوعية الممكنة في العلوم الاجتماعية ، اشارات بعض علماء الاجتماع لبعض التساؤلات المتعلقة بمدى validity وواضحة العديد من البحوث التي انجزت . ونفذت هذه الأيام ، في اطار نهجهم الفكري ، وتمت اشرافهم وتوجيهاتهم .

وإذا كان البعض قد أعترض على امكان تحقيق الموضوعية في العلوم الانسانية ، لوجود الانسان كطرف ومتغير في عملية البحث ، الامر الذي يجعله ان حداثته ، واحتى مسؤوليته الاخلاقية تجاه الموضوعية مسألة صعبة ، فان البعض الآخر يرى أن الموضوعية التي نعتبها ليس لها مكان في العلوم الاجتماعية ، نظراً لان مثاليتها المعرفة الواقعية ، او المعرفة الحقيقية ، غير قابلة للتحقيق . وذلك لان الإرادة ، والقوة ، والنجاح السياسي ، هي كل ما في الامر ، بما فيها من احكام قيمية واضحة . ومن ثم تكون الموضوعية غير ممكنة ، وبالنسبة لا يمكن ان يوجد علم يتنبأ حول الانسان .

وقبل ان نناقش هذه المسألة علينا ان نحدد موقفنا من وجهتي نظر اساسيتين؛  
تتعلق احدهما بلغية المعرفة العلمية وامكان ادخالها في تفكيرنا الاجتماعي،  
وتتعلق ثانيهما بمدى لاشدة الموضوعية، كما حددها الوضعيون Positivists ،  
والحدسيون Intuitionists ، رغم تعصبهم في فهم الموضوعية <sup>(١)</sup> .

وبالطبع لا يمكننا ايجاد اجابات سريعة ومباشرة حول هذه الاسئلة . ومن ثم  
يكون من الافضل ان نبدأ بمحاولة تحديد ما نعنيه بمصطلح الموضوعية ، على المستوى  
العلمي ، ومستوى اللغة الدارجة .

وذلك لانه رغم تكرار استخدام المصطلح بالتبادل حتى من المدرسين ،  
فان الخلط بينهما غير مجاز ، ونحن بعدد معالجة قضية الموضوعية وتحديد معناها  
وموازينها ويمثل المعنى الاول للموضوعية على المفهوم الفلسفي التقليدي الذي يتضمن  
امكان وجود الحقائق الواقعية ، او المعرفة الخارجية ، المستقلة عن العقل  
الانساني . اي قلل الملاحظ . وطبقا لهذا الرأي المتعلق بموضوعية المعرفة ،  
فان هذه المعرفة قد توجد باعتبارها حقائق اجتماعية ، وتاريخية ، ومن ثم يمكن  
للباحث ان يكشف عنها بواسطة البحث العلمي <sup>(٢)</sup> .

اما المفهوم الثاني للموضوعية - فيتحدد بصورة عامة بواسطة الدور الذي  
يلعبه حضور اوقاياب التحيز ، والتعصب من جانب الملاحظ . عندما يقوم بعملية  
الاختبار ، والتوثيق ، وتاويل الوقائع .

وقد تكاثرت الجدل حول هذين المفهومين للموضوعية ، وخاصة بين وجهتي النظر  
المتعارفتين حول طبيعة ودرجة الموضوعية الممكنة في العلوم الاجتماعية إذ ذهب  
كثير من هؤلاء المعلم الوضعيين في تناوله للموضوعية مبتداً بتعريف المعرفة  
الموضوعية بالمعنى الاول من المعنيين السابقين ، مؤكداً على اهمية ، وغرورة  
استخدام التكنيكات والاجراءات الكمية التي تستخدمها العلوم الطبيعية في

(1) Hutcheon, Pat Buffy, op.cit., p. 154

(2) Hutcheon, Ibid., p. 155

تحصيل معرفتنا حول الواقع الاجتماعي . وبالنسبة لمشايخي هذا الواسع  
لا يكون الحداد الاخلاقي من جانب الباحث ممكنا فحسابه انه ملزما اذا ما اريد  
تحقيق الموضوعية من وجهة نظر المعتنقين لموقف الحراد .

اما الفريق الثاني وفيهم الآن العديد من المفكرين المحدثين فمن لهم  
ميول وجودية . فبيداً من وضع مختلف تماما يتعلق بفرضيات فلسفية Assumptions  
تهتم بطبيعة المعرفة . وهم يمتصرونها كذاتية ، بالاعتماد على كيفية تعامل  
مثل الفرد الملاحظ مع الاشياء التي تواجهه .

وقد ذهب بعض المثاليين Idealists المتطرفون في الماضي أبعد من ذلك  
للوصول الى ان المعرفة ليست حول الحقيقة فحسابه هي الحقيقة ذاتها .  
فليس للمعرفة وجودا منفصلا عن المورة التي يكونها عنها عقل الإنسان .  
وبالنسبة لاولئك الذين يميلون لوجهة النظر الذاتية اليوم فانهم يرفضون  
ما اصطلح عليه بالنزعة العلمية Scientism ، لانها في احسن صورها  
غير ناضجة Naive وفي اسوأها ميكانيكية Machivellian متممة بالمعكس  
والبداهة . وهم يرفضون لاس الفلسفة للموضوعية ، ينكرون اي احتمال  
للموضوعية في سياق اجراءات الباحثين العلمية . وبذلك يذهبون الى انه  
لا فائدة من الحديث حول التحديد والقبض وعدم التجهيز من جانب الملاحظين  
ويرى ان الفهم الحديس الوجداني للأفعال البشرية في المواقف الاجتماعية  
العملية ، سوف يكشف لنا من جوهر Essence الحقيقة الاجتماعية . ولكن  
كما اعتدت جميع وجهات النظر على اهمية قيم الملاحظين نجد ان أصحاب  
النزعة الذاتية يرون ان اي واحد منهم لا يمكن ان يكون مصدرا للتعميمات  
المحيطة من السلوك الانساني .

وبالإضافة لذلك فإنهم يرون انه كما تكمن الحقيقة المطلقة في العقل  
فمثل<sup>٢</sup> فإن مشكلة الموضوعية تكمن في انسجام وتوافق الأفكار والتي تفهم  
بمعنى المماس غير البديهية) وبالمظاهر التي تواجه الشخص من خلال حواسه .

وبالنسبة لبعض الواقعيين في الجانب الآخر نجد ان ما يتعلمه اهتمامهم  
هو الحقيقة والمعرفة المطلقة للطبيعة، والتي تنتشر الاكتشاف بواسطة  
ملاحظ خارجي . لا يحدو ان يكون ارتباطه بها مجرد مكتشف لمنطق لا تزال  
مجهولة<sup>(١)</sup> .

والواقع ان كلا الطرفين يواجه بمعوقات مهمة في فهمه للموضوعية. وذلك  
بسبب مداخلهم، وتصوراته العتيقة، والمطلقة حول طبيعة الانسان ، والصداق  
( اي الشخص الملاحظ او الدائم بالمعرفة - روالمدخل العلمي لتحصيل المعرفة .

ومن الجائز ايضا ان تكون مداخلهم وتصوراتهم تلك، قد اردت بهم لاوضاع  
غير مشرفة . اذ ان اتباع ادبياتهم المنطقية قد جعلهم يرفضون التطبيق النسبي  
للكائن لتحصيل المعرفة حول الشئون البشرية .

وفي ضوء التقدم الحديث لمعلوم البيولوجيا والطبعية، هل يظل الاعتقاد  
بان الموضوعية ممكنة فقط عند الدرجة التي يمكننا بها تنظيم عناصر  
المفهوم بالعدد، ومطابقة Match ذلك بما انتظم ورشح على مر الالهام/كجوهري  
كائن لما هو خارجي ، لنرى ما اذا كنا قد خلقنا التوافق مع الحقيقة الموضوعية؟

وبالتأكيد لن نحمل على شمار طبيعة شأنا في ذلك شأن وجهة النظر الذاتية ،  
التي ترى ان المعرفة ذاتية في كليتها . لان كل عقل انساني يتمتع بالعريضة  
من وجهة النظر تلك لا يدوان يتحكم في ترجمته للحقيقة، أيا كان مصدر هذه  
الترجمة، صملا في الاحلام، او التخيل، او خبرة البقعة ..... الخ .

(1) Hutcheon, op.cit., p. 156

وبهذا كانت مفيدة ام لا . فان وجهات النظر تلك حول الموضوعية ، امارت لى حاجة الى جهد كبير منا للوصول الى درجة من التحديد حول كيفية معالجتها ، على نحو يسهل معه تطبيقها فى علم الاجتماع .

والواقع ان اصدار وجهتى النظر تلك يعرون على ادخال بعض العناصر الفلسفية وغير المادية بين القوائم بالمعرفة وبين البنية التى يعكس لمعرفتها ، وإذا ما استبعدنا هذه الاساطير النظرية الموروثة من المدارس ، تصبح الموضوعية اساسية فى البناء المعرفى ويتميز بسيط فى تدور حول العلاقة بين عملية تحصيل المعرفة او بين نظام المعرفة وبين الواقع الخارجى الذى نحاول معرفته . والمعضلة الاساسية هنا تتمثل فى ان الانسان عنصر وجزء من الموضوع الذى يدرسه ، سواء كان هذا الموضوع اشياء تحدث فى المجتمع او يتعلق بتكوين المصنوع ..... الخ .

ولكن اذا دار بيننا الادعاء باننا نعمل كبنية للمعرفة Knowledge Builders اكثر من كوننا علماء لاهوت ، علينا ان نواجه المشكلة بامانة ، والا نتمسك فى تجنبها ، والتمسك بمحور مطلق مثل " العقل " او الافكار ، تلك الصور التى ليس لها اساس مادى ، والتى تحصرنا فى معادول مطلقه مشتقة من فرغيات غير مختبرة<sup>(١)</sup> .

ومع ذلك فنحن الآن امام ثلاثة نتائج بكل تعلقاتها ومعوماتها التى تجعلها . طالما قبلنا هذا المدخل الجرى الجديد والضرورى بالنسبة لمشكلة الموضوعية . فقد ثبت ان النظرين قد فشلوا تماما فى تحقيق الغاية الحلقمة لهذه المشكلة . وهذه النتائج التى يمكن استخلاصها من الحوار السابق على النحو التالى :

---

(1) HUTCHEON, op.cit., p. 156

- النتيجة الاولى تمثلت في المشكلة القديمة التي حاول المثاليون ، والوجوديون ان يجدوا لها حلا بالرجوع الى الذاتية ، وتهتم بمدخل الباحث وتصوره وتنظيمه للموضوع الذي يفتنه اوله . وبالاختصار تمثلت في الاطار المرجعي للباحث او تأثير وجهة نظره على المعرفة التي يحصلها .

- اما النتيجة الثانية : فتتمثل في التداخل الحادث بين المصادر او اللغات بتحصيل المعرفة ، وبين الموضوع الذي يسعى لدراسته ، وتحصيل المعرفة حوله . فالباحث لا يدرس شيئا ليعتبره هو جدير بالدراسة والاختبار ، كما ان نداهج البحث تختلف باختلاف المشكلة المبحوثة ، ومصدر الاستنباط ، وشخصية الباحث ومركزه . والواقع ان قضية الصدق هي نفس الشيء بالنسبة للعلوم الطبيعية ، والعلوم الاجتماعية ، الا ان المشكلة تكمن اساسا في مدى توفر درجة الموضوعية . فاذا كانت المشكلة مطلوبة بالنسبة للعلوم الطبيعية ، الا ان الحال يختلف في العلوم الاجتماعية . وذلك لدخول الباحث طرفا في المشكلة باعتباره جزءا او متغيرا هاما في هذا العالم المادي ، الذي يسعى لمعرفة ، ولكونه اكثر واقعية من الموضوع الذي يدرسه .

- اما الجانب الثالث لمشكلة الموضوعية فتتمثل في اخلا نواحي يعنونه اكبر تتمثل في التأثير المترتب على المعرفة ، التي حصلنا عليها اثناء البحث . وهذا الوضع يقتضي منا ان نوفر درجة عالية من الموضوعية في المعرفة المتحصلة من طريق البحث نظرا لما لها من تأثير بالغ على جوانب الحياة العقلية . وبذلك تزداد اهمية الموضوعية في هذه الحالة .

اما اذا كان المقصود من المعرفة بالحقيقة الاجتماعية مجرد تحسين العدسات التي تستطيع الرؤية بمويرة افضل لما هو كاشف - الخارج . وبحيث تكون مرتبة ترتيبا جيدا ، فان موضوعنا هذا تكون أقل خطرا وفرا .

والواقع ان الظروف الحالية التي يمر بها تاريخ البشرية تؤكد على مدى تأثير معرفتنا على عملية بحثنا من الحقيقة . كما انها تحدد نظرتنا للامور وتلويحنا لها . والاهم من ذلك كله ان معرفتنا تحدد شكل المستقبل الذي ينتظرنا وتوطيننا له . ولذا فهي تلعب دورا واما في توجيه سلوكنا، وتحديد مساره نحو المستقبل الذي نتوقعه .

وعند هذه النقطة علينا ان نراجع انفسنا، والا نقتصر على مجرد التعرف على المشكلة . فان ذلك لا يعني بالضرورة توليف القدرة العلمية لحل مشكلة الموضوعية في العلوم الاجتماعية، والدليل على ذلك ان وجهات النظر المختلفة حول الموضوعية قد وجدت منذ ازمان بعيدة سبق بعدها نشأة علم الاجتماع . كما ان تناول مشكلة الموضوعية في علم الاجتماع ظهرت بوضوح منذ الاطباء علم الاجتماع الكلاسيكي . وشالت من الحوار ما لا يقل عن اهم القضايا واخطرها في علم الاجتماع . ومع ذلك لا تزال المشكلة قائمة حتى يومنا هذا . وقبل ان نطرح وجهة نظر معينة في الكيفية التي يمكن ان نحقق بها درجة عالية من الموضوعية في علم الاجتماع يجب ان نتناول قضية الذاتية بهدف تحديد بعض القضايا التي اثيرت حولها ، حتى نتمكن وضع الموضوعية في مقادير الذاتية ، وما اذا كانت في حالتها استكمال بوتغمين ام ان في الامكان لاى منهما ان يتقلب الاخر ، وبالتالي ماهي الاسس والشروط العلمية التي نستند اليها لتوليف قدر من الموضوعية في العلوم الاجتماعية .

ثانيا : مشكلة الذاتية في علم الاجتماع :

ان دراسة مشكلة الذاتية هنا لا تعني ان هناك مدرسة معينة قائمة بذاتها، او انها مدخل خاص للمطرية السيولوجية وانما ستناولها باعتبارها جزءا متكاملا مع المدخل النظري . والواقع ان لمثل هذه النظرة لفكرة الذاتية

تاريخها الطويل في علم الاجتماع ، إذ يمكن تلخيص ذلك عند كل من " دلتاي " و " ماكس فيبر " و " توماس " ، و " مانهايم " ، وغيرهم من السبولوجيين ، والواقع أن أحد مظاهر وجهة النظر الذاتية يتمثل في الاعتراض بحتم الوعى *consciousness* في الإنسان بمسوره المختلفة سواء كان وعيا متظفيا او اجتماعيا او تلخيصا لدرجة ان النظرية السبولوجية تواجه نفسها مباشرة بفكرة ان الإنسان يعي العالم الذي يعيش فيه ، ويصنع معاني وأغراض اعماله - ومن ثم عرضت النظرية لوجهة النظر الذاتية بشكل واضح ومباشر ، وإذا كان " فيلهلم دلتاي " قد ذهب الى ان مهمة علم الاجتماع تبدو في البحث عن المعاني المرتبطة بالظواهر الاجتماعية ، والمصور الكلية التي توضع معنى الفعل والثلاثة "فان" دلتاي بذلك يؤكد على الجانب الذاتي/أى على التسليم الذاتي باعتباره اسلوبا من أساليب الفهم. والواقع ان ما دلح " دلتاي " للتأكيد على قضية الفهم والوسى الداخلى هو اعتقاده بأن المنهج العلمى ،والذى يتمثل في البحث عن القوانين العامة ليست له أهمية، لأن تلك القوانين ليست بذات أهمية في العلوم الاجتماعية من وجهة نظره .

كما أن " ماكس فيبر " قد تعرف على حقيقة الوعى الذاتى في الأفراد كما تعرف عليه " دوركايم " من قبله. أيضا - ثم جاء " كارل مانهايم " من بعده ليؤكد لفكرة الحقيقة المطلقة، نظرا لاعتقاده في وجود اناس عارفين للعادة وهم الذين يقطعون عن انفسهم عقبات ما فيهم، ويتولقون للحرية الموجودة في بعض المعانيس المطلقة، مثل الخير والحق .

ورغم ان كل من هؤلاء قد كشف عن الجانب الذاتى في النظرية السبولوجية إلا أنهم جميعا قد انشوا بتقنية الموضوعية ورسخوا لها الحدود. وقدم كل منهم اسهاما معينا يحاول من خلاله تحقيق المعرفة العلمية بالاستناد الى



بعض الشروط الموضوعية . لكي لا تكون المعرفة ذاتية خالصة وبصورة  
تبعدها من الواقع الفعلي .

ثالثا : النزعة الموضوعية والنزعة الذاتية في المدخل السيولوجي :

شمة سبب وجيه لان نبحث عن امكانية توفير الموضوعية في تقديم صياغة  
تفسيرية حول السلوك البشري . والامور الموضوعية ببساطة هي الامور التي يمكن  
قياسها ، وحسابها ، وملاحظتها واقامة الرابطة فيما بينها . وهذا يعد  
تقدما لعالم الاجتماع الذي يرغب في توفير امكانية العمل الاستبصارى لنظرياته ،  
واستخدامها في ملاحظة الواقع التي صاغ نظرياته من اجلها .

ولنقل مع البعض انه لا بد من الموضوعية لتوفير المعرفة العلمية حول السلوك  
البشري . ثم نعود للتساؤل: اذا كنا لانعرف شيئا من السلوك البشري ، فهل  
يمكننا ان نعرف شيئا منه باعتباره شيئا مجردا ؟ واذا كان ما يلعله الناس  
يعتمد الى حد كبير على حياتهم العقلية او اتجاهاتهم ، فهل لاتوجد هذه الاشياء  
اي العقل والاتجاه ؟ واذا ما وجدت فكيف نقيسها ؟

والواقع ان هناك العديد من الدراسات التي حاولت ان تقيس الاتجاه لكندا ان  
هناك العديد من الدراسات التي حاولت ان تقيس الجانب الذاتي للسلوك بالتركيز  
على الجوانب الموضوعية للعمل . ومع ذلك لم يكن هناك اتجاهات معينة لدينا  
ثم نأتى بالفصل ثلثها لاعتبارات معينة لا يعلمها الا الداعلون انفسهم ؟ واذا  
كان كذلك فما هي درجة الحق المتوفرة في قياسنا للجوانب الذاتية ؟ وبماذا  
نفسر ذلك الواقع المتناقض ؟ ان الخبرة الذاتية وحدها هي القادرة على تفسير  
هذا التناقض بين الاتجاه والفعل ، اما المنهج الموضوعي فلا يمكنه ان يقدم لنا  
تفسيرا مؤكدا لهذا التناقض (١) .

(1) Skidmore, op.cit., p. 26g

ولنقول مثالا آخر لما يمكن ان يعتبر حقائق فعلية وملموسة : يمكننا ان نأخذ احداً الوفيات وببباضات الهجرة Immigration ونرى لها صورة احصائية لتوزيع الامدار ، والنوع ( الجنس :ذكور :إناث ) وتوزيع المهن وحركة الناس من مكان الى اخر . وهذه الامور جميعها على المستوى الوصفى Descriptive ولكن عندما نطرح السؤال النظرى التالى : لماذا تأخذ هذه الاشياء الموقوعية هذا الاتجاه بعينه ، ولماذا اتجاهاً آخر ؟ فان المنظور الموقوعى لا يمكنه ان يذهب بنا أبعد من ذلك الوصف الذى قدمه . اذ ان هذا السؤال وغيره من الاسئلة المتعلقة بالارادة والاختيار ، والاعتقاد والقيم ، وما الى ذلك من اسئلة وكلها تخرج من دائرة الاشياء الموقوعية البحتة ( المعرفة ) . وهى على مستوى الاهمية التى عليها الاشياء الموقوعية فى فهم الدوافع البشرية والقوى التى تعمل وراءها .

ولهذا استعد الجانب الذى تسمى قوته ، واكتب الموقع الذى احتله فى علم الاجتماع ، وشغل اهتمام العلماء . حيث دارت مناقشاتهم اساساً حول السلوك الاجتماعى ، والذى علينا ان نلهمه قبل كل شيء فى سياق مصطلحاته البشرية . ولذلك من المليد ان تبدأ بالمعرفة حول ما نعتيه بالجانب البشرى Humanity وابعاده واحتمالاته . ثم نحاول ان نشرح هذا الجانب البشرى فى سياق ومصطلحات موقوعية . اما عن الذاتية فانها تبدأ بمفهوم الارادة وببباضاته الاولى على نحو المثل " فريدياند تونيز " فى نظريته عن اشكال التنظيمات الاجتماعية المتركزة مباشرة على اشكال الارادة تلك . او نشبع ماكس فيبر . فنحن نرى فى فهم انواع التنظيمات الاجتماعية من حيث خصائصها ومشروعيته فى انواع معينة من الترتيبات الاجتماعية . ولماذا يكون نوع ما منها مقبولا لدى الناس بصورة اكثر من غيره ؟ .

وينسب منذ البداية مع البعير، يوجد خطأ ١. في وجهة النظر الذاتية،  
اذ ان الاشخاص الذين يهتمون بدراسة التنظيمات الاجتماعية يسمون لهمها  
في سياقات تتعلق بمدى قابلية تلك التنظيمات لتطبيق الجانب الانساني  
اي لكي تكون انسانية . ولكن على نحو مبالغ فيه من وجهة النظر الموضوعية  
فلا توجد طريقة مبدئية للتحقق من الفرضيات التي صيغت حول المجتمع البشري  
والانسان في السياقات الذاتية . في حين ان التحقق verification  
يعتمد على تناول الجانب المادي الخارجي الذي يكون عادلا الى حد ما .  
وإذا كننا نجد ان جوهر النزعة الذاتية هو صياغة تصورية للبرية الداخلية)  
التي يمكن تعيين وجودها بوضوح للآخرين فون ان نستطيع البرهنة عليها  
كشئ واقعي يمكن للباحث التحكم فيه واخضاعه للقياس .

والا ما تعيل النظرية الذاتية لان تأخذ طابع النمط المثالي كما أن  
النظريات ذاتها يجب ان تؤخذ كمباراة شرطية . بمعنى ان نقول انه الى الحد  
الذي تكون فيه خبرة الانسان حول حاله في ملاحظات ذاتية (وذلك مثل النظرية)،  
لان بعض النتائج يمكن توقعها .

وبعبارة اخرى انه بمدى ما يميز الانسان خبرته في ملاحظات ذاتية كالنظريات  
يمكن ان تتوقع نتائج معينة . وفي ذلك يمكن ان تأخذ النموذج المثالي  
للبيرورراطية لداكس فيبر كمثال لذلك . فقد اهتم داكس فيبر بفهم  
البيرورراطية Bureaucracy كشكل المنظم الاجتماعي . وقد وجد ان البيرورراطية  
خاصة هذه والتي تساعد على تعريه البيرورراطية . ومن ثم فقد صاغ نموذجاً  
مثالياً وهو بناء عقلي / يحدد البيرورراطية طبقاً لهذه الصفات الاساسية (١) .  
وقد استنتج داكس فيبر ان استخدام النموذج المثالي يلائم حالات خاصة من  
التنظيم الاجتماعي . وذهب الرائد لانداول اختبار النموذج المثالي بمعنى اننا  
لاندالو التحقق من النظرية، وبدلاً من ذلك فستقدمه كمرشد لاكتشاف شيء ما حقيقي في  
حالة خاصة والنموذج المثالي هذا يقوم على متغير ذاتي ويتطور من خلال

(1) Weber, Max, Theory of social and economic organization Ch.3 Part.1.

المؤلف وغير قابل للتحقق ، غير انه مفيد وشائع . وفي ضوء ذلك يتأكد بوضوح  
تمام ان عدم دأخذته لا تكمن في خطأ او صحتة ولكن في عدمه ما يفسر غير على  
وصف خبرته بطريقة مكتملة في معناها بالنسبة لنا .

والواقع ان النموذج المثالي ليس فرعا ولكنه يتضمن في بذاته فرعا معينا  
او عدة فروع . وإذا كنا نضيفها للاسترشاد بها في تناول شريحة اجتماعية  
معينة من الواقع لنتحقق ونسوح الرقيا بإيجاد هذه الشريحة ونصاها  
فان توفر هذه الخصائص في تلك الشريحة على نحو ما تلخصه النموذج لست  
يجعلنا نرفع من مستوى الظروف لنضعها للقياس والتحقيق . وحتى مجرد تكرار  
التطابق بين خصائص النموذج والخصائص التي يتناولها يشير لدرجة ما من  
التحقق والبرهان على صحة هذا النموذج وسواء كانت الصياغة الذاتية للنظرية  
على مستوى الاسترشاد بها او القياس والتحقيق منها فقد بات ضروريا ان نراعي في  
جميع الاعمال المتعلقة بالنظرية الاجتماعية ان نضع في اعتبارنا جانبي ذاتية  
والموضوعية (١) .

وعند هذا الحد نجد أنفسنا امام شفافية قائمة في علم الاجتماع ما من وعلى  
المستوى النظري خاصة . وربما امتد البعض لذلك عندما ذهبوا الى ان علم  
الاجتماع لا تتوفر له درجة من الموضوعية ترقى به لعماد العلوم البيولوجية  
والطبيعية . وذلك طالما ان الموضوعية في العلوم الاخيرة تعتمد على قابلية  
الفرض للقياس والتحقيق .

والرد على ذلك ببساطة هو اننا لم ننكر على علم الاجتماع موضوعية ولم  
نسلبه أياداه وانما ما اردناه هو ايجاد الكيفية التي تتدخل بها الحواش  
الذاتية مع الجوانب الموضوعية في علم الاجتماع وعلى المستوى النظري بوجه

خاص .

(1) Skidmore, op.cit., p. 27

و قد وقع لنا ان قدرة العالم على ترجمة الخبرة الذاتية ترجمة صادقة ، تجعل النظرية اكثر تساقطاً مع طبيعة الواقع المدروس في فونها ، وذلك بدوره يعني ان الخبرة الذاتية اذا ما تولدت لصاحبها المعرفة والولوج امكنه ترجمتها أو صياغتها بصورة تجعلها اكثر قابلية للتعلق ، هذا فضلاً عن كون الخبرة الذاتية تلك في الاصل محصلة لتفاعل الاشخاص مع الواقع الذي تراكت حوله المعرفة ، وبذلك فالمشكلة لا تكمن في طبيعة الجانب الذاتي بقدر ما تكمن في قدرة الشخص على صياغة تلك المعرفة صياغة صادقة تعكس كل ملامحاتها وظروف ارتباطها بالواقع ، وذلك لكي ترقى المعرفة للمستوى الذي يلزمها من التحقق ويمكننا من اخذها للقاياس .

رابعا : الوضع الراهن لفكرة المفوضية في علم الاجتماع :

ان المشكلة الاساسية التي تولدت عنها صور الخلاف بين العلماء حول فكرة المفوضية في العلوم الاجتماعية بحاجة وعلم الاجتماع بحاجة لتشكّل فلسفي المحل الاول : في تعدد وجهات النظر والتي صاحبها تعدد النظريات في علم الاجتماع . وما تتخمنه كل من تلك النظريات من احكام قيمية مختلفة من بعضها البعض . ومع ان تعدد النظريات كانت مرحلة ضرورية وهامة في تاريخ علم الاجتماع ونظرا لما لهذا التعدد من اهمية في التعرف على بعض مظاهر العلم / الا ان التعدد في وجهات النظر قد خلف اشرا معيّنا تمثل في تردد البعض في اتخاذ مواقف محددة من فكرة المفوضية في علم الاجتماع ، على نحو ما هو حادث في العلوم الطبيعية . وذلك يرجع الى ان اى من وجهات النظر المتعددة لم يتوفر لها العلاية الكافية لتغطية كافة الاحتمالات الممكنة في عملية التفسير ، ومن ثم اعند هذا القصور لجوانب معينة تمثلت في تأكيد البعض على طغيان النزعة الذاتية على النزعة

المفوضية في العلوم الاجتماعية . وتؤكد البعض الآخر على الطبيعة المعادية ،  
والخيز ، والتأثر بالخطية الثقافية ، والانتماء الفكرى - وعلاوة على ذلك  
كله تدرج البعض بقصور بعض النظريات في تقديم تفسير علمى للواقع ، وذهب الى  
ان علوم قديمة النظرية للقياس والتحقق شرط لتحقيق المفوضية في التفسير ،  
واستنادا الى ذلك ذهب الى ان بعض القضاة التى تقوم عليها بعض النظريات  
الاجتماعية يعمم اخذها للقياس والتحقق لطيفان الجانب الذاتى عليها ، ومن ثم  
راى ان المفوضية القائمة في العلوم الطبيعية والبيولوجية لا يمكن تحقيقها  
بنفس المستوى في العلوم الاجتماعية -

ورغم تلك الآثار المتعلقة بإمكان تحقيق المفوضية نتيجة لتعدد النظريات ،  
وتأخر القطع برأى معين حيال قضية المفوضية ، وإقامة البرهان عليها - الا ان  
ذلك بدوره قد ساعد على كشف القضية الهامة في التفكير النظرى ، والتى أصبحت  
تخرج نفسها بالحاج . واتخذت حيالها خطوات إيجابية ، وذات قيمة علمية لآساس  
بها . وهى التى تتمثل في افتقار علم الاجتماع لنظرية عامة . يكون لها دلالة  
في الوقت الحالى<sup>(١)</sup> ويمكن من طريقها تناول أكثر جوانب الواقع اختلافات وتقوم  
على قضاة محددة يمكن اخذها للقياس والتحقق لتحديد مدى قدرتها على السبر  
الصحيح بالأحداث والسلوك والمواقف المترتبة عليها . وذلك لأنها اذا لم تستطع  
ان تقوم بوضع فروغنا النظرية في موقع الاختبار والقياس مستقلة عن البيئات  
التي تفسرها - لا يمكننا ان ندعى ان تلك الظروف تتمتع بأدنى درجة من الصدق  
العلمى .

وإذا كانت النزعة الذاتية تلعب دورا على مستوى صياغة النظريات الاسترشادية ،  
والتي تتأثر بقدرة المالم على صياغة خبراته الذاتية في بناء نظري معين -

(١) Rex, John, Key, Problems of Sociological Theory, London: Routledge &  
Kegan Paul, 197. Ch.1

انظر أيضا الترجمة العربية لهذا المرجع دكتور محمد الجوهري وآخرون ، مكتب  
في السبرية البيولوجية ، الاسكندرية . دار المعارف . ١٩٧٢ م ٦٤

تتعدد ملاحظته لنقل هذه الخبرة بمعرفة العالم: ر. ت. على الملاحظة الدقيقة .  
فإن ذلك يكون على مستوى التعدد النظري الذي يسهل الملاحظة النظرية العامة  
التي تتناول أكثر جوانب الواقع اختلافا وتنوعا . والتي تقوم على المبادئ  
معددة قابلة للقياس والتحقيق . الذي يرفع كدائرتها العلمية في التنبيه  
حول الواقع الاجتماعي، وصور السلوك والأحداث الجارية بداخله . واحتمالات حدوثها  
وقد مهد ذلك لتنشيط المحاولات الإيجابية لملاحظة النظرية العامة .  
والتي بدأت بالمحاولات التأليفية والتاريخية التي قام بها ليف من علماء  
الاجتماع أمثال «لشولس» و«فان دن برج» . والفيلسوف جولدر وغيرهم  
من علماء الاجتماع .

ويبدو أن نطق بالراي حول ملاحظة هذه النظريات أن اتخاذ مثل هذا  
القرار يسهل محاولة إيجابية لأخضاع مثل تلك المحاولات النظرية للقياس  
والتحقق والاختبار وللتأكد من الكفاية العلمية التي تتمتع بها المقادير  
فهي عملية التفسير - نعود لنؤكد أن مثل تلك المحاولات رغم أنها تدمم الاتجاه  
نحو النظرية العامة في علم الاجتماع/ تلك النظرية التي تتوفر فيها كل شروط  
الموضوعية، إلا أنها لا تنفي إمكانية تحقيق قدر من الموضوعية بين النظريات  
المتعددة وذلك لأن المقادير التي تتناولها تلك النظريات تدخل في ملاحظة النظرية  
العامة أو بالتالي لابد أن تمر بمرحلة من القياس ، ولتحقق الأولى لتأكيد  
ملاحظتها (التنبؤية) والدرستها على التفسير الخارجي - أما القياس والاختبار  
الذي نعنيه (على مستوى النظرية العامة) لتلك المقادير ، فهتعلق بالتحقق  
من اتساقها الداخلي في البناء النظري العام من ناحية والتحقق من كدائرتها  
الشمولية والدرستها على تقديم التفسير العلمي. وهي على هذا النحو من الملاحظة  
الجديدة من ناحية أخرى .

وإذا كانت الموقفية في العلوم الطبيعية والبيولوجية بقدر ما ترتبط بإمكانية القياس والاختبار للقوانين العلمية، تتأثر أيضا بالوسائل الخفية والإجراءات المنهجية لمعالجة الواقع المادي وتفسيره في أن الموقفية في علم الاجتماع تعتمد أيضا بالإضافة إلى إمكانية علوم القياس، النظرية السبولوجية العامة للقياس والاختبار، بالتكنيكات المنهجية والإجراءات المنهجية، التي يستعين بها الباحث في تناول الواقع وتقديم تفسيرات علمية في ضوء تلك النظرية العامة.

ومن ثم ولعل أن تتناول شروط تحقيق الموقفية في النظرية السبولوجية، لرفع كفايتها في تناول الواقع، وتقديم التفسير العلمي للأحداث والفاعل الاجتماعي، والتنبؤ باحتمالات المستقبل لمجر الأحداث الاجتماعية والطوك البشرية، وتتناول موقد بعض العلماء من قضية تحقيق الموقفية في علم الاجتماع .

لقد نص الوهميون في علم الاجتماع وخصوصا أوجست كوستنزيوركايم لتأكيد شيعة الظاهرة الاجتماعية، شأنها في ذلك شأن بقية الظواهر الطبيعية. وهما يذهبان إلى أنه بتطبيق الإجراءات المنهجية العلمية في دراسة الظواهر تطبيقا صحيحا، يمكن دراسة الحياة الاجتماعية، ونظمها، دراسة موضوعية. وقد كان لرأي الوهميين هذا ردود فعل من بعض علماء الاجتماع، ولقد صدرت ردود الفعل هذه من حركة فكرية تفرق بين الظواهر الاجتماعية، والظواهر الطبيعية. ويعتبر أولهم دلتاي (Wilhelm Dilthey ١٨٣٣ - ١٩١١) أول من تصدى لاتجاه الباحثين في العلوم

الاجتماعية في أوروبا في الفترة ما بين ١٨٨٠ - ١٩٩٠، والذين يؤكدون أن تقدم العلوم الاجتماعية مرهون بتقريب مظاهرها من مناهج العلوم الطبيعية، التي نجحت نجاحا كبيرا في تحقيق درجة عالية من الموضوعية. وقد نشر دلتاي سنة ١٨٨٣ أي في غضون فترة التفكير الإيجاس في علم الاجتماع كتابه بعنوان: (مدخل للعلوم الإنسانية)، يفرق فيه بين العلوم الطبيعية، والعلوم الانسانية. حيث أكد



ان معرفة الامور الانسانية تقوم على الفهم لأملى التفسير فى حين انها اى المعرفة فى العلوم الطبيعية تقوم على التفسير لأملى الفهم، ولتأتى هذا يؤكد ان عناصر المفهوم فى العلوم الطبيعية تأتيها من الخارج ومن طريق الحواس ، وبذلك يؤكد على ان منهج المعرفة الذى يناسب العلوم الطبيعية هو التجريد والتعليق . ولهذا يتم التفسير فى العلوم الطبيعية بالاعتماد على الاسباب والتصورات المجردة . وهذا هو الشكل الذى تأخذه الموضوعية فى العلوم الطبيعية فى حين ان العلوم الانسانية علوم فكرية وهى على خلاف ذلك حيث نترك موضوعها ونفهمه فوراً قبل ان نتهياً لنا معرفته العلمية. ولتأتى ليرى ان هذا الفهم يتم من طريق العقل والذكاء وحدة، ولكنه يتم من خلال جميع قوى النفس الانفعالية ايضاً . وبذلك يمكن الفهم مقترناً بميل او شعور ، حب أو بغى .

وتفرقة هذا تستند الى قضية اساسية تتعلق بان طواهر الطبيعة غريبة هناسا . ولذا لان ادراكها يتم من طريق المعرفة العلمية . فى حين ان الامور الانسانية ذاتية، وتفرقها من الباطن. ولذا فالانسان وعناصر المجتمع عنده من نمط واحد . وعندما ان الانسان يعيش حياته الداخلية ويدرك نفسه من الباطن، فإنه يستطيع ان يتصور حياة الآخرين الداخلية ، وان يفهم حياة المجتمع من الباطن، لانه يشهد شبه الطواهر الحية فى نفسه، وفى نطاق التجارب الناهضة يمارس الانسان مثلهما فى حياته الداخلية . وبذلك يعتمد علم الاجتماع على الفهم لأملى التفسير الذى تعتمد عليه العلوم الطبيعية،

ومن ثم ذهب دلتاى الى نحو ما ذهب "ريكتر" Rickert فى المانيا، وكروس Croca فى ايطاليا . الى حد القول بان المعرفة فى العلوم الانسانية تلتصق على الفهم الذاتى، ولذا فهى واقعية فردية فى حين ان المعرفة فى العلوم الطبيعية تقوم على التفسير الذى تعتمد فيه على الاسباب والتصورات المجردة . وبذلك تكون مهمة علم الاجتماع عند دلتاى "تمثلة" فى البحث عن المعانى، والصور الكلية للفعل والثقافة، وفهمهما .

والواقع ان اساليب الفهم عند دلتاي متمايزة عن اساليب العلم . فالفهم اساس عنده لى تكوين المعنى الكامل عند دراسة لغة اجنبية أو دراسة ثقافة اجنبية ، او لفترة تاريخية ، والتي تتكون من خلال تجميع بعض اجزاء الصورة الكلية/ التي توقع له معنى الفعل والثقافة ويورد جون ركنس مثالا يوضح فيه اساليب الفهم عند "دلتاي" الشخص الذى يريد ان يتعلم لغة اجنبية ، فهو لن يستطيع ان يعلم شيئا، ولكن عندما تتعلم له العلاقة بين الاشياء والمواقع ، وتتضح له الرموز اللغوية التى تعبر عن هذه الاشياء والمواقع بصورة تدريجية ، فانه يدرك معنى الكلام ويعبر بفهمها له . وبالمثل عند قيام عالم الاجتماع بدراسة ثقافة اجنبية ، او فترة تاريخية ، فانه يعتمد على الفهم بتجميع اجزاء الصورة الكلية التى توقع له معنى الثقافة والأعمال .

وبذلك يذهب دلتاي الى ان المهارات التى يحتاج اليها عالم التاريخ/ العرب ما تكون الى مهارات الشاعرها لمهارات العالم، وذلك لان المنهج العلمى والتمثيل عنده لى البحث عن القوانين العامة لا اهمية له لى العلوم الاجتماعية/ لان القوانين التى يبحث عنها ليست بذات اهمية لى هذه العلوم .

وقد انتقل علم الاجتماع القاهم على الفهم لا على التفسير الى ماكن فيبر . اذ انه يرى ان علم الاجتماع قريب من علم التاريخ لانه يدرس الحياة الاجتماعية لى حقيقتها الواقعية، ولكنه على خلاف التاريخ يجلنا فهم هذه الحقيقة . ويتم ذلك بايضا عن معاني الاشكال الاجتماعية كما تتمثلها أفعال الأفراد . ورغم ان ماكن فيبر اهتم بعلم اجتماع التفهم الذى اهتم به " دلتاي" الا أن تنساول ماكن فيبر للفهم معارفي مع دلتاي لى موقفين تمثل اتجاه فيبر الاول لى تأكيدده بأن شمة شكلا من أشكال الفهم يمكن ان يقدم باللوب لايتمازى بالضرورة مع مناهج العلم . اما اتجاهه الثانى فيتمثل بان العلوم الاجتماعية لا تنهض بالضرورة

على التفسيرات المجردة لتجاهيه هذا جاء نتيجة لامتداده بان عالم الاجتماع  
مفول من تقديم تفسيرات مناسبة على مستوى المعنى ، ومفول ايضا من تقديم  
تفسيرات علمية مناسبة . - وبذلك يكون على عالم الاجتماع ان يمين التمداد العنصرية  
التي ليست معاني كلية مجردة من الواقع وليست تميزات وسيطة كما يتموزها الاحصائيون  
بل هي مجرد تميزات فكرية حاصلة بجمع بعض الميزات وذلك بعلمها الاخر وتوليد  
بعض الجوانب حتى الوصول الى صور فكرية متداخلة/تشتبه لها بالواقع المختلط .  
وبذلك يبدأ علم الاجتماع عنده بلهم علاقات الاشخاص بفهم ببعض . وليست كل علاقة  
قائمة بين شخصين اجتماعيين علاقة اجتماعية بالضرورة ، ولكن تكون اجتماعية اذا  
ما وجهت توجهها يكون ذا دلالة بالنسبة لسلوك الغير . فليس امتداد ركبتي  
سائقين بسلوك اجتماعي ، ولكن محاولة الخصام بعد الحادثة هو ما نعنيه بالسلوك  
الاجتماعي .

ويمكننا ان نلخص موقف ماكس فيبر الاول الذي يشير الى ان هناك شكلا من  
اشكال الفهم يتم بالسلوب لا يتعارض مع مناهج العلم/بالاستناد الى فكرة التمداد  
العنصرية . وليكن النموذج الرشيد للفعل عنده مدخلنا لهذا التفسير . حيث ان  
المرء يولد بين وسائله تأليفا معقولا لسلوك غاية قد فكر فيها . ويمكننا في  
هذا الوضع ان ننظر لعملية الفهم بانها العملية التي يلجس الشخص بمقتضىها  
فهمه ثم يحاول تفسير اي فعل بارجاعه الى غاية يبتغى الدامل تطبيقها بوسائل  
متروعة . وصيغة هذه الفروفي هنا يتم في صورة ذاتية . وارا فيبر هذا قائمة  
في العمل الاول على فهم الافعال الرشيدة من هذا النوع الذي ذكرناه سبتدا في  
تفسير اي فعل في ضوء هذه المعاني الرشيدة . ثم عليه ان يستمر في صياغة  
انماط تفسيرية اخرى يفسر في ضوءها الانحراف عن هذا النمط الرشيد . وهذا  
الانحراف ما نعنه لتفسير الشذالة بصورة تتجاوز نزعة دلتاي العنصرية في فهم  
الشذالة .

وإذا كان الأمر مبنياً بالنسبة لهذا النوع من الأفعال الرشيقة فإن العدال يختلف ويصعب أكثر تعقيداً بالنسبة للذاتيات التي يحس إليها الفرد، والتي لم يفكر فيها، ولكنه يجد ذات قيمة خاصة مستقلة من إمكان نجاح تلك الذاتيات والتي تكون بهذه الصورة غير رشيقة، فهو إن الشخص يؤلف بهيئة الوسائل التي تؤدي إليها تأليفاً معقولاً - أو أنه يخلق لمواظبه وانفعالاته في ميدانته وتناقله بواسطة العدال التي يعملها أو أن يخلق لسلطان العرف والمعاداة الراسخة الجذور في الحياة الاجتماعية .

ومن هذه النقطة الأخيرة يتحدد موقفه غير الشاؤم من قضية الموضوعية . إذ يرى أنه إذا كان مبدأ الاختبار في العلوم الطبيعية يقرر أن الظواهر المتكررة هي الظواهر الجديرة بالدراسة، فإن مبدأ الاختبار في العلوم الاجتماعية من الضروري أن يكون مبدأ التلازم مع القيمة، بمعنى أننا ندرس الظواهر التي تحقق قيم معينة توجه العدالة .

إن لمعنى الأحداث الثقافية مدارس توجيهها تميزاً لهذه الأحداث وذلك لأن مفهوم الثقافة مفهوم قيم . وبذلك يصير الواقع الأمبريقي عند فهم الثقافة مادتها ترتبط بأفكار قيمة . ومن ثم تتلخص الثقافة جوانب الواقع التي تحتوي على قيم معينة تجعلها ذات معنى بالنسبة لنا وعليه يهتف من الواقع ذلك غير المرتبط بالقيمة والذي ترجح أهميته إلى أنه يهيئ اللشام من علاقتنا به لارتباطها بقيمتها . وبذلك فالمعنى هنا لا يتطابق مع القوانين العامة، لأنه كلما ارتفع مستوى التلخيص قل تطابقه مع المعنى المرتبط بالأحكام القيمية، وبما أنها الفردية .

وهو هنا يبرز نقطة هامة تتعلق بأن وجود أحكام قيمية متصارعة لا ينشئ موضوعية علم الاجتماع . فإذا كانت تفسيراتنا غير كافية على مستوى شق المعنى، فإنها يمكن أن تكون كاملة على مستوى شق العلة... حيث يكون إدراك معنى

الفعل فردا مسبقا يسير بمقتضاه البحث ، فإذا لم توجد داية يمكن الرجوع إليها في عملية التفسير لا يمكن أن تقوم للتفسير داية . وبذلك تجعل علاقة الفعل بالداية منه حقيقة اجتماعية وثقافية وهي التي نرجع اليها العلاقة في عملية التفسير .

وإذا كان فيبر قد ذهب الوجود فروفي ذاتيه إلا أنه يؤكد أهمية وضع هذه الفروفي موضع الاختبار وهي مستقلة عن البيانات المراد تفسيرها وذلك لتقدم تفسيرات كافية من الناحية العلمية حتى يمكننا تفسير العلاقة العملية بين تفسير السلوك وبين إطار بناء داخلي Motivational Structure عام .

أما كارل مانهيم فقد نحى منحى ماكس فيبر ودلت على من حيث الاهتمام بالموقعية، وفي المدخل الوفقي الذي يمتد لتناول الحقائق الاجتماعية بالاثبات واليقين شأنها شأن حقائق العلوم الطبيعية . وذهب إلى أن منه يتجهل النفاذ للواقع الاجتماعي من خلال المدخل الوفقي . ومن ثم أكد على أهمية تبصر عالم الاجتماع وتلمحه من خلال المشاركة في العملية الاجتماعية كما أنه اعتبر ضرورة إدراك المواقف في شموله لكي تفهم تفسيراتنا ما اسماء "مانهيم" بالتكيمات فيبر أن "يكون ركن يتلذذ مانهيم" في هاتين النقطتين أي التبصر والإدراك الكلي الشامل . إذ أنه يعتقد أن مانهيم كان محقاً بالنسبة لما أشار إليه حول الإرادة الموجهة الخفية لكي يفهم السلوك مرتبطاً بأغراض الداخل . كما أنه من خلال فكرته حول التبصر ومشاركة عالم الاجتماع في العملية استخلص نتيجة هامة مؤداها أننا نحى داياتنا عندما نتعمق في معاديات الآخرين المختلفة منا . والتي تجعلنا نرتد إلى ذاتنا ونعبرها باكتشاف لهم درالم معينة . وفي ضوء فكرته من البيوتوبيا ولايديولوجية يمكن أن نعرف لفظة الموقعية عند مانهيم بطريقة الخاصة (ذاتية) إنساناً نواجه بتفسيرين للنسق الاجتماعي أحدهما لايديولوجية ودا يرتبط به مسكن

معالجة على الوجه الاجتماعي والاشائي الهوتوبيا وما ترتبط به من صور المناظرة للوضع الاجتماعي، وفي ضوء هذين التفسيرين يتساءل من الحقيقة العلمية الموضوعية بالحيثية تفسير النسق الاجتماعي في الايديولوجية واليهوتوبيا. عنده اشكال حقيقتي للمعرفة السبولوجية، وذلك يشير عنده الى ان نتائج الابحاث تتناقض مع بعضها، لان طريقنا لتحقيق الموضوعية في علم الاجتماع تتضمن في قسم هذه النتائج بعضها مع بعض، وذلك لان المعنى عنده يكتمل ليس بالتحقق بتجميع النسق الجزئي لمختلفات الايديولوجية واليهوتوبيا، وذلك بمعية مدله للقول بأهمية الالهي الشامل الكلي للنسق الاجتماعي .

اما الطريقة الثانية لتحقيق الموضوعية منذ انهم "لتمثل في معرفتنا للحكم القبلي الذي يوجه عمل عالم الاجتماع، وبذلك "فمنهايم" يؤكد ان هيكلة عالم الاجتماع المتخصص في علم الاجتماع المعرفي تتمثل في كشف نوايا الاجتماعيين والتصرف على علاقة بدخلهم في تناول الحقائق ودراساتها بوصفهم الاجتماعيين. وذلك للتعرف على المصالح النسبي لعملهم . وفي ضوء ذلك يذهب مانهم الى ان تحقيق الموضوعية يتم بتدعيم المعرفة من وجهات نظر مختلفة والتعرف على الاحكام الفلسفية لعالم الاجتماع، والتي توجه عمله وتحدد طريقته في عملية التفسير .

اما "جيمس ميردال" فيستلزم مع "مانهم" في الرأي بان التخليص من التحيز في العلوم الاجتماعية مسألة صعبة لا تتحل بالاجراء الى الحقائق والمناهج الاحصائية في تناول تلك الحقائق ودراساتها . ومن ثم يذهب "ميردال" الى ضرورة تحديد عالم الاجتماع لمقدماته ملها دون الادعاء بصديق نتائجه على المجتمع . ومن ثم يؤكد على أن علم الاجتماع التطبيقي يبدأ بتحديد الغايات النوعية الموجودة قبلًا ثم يحاول بعدها ان يحدد نوع العوامل الموجودة في الموقف، والتي يمكن اعتبارها وداخل لتحقيق هذه الغايات . ولذلك تعتمد الموضوعية في نظره على تحديد عالم الاجتماع لمقدماته ملها . وبذلك يذهب الى انه لاجابة هذا لتقديم مقدمات قيمية لا يتصل بها الباحث . وكذلك يجده يؤكد

على توازن القوى وامكانية تحديد هذا التوازن مفوميا .

وفي ضوء ذلك نجد ان اعمال كل من "ماكس فيبر" و"كارل مانهيم" و"هوزارت ميردال" تولد معا تراشا منهجيا واحدا . يتأكد لنا من خلاله ان اشناق العلاقات الاجتماعية ليست مجرد حقائق وانما على الحقائق ان ترتبط بفرض اوغاية . ولما كانت الغايات متمدة ومتنوعة، يمكننا تحديد المفومية من خلال نتيحتين اساسيتين يمكن استخلاصهما من اعمال اشعار الفهم والمقدمسات المسجلة . وتتمثل اولى هذه النتائج في أن تحديد مجال البحث يساعد على تحديد معيار الملاحة من خلال الاحكام القيمة، وفي هذا المجال تتحدد المفومية في طريق تحديد مقدمات الباحث القيمة بوفوح وعراحة بوالافان عنها طفا . والنتيجة الثانية تتمثل في ان تطور النش الاجتماعى يعتمد على توازن القوى خلف الـ ايات المتعارفة . وبذلك يمكننا تحديد مجرى التطور تحديدا مفوميا / لان فكرة توازن القوى تخضع للتحديد المفومى على شريطة ان تحدد لـ ايات الجماعة تحديدا واضحا .

ولم تكن هذه فحسب ردود الفعل المباشرة للتفكير الذى ظلى اليه كل "أوجست كوت" واستكملته من بعده دوركايم فيما يتعلق بمفومية علم الاجتماع ، بالاستناد الى كون الظواهر الاجتماعية اشياء تخضع لمنهج العلوم الطبيعية ، من حيث التقدير والقياس والتحقيق . فقد ساعد تفكير "ادموند هوسسرل" Edmund Husserl ١٨٥٩ - ١٩٣٨ ووجودية "مارتن هيدجر" Martin Heidegger

١٨٨٩ . و كارل ياسبرس Karl Jaspers ١٨٨٣ . على التفريق بين طبيعة الظواهر الانسانية والظواهر الطبيعية . حيث انهم عارفوا بعورة مباشرة شديدة الظواهر الاجتماعية . لانهم يعتبرون الظواهر الانسانية ذات طراز من الوجود يختلف من وجود الظواهر الطبيعية . ولذلك يبلغها الباحث بالفهم لا بالتفكير .

ولنعرف المدخل الفينومينولوجى فى تناول الظواهر الاجتماعية بشئ من  
الايهام . فالفينومينولوجيا تعتمد الى تعيين الماهيات الاجتماعية . وترى أن  
كل شعور ، شعور بشئ ، وليس للشعور وجود مستقل عن الشئ الذى نشعر به ،  
وبذلك يكون كل موضوع يتأمله الفكر لا يمكن تأمله الا باعتباره على علاقة بهذا  
الشئ المتأمل حين يلوح المفهوم لوجوده، وفهمه، وشعوره . وبذلك فالمعلية  
الاجتماعية للظواهر الاجتماعية بدلا من ان تكون شيئا خارجيا بالنسبة الى  
الفهم او الشعور لا تبدو للشئ الا بغيره الباطنية الحية . وفى ذلك يقول  
هوسرل " ان كل ما يوجد بالنسبة الى لا يمكن ان يعتمد معناه الوجودى الامنى انشأا  
وفى نطاق فهمي . وبذلك يرد هوسرل الوجود الاجتماعى الى الذات العارلة .  
أى بطور الشئ نفسه لاصورته العقلية امام الشعور عند التفكير فيه  
" وهوسرل " هنا يعتمد فى تحصيل المعرفة على فكرة البداية الاصلية  
للبداهة منه . ليست البداهة التى نلتقى بها فى الواقعية الساذجة وليست  
كذلك البداهة العقلية التى نلتقى بها عند ديكارت والتى تتمثل فى فكرتنا  
الواضحة عن الشئ ، وانما البداهة منه هى البداهة غير العقلية او الباطنة  
على المعرفة العقلية، والتى توجد فى حالة معينة مع الشعور فى اللحظة التى  
يتجه فيها لادراك الشئ نفسه فيجده ماثلا امامه فى حالة من البداهة . ولما  
بذلك يريد أن يكون الحكم مرتبطا بالمفهوم الذى صدر منه، على ان يكون فى ذهننا  
أن المفهوم الذى اصدرنا حوله الحكم موجود امامنا فى التجربة قبل الحكم  
وجودا سابقا . " وهوسرل " بذلك يؤكد أن المدخل الفينومينولوجى فى دراسة  
الظواهر الاجتماعية ينهنا الى وجود حياة سابقة على حياة التأمل العقلية،  
والى وجود معطيات سابقة على المعطيات العقلية ، وتوجد فى حالة معينة معها .  
وبذلك تكون التجربة عند " هوسرل " فى الواقع الاجتماعى هى التجربة التى نلتقى  
فيها بمفومات حية واقعية تكون حاضرة امام الذات الحية المتدمجة فى الواقع .



وهذه الذات الحية مختلفة من الذات الماتلية، او العارضة لانها مصدر التجربة الحية . وبذلك يتمثل مدخل الفينومينولوجى بحسور الطبيعة او العالم المسم امام الشعور او امام التجربة الحية دون ان يكون للعقل دور حادى فيها . وقد قال هوسرل بهذه الفكرة / اى فكرة اتجاه الشعور نحو العالم / واتخاذ موضوعا له / يبعده عن تأمل ذاتية الموقف وطا بين الذاتية والموضوعية ، او بين المثالية العقلية والواقعية الوضعية ، وقد اشرت فكرة هوسرل ومدخله الفينومينولوجى على الفكر الوجودى عند هيدجر " ويسبرز ومارل ومارتسر " فحاولوا ان يقدّموا الحلول الموضوعية لمشكلة العلاقة بين الشعور والعالم الخارجى .

وهوسرل بمدخله الفينومينولوجى هذا يأخذ موقفا وسطا بين الذاتية والموضوعية ، فهو يمتزج بموضوعية العالم ويقامه قياما مابدا على معرفتنا له " ، ثم يذهب الى ان مدخل الظاهرات الفينومينولوجيا / لا يمكن ان يلهم الا على اساس رد العالم الى الذات فهذا الرد عنده هو الذى يعطى للعالم معنى ١ من طريق فعل الشعور فلا يكفى عنده ان يدرك الشعور العالم ماثلا امامه / بل لابد من أخذ يحاول اعطاه معنى / كون يتسنى له هذا الا برد العالم اليه .

وذلك لان " هوسرل لا يدعى بان العالم من خلق الذات العارضة كما يذهب انصار الاتجاه الذاتى العقلى ، ولا ينظر الى العالم الاجتماعى على انه وجود مستقل مثل الظواهر الطبيعية / ولكنه يتلقى فقط بوصف العالم من خلال التجربة " الحية / التى يعيشها الشعور فى هذا الوجود الاجتماعى - وبذلك يؤكد على قيام الدوافع الاجتماعية التى يكون الإنسان طعمها فيها مع الحياة الواقعية ، وذلك يحقق فى نظر " هوسرل " وجودا وندادة موضوعية تسبق البداهة العقلية . وهى اساس لجلل بداهة الحكم العقلى ممكنة ، وبالتالي تساهدا على الداء فهو على الاحكام العقلية . وبذلك يؤكد هوسرل على وجود معطيات موضوعية مابدا

على معطيات الشعور، وتستند اليها الاحكام العقلية أو معطياتنا العقلية  
حول الموضوع .

وبذلك تتحدد خطوات المدخل الفينومينولوجي في تحقيق موضوعية المعرفة  
في مايلي :

اولا : ادراك الوجود في حالة بكارته الاولى اى قبل ان تدخل عليه احكام  
المنطق .

ثانيا : والخطوة الثانية تتمثل في مرحلة الرد *le réduction* حيث  
يتم رد العالم الخارجى الى الذات لاصراك الوجود الاجتماعي من خلال  
التجربة الحية ، ومعاشية الانسان لها ، من خلال المواقف الاجتماعية .

ثالثا : والخير اصدار التعميمات او الاحكام العقلية على هذا الوجود  
الاجتماعي بالاستناد الى موضوعية الوجود، وغيره المعاشية الذاتية  
الحية، ومعاشية الشعور لها ، من خلال المواقف الاجتماعية، الترتداد  
على التزام الانسان به الواقع الاجتماعي .

وقد حاولنا ان نترالتمكيد على فكرة المواقف والالتزام بين الانسان والوجود  
الاجتماعي ، من خلال تلك المواقف ، وهو بذلك يذهب الى ان ادراك الظواهر  
ليس مجرد تفكير بعيد عن الواقع ، كما ان هذا التفكير ايضا ليس تفكير  
تجاوزيا ( ترنسندنتاليا ) يعلى على الواقع شروطه . وانما هو تفكير او شعور  
قائم في مواقف اجتماعية ، تحق ، هذا التلاحم بين الانسان والواقع الفعلي  
للحاضرة .

وبذلك نجد ان سارتر يرى ان الحقيقة حقيقة مواقف تقوم على الالتحام  
المباشر بين المفكر والوجود، وتهتم بالفكرة السائدة على التأمل العقلاني  
حول الحاضرة . وذلك ما يوضحه بجلاء بقوله ان كل ما يوجد به النسبة التي لا يمكن ان يستند  
معناه الوجودى الا معنى اشأ وفي نطاق فهمي .

وقد اشترت هذه التيارات الفكرية الألمانية حول موضوعية العلوم الإنسانية وذاتيتها، على المفكرين الفرنسيين أنفسهم. فذهب "بول مونستر" Jules Monnerot في كتاب بعنوان ( ليست الظواهر الاجتماعية بأشياء ) إلى حد القول بأنه لا يمكن للباحث الاجتماعي ان يكون حياديا كما تموره "دوركايم" وذلك لأنه انسان وجد في احوال معينة وفي تاريخ معين . وهو لهذا لا يمكن ان يلهو حقيقة الحياة الاجتماعية الا بان يحياها .

أما اندري اماز Ander Amar في مقال له بعنوان " حول التماس طريقة منهجية للعلوم الإنسانية " فنجده يفرق بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية من حيث درجة تأشير الانسان بطبيعة الظاهرة التي يتناولها -- وهو في ذلك يذهب الى ان العلوم الإنسانية تدرس الظواهر التي يكون الانسان فيها المؤثر والمتأثر . وبذلك يفرق بينها وبين الظواهر الفيزيولوجية التي يكون الانسان فيها متأثرا فقط ومن الظواهر الفيزيائية التي يكون فيها الانسان مشاهدا وملاحظا لها فقط .

وهو في ذلك يذهب الى ان تقديم العلوم الطبيعية في الوقت الحاضر ارتباط بملازمة مناهج تلك العلوم لها، ومن ثم استطاع الانسان ان يسيطر بمعرفته على الطبيعة. في حين ان العلوم الإنسانية لم تهتدي بعد للمناهج الملائمة لها والتي تجعل معرفتها موضوعية وبالدرجة التي يتمكن الانسان بها أن ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض، تنظيما صحيحا . وسيطر عليها سيطرة علمية . وبذلك فإنه يرجع عدم تقدم العلوم الإنسانية بعورة كالمية الى عدم تمكن الباحثين من العثور على مناهج مناسبة لطبيعة الظواهر التي تتناولها تلك العلوم .

وهو بذلك يذهب الى ان على الباحثين محاولة العثور على هذه المظاهر الملائمة، ولابد في البحث من هذه الطرائق المنهجية من التفريق بين الظاهرة الانسانية والعقل الانساني، فالعقل متعل بعمليات وهو عبارة عن تدخل في العالم وتأثير في فيه. اما الظاهرة فهي فعل وقع وظهر في وانفعل عن . وبذلك يصبح الفعل ظاهرة بحدوثه وانفعاله عنى وظهوره في الواقع. وتصبح الظاهرة فعل بدراكي لها واطلاعي عليها، ولو لم يكن سببا في احداثها . ومن ثم يذهب اندري ماري الى ان الظاهرة والفعل يتعلقان بموتلفي الفكرى ، حيث انظر الى الماضي فأجد الظاهرة، وأتأمل بالماضي واحياه فأقوم بالانفعال . فالظاهرة توجد في العالم الخارجى، غير انها صدمت عن الفعل، وهو بذلك يذهب الى ان الحياة جميعها عبارة عن انتقال من الفعل الى الظاهرة . ومن الظاهرة الى الفعل . وبذلك يرى ماري ان العلوم الطبيعية تعتمد على هواهر المادة، ومن ثم تكون فكرة الظاهرة فيها اساسية. وعليه يتناول الباحث فيها احكام الوجود المادى، لا احكام القيم. في حين ان العلوم الانسانية تقوم على قضايا انسانية، تستند في مصادرها الى الافعال لا الى هواهر، ولذلك فهي تعتمد احكام القيمة اكثر من اعتمادها على احكام الوجود . اذ ان كل فعل تقوم به له معنى يتمثل بمدافينها، وعاصرها، ومستقبلها، أى بشخصيتها . فاذا جردنا قضايا الانسانية من مدافينها ووافيتها، التي تلعبن وحدتها وتماسكها، تكون بذلك قد خسرناها من حياتها النابضة وتنازلناها كجثث هامدة لا يراك فيها، ولا تفسح عن ماهيتها الحقيقية . وهو لذلك يرى ان الاعتماد على مناهج العلوم الطبيعية في تناول الظاهرة الاجتماعية لا يحقق الموضوعية في معرفتنا ولا يمكننا من السيطرة بتلك المعرفة على وجودنا الاجتماعى . وانما علينا ان نبهت من مناهج جديدة تناسب القياسات الانسانية، ولا نتناولها كاشياء ابل باعتبارها حقيقة نابضة بالحياة، ومتفعلة احكام فهمية معينة، ومعامى معينة، تمارس تأثيرها على الافعالنا .

ورغم ان امان قد اقام التفرقة بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الاجتماعية،  
واعترف موضوعية الظاهرة الاجتماعية غير موضوعية الظاهرة الطبيعية. ولذلك  
فرق بين مناهج الظاهرتين، وعلى ملاحظة مناهج العلوم الطبيعية في تحقيق  
الموضوعية، في تناول الظاهرة الاجتماعية، يقدم النصيحة للباحثين للبحث  
من مناهج تكون صالحة لتناول الظاهرة الاجتماعية، وتحقيق الموضوعية  
في ما نحصله من معرفة حولها .

وفي ضوء ذلك الحوار السابق يتلخص امامنا ان فهم الظاهرة الاجتماعية  
بحوزة موضوعية يختلف من موضوعية الظاهرة الطبيعية . ورغم تأكيدنا  
على وحدة المنهج العلمي الا ان تناول الظاهرة الطبيعية في اطار المنهج  
العلمي الذي نطبقه على الظاهرة الطبيعية، يعني اننا ننظر للظواهر الاجتماعية  
بنفس المنطلقات التي نتناول بها الظاهرة الطبيعية، علما بان الظاهرة  
الاجتماعية عبارة من حقيقة واقعية نابضة بالحياة، لانها تتحل بفعل الانسان،  
وباحكامه القيميّة، وتؤثر فيها، وتتأثر بها، على نحو ما اوفى " اندري امار" .  
ومن ثم يقتضى تناولنا لها ان نفهم في صورتها الكلية، ومن خلال  
تفاعلها معنا، وتفاعلنا بها، بمعنى ان افراكننا لمعنى الظاهرة يعتمد على  
مجموعة من الاجراءات التي نحقق بها فهم هذا المعنى. فتفهم علاقتها اي ملائمة  
الظاهرة بالعدالتنا، وعلاقتها بالعدالتنا بها، وما تتفهمه من احكام قيمية تؤثر  
على اعدالتنا، ثم نحدد السبيل لتحصيل المعرفة التي تمكننا من السيطرة  
على النسق الاجتماعي، وتنظيم الوجود البشرى . وذلك لكي نفهم معنى العدالتنا،  
ونكون المورة الكلية لمعنى الظاهرة في حياتنا . وذلك تمهيدا للوصول الى  
الفسايا الانسانية الملائمة لطبيعة الظاهرة الاجتماعية، والتي يمكن ان

نوجهما لتفسير تلك الظاهرة في ضوء نقي المعنى والعلاقات العلمية ،  
والوظيفية ، التي تشكلها تلك الظاهرة .

وبذلك يكون هناك مستويين من التفسير تفسير داخلي يدور حول فهم  
المعنى الكلي للظاهرة الاجتماعية وتفسير خارجي يتناول العلاقات العلمية  
والعلاقات الوظيفية وربما هنا ما يكشف عنه ذلك التقدم الذي حدث بالنسبة  
للمراقق تحليل العلاقات والتحليل العاملي ومباحث السيومتريّة والقياس  
الاجتماعي .

خاصة : شروط تحقيق الموضوعية في علم الاجتماع :

من خلال الحوار السابق يتبين لنا أنه من الضروري لجميع االاعدال النظرية  
السيولوجية ان تأخذ في اعتبارها جانبين متعارضين هما الذاتية والموضوعية  
وحسب مناقشتنا لآيهما من الضروري ان يتم من خلال الجانب الآخر . على أن  
تأخذها مأخذاً متعادلاً اذا ما أردنا أن نقدم التفسير الواقعي والصادق  
للاوضاع الاجتماعية .

وقد كان للحوار الدائر بين علماء الاجتماع في ألمانيا حول لفظة الموضوعية  
في علم الاجتماع تأثيرها على واحد من الفلاسفة الاجتماعيين في أمريكا وهو "جون  
ديوي" (١٨٥٩ - ١٩٥٢) فاهتم "ديوي" بلفظة الموضوعية على نحو  
ما اهتم بها علماء الاجتماع في ألمانيا / الا انه رفض الطول الجزئية التي قدمها  
المذهب التاريخي ، والوظيفية الجديدة والوجوديون . وقد ذهب "جون ديوي" إلى أن  
مفتاح الموضوعية في تناول الواقع الاجتماعي يكمن في الطبيعة المعقدة  
الموجودة في عمليات المعرفة ، والتقييم والفعل .

---

(1) Dewy, John, The Theory of Inquiry, New York: Henry Holt and  
Company, Inc., 1938.

للإنسان في نظره معتقداته المتحصلة لديه عن طريق البحث العلمي، حول  
مفاهيم بناء الأشياء ، ولديه ايذا معتقداته عن القيم التي تنظم سلوكه ،  
ومن ثم تكون المشكلة كإمالة في امكانية الاجابة على كيفية تداخل هذين  
الجانبين للاعتقاد بطريقة مشرة وفعالة - . وقد رفض ديسون الشائعية بين  
عالم الواقع وعالم القيمة ، وان كل منها يحتاج منهجا للتحقق ، وهو يتعلق مع  
مناهيهم في ذلك . ومن ثم يقع الامر في نهايتها ويحصر المسئولية في الفرد  
صاحب المعرفة ، والمفاهيم التي يقدم من خلالها فروفه سواء كانت رمزية  
او واقعية ، والتي من خلالها يقيم فعله بما يقابله من نتائج . وهذا يؤكد  
"ديون" على ضرورة صياغة الفروض المتعددة التي توقع تحت الاختبار على ان  
تكون شاملة لجانبين يتعلقان بالتلق والاثبات - . وذلك لانه يعتقد ان  
التفكير الاجتماعي الواقعي هو على وجه الدقة طريقة الملاحظة التي نميز  
الظروف المعاكسة ، والظروف المساعدة في موقف قائم . به القياس الى الفايضة  
المقترحة -

١ - ومعنى ذلك اننا في صياغتنا للنظرية الشاملة علينا ان نقيسها على  
قضايا سالبة وقضايا موجبة ، اي قضايا نفي وقضايا اثبات ، وذلك يشير الى ان  
الانسان في الصياغة النظرية الشاملة يستند لمنطق الواقع الاجتماعي وفروفه .  
ويتفلس ان يتفهم الاختلاف بالافادة الى جوانب الاتفاق بين القضايا -  
والاتفاق المنطقي هذا مستند للواقع وفروفه وطبيعة التفكير الاجتماعي ، وطبيعة  
الظروف الاجتماعية المتغيرة ، والتي تتحرك لتخلق فعلا من الازدواج سكون مختلفا  
عن الوضع الراهن بصورة ما ، كما ان الفرض من الملاحظة هذا هو التفرقة بين  
العوامل المعاكسة ، والمساعدات (الاجابية) وذلك لان كل ظاهرة اجتماعية هي في  
ذاتها مدار من تغيرات يتبع بعضها بعضا ، ومن ثم لا مندوحة من وجود قضايا  
وطبية تحدد بها تتابع الحوادث على صورة فريدة -

ويسوى يؤكد على الفرق الدافس بين مادة البحث في العلوم الطبيعية والبحث في العلوم الاجتماعية. فلا مندوحة لنا من الاحكام التقويمية، التي صوغها في فروض معينة حول الواقع الاجتماعي، والخطأ الذي يلاحظه فيسوى بالنسبة للاحكام القيمة كونها خارج نطاق البحث نفسه، وتغري عليه، ولا تتقرر في عملية البحث ذاتها، وبما تنفي به تلك العملية، وذلك يرجع لزعهم بأن شمة داريات معينة لها قيمة بحكم طبيعتها نفسها، وان قيمتها تلك لا يجوز الجدل فيها . وذلك بدلا من أن يجعلوا الداريات هي التي تتقرر على اساس الفروض الدافسة، من حيث هي عوامل مساعدة، او معاكسة .

ومما يحسم هذه المشكلة ويحقق لنا قدرا من الموضوعية في تفسيرنا (فرض) التميز لوجهة نظر بعينها، هو شمول النظرية السيولوجية للفروض شاملة للنقيضين، ويتحدد في فروض معطيات البحث اى منهما، هو المعادق، بينما هو المعاكس، ولذلك يضمن لنا درجة من الموضوعية في التفكير النظري .

وبذلك لا تكون محاولة "دافس دين بيرج" الذاتية بين عناصر الالتقاء في النظريات الكلاسيكية لمبالمة نقي نظري شامل محققة للموضوعية المستهدفة في علم الاجتماع، لانها استبعدت عوامل الاختلاف الدافسة فيما بينها، والتي يحسم لمالية اى منها في عملية البحث نفسها ومعطياته .

ومولفنا في هذا المجال بالنسبة للشرط الاول من شروط تحقيق الموضوعية في النظرية السيولوجية، يتفق مع وجهة نظر جون ديوى المتعلقة بالشروط المنطقية الثلاثة التي لا مندوحة منها للجانب العقلي من المنهج العلمي، والتي تتشغل في :

- أ - صحة المدركات النظرية من حيث هي فروض .
- ب - ان لهذه الفروض مهمة توجيهية في رسم طريق الملاحظة وفي التحول العملي الذي تحول به آخر الامر الى مالد كان قاعدا اول الامر من ظواهر



ج - ان هذه الظروف تختبر وتراجع مراجعة متصلة على اساس التناقض التي تتمثل عنها تلك الظروف عندما نطبقها على الوجود الاجتماعي الفعلي (١).

فصناعة المدركات العقلية ذات الاثر في الحياة مريحة ويطرنا لتمثيل مبادئها على اساس المواقف التي تؤدي اليها هذه المدركات . وتلك الصناعة المريحة تلبدنا في موازنة الظروف المختلفة موازنة نقدية في فسوسه معطيات اختبارها في تساؤل الواقع الاجتماعي الفعلي ونحن متحررون من أي تميز شخصي أو ثقافي .

٢ - ما الشرط الثاني في تحقيق الموضوعية في النظرية السيولوجية فيتمثل في أن من مبادئ تحقيق الموضوعية في النظرية السيولوجية وضوح وجهة نظر القائم بعملية المعرفة، وذلك بأن يعلن مقدّماته مسبقاً، بما يمكن من اعتبار المعرفة المتصلة من وجهة نظره ومناقشتها . وهنا يذهب جوناثان برادال إلى أن تحقيق الموضوعية يتم من خلال الصناعة الواعية من جانب الملاحظ لأطار عمله الخاص . وقد اتخذ " و. ك. د. " فير كميتراً هذا المؤلف ، ولذا يقول ان تحقيق الموضوعية لا يتأتى في لسط من طريق افعال القيم التي ينتمى فيها العالم الاجتماعي بل يوفى معاً كعناصر في البحث المقترح بحيث تصاغ في ظروف توفع تمت الاختبار على أن يحتكم في صدق هذه النتائج لفرجة الإجماع بين العلماء على مدق الاختبار تلك القضية .

٣ - ومن شروط تحقيق الموضوعية في النظرية السيولوجية التجمع النسبي للظروف المتبعة على ان يكون معلوما ان ظروف الحياة الاجتماعية متغيرة . ولذا يكون في الاعتبار دائماً احتمال ظهور مواصل أخرى جديدة تضاف إلى هذا التجمع النسبي وعلى ان يكون هذا الاحتمال مدججاً في اطار الصناعة

النظرية للأنشأ وذلك بمعنى ان ادراج القضايا المختلفة من الغرض ان يستوعب هذا التجميع. وايضا صور التعبير المحتملة. اى انه عندما يتم فعلى شهادات فرلى فى البناء النظرى يكون لحساب تأكيد فرلى مدرج فى نلس البناء .

٤ - ان وحدة المنهج العلمى رغم امالتها، وما تتمتع به من منطق، لاتنهي دليلا على التطبيق الحرلى للمنهج بين العلوم الطبيعية والعلم الاجتماع .

واذا كانت المناهج الدارجة قد اثبتت نجاحا فى العلوم الطبيعية فلا يلعب من خاطرها تقدم الأدوات الفنية التى يستعان بها بجانب هذه المناهج ، مثل المنظار التلسكوبى وغيره من الأدوات البصرية، وغير البصرية التى يستعان بها فى تطبيق تلك المناهج وهى اى تلك الأدوات مما لا يمكن استخدامه فى العلوم الاجتماعية ومن ثم اصبح من الغرورى الاستعانة بتكنيكات منهجية متقدمة تساعد عالم الاجتداع على تطبيق المنهج العلمى تطبيقا ناجحا. فبعدا فى استخدام اسلوب تحليل العلاقات بدلا من مجرد الاعتماد على النسب المئوية ، والاعتماد بالتفصيل العامل ، و القياس الاجتماعى بغيره من الاساليب والادوات التى تساعد على تطبيق المنهج العلمى بصورة افضل مما هو قائم حاليا .

٥ - ان تكون أية صياغة نظرية مستندة لمنطق رياضى يمكن التحكم فيه، والقيام بعملية الاختبار، فليس مجرد الاجتهاد لصياغة قضايا اولغوى ينهى دليلا على صدق نظرية. هأى صياغة لاتتند لمنطق رياضى تظل مجرد وجهة نظر لاتجد من الدلائل ما ينهض على محتواه طالما انشأ لاتستطيع ان نتحكم فيها ونحفظها للقياس والاختبار .

٦ - ان تنظر للموضوعية على انها ذات معنى اذا ما تناولناها باعتبارها نموذجاً خاماً يساعد الباحث في تحليل المعرفة، والدراسة العقلانية .  
ويمكنه من ان يكون على اتصال والهم ودقيق بزملائه .

وبحث لا تكون مجرد اجتهادات متناشرة لم تمل بعد للاتفاق على مدى صحتها وامكانية تحليلها . فاذا ما صارت نموذجاً خاماً تعمل من خلاله /سوك تساعد على ان تسير في الطريق الذي يناسب عالم الاجتماع في مجال بحثه للخواص الاجتماعية . ولياها على ذلك فان صالحة النماذج الموضوعية حول المشكلات التي يتناولها عالم الاجتماع في اطار النظرية السبولوجية العامة على درجة من الاهمية، بحيث يكون هناك تحيط فكري متمل يربطه بزملائه، ويوجه مسار بحثه . على ان تنفع هذه النماذج للاختبار للتعرف على مدى اهميتها في فهم الواقع الاجتماعي وتوجيه مسار الاحداث الاجتماعية، بما يخدم البشرية في عملية تطورها وتقديم التفسيرات الموضوعية لمجرى الاحداث والالامال البشرية، بحيث تشمل هذه التفسيرات العلاقات المعقدة والعلاقات الوظيفية الدافعة بهيكل الظواهر والاعمال .

## الفصل التاسع

### تصنيف طرق البحث ومداخل دراسة المجتمع

منذ نشأة علم الاجتماع، والاجتماع متزايد بشوم البحوث والدراسات التي تجري في نطاق هذا العلم، وما إذا كانت تلك الدراسات وطيفة أم تفسيرية ومبدئية تحليلية للوقائع الأساسية للعلم، والتي انتهت الحوار بتحديددها بالوصف والتفسير، باعتبارها ركيزة أساسية لهم. الفواهر والتنبؤ بالكيفية التي تعمل أو تحدث بها الفواهر الاجتماعية في المستقبل .

ونتيجة لاهتمام علماء الاجتماع بتحديد مجال هذا العلم، وتتميز فواهره التي يتناولها من الفواهر الأخرى سواء كانت بيولوجية أو سيكولوجية، تصبدها اتجاهات العلماء بالنسبة لأنواع البحوث والدراسات الواقعة في نطاق هذا العلم، ونوع المناهج التي تستخدمها تلك الدراسات والمداخل التي تتخذ إليها، وعليها إلا أن استمرار هذا الحوار المنهجي قد أدى إلى تحديد أنواع الدراسات والبحوث الاجتماعية، وميز بين المفاهيم المتعلقة بمناهج هذه الدراسات والبحوث، وحدد الاختلاف بينها وبين دلالة المصطلحات المنهجية الأخرى، التي تستخدم في نطاق البحوث الاجتماعية مثل مصطلح المدخل Approach ومصطلح الأسلوب Technique ومصطلح الاداة Tool فجميع هذه المصطلحات المنهجية رغم وفوح ما بينها من تمايز من حيث الدلالة والاستخدام المنهجي. وأيضا التمايز المنطقي في الاستخدام إلا أنها كثيرا ما استخدمت بصورة متداخلة من حيث الدلالة والتمايز . ونظرا لأننا قد مالينا البناء المنهجي لعلم الاجتماع ومركبا لمتنار هذا البناء المرتبطة بتلك المصطلحات، وحددنا المعنى والدلالة والانتظام في الاستخدام لكل منها، والعلاقات التي تربطها ببعضها على مستوى البناء المنهجي، ومستويات التنوع المرتبط بخصوصية كل منها وعموميتها، لسوف نكتفي هنا بعرض محاولات تصنيف متنار البناء المنهجي لعلم الاجتماع، والاسس التي ينهض عليها هذا التصنيف، وذلك لكثف جهود التداخل في استخدام تسلك المصطلحات .

والمنهج أو الطريقة في اللغة العربية ترجمة للمصطلح الانجليزي Method  
وللمصطلح الفرنسي Methode ، كما ان لهذا المصطلح نظائره المتقدمة  
في مختلف اللغات بنفس الدلالة والمعنى . وإذا ما تتبعنا التراث المتعلق  
بهذا المصطلح نجد انه استخدم عند الفلاسفة بمعنى البحث او النظر او  
المعرفة الا ان استخدام هذا المصطلح بالمعنى العلمي الدقيق بدأ منذ  
عصر النهضة الأوروبية حيث أصبح يشير المصطلح لمجموعة القواعد المصانة  
التي توجه البحث للوصول الى الحقيقة العلمية . والمصطلح يستخدم الآن ليشير  
لمجموعة القواعد التي تنظم عملية البحث في العلوم وتوجه خطواتها للوصول  
الى نتيجة عملية دقيقة حول القواهر .

وحول استخدام هذا المصطلح تعددت الاتجاهات بدار الحوار لتعيين معالم  
المناهج الأساسية التي يستعين بها علم الاجتماع في دراسته للمجتمع  
وقواهره . ورغم ان لهذا الجدول تاريخه البعيد الا ان ادراج هذا الحوار  
حول المناهج في إطار علم الاجتماع بدأ بتأكيد " أوجست كوت " على منهج  
هذا العلم وأهميته ، وهو يحدد اعلان ميلاد علم الاجتماع . ولأن كان هذا  
الحوار قد ظل في البداية بين المناهج وأنواع الدراسات الاجتماعية من  
شاحية وبينها وبين الأساليب والأدوات من شاحية أخرى ، الا ان استمرار الحوار  
حول موضوع المناهج وتقدم البحث حول هذا الموضوع وحتى أصبح موضوعاً  
تُكرر له مراجع باكملها قد ساعد على تحديد المناهج تحديداً دقيقاً ومن ثم  
اكتشفت الفروق الفاحشة بين نوع المداخل المنهجية في علم الاجتماع  
والطرق والأدوات والأساليب . وأصبح لكل منها حدودها الخاصة بها .  
ومن ثم أصبح من الضروري تحديد المحاولات المختلفة لتصنيف المناهج وحتى  
يمكننا تحديد المناهج الأساسية للبحث الاجتماعي في ضوء وجهات النظر  
المختلفة ، حول عملية التصنيف تلك .  
وفي ضوء ذلك نتناول الجوانب التالية :

- ٢٠ - اس عملية التصنيف للمناهج البحث ومداخل دراسة المجتمع .
- ٢١ - تصنيف المناهج حسب هدف البحث .
- ٢٢ - تصنيف المناهج في نوع عملية التفكير .
- ٢٣ - تصنيف المناهج على اساس التمييز بين نمط الدراسة وهدفها .
- ٢٤ - تصنيف المناهج على اساس نمط الدراسة ومداخلها المنهجية .

اولا : اس عملية التصنيف للمناهج البحث ومداخل دراسة المجتمع :

اهتم ليد من علماء المناهج بالقيمة تصنيف مناهج البحث باعتبارها مدخلا يستهل به اي منهم مجالات الطرق والاساليب والادوات المنهجية، وحدود استخدامها ليس عملية البحث الاجتماعي . ورغم انهم يدركون ان المناهج مرتبطة بالبناء المنهجي ليس فقط التفكير العلمي وبطبيعة موقوع الدراسة لاي من النظم العلمية، وبناءه المنهجي، الا انهم تناولوا المناهج ( طرق البحث ) وكأنها شريحة قائمة بذاتها ، وبذلك نهو تصنيفها ضمن المناهج منعا عزلها عن سياقاتها المعرفية الاساسية المرتبطة بوظيفة العلم، وذلك مما جعلهم يختلفون في الاساس الذي اقاموا عليه تصنيفهم لتلك المناهج .

ومن ثم اتخذ بعضهم من نمط الدراسة وموقعها اساسا لعملية التصنيف، على نحو ما فعل " ادور دكورنياخ " عندما صنف البحوث التجريبية في علم النفس لاربع فئات تمثلت في البحوث المحمية ، والبحوث التطبيقية ، والبحوث الاختبارية ، والبحوث التي تدور حول المناهج والادوات . بخلاف لهؤلاء اتجاه البعض لتصنيف مناهج البحث بالاستناد لنمط الدراسات حيث قسموها الى بحوث عملية ، وبحوث تختبر الفروض السببية على نحو ما ذهب كل من " سلتير " C. sellitz ، وجاهودا " M. Jahoda ، وكوك " S. Cook ليس مؤلفهم " طرق البحث في العلاقات الاجتماعية ١٩٥٩ " . ورغم انهم قصروا التصنيف على اساس نوع البحث، الا انهم ربطوا ضمنيا بين هاتين العلم المتمثلتان في الوصف والتفسير وتصنيف المناهج . ومع ذلك فقد ساد الاتجاه بين البعض للتمييز بين هدف الدراسة ونمطها

١) Jahoda, Marie, and Others. Research Methods in Social Relations, N.Y., Dryden, 1951.

والمنهج . وهم بذلك يعيدون لتقديم تصنيفهم للمناهج على اساس نوع المناهج المستخدمة  
في البحث العلمي لحسبهم من هذا الفريق كل من "جود وكييتي" ، "واودم وماركيزي" وهذا  
الفريق يحمل بذلك لربط المناهج بالبناء المنهجي لنسق التفكير العلمي العام ، وان كانت تلك  
الترجمة لم تظهر من خلال محاولاتهم لتصنيف المناهج .

ورغم ان لكل منهج منطقة الخاص الذي يقيم عليه تصنيفه للمناهج البحثية انهم  
يففرون جميعا على ان تصنيف المناهج قضية عامة واساسية تتمثل بالطريقة العلمية لنسق التفكير  
العلمي من ناحية وبالمدخل العلمي لدراسة المجتمع البشري من ناحية اخرى . وذلك بعينه ما دفع  
البحر للاهتمام بتحديد المدخل المنهجية في العلوم الاجتماعية على نحو ما فعل كل من "ميتروف"  
و"كيلمان" في مؤلفهما "المدخل المنهجية للعلم الاجتماعي ١٩٧٨م" ، حيث حاولا ان يبدعا لنا  
رؤية علمية عميقة للمنهج العلمي والمعرفة التي يمكننا من تحصيلها عن طريق البحوث في العلوم  
الاجتماعية . (١) وذلك ما ساعد على كشف العلاقة الوثيقة القائمة بين المدخل النظري لدراسة المجتمع  
والمدخل المنهجية التي تشير للتصور المنهجي لمعالجة المجتمع وظواهره من خلال البحوث التطبيقية .  
يضاف لذلك ان تلك المعالجات الرائدة التي تناولت المدخل المنهجية الموضوعية مثل: المدخل التجريبي ،  
والمدخل المقارن ، والمدخل التاريخي ، والمدخل الرياضي ، وما يرتبط بها من طرق منهجية موضوعية  
تحقق وظائف العلم في عملية البحث . (٢) هذا بالإضافة الى تلك المعالجات التي تناولت المدخل  
المنهجية الذاتية مثل المدخل اللفظي ، والمدخل الانشائي ، وما يرتبط بها من  
طرق منهجية ذاتية مثل الطريقة الانشائية ، وطريقة البحث الاجتماعي . وهذه المدخلات  
الموضوعية والذاتية يستند اليها علم الاجتماع في معالجته للظواهر الاجتماعية والتي كشفت بدورها  
العلاقة الوثيقة القائمة بين نمط المدخل المنهجية والطرق المنهجية التي يستعان بها في البحوث  
الاجتماعية والتي حدثت بموجبه اعادة النظر في عملية تصنيف مناهج البحث بالمدخل المنهجية  
ووضعها في سياق البناء المنهجي لنسق التفكير العلمي من ناحية وبالبناء المنهجي لعلم الاجتماع  
من ناحية اخرى . وذلك بربط عملية التصنيف تلك بالمبادئ الاساسية التي تحكم البناء المنهجي  
العلم في جانب وطبيعة موضوع الدراسة ونمطها في جانب اخر .

1) Mitroff, Ian and Kilmann, Ralph H., Op. cit., P.viii.

2) Leik, Robert K. Mathematical Sociology, New Jersey, Prentice-Hall Inc., 1975

3) Schwartz, Howard & Jacobs, Jerry, Qualitative Sociology, London, Collier Macmillan Publishers, 1979.

وفي ضوء ذلك نركز بالتكثيف للمحاولات المختلفة لتمييز مناهج البحث تمهيدا لتحديد العلاقة القائمة بين تمييز المناهج ومدخل دراسة المجتمع في سياق البناء المنهجي لعلم الاجتماع .

#### ثانيا : تمييز المناهج حسب هدف البحث

نحن هذا المنحى كل من أدورادز<sup>١</sup> A.L.Edwards وكرونباخ<sup>٢</sup> L.J.Cronbach حيث صنفا البحوث التجريبية في علم النفس الى أربع فئات تشمل في:

##### ١ / البحوث المسحية :

وهي تلك البحوث التي تستهدف البحث عن المتغيرات وكميائية ترابطها، وهي أي البحوث المسحية استكشافية في أساسها . وهي تتم في المراحل الأولى من تناول المشكلة لتوفير المعرفة حول المشكلة، عندما يجهل الباحث الكثير منها، ومن مميزات:

##### ١ ب / بحث في تكتيكات المنهج :

وهي تلك البحوث التي تهتم بدراسة المناهج وأدواتها وإساليبها التي يمكن استخدامها في دراسة المشكلات، والخواص المراد دراستها .

##### ١ ج / بحث تطبيقي :

وهو البحث الذي يهتم بالجانب العملي في تناول المشكلات والخواص . وهو بذلك تطبيق للمناهج، وأدواتها وإساليبها لتوفير البيانات الواقعية حول الخواص والمشكلات المراد دراستها، لكن يمكن اعداد احكام معينة حول تلك المشكلات والخواص .



١ د / بحث نقدي اختياري .

وهو البحث الذي يتناول فرعا او مجموعة فروع معينة بالدراسة ،  
لاختبار مدى مدتها ، ونشأ هذا البحث يتم اجراءه للمحم بين المؤلف النظري  
وما يتبند اليه من فروع ويمن معطيات الواقع التي تكشف منه الدراسة \*  
وذلك في ضوء عملية المقابلة بين المؤلف النظري واحكامه ، والموقف التجريبي  
ومعطياته حول الواقع .

والواقع ان فشل هذا التصنيف يتم بنوع من اللط والتدخل بين  
فئاته ، ولا يعطينا تحديدا دقيقا لنوع المناهج المستخدمة في علم الاجتماع  
وان كان له اهمية في ايداع انواع الدراسات ومع ذلك فهو لا يكتف عن  
المناهج المستخدمة في كل من تلك الدراسات بشكل دقيق وواضح . وبذلك  
لا يمكن الاستناد اليه كاساس منطقي في تصنيف المناهج خاصة . وان استخدام  
المناهج قد يتسق مع موضوع البحث اما نوع الدراسة ، وان كان الهدف  
من البحث هو الذي يحدد ويملئ نوع الدراسة المطلوب اجراؤها ، ان نوع الدراسة  
هو الذي يحدد المسلك المنهجي والادوات والاساليب المنهجية التي يستعان  
بها في دراسة المشكلة او الظاهرة ، ولا يعنى ذلك ان الاستناد الى الهدف  
من البحث في تحديد المشاكل غير ذي قيمة ، ولكنه لا ينفرد وحده في تحديد  
المنهج والادوات المنهجية التي يستعان بها . خاصة وان الهدف من الدراسة  
قد يتحقق باكثر من نوع من الدراسة وباكثر من مدخل منهجي .

ومع ذلك اهتمت محاولة ادواردز بركز ونياح " التصنيفية في اراحة النقاب  
من جانب هام واساسي يمكن الاستناد اليه في عملية تصنيف المناهج وان لم  
يغلب هذا الاساس وحده في تحديد نوع المناهج بشكل قطعي ودقيق .

ثالثاً : تصنيف المناهج في ضوء عملية التفكير :

شمة تصنيف آخر معرفة " هويتني " (١) وهو يستند فيه الى منطق العملية العقلية في تناول المشكلة ومناقشتها عليه عملية التفكير في دراستها . ومن ثم نجد يؤكد على أهمية البداية من الظاهرة او المشكلة المراد دراستها ، ومحاولة تفسيرها في ضوء البيانات المتاحة . كما انه اكد على ضرورة الرجوع للمصادر لمعرفة الواقع الذي كانت عليه الظاهرة موقوم البحث لا مكان دعم عملية التفسير بالابتعاد الى الحقائق التي يكتشف منها التحليل التاريخي للظاهرة او المشكلة . ثم يجتهد الباحث بعد ذلك لسابقة تنبؤات معينة حول الظاهرة في ضوء التناول التجريبي للقضايا المتعلقة بها . ويرأس مثل هذا التناول التجريبي لربحية الباحث في اختيار بعض النظريات واخضاعها للنقد . وفي ضوء ذلك يعمل الباحث الى تعميمات فلسفية تتسم بالعمومية والشمول حول الظاهرة .

١ - تصنيف هويتني لمناهج البحث :

١ - المنهج الوصفي :

وهو يهدف الى توفير البيانات والحقائق من المشكلة او الظاهرة موضوع البحث لتفسيرها تفسيراً كاملاً . وهذا يؤكد " هويتني " على ضرورة تجاوز مرحلة تجميع البيانات بمحاولة تفسيرها للوقوف على دلالتها . والواقع ان تحديد هويتني لمعنى المنهج الوصفي بهذه الصورة يميزه عن البحث التاريخي نظراً لعدم اتصاف البحث الوصفي على مجرد سرد الاحداث وتطورها في فترات زمنية معينة .

وهذا يذهب هويتني الى وجود خمسة نماذج رئيسية للبحوث الوصفية تتمثل في

(1) Whitney, F.L., The Elements of Research, New York, 1945.

- البحث المسمى .
- والبحث الواسع طويل المدى .
- دراسة الحالة .
- تحليل العمل والبنشاط .
- الدراسات والبحوث المكتبية التوثيقية .

#### ب- المنهج التاريخي

وهذا المنهج يعتمد بحلة اساسية على الفواهر والاحداث التاريخية ويستند إليها في دراسة العاصر وتفسير فواهره بحيث يتم بحث الجزئيات التاريخية وتحديدها كمرحلة اولى ثم يقوم الباحث بعد ذلك بالتأهيل بين تلك الجزئيات علائقيا للوصول الى الصورة الكلية حول الفواهر التاريخية التي يستند إليها في تفسير فواهر العاصر .

#### ج- المنهج التجريبي :

يستند المنهج التجريبي اساسا لمنطق التحكم والسيطرة على مجموعة من المتغيرات variables / بهدف قياس التغيرات التي تطرأ عليها في ملاقتها ببعضها . وهذا المنهج يعتمد في نظر هونتس على البحث الدقيق القائم على وقائع مبنوية . وعلى الاستدلال الاستقرائي التجريبي باستخدام هذه الوسائل

#### ٢ - نماذج التفكير ونماذج :

ولما كان هونتس يربط بين نماذج التفكير والنماذج المنهجية لدراسة المشكلة ، فقد ميز عدداً من نماذج التفكير التي لا تترك في نظره لمستوى النماذج وتمثل تلك النماذج في :

## ١ - المدخل الفلسفي :

وهي تلك الدراسات التي تستهدف القامة المبادئ النظرية التي تصادف على لسان المجتمع، وهي الدراسات التي لا تترك عند مجرد تجميع البيانات والحقائق، في ميدان من ميادين الدراسة التي تتناولها العلوم الاجتماعية، وهويتني يرى هنا ان هذا النموذج يستهدف تقدم العلم والانسانية .

### ب - المدخل التنبؤي :

وهو يمثل نمط من انماط التفكير حول المشاكل والظواهر، ويشمل البحوث التي تهدف الوصول الى تنبؤات معينة حول الظواهر والاحداث، وهويتني لا يقر هذا النمط من البحث على الدراسات التجريبية بل يذهب الى ان أي دراسة تستهدف فهم الظواهر، والتنبؤ بها مستقبلا، تعد من قبيل الدراسات التنبؤية.

### ج - المدخل السببولوجي :

تحدث معالم هذا النموذج من الدراسة منذ بدايات الاهتمام بعلم الاجتماع باعتباره العلم الذي يهتم بفهم الحياة الاجتماعية وما تتضمنه من ظواهر وعلاقات، وبذلك يتناول هذا النموذج الميادين التي تهتم عالم الاجتماع، وقد حدثت الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع هذه الميادين على النحو التالي :

- المشكلات الاجتماعية .
- النظم الاجتماعية .
- الطبقة البشرية .
- الشعوب والجماعات الثقافية .
- التكوين السكاني والبيئة .
- المجتمعات المحلية ، المجتمع الريفي .
- السلوك الجمعي .
- العلاقات المختلفة التي تنطوي على تكيف ومراع وتشمل :

- الاجتهاد الدينى .
- الاجتماع التربوى .
- التشريع والمحاكم .
- التفكير الاجتماعى والتطور الاجتماعى .
- الجريمة -
- المصحة .
- الامراض العقلية -

§ النظريات الاجتماعية ومناهج البحث

- دراسة الحالات .
- النظريات الاجتماعية وتاريخ التفكير الاجتماعى .

د - المدخل الابداعى .

وهذا النموذج من الدراسة يتناول العوامل المختلفة التى تحكم عمليات الخلق والابداع . فى مجالات التفكير المختلفة سواء كانت علم او فن او ادب . بهدف تحديد اسر عمليات الخلق والابداع تلك وهو يتنبأ بى ان لبذل تلك الدراسات اهمية كبيرة للمجتمع .

وابها : تصنيف المناهج حسب نوع الدراسات :

شما اتداء ثالث ولسج فى تصنيف المناهج وهو ذلك الاتجاه الذى نسميه "لستيز وولاه" C. Sellitz وهو الاتجاه الذى يركز فى تصنيفه للمناهج على نوع الدراسات ورغم ان تصنيفهم يعتمد من معظم المناهج بالمعنى المحدد لهذا المصطلح الا انه يتم بالمرونة نظرا لاشتماله على لشين اساميتين من الدراسات هما :

- الدراسات الاستطلاعية الوصفية .
- الدراسات السببية التي تختبر الفروض .

وهم يقيمون تصنيف الدراسات بالاستناد للهدف من تلك الدراسات .

ورغم ان تصنيفهم ياترتب من تصنيف "ادواردز" و"كوبرنياخ" الا انهم يختلفون في ان تصنيفهم يستند للهدف بالنسبة لنوع الدراسات في حين ان تصنيف "ادواردز" و"كوبرنياخ" للمناهج يستند مباشرة على الهدف من الدراسة .

ورغم ان اللط الفاصل بين الصنفتين بسيط الا انهما متباينتان بشكل واضح حيث ان تصنيف سلتيز يولاه يستند أساسا لنوع الدراسة ومن ثم يحدد المصانع بالارتكاز للهدف من تلك الدراسات وهذا بالادخال لاتساع الفئات التي اهتموا بتحديدوها، والتي شملت فئتين من الدراسات هما الدراسات الاستطلاعية والدراسات السببية ومن ثم نجدهم يحصرون اهداف الدراسات رغم تنوعها في فئات اربعة هي :

- توفير المعرفة حول ظاهرة ما .
- تحديد السمات الدائكية لموقف أو جماعة أو فرد .
- تحديد تكرارات الحدوث المرتبطة بأمر من الأمور .
- اختبار العلاقة السببية بين المتغيرات والتي يتضمنها طرف ما من الفروض .

وهنا نجدهم يحددون أنواع الدراسات بالاستناد لتلك الاهداف . فالهدف

الأول تسمى اليه الدراسات الاستطلاعية Explanatory studies

وهي تلك الدراسات التي تركز اهتمامها لاكتشاف الأفكار وجوانب معينة لم يتداركها الباحث بعد . وهي بذلك تنتم بالمرونة لتغطية مختلف جوانب الظواهر التي تتناولها

اما بالنسبة للهدفين الثاني والثالث فتسمى لتحليلهما الدراسات الوصفية

Descriptive Studies وهي تسمى لتحقيق دقة أكثر، وتتجنب قدر كبير من

التحيز .

1) Selltitz, C. and Others, Research Methods in Social Relations, London, Henry Holt, 1951.

وبالنسبة للهدف الرابع المرتبط باختيار العلاقة السببية فلذلك مسسّن  
شان الدراسات السببية التجريبية والتي تصح لتجنب التحيز بقدر كبير .  
وتعتمد على التجربة باعتبارها النمط المثالي لها .

وبذلك نجد أن سلتيز وزملاؤه يحددون الفئتين الأساسيتين من الدراسات  
وهذه الدراسات الاستطامية الوصفية والدراسات السببية التي تصح  
لاختيار الفروض والعلاقات الدائمة بين المتغيرات .

والواقع ان تصنيف سلتيز وزملاؤه يتم بقدر من الدقة في تحديد  
المدخل المنهجي الذي تستند اليه كل من الدراسات في معالجة الظواهر  
الاجتماعية ؛ الا أن هذا التصنيف لا يحدد بدقة طبيعة المناهج التي يمكن  
استخدامها في كل من الدراستين كما أنهم لم يقدموا تحديدا دقيقا  
للمناهج والأدوات والأساليب المنهجية التي يمكن الاستعانة بها في كل من  
الدراستين .

وعلى لو المترفعا ان التصنيف يتفمن تقديم للمداخل المنهجية في معالجة  
الظواهر الاجتماعية ؛ الا انهم لم يقدموا لنا التصنيف الكامل لانواع المناهج  
من ناحية ولم يحددوا وجهة نظرهم بوضوح فيما يعتبر من قبيل المنهج . او من  
قبيل الاداة او من قبيل الانطوب المنهجي ، وهذه من الامور الهامة والحيوية  
في عملية التصنيف . وربما كان في مقدورهم اجراء مثل هذا التمييز لو اقاموا  
تصنيفا مباشرا للمناهج المستخدمة في دراسة الظواهر الاجتماعية والتي يستند  
اليها علم الاجتماع في معالجة ولهم الواقع الاجتماعي ؛ بالاستناد لمداخلة المنهجية  
خاصا ؛ تصنيف المناهج على أساس التمييز بين نمط الدراسة وهذها :

يميز هذا الاتجاه بين المناهج ونوع الدراسة والهدف منها . وقد حمل لواء  
هذا الاتجاه كل من "ماريكنر" ، "جودويكيتس" و"أودم" وغيرهم من علماء المناهج .

ولد جاء هذا الاتجاه كرد فعل للاتجاهات التي ربطت بين المذاهب والعراصات والهدم منها . وكان الدافع وراء محاولات هؤلاء العلماء الذين أطلقوا ذكركم هو الخروج من مآزق الخلط بين المذاهب والاترات والاسباب وتلقفهم التمهيد العلم للمذاهب في حد ذاتها باعتبارها ركيزه هامة للبحث العلمى . وعلى أساس ذلك تعرف لتلك المذاهبات فيما يلى :

١ - تمثيل مركز للمذاهب :

يلجأ مركز الى ان مذاهب البحث الرئيسية تنحصر في المذاهب التالية :

- أ - المنهج الانثروبولوجى .
- ب - منهج دراسة الحالة .
- ج - المنهج الفلسفى .
- د - المنهج التاريخى .
- هـ - المنهج الاجتماعى .

وهو في تحديده لهذه المذاهب يؤكد أنها تلامس البحث الاجتماعى وان مالم الاجتماع يحتج اليها في دراسته للواقع الاجتماعى كما انه يحدد بعض الأدوات التي تلامس كل من تلك المذاهب الخمس .

فالمنهج الانثروبولوجى : يقدم في البحوث الانثروبولوجية ويعتمد اساسا على الملاحظة الميدانية كاداة من أدوات البحث ويمكن ان يستعين بالمقابله للاعبانيين كاداة أو يمان كاداة البحث . ورغم ما يوفره هذا المنهج من بيانات حول التفاعل الثقافى والعوامل التي تؤدي الى التفسيرات الثقافية ، إلا أن مركز يؤكد ان هذا المنهج ينطوى على بعض جوانب القصور نظرا لعدم اكتمال خطوات المنهج العلمى به ، حيث ان البحث العلمى في نظره يتم في خطوات متسلسلة اساسية هي :



- مرحلة صياغة المشكلة .
- مرحلة مراجعة المعلومات مكتوبة .
- مرحلة الملاحظة التمهيدية للوقائع .
- مرحلة فرغ الفروض وصياغتها .
- مرحلة التحقق من صحة الفروض بلمية الوصول لنظريات علمية معتمدة للقوانين صالحة .
- مرحلة استخدام النظريات في مجال التطبيق .

وهو في ذلك يؤكد أن المنهج الانثروبولوجي بخطواته المختلفة لا يتجسّد في الخطوات الثلاثة الأولى التي يجرّنها المنهج العلمي، دون أن يصل لمرحلة صياغة الفروض .

ثم يحدد ماركيز بعد ذلك منهج دراسة الحالة : ويرى أن هذا المنهج مشابه لنموذج منهجي آخر يستخدم في مجال الطب العقلي، وعلم النفس الأكلينيكي والخدمة الاجتماعية . وهذا المنهج في نظره يصر اهتمامه في الخطوات الثلاث الأولى والسادسة من مراحل البحث العلمي، حيث يساعد على تحقيق العلائق التمهيدية للوقائع ويحسّ للاستفادة بالنظريات في مجال التطبيق، ماركيز يرى في هذا المنهج النموذج الأكثر أهمية للعلم في حالة توفر البيانات الكافية للمقارنة بين فردين . وواضح هنا أن ماركيز لم يتناول منهج دراسة الحالة بالمعنى السيولوجي، الذي يعني دراسة الحالة الثقافية للوحيدات الاجتماعية ويكتفي هنا بحصره في دراسة الحالات الفردية وهو فهم غيق لمنهج دراسة الحالة . إضافة إلى أن دراسة الحالة أسلوب وليست منهج .

أما بالنسبة للمنهج الفلسفي في نظر ماركيز فهو يهتم بالمرحلة الرابعة من مراحل البحث العلمي والتي تتمثل في صياغة الفروض بهدف الوصول إلى تعميمات نظرية، إلا أنه يأخذ على هذا المنهج صعوبة اخضاع مفاهيمه ونشأته للقياس عن طريق الملاحظة، وكذلك يرجع للأساس الذي يستند إليه هذا المنهج والاعتماد

في الاحكام اللابلية التي لا تستند على معطيات الدراسات التجريبية . وذلك ما هو واضح في التفكير أنصار الاقتصاد الكلاسيكي وأعمال سبنسر الخاصة بالتطور الاجتماعي، وبارسونز في صياغاته النظرية حول المجتمع والفعل الاجتماعي ومتغيرات النمط . وماكدوجل في صياغته لنظرية الغرائز، وغيرهم من أنصار الصياغات النظرية حول المجتمع بواسطة البنية البشرية .

وبالنسبة للمنهج التاريخي منذ ماركيز فهو واحد من المناهج التي يعتمد عليها علم الاجتماع لما لحداثته الدائري وهو ابرزه من أهمية في تفكير العالمر، اذا ما أستطاع الباحث أن يؤلف بين تلك الحوادث والظواهر تأليفا منطقيا . ومن ثم نجد انما يكون للخطوة الثالثة من خطوات المنهج العلمي والمتشعبة في الملاحظة المعنوية . ورغم ذلك فان ماركيز يؤكد ان المنهج التاريخي أقرب ما يكون للخطوة السادسة حيث يمكن تطبيق النظرية العلمية على احداث الدائري وهو ابرزه، اللهم العالمر في غرض هذا التطبيق .

ولمذا يتعلق بمنهج المسح الاجتماعي نجد ان ماركيز يؤكد انه لم يصل بعد لمستوى فرض وصياغة الفروض الجديدة ذات القيمة العلمية، رغم تكاليفها الباهظة، وذلك لانها لا تركز على التفكير النظري الذي تستند اليه عمليات صياغة الفروض . وبذلك نجد ان الطائفة المرجوة من المسح لم تتحقق بكاملها، ولكنها اذا ما وجهت نحو صياغة الفروض وهي الخطوة الرابعة من خطوات المنهج العلمي، ومحاولة التأكد من صحتها لا يمكن لهذا المنهج أن يقدم خدمات جليلة للعلم . وبذلك وقع المسح ضمن المناهج رغم انه اعطى من ايجاب البحث والنسبة للمنهج التجريبي منذ ماركيز فانه الركيزة الاساسية للعلم، حيث يسعى للتحقق من صحة الفروض والتي تعد الخطوة الخامسة للعلم، ورغم انه ما زال محدود النطاق في مجال العلوم الاجتماعية باستثناء علم النفس

ألا أنه محور الاهتمام في الدراسات العلمية، كما أنه من أهمية بالغة بالنسبة للدراسات السببية التي تتناول العلاقات بين التغيرات المتتالية .

#### ٢ - تصنيف أوزم<sup>(١)</sup> للمناهج البحث الإجتماعي

توالى تصنيفات العلماء بعد ذلك للمناهج حيث صنفها "أوزم" إلى خمسة

مناهج أساسية تمثلت في :

- أ - منهج الاستقصاء .
- ب - ومنهج دراسة الحالة .
- ج - المنهج التجريبي .
- د - المنهج التاريخي .
- هـ - المنهج التفسيري .

ورغم أن الاتجاه العام في علم الاجتماع حديثاً يؤكد على اعتبار الأداة أداة من أدوات البحث الاجتماعي باعتباره وارد في مختلف الدراسات رغم تعدد مناهجها، إلا أن أوزم قد أورد منهج ضمن مناهج البحث على نحو ما فصل الرائد الأواشل في علم الاجتماع والذين كانوا ينظرون لأداة كمنهج من المناهج الأساسية لعلم الاجتماع، ولكن الاتجاه المعاصر يؤكد على أن الأداة من أدوات البحث في العلوم الاجتماعية بعامة وعلم الاجتماع بخاصة .

#### ٣ - تصنيف جود ومكينس للمناهج البحث الاجتماعي

بحصر جود ومكينس تصنيفهم لمناهج البحث في خمسة أنواع أساسية

تمثلت في :<sup>(١)</sup>

---

(1) Goode, C & Scapec, Methods of Research New York: 1954.

- ١ - المنهج التاريخي .
- ٢ - المنهج الوصفي .
- ٣ - المنهج التجريبي .
- ٤ - منهج دراسة الحالة .
- ٥ - المنهج التنبؤي .

وهذا نجد أن جود ويكتسب لهما ان للتمييزات السابقة للمناهج المنهج التنبؤي .

وهو المنهج الذي يستهدف تتبع الظاهرة موضوع البحث للتعرف على التغيرات التي تطرأ عليها، وهو بذلك يمكن من اختبار العلاقة بين متغيرات معينة، يحدد ملاحظتها بالظاهرة موضوع الدراسة في ضوء عوامل تغير معينة لتحديد بالظاهرة. وذلك كأن يتتبع باحث ظاهرة التحصيل بين الطلبة وعلاقتها بالامتحان والنمو الدراسي أو أن يتناول باحث نمو الشعور بالانتماء والارتباط والاستقرار في العمل طوال فترة الاستخدام في تنظيم اجتماعي معين وذلك على نحو العمل "ززيلج" في دراسته لعدد من التنظيمات الاجتماعية الصناعية في الولايات المتحدة ودرجة استقرار العاملين بها وعلاقة ذلك بفترة الاستخدام فسي تلك التنظيمات .

وهذا المنهج يتم بالمقارنة على اختبار الفروض والعلاقات القائمة بين الظواهر، بالإضافة الى امكانيته في الوصول الى الصيغيات النظرية حول الظاهرة موضوع الدراسة بالاستناد الى معطيات الدراسات التجريبية للواقع الاجتماعي المرشدة بالظاهرة موضوع البحث .

سابقا : تصنيف المناهج على أساس نمط الدراسة ومداخلها المنهجية :

أدى الاختلال بين علماء المناهج في تحديد الأسس التي يقوم عليها تصنيفهم للمناهج البحثية إلى حدوث قدر من التداخل بين نمط الدراسة والمنهج والطريقة المستخدمة. في الدراسة من ناحية وبين المناهج والأساليب والأدوات من ناحية أخرى وذلك بعينه ما جعل الأمور تتداخل مع بعضها بالنسبة لمعظم الباحثين وهم يحدد منهجية البحوث الاجتماعية . ويرجع ذلك فسيحاً إلى عدم اتجاها المعالجات المتكاملة للمناهج المنهجية ومناصره على مستوى نسق التفكير العلمي عامة، وعلى مستوى علم الاجتماع خاصة .

ولهذا جاءت بعض المحاولات المعاصرة التي عنيت بإقامة البرهان العلمي لبرهان علم الاجتماع بلهزم معاصر لوسائل العلم، التي أكد عليها علماء المناهج أمثال "كارل بيرسون" و"داهون" و"جين شوي" و"لورنز فيلد" والتي تمثلت في رفض الوصف والتفسير . مستهدفين بذلك تحديد منطق البرهان العلمي في علم الاجتماع على أساس الدراسات التي يجرها هذا العلم، تطبيقاً لوهيشتي العلم الإحصائية . ومن ثم أكد "تيلسن كول" في ملاحظته لمنطق البرهان على نمط الدراسة الوصفية ونمط الدراسة التفسيرية في علم الاجتماع. ومدى تطبيق العلم لأهدافه بإنجاز الوصف والتفسير لظواهره<sup>(١)</sup> وقد أكد نفس الاتجاه لـ "كوت بايلي" في تصنيفه للدراسات في علم الاجتماع وتعميمه بين نمط الدراسة الوصفية ونمط الدراسة التفسيرية<sup>(٢)</sup> . إذ أن هذين الاتجاه لتصنيف الدراسات أو البحوث في علم الاجتماع، إلى بحوث وصفية وبحوث تفسيرية قد ساعد على التامة تمييز واضح ودقيق بين المناهج والأساليب والأدوات بالاعتماد لتحديد استخدام كل منها على مستوى الدراسات الوصفية ومستوى الدراسات التفسيرية .

(1) Cole, S., op.cit., pp. 29-33.

(2) Bailey, E., op.cit., pp 31-32.

ويبدأ لذلك المعاولات محاولة كل من " ايان شتروك " ورافال كيلمان  
في مؤلفهما بعنوان ( المداخل المنهجية للعلم الاجتماعي ) حيث اهتمتا  
بمعالجة المداخل المنهجية والفروق بينها وبين المناهج وتكتيكات البحث  
وبما افلدها خاصة لتحديد معالم تلك المداخل المنهجية في مجال العلم  
الاجتماعي والشكل العلمية التي تتدرج في نطاق هذا العلم مثل علم  
الاجتماع هذا بالامامة لما قدمته تلك المؤسسات تحليل مستفيض للتصورات  
المنهجية والطرق المختلفة التي تعدد مدار البحث في العلم الاجتماعي (١) .

ويرتس اسهام كل من " جري چاكويز " و"وارد زلوييز" في مؤلفهما  
بعنوان الاجتماع الكيفي بما يكتل تلك المعاولات بتطبيق تقدم واضح في مجال  
تصنيف انماط الدراسة ومداخلها المنهجية في علم الاجتماع . حيث مولجت  
المداخل المنهجية الذاتية مثل المدخل الاشتوميشيولوجي الذي يتخذ من  
رؤية الثقافة الخاصة تصويره المنهجي للمعالجة والتحليل . والمدخل  
اللينوميشيولوجي الذي يتخذ من الرؤية الذاتية للمعالجة تصويره المنهجي  
للمعالجة والتحليل . يهدف لذلك ارتباط مثل تلك التصورات المنهجية  
سالم طرق المنهجية للدراسة والتي تتمثل في الطريقة الانثروبولوجية التي  
تتند اليها البحوث الانثروبولوجية باعتبارها نمطا وطبقا للدراسات  
الكيفية في علم الاجتماع (٢) وتتميز مداخلها المنهجية من المداخل  
المنهجية للدراسات الكمية ( التجريبية ) في علم الاجتماع والتي تتخذ  
من المدخل التجريبي والمدخل الريفي تصويرها المنهجي لمعالجة الظواهر

(1) Mitroff, Ian I. & Kilman, Ralph, Methodological Approaches to Social Science, London, Jossey. Bass Publishers, 1978. p.viii.

(2) Jacobs, J. & Schwartz, R., op.cit.

الاجتماعية . وتتسم دائرة المداخل المعرفية للدراسات التفسيرية في علم الاجتماع لتشمل بالإضافة للمدخل التجريبي والمدخل الرياضي، كل من المدخل المقارن والمدخل التاريخي، وذلك يتحقق للمعطيات التفسيرية في علم الاجتماع الواعية التي يحلقها المدخل التجريبي، والدقة التي يحلقها المدخل الرياضي، والشبكات الذي يحلقه المدخل التاريخي، والعمومية والشمول الذي يحلقه المدخل المقارن . ولا يقتصر استخدام المدخل التاريخي والمدخل المقارن على البحوث التفسيرية فحسب . وانما تستخدم ايضاً في نطاق البحوث الوصفية ، اما بالنسبة للمدخل الرياضي فهو يستخدم في نطاق البحوث الوصفية على مستوى القياس الاسمي والقياس الترتيبي والقياس الطائلي حيث يختبر العلاقات الارتدادية<sup>(١)</sup> بالمعنى الخفي الذي تكشف عنه البحوث التنبؤية التي تهتم بوضع العلاقة بين المتغيرات فقط .

ولي فوه تلك المعادلات تكشف المتعالم الاساسية التي تميز عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع والمتعلقة في المنهجية، والمداخل المنهجية، والطرق المنهجية، والاساليب المنهجية، والادوات المنهجية، وتحدد طبيعة العلاقة التي تربط تلك العناصر ببعضها وما يرتبط بكل منها من وداخل في عملية البحث والدراسة للظواهر الاجتماعية، التي يهتم علم الاجتماع بمعالجتها وتلخيص التفسيرات العلمية لها، والامة البرهان العلمي على صحة تلك التفسيرات، وما تنطوي عليه من احكام وتنبؤات حول الظاهرة الاجتماعية . وذلك ما هو واضح من تحليلنا لعناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع والذي اوردناه بالفعل السابق من هذا الكتاب .<sup>(٢)</sup>

---

(١) لمزيد من التفصيلات حول تصنيفنا لعناصر البناء المنهجي والتمييز بين المداخل والمنهج والاساليب والادوات راجع تحليلنا للبناء المنهجي لعلم الاجتماع، بنفسي الكتاب .

## الفصل العاشر

### البحث العلمى بين النظرية والتطبيق

تستند عملية البحث حول المعرفة لإجراءات وقواعد منهجية معينة ، وذلك بغية الوصول الى المعرفة المفبوبة حول أنواع الظواهر التى تنظم الكون ، لامكان استخدامها فى عمليات التنبؤ بمقابل تلك الظواهر حتى يمكنها على الانسان التحكم فى تلك الظواهر، والسيطرة عليها خلال تفاعله معها. ولن يأتى للانسان ذلك الا بتوفر المعرفة الدقيقة والثابتة، واول تلك الظواهر التى يعيخ تنبؤاته حولها .

ولاشك أن توفير مثل هذه المعرفة من اختصاص العلم ، لما يتوفر له مسن وسائل البحث والملاحظة العلمية . ومن ثم عرف لندبرج العلم بأنه فرع من فروع المعرفة بوصفه للحصول على المعرفة المفبوبة عن أى نوع من الظواهر، وتطبيق هذه المعرفة فى عمليات التنبؤ<sup>(١)</sup> كما ذهب كوهن Y.R. Cohen فى دائره معارف العلوم الاجتماعية الى أن العلم فى أقيق معانيه يعنى الوصول الى التوازن بين العماء التى تقيم العلة المنطقية بين الحقائق المختلفة ، وذلك باتباع المنهج العلمى بأوسع معانيه/لما له من دور فى تدعيم الفروض وتخليصها من الأخطاء .

وفى ضوء ذلك يكون للعلم جانبان النظرى المتمثل فى خلق بناء نظرى لاداء على المفاهيم والفروض لفئة معينة من الظواهر/موا كانت ظواهر طبيعية او ظواهر اجتماعية وثقافية وشخصية . وهذا ما يشار اليه بالجانب النظرى للعلم .

اما الجانب الثانى للعلم فيتمثل فى تطبيق ما توصل اليه العلم من معارف نظرية على ظاهرة معينة لفهمها ويطلق على هذا الجانب العلم التطبيقى

(1) Lundberg, Foundations of Sociology, New York: 1939. pp. 5-10.



وهذان الجانبان يشكلان معاً من خلال العلاقة القائمة فيما بينهما، ما نسميه بالعلم .

وفي ضوء ذلك يتضح لنا أهمية تحديد المقصود بالاصطلاح المدرجة

في هذا الفصل والمتعلقة هي :

- ماهية العلم وخصائصه .
- أهمية النظرية في البحث الاجتماعي .
- البحث العلمي الاجتماعي وتطوره .

وذلك ما سنتناوله بالتفصيل فيما يلي :

أولاً : ماهية العلم وخصائصه :

١ - ماهية العلم

إن الحقيقة المؤكدة بين معلم علماء المناهج أن المعرفة ليست مرادفاً لمفهوم العلم، وذلك لأن المعرفة ذات شمول ومدلول واسم من العلم، حيث أنها تتضمن في شمولها معارف علمية ومعارف غير علمية . والفرق بين نوعي المعرفة هنا تستند على الأساس المنهجي ، وأسلوب التفكير المتبع في عملية تحصيل المعرفة . حيث أن اتباع الباحث لقواعد المنهج العلمي، في الكشف عن الظواهر وتفسيرها، يمكنه من توفير المعرفة العلمية حول تلك الظواهر .

وتحديد الفرق بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية هذا لا يكفي لتعريف العلم . وذلك لأن توفير المعرفة العلمية حول الظواهر لا يكفي لتعريف العلم، رغم أنها والعلم في نطاق العلم، وأنها هاد من أهدافه . وذلك لأن العلم يسمى لتوفير المعرفة وعيها المتأخر في إطار نظري، يتفهم القضايا ومذاهبهم ، وهذا في حد ذاته جانب من جوانب العلم، وعندما يسمى العلم لتطبيق هذه المعرفة المنفصلة على الظواهر، وتفسيرها، فإنه يحقق الجانب الآخر للعلم، والذي تسبقه عملية صياغة القوانين، والتنبؤية في ضوء المعرفة المتعلقة، حول الظواهر الواقعية في نطاقه .

ومن ثم ذهب البعض لتعريف العلم بأنه المعرفة المنظمة . وتعريف العلم بتراكم المعارف المنظمة يستهدف تعريف العلم بموضوعة فحسب، وهو المعرفة العلمية المنظمة. ومثل هذا التعريف يتسق مع مدلول كلمة Systematic ومعرفه Knowledge وذلك ما انتقده ولهم جود W. Good وبإيل هات لقصور التعريف وتجاهله لخاصية العلم الأساسية، والمتمثلة في كون العلم مدخل منهجياً<sup>(١)</sup> في المجال الأسيريقى، لتوفير المعرفة العلمية الصادقة حول الظواهر من ناحية، وتطبيق هذه المعرفة المتحصلة على الظواهر لتقديم التفسيرات الحلائقة لها من ناحية أخرى . ولكونه مدخل منهجياً فإنه يساعدنا على توفير المعرفة الصادقة . كما أنه بمثابة أطوب للتحليل يساعد العالم على صياغة الفرضيات وتقريرها في ضوء المعرفة المنظمة، التي تم تحصيلها على أساس المنهج العلمى . وإذا ما بدأنا بالمعلومات والفرضيات وانتهينا بالاستدلال الاستنباطى من هذه الفرضيات والمعلومات، فإننا لانكون هذا بصدد علم ، لأن ذلك يدخل في إطار الفكر الفلسفى ، ومن ثم ذهب كل من جود وهات الى أن روح العلم تتعشلى في فهم العالم الذى يعيش فيه الإنسان . كما أن ما نعتيه بفهم العالم الواقعى من الأمور الصعبة التى تتطلب اعتبارات معينة في عملية التفسير . ومن ثم ذهب ولهم جود وهات في تعريفهما للعلم الى أن التعريف المتشائى الذى يتناول العلم باعتباره تراكم المعرفة المنظمة لا يساعد على فهم العلاقة بين النظرية والواقع، ويكتفى بالتركيز على الوقايم وحدها . في حين انهما يذهبان الى أن العلم يهتم بالنظرية والوقايم والعلاقة القائمة فيما بينهما .

وذلك لأن النظرية احدى وسائل العلم الأساسية لما لها من اداء وظيفى .

(1) Goode, W., Hatt, p. Methods in Social Research, New York, Mc Graw-Hill Book Company. 1952. p.7

## ١ - الاداء الوظيفي للنظرية

= تعريف التوجيهات الاساسية للعلم وتحديد ما يتم تعريف انواع البيانات التي تكون مجردة .

= كما انها تلدم الاطار التصوري الملائم للماهرة بما يحويه مسن تنهيم وتعنيك وتربط .

= وكذلك فانها تلخس الولاكم والحقائق:

= تعميمات امبيرالية .

= وتعميمات نظرية .

= كما أن النظرية تتنبأ بالولاكم .

= وتمين الثفرات لسي معرفتنا .

وبهذه الصورة تساعد النظرية العلم على المستوى النظري .

= الاداء الوظيفي للولاكم :

في الجانب الآخر الخاص بالولاكم نجد أنها :

= تساعد في صياغة النظريات والتحقق منها .

= تساعد في عملية اعادة صياغة النظرية .

= تعمل على رفض النظريات التي لا تلائم الولاكم .

= كما أنها تصدل مركز النظرية وتوجيهها .

= وتساعد في ابراج النظرية واداة تعريفها .

ومن ثم يتفصح لنا أهمية ادراج عنصرى النظرية والولاكم في اطار تعريف

العلم، كما لهذا من دور وظيفي اساسى فى بناء العلم وتحديد معالمه (١)

---

(1) Goode & Hatt, op.cit., p. 8.

ومما يؤكد وجهة النظر تلك مذهب اليه "كوهين" مندمًا. أشار إلى أن العلم في أضيّق معانيه يعنى الوصول إلى القوانين العامة التي تنظم الملة المنطقية بين الحقائق المختلفة . وأن المنهج العلمى بأوضح معانيه يساعد على تدعيم الفروض بتخليصها من الأخطاء وكوهين بذلك يشير إلى أن العلم يهدد الوصول إلى قوانين ، ويساعد المنهج العلمى فى صد الباحثين بالفروض المبدئية للدراسة . وكوهين هذا يميز أهمية المنهج العلمى بالنسبة للعلم ، ويوضح أهمية وجود الصياغة النظرية فى البحث كما أنه بذلك يوضح ضمناً عنصر التنبؤ للعلم بالاستناد للقوانين .

وذلك بدوره يدفع التعريف المتداول للعلم بالاستناد إلى موضوعية وهو المعنى المنظمة لحسب ، ويتم وزناً لأهمية التراج المنهج وعنصر التنبؤ فى تعريف العلم . وذلك ما أكدته موضوع كل من كادال بيرسون وكوهين وبوانكاريه مندمًا لقرروا أن الحقائق وحدها لا تمنح العلم ، بمعنى أن العلم لا يعرف من طريق موضوعية وذلك لأن الموضوع بمثابة وحدة يتقوى تحت لواحدة العلوم المختلفة سواء كانت علوم اجتماعية أو طبيعية..... الخ .

والتي تتميز أى العلوم / من بعضها باختلاف موضوعها وبما قل الملاحظة العلمية . ومن ثم يكون العلم وسيلة للوصول إلى المعرفة المنظمة ، حول أى نوع من الظواهر على أساس منهجى ، مع تطبيق هذه المعرفة فى عمليات التنبؤ ، وفى ضوء ذلك الصوار نحى فريق من العلماء فى تعريفهم للعلم مندمًا آخرًا لغير المنحى الذى انتهجه التعريف المتداول حيث عرفوا العلم بأنه " المعرفة المنظمة المتصلة من التجريب والدراسة والملاحظة ، التى تهدف تحديد أصول الظواهر وطبيعتها تلك الظواهر التى تخضع للدراسة والملاحظة " (١) .

---

(1) Webat's New Twentieth Century Dictionary of Englands Language, 1960.  
p. 1622.

ولا شك ان هذا التعريف يوسع مفهوم العلم من التعريف المتشدد اول  
والذى يركز على موضوع المعرفة المنظمة حسب الانواع منصر المنهج الذى  
يستخدمه العلم فى تحميل المعرفة حول الظواهر، بينما يحافظ التعريف  
الاول من حدايه دور المنهج فى عملية تصنيف المعرفة وتحليلها . وبذلك  
لانه لا يفرق بين المعرفة العلمية التى تستند للمنهج فى تصنيف المعرفة  
والمعرفة التى تعتمد على الانطباعات الحسية والفلسفية التى تستند الى  
الاستدلال الاحتشائي، دون ان تقيم للاستقرار وزنا فى عملية تصنيف المعارف .  
وفى ضوء ذلك ذهب " ديفورمز " واستلن رشر<sup>١</sup> الى أن حداية العلوم  
الاجتماعية وموضوعيتها تتحقق بالاستناد الى منهجية عملية البحث وتكنولوجيا<sup>(١)</sup>  
وذلك بعينه ما دفع بكارل بيرسون الى حد القول ان كل ميدان معرفى  
علم طالما انه يستخدم بصورة منظمة ومتسقة قواعد المنهج العلمى  
The Grammar of Science . وذلك اكتب المنهج وفقاً لمميز من خلال عملية التحقق.  
وذلك ما حصل أندروز بحصر كلمة العلم Science فى المعرفة الدالة للتحقق<sup>(٢)</sup>

#### ٢- خصائص العلم

##### ١ - الخصائص العامة للعلم

ثمة خصائص عامة تسم جميع العلوم، بها فيها علم الاجتماع وتتمثل فى :

- ان العلم يعنى بوضع الفرضيات .
- وأنه يعنى بتعريف المصطلحات .
- وأنه يستخدم الطرق الموضوعية للملاحظة .

(1) Forcese, Dennis & Richer, Stephen, Social Research Methods,  
New Jersey: Prentice-Hall. Inc., 1973. pp Vi-Vii, 15.

(2) Andrews, T., Methods of Psychology, 1948. p.5.

- ويسهم العلم في عملية تصنيف الظاهرة موضع الملاحظة .
- يقترح الفروض Hypotheses الجديدة ويختبرها .
- يعبر عن الانتقادات الكيفية بمصطلحات كمية قدر الامكان .
- ينمى ويطور النظرية / التي ترتبط بالجوانب المختلفة للمعطيات، ويتم ذلك بطرق منهجية متكاملة . كما ان النظرية قد تكون موضوعا للتعديلات في ضوء المعطيات الجديدة التي يقدمها العلم حول القواهر التي تسهم النظرية في تفسيرها .
- يسهم بصورة مستمرة في عملية النقد وإعادة فحص التعميمات Generalizations، والتي عندما تظام تظل قابلة للتقدير وإعادة النظر في ضوء المعطيات الجديدة .
- هذه هي سمات العلوم الاساسية وخصائصها التي يشاركها فيها علم الاجتماع (١)
- ب - الخصائص التي تميز المنظور العلمي لعلم الاجتماع :

وفي ضوء تلك الخصائص نجد ان ثمة مفاهيم اساسية ترتبط بالمعلم وتتمثل في تلك المفاهيم التي تميز ماهو علمي عن صور المعرفة من ماهو فلسفي واهو علمي من ألوان المعرفة . ومن الملاحظ ان تلك المفاهيم تشير للآليات اساسية تقتضي ان تلك منها بالشرح لما لها من اهمية في صياغة نظرية العلم وتحديد مقوماته الاساسية . وهذه المفاهيم هي :

#### (أولاً) : التكميم التام : Complete Quantification

لاشك ان العلم يرتبط مباشرة بمدى قدرته على وضع البيانات المدروسة، والعلاقات المكتشفة في صيغة كمية . كما ان العلوم تختلف في مدى قدرتها على وضع تلك البيانات والعلاقات في هذه الصيغة الكمية ايضا . وذلك

(1) Warren, Rolland, L. & Roucek, Josephs., Sociology, New Jersey: Little Field, Adams & Co. 1968. p. 6.

ما نلمسه بوصفهم بالنسبة لعلوم الفلك والطبيعة في هذا الاتجاه حيث نجدها متقدمة في هذا المجال بشكل واضح وعلوم يبلغ من الدقة حدًا أصبحت معه الصياغة الكمية من أهم لها أهميتها . في حين أن علم الاجتماع رغم التقدم الذي قطعه في هذا المجال والذي دعمه علماء الاجتماع الرياضيين (مثل راسل وزيك وغيرهما من علماء الاجتماع الرياضيين) إلا أنه ما زال يحتل مرتبة أقل بالنسبة للعلوم الطبيعية في هذا المقدر، وربما يرجع ذلك في أساسه لطبيعة الموضوع الذي يدرسه كل من تلك العلوم ومدى قابلية تلك الموضوعات لمعاملات التكسيم والقياس . ومع ذلك نلاحظ اليوم جهودًا موفقة في مجال علم الاجتماع لدعم هذا الاتجاه بهدف رفع مقدرته على قياس العلاقات التي تكتشف في مجال علم الاجتماع .

#### (ثانياً): الطريقة التجريبية Experimental Method

عندما نتحدث عن المنهج التجريبي أو الطريقة التجريبية، فإننا نشاقل هنا أهم جانب أو عنصر من عناصر العلم، والمنهج العلمي، حيث أن هذا المنهج من أهم الجوانب التي دعمت تقدم العلم. وبالنسبة لعلم الاجتماع رغم نظامه المحدود نسبياً نتيجة لطبيعة موضوع علم الاجتماع، إلا أن لادقته لهذا العلم تتزايد باستمرار .

#### (ثالثاً): العلم والطريقة الموضوعية Objective Method

إن مفهوم العلم كطريقة موضوعية لتجميع المعرفة، قد تزايد انتشاره في الحقب الأخرى . وطبقاً لهذا المفهوم فإن العلم لا يتكون من الحقائق المثبتة مطلقاً، وعلاقاتها المتداخلة، والتي يكشف عنها العلم، ولكنه يتكون منها من المنهج الذي يستعان به في جمع تلك الحقائق المثبتة<sup>(١)</sup>، والحقيقة أن للمدخل العلمي موضوعية مؤكدة . وذلك لأنه يستخدم المناهج التي تتبهد

(1) Warren & Roucek , op cit p ٥

الى حد كبير الجانب الشخصى للملاحظة، وذلك لان موضوعية العلم ذات قيمة واضحة بالنسبة للآخرين، الذين قد يراجعون معطيات ملاحظتهم التجريبية. وعلى وجه العموم فان العلوم تجري مراجعة نقدية للمناهج، والمعطيات، لاستبعاد ما لم يثبت صحته من تلك المعطيات فى ضوء تلك المراجعة، ولتحقق بالاستناد الى الواقع . وذلك هو محور الطريقة الموضوعية للعلم .

ثانيا : ماهية النظرية فى عملية البحث :

عندما تناول فرانك ولير " D. Willer الجوانب العلمية لعلم الاجتماع " (١)، اكد على جانبيه النظرى والمنهجى. ولذلك استهل حديثه فى الفصل الاول والذي تناول مشكلة المعرفة فى علم الاجتماع بأن المنهج العلمى له عنصران يتمثلان فى المنهج، وبناء النظرية Construction of Theory. وبذلك نجده يجمع الفعل الثانى مباشرة لبناء نموذج النظرية حيث اكد فيه على اهمية الجانب النظرى للعلم . وقد ساق تعريفه للنظرية بانها " مجموعة العلاقات المتكاملة والمتمتعة بمتوى معين من الصدق " (٢). وقيل الاشارة لمشكلة صدق النظرية، بذهب " ولير " الى انه من الضرورى والهام ان نشير الى هذه المبادئ، التى وفقت كنظرية، والتى يسميها ولير بالفروض Hypotheses ، والتى تتطلب التأكيد من صدقها - لكي تكون النظرية .

وبذلك عندما يثبت صدق الفروض الموضوعية، فانها تشكل الصيغة النهائية للنظرية . وذلك لان تحقيق مستوى معين من الصدق للفروض مطلب ضرورى وهام،

---

(1) Willer, David, Scientific Sociology "Theory and Method: New Jersey: Prentice-Hall. W.C., 1967. PP. 1-8.

(2) Willer, Ibid, p. 9



ويقتضى العلم الوصول اليه قبل ان تطبيق النظرية .

وبالنسبة لبناء النظرية فان هذه الظروف تأخذ شكلين - الشكل الاول يتمثل في : النسق الصوري للـ Propositions ، والثاني يتمثل في النسق الاجرائي والذي يتمدد عن طريق الاضافة التي تنهم بهـ التعريفات الاجرائية للنسق الصوري<sup>(١)</sup> أو النظرى .

والواقع ان للبناء النسق الصوري تحتوى على اطراف الحديث التسيثير الى " الملاحظات والعلاقات " . وذلك ما اكده " شير خدان " في تحليله لمفهوم اللغويات<sup>(٢)</sup> . ولهذا فان كل قضية سوف تحتوى على ملاحظات مرتبطة بملاحظات اخرى ، والتي عندما تأخذها ككل فانها تكون النسق الصوري وبذلك لا يحتوى النسق الصوري على تعريفات اسمية او اجرائية . ولا يحتوى ايضا على أية تفسيرات لى من العلاقات المقررة . وذلك لان هذه الامور جميعها توجد في بناء النظرية . ولأنه ان تأكيدها هذا ينحصر في شكل العلاقات وليس فراشتاتها او تطورها او معادها الاسمي .

والحقيقة انه لا توجد قواعد عامة تحكم البنسب العلاقات

---

(١) استخدمنا مصطلحات النسق الصوري والنظرى Formal System  
والنسق الاجرائى Operational System من حيث اختلافهما في هذا المجال بطريقة مماثلة للاختلاف القائم بين العلم الصوري ( النظرى ) والعلم غير النظرى ، والذي قدمه " تشارلز وست شيرثمان " Churchman, Charles West  
انظر  
Churchman, Charles West Elements of Logic and Formal Science  
New York: J. S. Lippincott Co., 1940.  
Chapter 8.

(2). Churchman, Ibid, p. 74

للانساق المصرية بعد التقبل العام لقواعد المنطق . وحاجة هذا التصق  
المورى ليست بالاستدلال الاستنباطى ، بمعنى ان وضع قضية يستدل عليه  
من قضية اخرى، غير انه قد يكون استدلالى على نحو ما يتم فى فحص المبرهنات  
الهدية Axiomatic System . وهو هذا يقتضى وضع العلاقات فى شكل  
مركب ومتسق .

الذ كيف يمكننا صياغة النطق النظرى ؟ وهذا ما يمكننا تحديد خطوات  
بالرجوع للتشائج التى حلقها عالم الاجتماع الفرنسى أميل دوركايم وهو بمد  
دراسه للانتحار " Suicide " والتفسيرات التى قدمها لمعدلات الانتحار  
والتي تختلف باختلاف حالات اجتماعية ثلاثة تتمثل فى :

- الانتحار الانسانى . Egoistic Suicide .

والذى يرتبط بضعف التكامل الاجتماعى بين الافراد ومعايير الجماعات  
والمجتمعات .

- الانتحار الاجتماعى . Altruistic Suicide .

والذى يشير لزيادة التكامل الاجتماعى بين الافراد ومعايير الجماعات والمجتمعات

- الانتحار الانومى . Anomic Suicide .

وهو يشير لارتباط معدل الانتحار باختلافه مباشرة بكون الكوارث او حدوث  
الرغاء الاقتصادية المفاجىء والكوارث المفاجىء، والذى يحدث بسرعة غير عادية،  
يترتب عليها عراج المعايير وتدمرها .

وفى ضوء هذه الفسايما التى حددها اميل دوركايم<sup>(١)</sup> تشكل مناقشته  
للظاهرة على النحو التالى :

---

(1) Durkheim, E. Suicide, New York. The Free Press of Glencoe, Inc. 1951.

الظروف الاجتماعية	الحالة السيكولوجية	النتيجة
التكامل الضعيف	الذاتى	معدلات عالية للانتحار
التكامل القوي	الغيرية	معدلات عالية للانتحار
رخاء اقتصادى سريع أو كساد مدهاش	ألئومى	معدلات عالية للانتحار

والواقع انه في حالة ما يكون النسق الاجرائى صادقاً بمستوى ملبذ هذا يصبح نسقه الصبرى نظرية ، وتصبح قضايا النسق قصورى قضايا للنظرية . وفي حالة ما تكون النظرية نسق نظرى صادق فمن الصبرى ان نعتبرها معياراً للنسق الصبرى . ولذلك تكون النظرية الصادقة معياراً للنسق النظرى للعلم .

وبالنسبة للعلوم الطبيعية تعتبر الانساق الموربة معقدة جداً اكثر ممسا أوفعاه في هذا المجال هو الذى قد يتحدد خلال التجربة بواسطة الاستقراء ، ويمكن ان يحدث ذلك بالطريقة التالية :

حيث تصاغ المصطلحات باعتبارها الحالة الذاتية في العلوم الطبيعية . ومن ثم يمكن صياغة العلاقات التجريبية بين تلك المقاييس بواسطة التجربة . وهذا ما يشكل النسق الاجرائى . وعند هذه النقطة يتكون النسق الاجرائى من قضايا وعبارات (العلاقات التى توجد في تجربة خاصة) او في سلسلة التجارب .

واذا ما اقتنع الباحث بأن جميع العوامل الملائمة متفطنة ومفبوطة او مسطر عليها وانها مترابطة في قوة القياس ، فانه يستطيع ان يقرر هذا . ان العلاقات التى وجدت لها عمومية ومن ثم تقررها كنسق صبرى للعلاقة بين المصطلحات التى تفمنتها المقاييس المستخدمة .

وهذه العملية تشير الى ان تأسيس ومعالجة النسخ العمري والنظرية يتم بواسطة الاستقراء . والذي لا يكون ملائماً كلية لعلم الاجتماع بالنسبة لمعالجة الاتساق النظرية العامة . حيث لا يقدم النسخ العمري ، مباشرة عن معطيات البحث وان كان من الضروري معنيا ان نستخدم المنهج التجريبي . ولايعنى ذلك القول بأن وجود الاتساق النظرية لايمكن ان يكون متممعا بدرجة من المصدق المفيد عند مستوى معين باستخدام مناهج اخرى .

فاذا ما قدم النسخ النظرى العمري قبل بداية البحث . فان ثمة مستويات للمعنى مفيدة هنا ويمكن تحليلها والوصول اليها بالاستخدام . ومن امثلة ذلك المنهج المقارن Comparative Method ، فاذا ما وجد النسخ النظرى العمري بتعريفات اجرائية ملائمة ، واذا ما وجدت الظروف التجريبية المشار اليها بواسطة نتائج النسخ الاجرائى فى عدد من الحالات فان عملية البحث اذن تهتم بكيفية ارتباط وتلازم الظروف مع ظروف معينة وجدت تجريبيا .

واذا ما كان الاتساق والتطابق متطابقين الاثنى امكنا الوصول لمستوى مدق معين . ويمكن للنسخ الرسمى العمري ان يصاغ ويقوم كنظرية .

ومثل هذا البحث ممكن فداخرة علم الاجتماع ، كما ان وسائل جعل الاتساق النظرية والتجريبية صالحة للاختبار قد تتمثل فى المناهج التى لاتعتمد على الاستقراء من التجربة ، وبدا من الاستقراء من التجربة تطرح بدلا آخر بالترح هذا لاشتقاق النظرية بواسطة الاستدلال الاستنباطى من الاتساق العمري ، ومن النموذج Model ، والذي يعد بمثابة تصور لمجموعة الظواهر والذى يبنى بواسطة الجانب العقلى<sup>(١)</sup> والذي يكون فرضه النهائى الوصول بالمعطيات والعلاقات والقطابا الخاصة بالنسخ العمري لمستوى النظرية . واذا ما صدقت هذه النماذج فانها تصير نظرية .

---

(1) Willer, op.cit., pp 14-15

والنماذج لا تستخدم في تعريف أساسيين يتمثلان في خلق الإنسان  
المصرية والتوجه في عملية اشتقاق التعريفات الإجرائية .

ولا شك ان شمة اختلاف وتمييز قائم بين النموذج والنظرية / وذلك ما اكده عليه  
" ولبر " متنادا في ذلك لنقده لما قرره " برايثوايت " Braithwaite ،  
من انه في علم النفس والعلوم الاجتماعية يتكرر استخدام النموذج باعتباره  
ملائم لصياغة النظرية ، حيث ذهب ولبر الى ان ذلك ينطوي على مغالطة / وذلك  
لان النماذج الرياضية Mathematical Models هي التي تكون من هذا النوع ،  
في حين اننا هنا نتناول الانساق الصورية ، والتي يكون من نماذجها في علم  
الاجتماع المدخل البنائي الوظيفي ،  
Structural Functional  
والمدخل الصراع Conflict Approach والمدخل التطوري Evolutionary Approach  
والتي تمبر جميعها عن نماذج / فجميعها بمثابة وصف للظاهرة / ومن الممكن ان تؤدي  
الى انساق صورية قابلة للاختبار / ومن ثم يمكن اعتبارها نماذج .

وعليه فان المعنى الذي نعطيه هنا لمفهوم النموذج والنظرية / يتفق مع  
الاستخدام الشائع بين فلاسفة العلم لهذين المفهومين . وفي علم الاجتماع فـان  
مفهوم النموذج يستخدم في بعض الاحيان مقابلاً لتلك المداخل التصورية والتي توضع  
مع بعضها تحت مطلق النظرية .

مثال ذلك تصنيف الكسي انجلز لانواع المداخل الى البنائي الوظيفي والتطوري والصراحي  
عند فحص لها باعتبارها نماذج<sup>(١)</sup>

(1) Inkeles, A. , What is Sociology, Prentice-Hall, Inc., 1964. Chapter 3.

والحقيقة ان هناك اختلاف بين نمط النماذج التي ناقشنا الكس انكلز والنماذج التي تولد الانساق الصورية النظرية. فالاولى تتلاقى مع ما اسماء "روبرت ميرتون" بالتوجيهات السيولوجية العامة General Sociological Orientations والتي يمكن تسميتها بالنموذج العام General Model ، في حين ان النوم الاخر من النماذج يعتبر اكثر ملائمة للنظرية اذ يمكن تسميته بالنموذج النظري Theoretical Model . والاختلاف الشان بين النوعين من النماذج يتمثل في ان النماذج العامة تشير عادة لمعدل واسع من البيانات اكثر من النماذج النظرية . ومثال ذلك ان النماذج العامة قد تشير الى معدل الاهتمام الواقع بتطور الجماعة في حين ان النموذج النظري يكون اكثر تحديدا وربما يتضمن فقط اهتمام الجماعة بالتطور . وبالنسبة للنموذج العام قد يتناول بناء المجتمع ككل في حين ان النموذج النظري يحرص اهتمامه بنسب واحد من الجماعات الفرعية وثمة تعيير آخر بين نوعي النماذج العام والنظري يتمثل في ان النموذج النظري قد يشتق من النموذج العام . لان النماذج العامة قد تكون معدلة للنماذج النظرية ، فالنموذج يمدنا بمجموعة المفاهيم والتعريفات الاسمية التي تتطابق مع انماط الظاهرة الامبيريقية . وفي عملية الاستدلال الاستنباطي من النموذج للنسق النظري للنظرية تشكل التعريفات والمفاهيم (والجانب العقلي الاطار التمويري للنموذج). كما ان المصطلحات والعلاقات الخاصة بالنسق النظري العام تشتق من المفاهيم ومقترحات النموذج. وبذلك يكون التصور النظري في علم الاجتماع موزعا بين النماذج العامة وبين شبه النماذج ، ورغم ان النماذج غير مبرهنة وغير مثبتة الا انها اساسية . واذا ما اكتسب اوجمل مسلم الاجتماع على نظرياته من خلال النماذج فان النماذج لاتعدي كايديولوجيات سياسية جامدة، كما كان الحال في الماضي . وذلك لاننا في عصر يعنى لتطوير النظريات والتخلص من الالتزام .

(1) Merton, Robert, Social Theory and Social Structure, New York: The Free Press of Glencoe, Inc. 1957. p.87

ثالثاً : البحث العلمى الإجتماعى وتطوره :

إن مناقشة الاطار المنهجي للبحث والعلاقة القائمة بين البحث والشروح النظرية تؤكد لنا ان علم الاجتماع النظرى، وعلم الاجتماع التطبيقى، متكاملان بنافيا، ومتكاملان وهى اى عملية البحث العلمى . ولدينا ان نقرر هذا بوضوح ان البحث بدون اساس نظرى لا يكون مثمرا، ومن المستحيل ان يوصلنا الى توفير المعرفة الصادقة حول الواقع الاجتماعى مولد ان نظرية التجريبين للبحث باعتباره منفصلا عن النظرية نظرة شائعة لمفهوم النظرية . وتنتمى للعلاقة القائمة بين عملية ايجاد الموضوع، والقرارات النظرية الواضحة فى هذا الشأن سواء على مستوى تحديد المفاهيم أو معالجة القضايا وتمثيلاتها .

افضل لذلك ان البحث الصبرى يتطلب أيضا بناءاً تموريا للموضوع ككل يعتمد عليه فى توجيه مسار البحث عند دراسة هذا الموضوع والاجابة على الاسئلة المطروحة حوله . هذا بالإضافة الى أهمية الجانب التطبيقى والى تهديد الى عملية الوجد والتفسير للحقائق الاجتماعية التى يتناولها البحث . والى نشتد اليها فى :

١ - اشتقاق القضايا من النظرية . تلك القضايا القابلة للبحث والقياس، والاختبار .

٢ - التأكد من صدق القضايا المشتقة من طريق التجربة .

٣ - ثم التحقق منها واختبار الفروض التى يمكن اشتقاقها من القضايا تحريبيها . وفى قوة ذلك يمكن القول بان البحث العلمى يستند لاساس نظرى من ناحية ، و أساس تطبيقى من ناحية اخرى، وان كلا الجانبين مترابطين ويكمل كل منهما الاخر فى عملية البحث وتناول الحقائق الاجتماعية .

ولقد تعددت التعاريف المتعلقة بمعظم البحث العلمي فنجد أن البعض يعرفه بأنه : عمليات تلقى ولص داتيق، تستهدف الوصول الى حقائق وقواعد عامة، والتحقق من صحتها . كما أن فريقاً آخر يعرفه بأنه : عمليات تلقى مستمرة للحقائق ومعالجتها وتطبيقها على مشكلة معينة .

وبذلك نجد أن التعريفات المختلفة للبحث العلمي تشير الى أنه عملية مستمرة . من التفكير والتلقى حول الحقائق الاجتماعية يهدف الوصول الى مجموعة القواعد والمبادئ العامة التي تحكم هذه الحقائق، والظواهر والتحقق من صدق هذه المبادئ، والقواعد بعد تحديدها . لا مكان الاستناد اليها في الحكم على الظواهر والاحداث المماثلة للظواهر والاحداث التي تساعد البحث على اكتشاف القواعد والمبادئ التي تحكمها .

وبذلك نجد ان البحث عملية تمر بمراحل عدة في سبيل الوصول الى المبادئ والقواعد الصادقة، التي تحكم فئات الظواهر والاحداث .

ولقد اهتم كل من "ماينتزر" Mayntz و"هولم" Holm

وهوبنر Hoebner بتحديد المراحل التي تمر بها عملية البحث الاجتماعي بصورة دقيقة ومحددة، لضمان سيرها في مسالكها المنهجية المتتمة، مع خطوات الطريقة العلمية :

اذ لذلك السعي اجتهاد لفيف من علماء المناهج لرسم صورة محددة لمراحل البحث الاجتماعي، حيث حاول البعض منهم ان يستند في تصنيف مراحل البحث الاجتماعي على مراحل عملية التفكير، ومن هؤلاء العلماء " أبلسون " وإلزيغ تلك المراحل فيما يلي :

- تحديد الموضوع: ويتضمن توفير مجال البحث بدقة .

- اختيار المشكلة: وتعد أسباب اختيارها وأهميتها ومعالجتها .



- تحديد خطوات العمل: بتحديد التحليل المنطقي، وخطوات البحث والبيانات المطلوبة، وكيفية الحصول على البيانات ومعالجتها، مع توفير الكسور التي يلتزم بها .

- النتائج : تعدد النتائج التي قد تشمل إليها نتيجة للبحث وما يترتب على هذه النتائج بالنسبة للفرض .

- تلخيص البحوث السابقة : والتي ترتبط بالموضوع، وسبق إجراءها على نفس الموضوع .

والخطوات التي حددها الباحثون خطوات إجرائية للبحث الإحصائي . كما أن ما يهتز ، وهو لم يهتز قد حددوا مراحل البحث في إطار رسمهم لاستراتيجية عملية البحث على أساس أن هناك مراحل أساسية متتابعة، يمكن تمييزها على النحو التالي (١) :

المرحلة الأولى : التحضير النظري : صياغة التمرور الخاص بموضوع البحث ، والذي يكون بمثابة الإطار النظري Theoretical Framework ، وصياغة اسئلة البحث .

المرحلة الثانية : تحديد خطة البحث ومنهجها :

حيث يتم في هذه المرحلة اختيار أسلوب البحث ومناهجه ووسائله. ويتضمن ذلك تحديد المبادئ الرئيسية إجرائيا ، وتحديد إجراءات العينة ، وصياغة المفاهيم ، وتحديد المتغيرات، والمؤشرات والأسئلة .

المرحلة الثالثة : جمع البيانات بتطبيق منهج البحث وأدواته وأسلوبه عمليا . على موضوع الدراسة من خلال وحداته .

المرحلة الرابعة : الإعداد والتحليل للبيانات، ومحاولة الإجابة على أسئلة البحث .

المرحلة الخامسة : الاستخلاصات النظرية ، بتحديد المصدق، وصياغة

---

(1) Hayntz, op.cit., p. 25

التعميمات الممكنة ، وإيضاها علاقتها بالنظرية المعاصرة ، والتي توجه الباحث في دراسته للموضوع .

ومن ثم نجد ان مراحل البحث الخمسة متكاملة مع بعضها في اطار عملية البحث ، ومتشابهة - وتؤدي لبعضها على اساس التمثل المنطقي في عملية التفكير ، وتتناول موضوع الدراسة ، والوصول الى النتائج والتعميمات النظرية حول موضوع البحث .

### المصل الحسابي عشر

#### الاستراتيجية المنهجية لدراسة الظاهرة الاجتماعية

من أولى القضايا التي يمكن ان تطرح نفسها في شكل سؤال ونحن بصدد معالجة علم الاجتماع كعلم، وصدى كذا في دراسته الظاهرة الاجتماعية ، القضية التي تشير الى المدى الذي يمكن ان تسهم به العلوم الاجتماعية ، وبوجه خاص علم الاجتماع مع العلوم الأخرى في تحديد الابعاد الحقيقية لتاريخ المجتمع البشري<sup>(١)</sup>، وفهم واقع المجتمعات المعاصرة ، لنبنى على معطيات ما في تلك المجتمعات وحالها صورة تنبؤية من مستقبلها .

الواقع ان مثل هذه القضية تفرق علينا مراجعة كاملة لطبيعة فهمنا لعلم الاجتماع ، ومدخله كعلم ، وحدود هذا المدخل في دراسة الظاهرة الاجتماعية . ومن ثم لا نكون بحاجة لتوافقة طويلة مع المحاولات التقليدية ، لتحريف علم الاجتماع، وتحميد موفوقه<sup>(٢)</sup> الا بالقدر الذي يساعدنا على تناول القضايا الاساسية التي تفرقها شعبة المشكلة الراهنة - المحروجة امام علماء الاجتماع - حيث اصبح من الضروري اليوم ان يكوّنوا على مستوى عال من الادراك والوعي الذاتي ، وان يجيبوا عن فلسف الابسط التي يشيرونها حول غيرهم بالنسبة لانفسهم، وأن يبرهن انفسهم كما يبرهن الاخرين<sup>(٣)</sup> . ولن يتحقق لهم ذلك الا بدعم روح النقد الذاتي في علم الاجتماع من خلال انفسهم، فاذا كان لعالم الاجتماع الحق في أن ينظر للاخرين ويتحدث عنهم في سياق مجتمعهم باعتبار ذلك ضمن واجباته العلمية ، ولتكوينه مفهوما عن رؤيته، فعما يقوله حول الانسان والمجتمع . فان عليه ان يرى نفسه في سياق المجتمع وأن يتحدث من ذاته ، ولذلك لان فهمه لذاته كعالم، يحدد ابعاد رؤيته للاخرين . كما ان فهمه لنفسه في سياق المحيط الاجتماعي والتداعي والشخص لمجتمعهم ، يتعلم بفهمه للاخرين كداعمين يشاركونهم مفويتهم في المجتمع .

(١) دكتور عاطف عيت ، المواقف النظرية في علم الاجتماع ، الاسكندرية ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٧ ، ص ١٦٢ - ١٦٤ .

(2) Gouldner, Alvin W. The Coming Crisis of Western Sociology, London, Heinemann, 1971. p. 25.

وذلك لانه بمعنى ما يكون الانسان واعيا بذاته، يستطيع ان يحدد امكانياته وقدراته الاسهامية . ونفس الشيء بالنسبة لعالم الاجتماع او بصورة اعمم بالنسبة لعلم الاجتماع، فاذا ما تحقق لهذا العلم القدرة على تحقيق النقد الذاتي، امكنه ان يتبعد الاحكام القلمية، وأن يحدد دوره الاسهامي في كشف النقاب عن تاريخ المجتمع الانساني، وطبيعة المجتمعات في الوقت الحاضر، وبالتالي الوصول للمقدرة التنبؤية بمستقبل تلك المجتمعات .

وفي ضوء ذلك نعالج النقاط التالية :

- سيولوجية علم الاجتماع العلمي .
- الاستراتيجية المنهجية لصياغة التعميمات حول الظاهرة الاجتماعية .
- الاستراتيجية المنهجية لإقامة البرهان العلمي في علم الاجتماع .

اولاً : سيولوجية علم الاجتماع العلمي :

ان الاهتمام المعاصر بين علماء الاجتماع بتحليل بناء علم الاجتماع كعلم، لم يكن من قبيل المدهش، وانما يرجع ظهور هذا الاتجاه لضرورة ملحة اقتضتها ظروف هذا العلم في الوقت الراهن . فلقد تعددت فروعه الى الحد الذي تصور البعض ان كل من تلك الفروع كليل بفراصة الشريحة الاجتماعية الواقعة في نطاق عمله ، في الوقت الذي اصبح اهتمام علماء الاجتماع بالصياغة النظرية العامة من اكثر القضايا التي تشغل المتخصصين في هذا العلم . هذا فضلاً عن تزايد الرغبة بين لعلم من علماء المنهج لدعم المدخل المنهجي لعلم الاجتماع، ولتأكيد موصوميته وتخليصه من الاحكام القلمية، التي مرغته لكثير من صور النقد . كل هذه المواقف كانت من اكثر الدوافع فاعلية لزيادة الاهتمام بتحليل بناء هذا العلم، ومن ثم جاءت محاولة بعض العلماء امثال روبرت ميرز، وكس لتحليل هذا

البداية العلمية والتأكيد على سيولوجية علم الاجتماع Sociology of Sociology،  
والذي حاول فحص مدى علم الاجتماع العلمي على أسس نقدي تحليلي<sup>(١)</sup>  
ونشرت الدراسات في سياق علم الاجتماع المعرفي لتحليل العلاقة بين الفكر  
والواقع الاجتماعي والثقافي ومصادر المعرفة وتطور أشكالها<sup>(٢)</sup> وكذلك  
مولج علم الاجتماع كظاهرة معرفية تمت بنمو التفكير البشري ، وذلك  
لتحديد اتجاهاته البنائية والوظيفية ، والمور الأساسية لتطورة .  
وذلك كله مادفع بهالم الاجتماع الأمريكي ألين جولد نر<sup>٣</sup> للتأكيد على  
وجوب مباداة علم الاجتماع الأكاديمي<sup>(٤)</sup> Academic Sociology  
بصورته الجديدة الأكاديمية ، التي تبنى عليه المشروعات العلمية رسم  
تعدد فروعه ، وتحليلنا لانهاد علم الاجتماع الأكاديمي على هذا النمو يتخذ  
مسالك أساسية تكشف كل منها عن بعض اتجاه علم الاجتماع العلمي .

وإذا كنا نعتبر السلوك الاجتماعي البشري موضوع علم الاجتماع الأساسي ،  
والذي يستهدف بدراسته ومك هذا السلوك وتفسيره ، فإن علم الاجتماع في المقام  
بعملية الوصف والتفسير تلك ، بعد طريقة خاصة ، ووسيلة من وسائل الإنسان  
الأساسية ، التي تساعد على فهم السلوك البشري على أساس من التحليل الوصفي  
والتفصيلي ، الذي يستند تحليته في سياق هذا العلم على وجهين أساسيين  
هنا :

النظرية ، والملاحظة وما بينهما من تأثير متبادل ، وما يتعرفان له من  
تغيرات على مر الأيام<sup>(٥)</sup> . وذلك بعينه ما يجعل علم الاجتماع بمثابة مشروع

(1) Friedrichs, W. Sociology of Sociology, New York, 19, 1970.

(2) Fischer, George, Note on the Sociology of Knowledge As social 1966.

(3) Gouldner, Alvin, W. op.cit. pp 26-27.

(4) Chambliss, William J. and Ryther, Thomas E., Sociology "The Discipline and Its Direction", New York, McGraw-Hill Book Company, 1975, P.4.

علمي متكامل ، لتناول الحقائق الاجتماعية في حافرها ومستقبلها وتقديرهم  
الاجابات لجميع الاسئلة التي تطرحها حول السلوك البشري -

ومن ثم عندما نناقش ابعاد الدراسة العلمية للظاهرة الاجتماعية نكون  
بعدد واجب ابداعي لميافة القواعد النظرية والمنهجية لهذا المشروع العلمي  
( علم الاجتماع ) بما يجعلها ملائمة ومفيدة لفهم العلاقات الاجتماعية البشرية  
وما نعتيه بالعلاقات الاجتماعية البشرية بعلة اساسية هو ما يشير اليه في  
الغالب الاسم بطريقة ارتباط الناس ببعضهم وبعايهم/بما يحويه من اوضاع  
وأنوار ونظم واتفاق اجتماعية .

وذلك ما يجعل علم الاجتماع متميزا في الأسلوب والطريقة التي يتناول بها  
السلوك البشري، وصورة التقايزه، في سياقاتها الاجتماعية والثقافي، ولما كان عالم  
الاجتماع في علاقته بالناس والمجتمع يتبع قواعد محددة تنظم سلوكه/وتحدد  
ابعاد علاقته تلك، يتميز هذا السلوك بالصورة التي تجعله أكثر قدرة على فهم  
هذا العالم وهذه العلاقات، فإن تلك المقدرة على الوصف والتفسير تعتمد على  
ما يتمتع به الباحث من اتجاه علمي، وسلوك علمي في عملية البحث . وتلك  
المقدرة تؤخذ بدورها على انها نمط من السلوك البشري الذي يقوم في دأخرة  
البحث والحراسة ، فاذا لم يكن عالم الاجتماع قادرا على فهم سلوكه واتجاهه  
العلمي، بمعنى انه اذا لم يكن قادرا على فهم نفسه . فكيف يستطيع ان يتلهم  
ما يدور من حوله . وفهم نفسه هنا يتم في دأخرة فهمه لنظامه العلمي على  
المستوى النظري والمنهجي، الذي يستند اليه في فهم سلوك الآخرين، وعلاقاتهم  
ببعضهم، والمحيط الاجتماعي والثقافي الذي يتفاعلون معه .

والإتجاه العلمي والسلوك العلمي لعالم الاجتماع يتحددان بمدى فهمه لحدود  
الميافة النظرية، والمعالجة المنهجية، التي تحدد طريقة هذا العلم واسلوبه

في وصف السلوك البشري وتفسيره . ومن ثم يكون السلوك العلمي احسن  
اساط السلوك البشري المتعددة .

ولما كانت الظاهرة الاجتماعية كما يعرفها عالم الاجتماع الفرنسي  
اميل دور كايم: هي كل اسلوب للسلوك يعم في المجتمع، والتي توجد في نفس  
الوقت بذاتها مستقلة عن مظاهرها الفردية<sup>(١)</sup> فان علم الاجتماع باعتباره  
اسلوباً من اساليب السلوك العلمي الذي يمكن تفسيره في ضوء سيادة النظرية  
والمهجي، الذي يميزه بذاته عن اساليب السلوك الاخرى، وهو بذلك لا يفسر من  
خلال مظاهرها الفردية بقدر ما يعتمد على المظاهر المنهجية والنظرية .  
الامر الذي يدم تناوله كظاهرة اجتماعية، ثم تفسيرها بتحديد الابعاد  
المهجية والنظرية التي تحده كنظام علمي . وذلك بدورة ما يؤكد على ضرورة  
معالجة علم الاجتماع كظاهرة اجتماعية بمعنى معالجة النظرية الاجتماعية  
والبحث من منظور هذا العلم ، وفي ضوء الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع  
في حد ذاته ، والتي على اساسها يتناول عالم الاجتماع سلوك الاخرين بالوصف  
والتفسير .

وذلك بعينه ما دفع بالفرنز جولدتر ليؤكد على ضرورة رؤية علماء الاجتماع  
لانفسهم بقوله " ليس من واجبعلماء الاجتماع فقط ان يرون الناس كما يـ  
انفسهم ، ولا يرون انفسهم كما يراهم الآخرون ، ولكن من واجبعهم ايضاً ان يرون  
انفسهم كما يرون الآخرون<sup>(٢)</sup> . فذلك منطلق الحاجة لدم الوصف الذاتي بين علماء  
الاجتماع، والذي يفلح بهم لان يفرحوا حول انفسهم نفس الاشياء التي يفرحون بها  
حول الآخرين، بمعنى اننا في حاجة لاكتساب عانة رؤية معتقداًنا العلميـة  
الخاصة كما نرى معتقادات الآخرين . بمعنى اننا نقاش لماذا يرى البعض ليس  
علم الاجتماع كنظام للقيم الحرة " Value-Free " ولماذا يرى البعض

(1) Gouldner, op.cit., p. 25

(2) Rex, John, Key Problems of Sociological Theory, London, Routledge &  
Kegan Paul, 1973 p. 42

فى بحث ما انه جيد، وفى بحث آخر انه غير ذلك؟ ولماذا يتحرك علماء الاجتماع من نظرية الى اخرى؟ ولماذا يتبنى علماء الاجتماع وجهة نظر معينة تتحكم فى معتقداتهم الحرفية ، اى المعتقدات المتعلقة بتفهمهم؟ وذلك فى سياق تعلمنا على جوانب القصور الحالية فى تحديد الظهم الجاد للمعومات التى تكتنف النظر لبحث ما على انه جيد والآخر غير جيد فى تناول الظاهرة والمعابير التى يمكن الاستناد اليها فى التقييم واصدار الاحكام العقلية حول السلوك . وصولا بذلك الى تحديد استراتيجية المنهج العلمى ليس على اساس منطقى فقط ولكن على اساس اختلافات العلم . فى دراسة الظاهرة الاجتماعية على ان يكون علم الاجتماع الظاهرة الاساسية التى تناقش فى ضوء تلك الاستراتيجية المنهجية لظهم ظاهج علم الاجتماع ك نظام علمى . وذلك بلهم نظريات حول السلوك الاجتماعى والبنية والمنهجية فى تناول الظواهر التى تطرحها تلك النظريات حول الانسان والمجتمع .

ثانيا : الاستراتيجية المنهجية لمعالجة التعميمات حول الظاهرة الاجتماعية.

لا شك فى ان مذهب اليه عالم الاجتماع الفرنسى اميل دوركايم : من انه يبدو طبيعيا ان نهتم او نتناول علم الاجتماع على انه محاولة لتعريف الظواهر الاجتماعية وتصفيفها والبحث عن اسباب اختلافها ، يرتبط مباشرة بمحاولته لرسم حدود الاستراتيجية المنهجية للبحث فى علم الاجتماع من المعالجة العامة او الدائرن العام General Formula الذى يبنى فى نظره ان تنتهى اليه عملية البحث<sup>(٢)</sup> . ورغم ما اتسم به فهم دوركايم من لغوى حول استراتيجية البحث الا ان تأشيره بلهم اوجست كوتيه وميله للتجاء الى امبيريقى، والبحث فى

(١) Gouldner, op.cit., p. 28 .

(٢) Rex, John, op.cit., p.15 .



المرحلة الواقعية، كان والحداء تلك المرحلة الوهمية أو المرحلة العلمية التي مر بها أوجست كوتت بالتأكيد على أنه :

" في حالة المرحلة الوهمية العلمية الأخيرة، تغلب العقل من البحث غير المجدي عن المبادئ المطلقة وأصل الوجود ونهايته، وعلى الظواهر وأصنافها " واستلزامه في دراسة القوانين التي تحكم تلك الظواهر ، مثال ذلك العلاقات الثابتة لتتابع الظواهر وتمثلها .

والاستدلال العقلي والملاحظة وسيلتان مترابطتان لمثل تلك المعرفة . وما يتبادر لأذهاننا اليوم ببساطة ونحن بصدد الحديث عن تفسير الظواهر، هو تأسيس الارتباط بين الظاهرة المفردة وبعض الظواهر العامة، والتي يتداخل مددها بحيرة مستمرة مع تقدم العلم (١) .

وتأكيد أوجست كوتت على ترابط الاستدلال العقلي والملاحظة، يجعله فلسفياً ولم لا يشارك به اتجاه دوق كايم المعارض للتجريب النظري (٢) Anti Theoretical

Beis ورغم ذلك لفكرة تسليح الباحث ببعض الفروض النظرية قبل البدء في عملية التمييز . وتأكيده الواضح في مؤلفه قواعد المنهج في علم الاجتماع على أن يبدأ البحث بنقد الاتجاهات المختلفة لدراسة الظاهرة ، وذلك ما يتم في المرحلتين الأولى والثانية من البحث، والتي صرح بها في :

- أ - تعريف الموضوع في ضوء بعض الحقائق التي يمكن ملاحظتها .
- ب - وصف الأنماط السوية بعد دراسة نماذج كثيرة .

---

(1) Comte, The Positive Philosophy, 1853, Vol. 1. Chapter 1. See: Rex, John, op.cit., p. 16.

(2) Rex, J., Ibid., pp. 15-16.

ثم تحديد النظرية التي توجه عملية البحث والتي تشملها مرحلة البحث الذاتي

جـ - التصنيف الى اشواخ وأجناس وفئات .

يتم في هذه الدراسة المقارنة والعملية لاسباب التباين تطبيق النظرية والوصول الى القانون العام وذلك ما تشير اليه مراحل البحث التالية منسند دوركايم .

د - الدراسة المقارنة والعملية لاسباب التباين والتي على اساسها يقوم الباحث بجهود وعلى تفسيره للوصول الى القانون العام. وذلك ما اشتملت عليه المرحلة الختامية من مراحل البحث عند دوركايم والتي تشير الى :

هـ - محاولة اكتشاف اي قانون عام قد يظهر أثناء هذه المراحل التي بدأت بهذا الاجتماعات النظرية ثم تحديد الاطار التصوري للبحث القائم على وصف الانتماءات السوية بعد دراسة شتائج عديدة وتمثيلها الى أجناس وأشواخ . ثم تطبيق هذا الاطار التصوري الذي ينتهي للمرحلة الاخيرة من البحث باكتشاف القانون العام (١).

ورغم تأكيد جون ركنز على ان المنهج السيولوجي عند دوركايم كان غير محدد الا أن محاولة دوركايم المنهجية في علم الاجتماع تعتبر بمثابة تأكيداً فلسفياً أهمية رسم الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع وذلك لتأكيد على ان الانتماءات السوية لهم الحالات السوية يمثل في اكتشاف الصورة النمطية للسمات الرئيسية للحالات موضوع الدراسة كوصفها نمطاً يجمع كل هذه السمات النمطية. وبذلك تحدد الفرق الوثقى الاساسي لاستراتيجية دوركايم المنهجية للوصول الى درجة من

---

(1) Durkheim, E., The Rules of Sociological Method, 1950. p. 25.  
See Rex, op.cit., pp 4-5

التعميم، وان كان دور كايم قد نظر للنمط الشائع Average Type كنمط مغفل في علم الاجتماع لتخليق القياسي والوصول الى تعميمات مع الالتزام بالوقائع قدر الامكان. وذلك لاستحالة دراسة كل حالة امبيريقية على حدها . فان ماكن فيبر قد استخدم النموذج المثالي Ideal Type ، او النموذج النظري الذي يصفه العالم آر يميفه ، والذي ينشئ من الوقائع ويظهر الهدف الاساس منه هو التفسير (١) .

ولما كان الومف هو القامدة الاساسية للتفسير وان يتلغن بهذا تفسيرها في الوقت ذاته/ فان نمط دوركايم الشائع يؤكد على ضرورة التفسير مع ارتكازه على جهد وصلي وذلك لان النمط الشائع لدوركايم ينظر اليه باعتبارها امرا فرديا يتكون من تجميع اكثر الاشكال تواترا للشئ الواحد في صورة مجردة .

والواقع ان نمط دوركايم وماكن فيبر يؤكد ان على أهمية التعميمات في الدامة علم: تهتم لدراسة المجتمع الا أن بدون النظرية يتحال الدامة مثل هذا العلم (٢) ومن ثم تطرح مشكلة صياغة النظرية في علم الاجتماع وعلاقتها بعمليات الوصف والتفسير والوصول الى تعميمات تطرح نفسها على بسط البحث باعتبارها جوهر الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع الذي لا يقتصر على مجرد تعريف الظواهر وتصنيفها، والبحث من اسباب تباينها، والذي يملك منه دوركايم رغم اهتمامه بالكشف عن القانون العام الذي يحكم المجتمع، والذي اتسم بقدر من الغموض . فليس الوقت الذي يعتبر فيه العلم بجانب ذلك نقطا من القوانين .

وهذا تطرح مشكلة الوصول الى التعميمات في علم الاجتماع ودور الاستدلال الاستنباطي والاستدلال الاستقرائي في تخليق تلك التعميمات .

---

(1) Weber, M., The Methodology of Social Sciences, 1949. pp 81-112.  
See Rex, J. op.cit. p.9.

(2) Rex, J., Ibid, p. 10

وإذا كان الاتجاه الأميريقي المتطرف يتخذ من استقرار المحسوسات والكموميات مدخله للوصول إلى البديهيات الأكثر عمومية (القضايا الأولية) في حين أن انصار الاتجاه النظري الخالص يبدؤون بالقضايا عامة/يتخذونها فروضا توجه سير البحث، وعملية التفسير والوصول إلى تعميمات في مستوى القوانين .

فإن الانفصال بين الاتجاه الكمي والاتجاه الكيفي في البحث قد كشف عن تناقض المدخلين في الوصول إلى القضايا العامة، واسلوب اختبارها، والمستوى الذي يمكن أن تعتبر عنده تلك التعميمات قوانين عامة شايته نسبيا .

ونسبية القوانين في علم الاجتماع هنا تستند إلى مذهب اليه قولمان من أن القاعدة المنهجية الأولى في بناء العلم تتمثل في رفض قبول أية قضية في بناء العلم لتتطرح للتحكم والقبول الأميريقي<sup>(١)</sup> .

والمطالبة بأن تكون القوانين محقة بصورة مطلقة، تؤدي إلى رفض هذه القاعدة . ومن ثم لا يجب اعتبار القوانين حقائق ثبت صحتها بصورة نهائية لأن القوانين العلمية لا يمكن التحقق من صحتها بشكل مطلق .

وما جعلنا نؤكد على نسبية القوانين في علم الاجتماع هو تأكيد "شليكه" Schlick على ضرورة اعتبار القوانين بمثابة قواعد وتوجيهات لإجراءات البحث لكن يسير في مائله نحو الحقيقة ، واكتشاف القضايا الصادقة، وليمكنه التنبؤ بظهور أحداث معينة .

وذلك يعني ما دفع بكارل بوبر Popper للتأكيد على أن الأحكام العلمية قابلة للاختبار والتفنيد . وأن الأحكام غير العلمية هي التي لا تفلح للاختبار والتفنيد . وهذا النوع الأخير من الأحكام لا يقبل العلم . وفي ضوء هذا

(1) The Methodology Of Social Science, 1944. See Rex, op.cit. p. 17.

المؤلف المنهجي يلج " بوبر " النظرية الفرويدية، والنظرية الماركسية ويعتبرها ذات طبيعة لا علمية، لا اعتقاد انصارهما بأنها بالذات انما عضة مساعدة لتفسير اخلاق التنبؤات النظرية، وأنهما لا تخضعان للاختبار، لأن تنبؤات قضاياها خارج نطاق التنفيذ<sup>(١)</sup>. وذلك لأن الداهية للتحقق والداهية للتنفيذ وقدرة القوانين على تحقيق ذلك ومواجهته من المعايير المميزة للقوانين العلمية.

وإذا كان ثمة اعتراض يثار على امكانية تطبيق معيار الداهية للتحقق والداهية للتنفيذ falsifiability لتنبؤات القوانين السيولوجية نغرا لتنوع الظواهر الاجتماعية المرتبطة بتنوع الثقافات الامر الذي يسلب هذه القوانين صفة التطبيق العام، وذلك ما حاول " لنديج " الاقراض عليه عندما أكد أهمية رسم استنتاجية منهجية واضحة ومحددة تحقق ذلك ، للظواهر التي نقره لا تدعى ان قوانينها تطبق بصورة عامة/ ولكنها تشير الى حالات تجريبية مفروطة محددة للغاية ومع ذلك فالقوانين لا تقتصر تمورها على مجال تطبيقها، الا انها لا تصدق كونها بحث في أي مكان غير خاضع للقياس، ولهذا فان عمومية تطبيقها في المجال العلمي ترجع لابتكار ادوات قياس دقيقة تقيس درجة انحراف المواقف الطبيعية الفعلية، من الظروف المثالية المحددة، في الملاحظة النظرية للقانون<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك فان لأكيه مجتمع قوانينه العامة في الظواهر، ولكل جماعة ثقافية قوانينها السيولوجية الخاصة بالمثّل . غير ان العمومية الثقافية للقوانين السيولوجية لا تنفي وجود قوانين سيولوجية عامة تتناول الظواهر السلوكية الأكثر عمومية، والتي توجد في كافة الثقافات يمكن اختبارها بتحديد

(1) Popper, The Logic of Scientific Discovery, 1958.

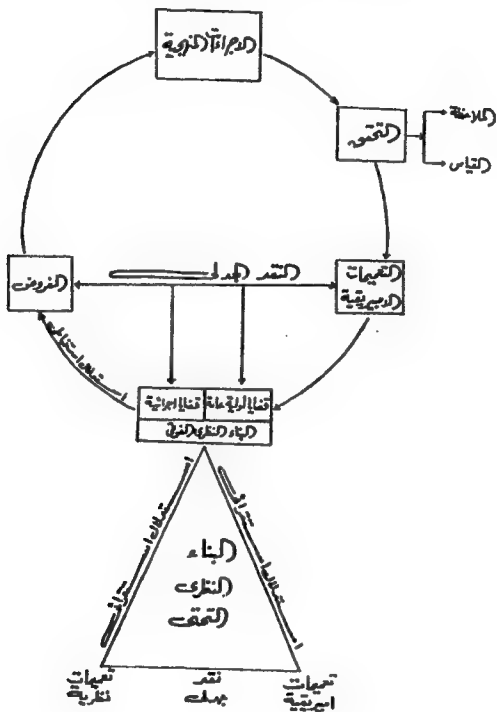
(2) Lundberg, Foundations of Sociology, 1939. p.140.

لواحد الاستراتيجية المنهجية التي تحلق الغبط الامبيرالي والتي تمكن من  
توليد الاجراءات المنهجية السليمة لامكان قياس درجة انحراف الظواهر السلوكية  
الفعلية في الثقافات المختلفة من الظروف المشابهة المحددة في الميادين  
النظرية للقوانين السبورية العامة التي تتناول الظواهر العامة . وان  
كان لنخبرج قد قصر حل هذه المشكلة على مجرد تحديد مقاييس التباين التي  
تملك كل صور التباين في الفئات الاساسية نفسها فان ذلك لا يحل المشكلة  
وحدة اذ ان رسم استراتيجيه منهجية عامة للبحث في علم الاجتماع تمكن من  
تحقيق الغبط والتحكم بالافعال لمقاييس التباين تلك والتي يمكن ان تواجه مشكلة  
القوانين العامة وصور التباين المرتبطة بالثقافات الخاصة بكل مجتمع  
في علم الاجتماع .

ثالثا : الاستراتيجية المنهجية لاقامة البرهان العلمي في علم الاجتماع :

واذا كنا هنا قد واجهنا مشكلة القوانين العامة في علم الاجتماع وامكانية  
تطبيقها في المجال العملي ، باعتبار استراتيجية منهجية تحلق معيار القابلية  
للتحقق مع ابتكار المقاييس الدقيقة التي تقيس درجات انحراف الظواهر  
السلوكية في الثقافات المختلفة من الظروف المشابهة التي تتضمنها المصاحبة  
النظرية للقوانين العامة ، بمعنى الوصول الى مقاييس للتباين التي تصل  
جميع التغيرات التي يمكن ان توجد في فئات الظواهر الاساسية والعامة بالنسبة  
لثقافات المجتمعات المختلفة ، يتبقى امامنا معضلة الوصول الى التعميمات  
العامة والقوانين العامة في علم الاجتماع في ضوء الاستراتيجية المنهجية  
لدراسة الظواهر الاجتماعية في علم الاجتماع والتي يمكن ايداعها بالرسم التالي :

شكل توضيحي للاستراتيجية المنهجية لدراسة الظاهرة الاجتماعية وصياغة النظرية المنسوبة لها



ولابد أن نحدد أسلوب مواجهة التنوع النسي للظواهر الاجتماعية طبقا لتنوع ثقافات المجتمعات وكيفية قياس انحراف الظواهر الخاصة بتنوع الثقافات، من ظواهر السلوك الأكثر عمومية والموجودة في جميع الثقافات مناقش بإيجاز استراتيجية علم الاجتماع المنهجية التي تهيء الظروف التجريبية الضرورية للتحقق من القوانين السببولوجية.

#### Theoretical Infrastructure

اذ أن البناء النظري التحتي<sup>(١)</sup>

والذي يتمثل في التعميمات التي تنتهي عليها النظريات المختلفة في علم الاجتماع، وكذلك النماذج النظرية المثالية والشائعة  $r$  والتعميمات الامبيريقية التي تقوم على معطيات الدراسات الكمية في علم الاجتماع، وفي ضوء التحليل الجدلي بطرقه المختلفة المتمثلة في الاستقطاب والتفمين والاستكمال<sup>(٢)</sup> أي بوضع التعميمات النظرية والكمية في استقطاب مع بعضها لظهور جوانب الاختلال وجوانب الالتقاء فيما بينهما، ثم في ضوء جدل التفمين الذي يكشف عن ابعاد التكامل البنائي بينهما، وكذلك في ضوء جدل الاستكمال الذي يكشف عن مدى التماثل الواقعي فيما بين تلك التعميمات يمكن على اساس الاستدلال الاستقرائي الوصول الى تعميمات نظرية أكثر عمومية تمثل البناء النظري الفوقي Theoretical Super Structure الذي يستكمل باستنباط القضايا الاجرائية الأقل عمومية، والتي تتكامل بدافعا وتتساند وفيها مع القضايا التجريبية الأكثر عمومية، على تكوين النظرية العامة القابلة للتحقق والاختبار وذلك/لقابلية القضايا التجريبية لاستنباط الفروض الاجرائية المحتومة منها . وبذلك تكون التسلسل

---

(1) Gouldner. op.cit, pp. 46-49.

(٢) دكتور سيد علي شتا ، البناء النظري لعلم الاجتماع ، الخبر ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣



الاجرائية متصلة بالتعميمات النظرية والتعميمات الكمية للبناء النظرى التحتى، والتي صيغت فى فروق ثقافية مختلفة من خلال القضايا الاجرائية للبناء النظرى الفوقى، والتي تولدت عن القضايا الاولى الاكثر عمومية التجريدية / للبناء النظرى الفوقى . وبذلك يتحقق اتصال البناء النظرى الفوقى بالقضايا النظرية العامة (التي تتناول الظروف المثالية المعقدة للظواهر السلوكية الاجتماعية الاكثر عمومية) بالظواهر السلوكية الخاصة بثقافات المجتمعات من خلال اتصالها بالبناء النظرى التحتى، الذى ينهى على التعميمات النظرية والكمية الاكثر ارتباطا بالثقافات الخاصة بالمجتمعات البشرية المتنوعة . والتجريد او الصفاة للقضايا العامة هنا تنهضى على المعاد المتشركة لتعميمات الامبيريقية والنظرية للبناء النظرى التحتى . وعندما تستنبط الفروغ الاجرائية من القضايا الاجرائية الاكثر تنوعا ضمن القضايا الاولى تبدأ هنا المعالجة المبدئية لانحراف الظواهر السلوكية الخاصة بثقافات المجتمعات المتنوعة عن الظواهر الثقافية العامة، ويتميز الاجرائيات المنهجية بما فيها من تحديد لنوع الدراسة والمدخل المنهجى والملوب الدراسة وادواتها تصاغ المقاييس التى تمكن من ملاحظة الانحرافات القائمة بين الظواهر السلوكية الخاصة، والظواهر السلوكية العامة خلال مرحلة التحصيل من الفروغ ومن ثم تصدر التعميمات الامبيريقية الملائمة للواقع الثقافى الذى أجريت فيه الدراسة، والذى تم اختبار الفروغ الاجرائية فى سياقه، وبمناهج التعميمات الامبيريقية بتعميمات الفروغ الاجرائية، وتعميمات القضايا الاجرائية للبناء النظرى الفوقى، وتعميمات القضايا النظرية الاولى للبناء النظرى الفوقى يمكن تحديد صور التباين والانحرافات فى المواقف العملية فى المجتمعات عن الظروف المثالية للظواهر السلوكية العامة، التى تلغنها البناء النظرى الفوقى .

وهنا يمكن ادراج هذا التباين والانحراف ضمن القضايا الاجرائية للبناء  
النظري الفولسى المتنوعة والقابلة لشمول تلك التنوعات في الظواهر السلوكية.  
فلا من امكانية مراجعة صياغة القضايا الاولى للبناء النظري الفولسى  
في ضوء تلك التصميمات الامبيريقية، بحيث يتحقق للبناء النظري الفولسى درجة  
اعلا من الشمول النسبي ، وباستمرار عملية البحث في ضوء تلك الاستراتيجيات  
المنهجية لعلم الاجتماع يمكن رفع مستوى الشمول والعمومية في ضوء التصميمات  
الامبيريقية المستخلصة من دراسة الظاهرة السلوكية في ثقافات متنوعة .

وبذلك يتحقق لنا مواجهة معقدة ايجاد الظروف التجريبية الضرورية لاختبار  
القوانين السيمولوجية ذات الصلة المثالية ، وتحديد صور الانحراف بين الظواهر  
السلوكية العامة ونماذجها المتباينة في الثقافات الخاصة بالمجتمعات . ومن ثم  
تحقق الاستراتيجية المنهجية لعلم الاجتماع بهذه الصورة مواجهة معقدة لتباين  
بين الظواهر السلوكية العامة وتصميماتها، والظواهر السلوكية المتضمنة لبعض  
صور الانحراف في المواقف الطفلية للنماذج الثقافية للمجتمعات المتنوعة .  
كما انها تحقق لنا ايجاد الظروف التجريبية الملائمة لاختبار القوانين  
السيمولوجية العامة . والتي تكفل تنمية عمومية تلك القوانين بالمصورة التي تمكن  
من صياغة النظرية العامة في علم الاجتماع بعد ادراج مختلف صور التباين في  
المواقف العملية للثقافات المختلفة فمن القضايا التجريبية في البناء النظري  
العالم لعلم الاجتماع .

وإذا كان هناك فريق من علماء الاجتماع قد سعى لتحقيق هذا المستوى من العمومية  
رغم اختلاف مداخلهم المنهجية لتحقيقها وذلك ما حدث بالنسبة لانصار الاتجاه الوهمي  
الذين ساعدت دراساتهم لحالات كثيرة ان يقدموا بعض التصميمات الاستقرائية  
Inductive Generalizations . وهناك فريق منهم تناول مجموعة خاصة من بيئات البحث

ويرى إمكانية تفسيرها بواسطة مجموعة من المبادئ الخاصة بالنسبة -وهي  
نظرية المبادئ متوسطة المدى Middle Principles والتي اقترح  
روبرت ميرتون ضرورة جعلها هذا رقيبا للبحث المعاصر، والتي اعترف بانها محسور  
اهتمامه الخاص<sup>(١)</sup>، وهي التي يسميها بالنظرية متوسطة المدى،  
كما ان فريقا منهم يحاول بلوغ الوسائل التي تمكنه من رؤية مجال البحث  
ككل باستخدام صيغيات نظرية عامة/ على نحو ما فعل بارسونز في صياغته لنظرية  
النسق الاجتماعي وتحديده لمعتبرات النمط الخمس باعتبارها أدوات نموذجية للتحليل،  
تمكن من حل قضية الشاذية عند عالم الاجتماع الفرنسي اميل دوركايم بالنسبة  
لنظرية مجتمع التضامن الالى والمجتمع العضوي وعالم الاجتماع الانسانى  
(توبن) ونظريته عن المجتمع المحلى (الجماعة) والمجتمع الكبير .

ثم جاء أخيرا فريقا يرفض تلك المحاولات باعتبارها لاتمكن من الوصول لصياغة  
نظرية عامة لعلم الاجتماع وللوصول الى تعميمات عامة. ويؤكد انصار هذا الاتجاه  
على ضرورة صياغة القوانين النظرية العامة على أساس التوفيق بين الاتجاهات  
النظرية/ كما فعل فان دن بيرج<sup>(٢)</sup> في محاولته للتوفيق بين الجدلية والوظيفية في  
علم الاجتماع وصولا لصياغة النظرية العامة على أساس الالتقاء بين تلك القضايا  
واستبعاد صياغتي النظريتين من قضايا متعارفة<sup>(٣)</sup>، وهي المحاولة التي رفضها واحد  
من انصار هذا الاتجاه الاخر وهو "ولترولس" والذي حاول ان يقيم النظرية  
السيولوجية العامة على أساس التكامل بين المنظورات النظرية الاحدى عشر  
في علم الاجتماع، ورغم المآخذ التي يمكن ان توخد على تلك المحاولات سواء  
على مستوى المدخل المنهجى لهذه الصياغة، وعلى مستوى التعميم الذي تحلقه  
تلك الصياغة، وعلى ماحققه من عمومية، الا انها قد لفتت الانتباه لاهمية الاسكاز  
التي رفضها جون ركن دام ١٩٦١ في مؤلفه مشكلات النظرية السيولوجية

(1) Merton, R., Social Theory and Social Structure U.S.A. The Free Press, 1962. pp 5-6.

(2) Van Den Berghe., op.cit., pp. 695-705

وما تضمنته تلك الألكار من تأكيد واضح على ضرورة تحقيق نسق القوانين العلمية الدائمة  
بالتناسق الاجتماعية، ويربط كل هذه المستويات المختلفة للدراسة بعلاقات  
محكمة مع بعضها . وذلك بغية الوصول الى قوانين شاملة قابلة للتطبيق،  
وجعل علمية علم الاجتماع مستندة الى قبول هذا الهدف الذي يمكن تحقيقه على  
المدى البعيد الذي سيوصل الى امكانية صياغة نظرية عامة، والتي اعتبرها  
"جون ركنز" دلائل دالة بأهمية بالغة في الوقت الراهن (١).

ورغم تأكيد "جون ركنز" على أهمية صياغة النظرية السبولوجية العامة، إلا انه  
لم يحدد معالم الاستراتيجية المنهجية لتحقيق هذه الصياغة واكتفى بالتأكيد  
على ضرورة ربط اتجاهات الدراسة في علم الاجتماع ببعضها لتحقيق هذا الهدف،  
وذلك ما حدا "بفان دن بيرج" للقيام بمحاولته لصياغة النظرية العامة  
في علم الاجتماع على اساس التوليف بين لغايا النظرية الجدلية، ولغايا النظرية  
الوظيفية، مستندا الى ما بين بعض لغاياها من التقاء . ولما كانت هذه الفكرة  
لا تلي بمضمون تأكيدات "جون ركنز" على ضرورة ربط مستويات الدراسة المختلفة بعلاقة  
محكمة، فقد قام "لتر" وبس بمحاولة لوضع استراتيجية منهجية على اساس التكامل  
بين . المنهجات الاجتماعية المختلفة في علم الاجتماع في عام ١٩٦٧ في مؤلفه  
النظرية السبولوجية (٢) .

إلا أن محاولات التكامل والتوفيق لم يحالفها التوفيق في الوصول الى تعميمات  
تتفق بالشبات النسب وتقبل النمو والتطور، وان كانت قد مهدت الطريق امامنا  
لرسم معالم الاستراتيجية المنهجية للصياغة النظرية في علم الاجتماع ، على  
اساس التمثيل الحدي، والاستدلال الاستقرائي والاستنباطي معاً، والقادرون على تحقيق  
وهيئة الوصف والتفسير لنوعية الظواهر، وكيفية عملها في الماضي والحاضر  
والتنبؤ بالكيفية التي سوف تحدث او تعمل بها تلك الظواهر في المستقبل . (٣).

(1) Rex, op.cit., p. 26.

(2) Wallace, W., op.cit., pp. 1-25

(3) Smith, H.W., Strategies of Social Research, New Jersey: Prentice Hall Inc.,  
1975. p. 30.

## الباب الرابع

### البحوث الوصفية والتفسيرية في علم الاجتماع

تمهيد :

أدى الحوار بين المنهجيين وفلاسفة العلم حول وظائف العلم، ومنطق البرهان العلمي، إلى اتحاق واضح فيما بينهم، على اعتبار الوصف والتفسير وفيلسوفين أساسيين للعلم، ووسيلته لتفعيل المعرفة حول الواقع وفوارة، وتحليل مسبق الفهم العلمي، الذي يستند إليه العلم في صياغة تشبؤاته، وإصدار أحكامه حول تلك الفوارة . كما أن المنظرين يؤكدون في تحليلهم لهذا النظرية على شمول البناء النظري لنماذج معينة / فروع وصفية / ونماذج معينة / فروع تفسيرية / وقد اقبل ذلك على البحوث الوصفية أهمية مماثلة للأهمية التي يلزمها العلماء على البحوث التفسيرية واعتبارهما معا ركيزة أساسية لإقامة البرهان العلمي، ودعم التحليل السيولوجي ومعطياته المعرفية حول الفوارة الاجتماعية. تلك المعطيات المعرفية التي نستند إليها في صياغة النظريات المعسرة للفوارة الواقع الاجتماعي ونرجم إليها في اختبار النظريات والتحقق من صحتها وعلامة صحتها .

وبذلك تتمثل هذه البحوث مباشرة بالاستراتيجية المنهجية للعلم ، ويرتبط العمل بها بتوجهات المبادئ الأساسية التي ينهض عليها عنصر المنهجية بالبناء المنهجي للعلم، والتي تحدد اختياراتنا للأجرام المنهجية المرتبطة بعناصر البناء المنهجي الأخرى وترجمه مسارنا في معالجة الفوارة الاجتماعية من خلال البحوث الوصفية والتفسيرية في علم الاجتماع .

ولى فوه ذلك يعالج هذا الباب الموضوعات الأساسية الآتية :

- البحوث الوصفية والتفسيرية في علم الاجتماع .
- البحوث التتبعية ومنهجها .
- البحوث التجريبية ومنهجها .
- البحوث التاريخية ومنهجها .

## الفصل الثاني عشر

### البحوث الوصفية والتفسيرية في علم الاجتماع

لازم الحوار حول وظائف العلم، على المستوى النظري والعملى، وما إذا كانت وظيفة العلم التفسير فحسب، أم أنها الوصف فحسب، أم أنها الوصف والتفسير معاً، باعتبارها ركيزتان أساسيتان لتخليق العلم لغرض التنبؤ. لازم كل ذلك وما دار حوله من حوار نظري وحوار منهجي معاشل حول انشراط البحوث العلمية الاجتماعية سواء على المستوى النظري أو لا مبيرجى. وما إذا كانت البحوث منحصرة في نطاق البحوث التفسيرية فحسب، أم أنها أوسع من ذلك نطاقاً، وأنهما تتلفسان نمط البحوث الوصفية كذلك.

وقد بلغ الحوار النظري والمنهجي في هذا الشأن حد تقرير الوصف والتفسير كوظيفتين أساسيتين لعلم الاجتماع كعلم<sup>(١)</sup>، وتصنيف البحوث الاجتماعية العلمية لنمطين أساسيين هما البحوث الوصفية والبحاث التفسيرية، باعتبارهما ركيزتين أساسيتين يستند إليهما علم الاجتماع كعلم في تطبيق وظيفتي الوصف والتفسير<sup>(٢)</sup> وصولاً للتنبؤ الدقيق بسير الحوادث، وبكيفية عمل الظواهر في المستقبل.

وفي ضوء ذلك نشاقق قضايا هذا الفصل بتناول الموضوعات التالية:

- ١ - الوظائف الأساسية لعلم الاجتماع.
- ٢ - انشراط البحوث الامبيريقية في علم الاجتماع.
- ٣ - الغروى العلمية والدراسات الامبيريقية في علم الاجتماع.

(١) Chambliss, William & Rytter, Thomas, *Sociology: The Discipline and Its Direction*, New York: McGraw Hill Book Company, 1975, p 4-10

(٢) Forcese & Richer, op.cit., pp 79-89, & Simon, Julian L., *Basic Research Methods in Social Science*, New York: Random House, 1969, pp. 51-63.

أولاً : الوظائف الأساسية لعلم الاجتماع :

اهتم " داليد ويلر " في تحليله لنظرية علم الاجتماع ومنهجته بإيضاح وظائف العلم الأساسية وحددها في الوصف والتفسير، إلا أنه أشار إلى أن العلم إذا ما أراد أن يتجاوز حدود الوصف فإنه يحتاج للقوانين العامية<sup>(١)</sup> General Laws ليصير تفسيرياً والتفسير العلمي عنده يتناول بالشرح العلاقات العامة في حد ذاتها بالشاويل والتفسير<sup>(٢)</sup> .

وذلك ما يولعه قوله ..... مع أن صياغة النموذج العلمي ومفيدة إلا أن الوصف ليس بالفرغ، الأولى له وإنما هو على النحو الذي لاحظ " شرتمان " بالعبسبب والذي يشير إليه قوله بأن الوظيفة المبدئية للنموذج العلمي تفسيرية أكثر منها ومفيدة<sup>(٣)</sup> .

وربما كان تأكيد " شرتمان " وزملاؤه على وقع الوظيفة التفسيرية للعلم في مرتبة أعلى من الوظيفة الوصفية وترديد " داليد ويلر " لما ذهبوا إليه هو الذي جعل " فوربس " و"وشر " في مؤلفهما مذاهب البحث الاجتماعي ١٩٧٣ يذهبان مذهباً يؤكد على وقع الوظيفة التفسيرية في وضع معين بالنسبة للعلم<sup>(٤)</sup> إلا أنهما يعودان عند تصنيفهما لأنماط البحث ويؤكدان على ضرورة تمييز تصنيف أساسي من البحوث وهي البحوث الوصفية والبحاث التفسيرية وذلك لإيمانهم بأن للبحوث الوصفية أهمية كبرى لتحقيق إرفق العلم التفسيري<sup>(٥)</sup> .

ونحن عندما نذهب إلى أن النطق النظري وعلى وتفسيري فما ذلك إلا لأن الهدف من هذا النطق هو تحقيق الفهم الذي يمثل الفرغ النظري للعلم والذي لابد منه لكي يحقق العلم إرفقه العملي المتمثل في التنبؤ بمجريات الأمور والكيفية التي تعمل بها الظواهر في المستقبل . والفرغ العملي للعلم هنا ينتهي بتحقيق الفرغ النظري المتمثل في الفهم نتيجة لما يقدمه تطبيق النطق النظري مسن معرفة جديدة حول الظواهر .

(1) Willer, David, Scientific Sociology, New Jersey: Prentice Hall, 1967, pp 23-25.

(2) Churchman, C., West & Other, Introduction to Operations Research, New Jersey: John Wiley & Sons, Inc., 1957. p. 157.

(3) Forcase, D & Richer, S., Social Research Methods, New Jersey: Prentice Hall Inc., 1973. pp. 6-7.

(4) Forcase & Richer., Ibid p. 79.

ولقد كان للتأكيد على الوظيفة التفسيرية للعلم باعتبارها هدفاً أولياً للعلم أن حادول للعلم من المتخصصين في العلوم الاجتماعية ابراز المقدرة التفسيرية لتلك العلوم لكي تتبوء مكانتها العلمية بين العلوم الطبيعية الاخرى واستمر هذا الاتجاه يدارس تأثيره حتى اواخر القرن التاسع عشر عندما ظهر اتجاه جديد ترجمه ارنست ماخ " واستدالد " وكارل بيرسون وهم معسّن تأشيرة بولسمية أوجست كونت ، ولقد انكر هذا الفريق أن القانون العلمى تفسيرى ورفضهم للتفسير كوظيفة للعلم نتيجة مباشرة لامتناعهم بأن القانون العلمى وعلى وأن الوصف وظيفة أساسية للعلم<sup>١١</sup>.

ولقد كان رفض هؤلاء لوظيفة العلم التفسيرية ، ودفعهم لامتناع السائد انذاك بأن كل تفسير هو تفسير علمى على نحو ماذهب "جون استيوارت مل" ، وكذلك جاء هذا الرفض نتيجة للجهود فى مفسون علم الكيمياء بين ما يدرك بالحس وبين النظرية العلمية التى تستعين على تفسير ما يدرك بالحس بفروض لتفسير الى ما يدرك بالحس . الأمر الذى جعلهم يذهبون الى أن ما يفترض الكيمائيون وجوده لا أساس له ومن ثم رفضوا التفسير عن طريق الفروض الاستنباطية الموروثة التى لا يدرك مضمونها وذهبوا الى أن الوصف هو الذى يعبر عن الموقف العلمى الفعلى ، وبذلك يرون أن العلم يجب أن الكيف بمعنى أنه مجرد وصف لما يحدث بالفعل .

ولقد كان "فرنسيس بيكون" و"جون استيوارت مل" و"جوانيليو" لا يلبثون الأسس العقلية والصورية للعلوم التجريبية . إلا أنهم كانوا لا يلبثون الاتجاه للتأكيد على الوصف باعتبارها طبيعة أساسية للعلم ، ولقد جاء هذا الموقف نتيجة مباشرة لافراجهم بأن التقدم العلمى لا يعتمد على الوصف أى وصف ما يحدث فقط وانما

---

١١/ دكتور محمود فهمى زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمى ، الإسكندرية دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٧ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .



يعتمد على وصفه وتفسيره .

والواقع ان اخذ الوصف على انه مجرد ملاحظة وجمع ومناشع وتجريب هو امر وتسجيل ما يجمع حولها من بيانات لا يعنى الوصف المعنى العلمى الكامل لانه وذلك لانه لن يوصلنا الى قانون علمى او نظرية علمية بمجرد تجميع البيانات حول الوقائع وتسجيلها . اذ ان الافراق الاساسية للوصف تتمثل فى جمع البيانات وإيصال الوقائع لتفسير حجمها ، و تلخيص البيانات وتحديد خصائصها وتمثيلها<sup>(١)</sup> . وتحديد المعنى العلمى للوصف على هذا النحو يقتضى الربط بين الكلمات المعنوية ، ولهم الطريقة التى صلت بها ، والتى حدثت بها تلك الوقائع المعنوية . وهذا الربط والطهم هو تفسير ، وهو اساس لتوصيلنا للقانون العلمى او للنظرية العلمية . من ثم نجد ان الوصف يتلخص بتفسير لكن يتكامل معناه العلمى ولكن يؤدى وفيلفه العلميه بمعنى أن الوصف العلمى هو الوصف التفسيرى ، كما أن تفسير الوقائع والعلاقات بين الكلمات المعنوية يحتاج لجهود وصفية يتم بمقتضاها جمع البيانات حول الوقائع ، وتلخيصها وإيصالها ، وتمثيلها فى لغات وتحديد خصائص تلك الكلمات فى ضوء خصائص البيانات والوقائع التى جمعت حولها . البيانات بمعنى ان التفسير العلمى هو التفسير الوصفى . وهو ليس تفسيراً علمياً يتناول الوقائع الجزئية ، وإنما يتناول الغرض الوصفى نوعاً معيناً من الظواهر ليس لمجرد الوصف لحدوثها وإنما يتناولها بالوصف الذى يمكننا من فهم هذه الظواهر فهما دقيقا على نحو ما أشرنا له سلفاً . والهدير بالذكر هنا ان الغرض الوصفى لروفا مؤقتة قبل التطوير وهى فروف قابله للتحقق والتفنيد فى ضوء الواقع العلمى نتناولها . فاذا كان الوصف يتناول بيانات تتعلق بالظواهر والوقائع ، فانها

---

(1) Simon, Julian L., Basic Research Method in Social Science, New York: Random House, 1969. pp 52-56

تتضمن تحقيقاً أمبيرياً . وإذا كان الوصف يتناول مفاهيم وقضايا الانساق العلمية، فإن تحقيقها يعتمد على مدى انساق التفسير الريفي بوتنام القضايا منطقياً في جانب، وقادمية الانساق النظرية للتحقق الأمبيرى في جانب آخر، وذلك لأنه يتعين أن تكون قضايا النسق الانساقى قضايا احتمالية، والتي تكون الخبرة وحدها معكسها أو كذبها<sup>(١)</sup> .

ونتيجة للتأكيد الواضح على الوصف التفسيري، والتفسير الوصفي لتحقيق الفهم الذي يستند إليه العلم في تحقيق التنبؤ، اهتم العلماء "بتحديد خصائص علم الاجتماع، والوقائيل المرتبطة" ببحوثه .

وإذا ما نظرنا للمحاولات العديدة التي أهتمت بتحديد خصائص علم الاجتماع، ووصفها مع بعضها في مصادف حوار، تكشف لنا بوضوح أنها تشكل في حيلتها العناصر الأساسية للنشاط العلمي . خاصة وأن معظمها ينطوي على اشتراك واضح على هذه الخصائص، ومن ثم لا نجد أي اختلاف بين هذه الاتجاهات في تحديدها لتلك الخصائص إلا في النثر القليل، وذلك لأن معظمها يميل للاتفاق مع وجهة نظر "جيجيك ويلز" في تحديد خصائص التفكير العلمي ومصادره التي توزع بين الأمبيرى، والنفسى الملقى (التجريدى)<sup>(٢)</sup> . غير أنهم جميعاً قد وقعوا في اعتبارهم خصائص علم الاجتماع التي تجعله نظاماً علمياً، وذلك على نحو ما ذهب "هارى جونسون"، والذي لاحظ أن لعلم الاجتماع الخصائص العلمية التالية :

الأمبيرية، والنظرية، والتراكمية، والحيادية الإغلائية<sup>(٣)</sup> .

وبالنسبة لخاصة الأمبيرية Empirical فتمنى أن البحث العلمي أو أن علم الاجتماع يرتكز على الملاحظة والاستقراء، كما أن هناك حاجة لبحث تأملية . وإذا كانت جميع العلوم تأملية على مستوى العمل الأدبي في مرحلة المبكرة إلا أنها في النهاية تخلف هذه التأملات للاختبار في ضوء الواقع، وذلك قبل الإعلان من تلك التأملات كاكتشافات علمية<sup>(٤)</sup> .

(1) Homans, G., Contemporary Theory in Sociology, op.cit. pp 951-955.

(2) Willer, Judith, The Social Determination of Knowledge, Englewood Cliffs, New Jersey, Prentice-Hall, 1971. P. 132.

(3) Johnson, Harry, M., Systematic Sociology, New York: Harcourt. Brace and World, 1960. p.2

(4) Black & Champion, op.cit., p. 5.

أما بالنسبة للخاصية النظرية Theoretical لعلم الاجتماع فإنها تعنى ان علم الاجتماع يحاول تلخيص الملاحظات المعقدة في تحديد مسدات والمبايا مترابطة منطقيا ، والتي تفيد في تفسير العلاقات السببية المتعلقة بالموضوع .

أما من خاصية التراكمية Cumulative لعلم الاجتماع فتعنى ان النظريات السيولوجية تنهى الواحدة منها على الاخرى، وان النظريات الجديدة تعمق وتعمق وتنتج النظريات القديمة والسابقة عليها .

في حين ان خاصية الحداثة الاطلاقية لعلم الاجتماع فتشير الى أن علماء الاجتماع لا يبحثون عما اذا كانت العمال اجتماعية معينة حسنة او سيئة ، ولكنهم يحسون لمجرد تفسيرها . واذا كانت ثمة اتجاهات اخرى لا تتوافق على ماذهب اليه " جونسون " بالنسبة للنطاق والحدود التي يوفرها علم الاجتماع بالنسبة لتلك المحركات فانهم يثقلون بعبء اساسية في نفس المبادئ التي ترتبط بمعظم خلاصى البحث العلمى . ويذهبون الى أن البحث العلمى يتكون من تحصيل المعلومات من خلال الملاحظات الانبهرقية والتي يمكن استخدامها لتطوير نطق الفسايا المترابطة منطقيا ، ومحاولة اقامة العلاقات السببية بين المتغيرات<sup>(١)</sup> . وهذه العملية التي يقوم بها علم الاجتماع كمشروع علمى تعمق معرفتنا حول العالم الاجتماعى ، وذلك لان الهدف الموقوس الاسمى لى مشروع علمى يتمثل في تعميق المعرفة لبعض اجزاء العالم فتمحو ماذهب " فردجولدتر"<sup>(٢)</sup> ولأنك ان هذه المعرفة يتم تحصيلها مع تعاقب الزمن

(1) Black & Chapion, op.cit. p. 6

(2) Goldner, Fred. N., Role Emergence and the Ethics of Ambiguity, In: Ethics, Politics, and Social Research (ed) Gideon Sjoborg, Cambridge, Mass, Schenkman publishing, 1967, p. 491

ومن معطيات بحوث منفصلة في مراحلها. وبمرس هذه المعطيات تدريجياً ببعضها حول ظاهرة ما من خلال التفكير المنظم، تتوفر لدينا الحقائق العلمية، ويتم ربطها ببعضها بطرق تجريدية مختلفة. ونفرض أننا نكون في ذلك مدفوعين بالرغبة في تعميق المعرفة وتوحيدها فإن معظم البحوث تستهدف استبعاد المعرفة الموضوعية الأكثر تحديداً، والتي تحقق الفرض العلمية المتمثلة في: الفرض الوصفي، والفرض التفسيري، والفرض التنبؤي. يهدف لذلك الفرض الأخير، مسرى الفهم والإدراك الذي يسمى لتطبيق البحث الاجتماعي، والذي يستند بعضه أساسية على تحقيق الوصف والتفسير العلمي للواقع، وبالتالي يدعم الفرض الثالث المتمثل في التنبؤ<sup>(١)</sup> في البحوث الإمبريقية الوصفية والتفسيرية في علم الاجتماع :

ولما كان الوصف والتفسير من الأهداف الأساسية لعلم الاجتماع، ولذلك يستند اليه في تحقيق الفهم العلمي للظاهرة، لا مكان التنبؤ بها، وبالكيفية التي تحدث بها في المستقبل، وهو الفرض النهائي للعلم. فقد أصبح توفير المعلومات الوصفية والتفسيرية من أهم وظائف البحث الإمبريقية في علم الاجتماع. وذلك ما جعل كل من " بلاك وشامبون " يذهبان إلى أهمية توفير المعلومات الوصفية، والمعلومات التفسيرية حول الظواهر الاجتماعية. على أن يكون هذان النحطان من المعلومات محورا أساسيا للبحث الإمبريقية في علم الاجتماع<sup>(٢)</sup> لدعم فرضي الفهم والإدراك حول الظاهرة الاجتماعية، وصولا للتنبؤ العلمي بمستقبل تلك الظاهرة .

ومن صف كل من " بلاك " وشامبون " البحوث العلمية إلى نمطين أساسيين هما البحوث الوصفية، والبحوث التفسيرية، واعتبارهما أساس

(1) Blac k.& Champion, op.cit., p. 6.

(2) Black & Champion, Ibid., pp. 7-14-15.



مطبوعة . ومن ثم جاءت تأكيدات كل من "فورسز" و"ريش" في مؤلفهما " طرق البحث الاجتماعي عام ١٩٧٣ " على أهمية البحوث الامبيريقية الوصفية والبحوث التفسيرية في علم الاجتماع لتحقيق الوصف والتفسير للوقائع ، ولا شك ان كل نمط من هذه البحوث الامبيريقية يتضمن انواعا معينة من البحوث تحقق اي من الوصف والتفسير للوقائع .

شأنها : انماط البحوث الامبيريقية في علم الاجتماع :

ان علم الاجتماع كعلم لا يسمى فقط لتحقيق الوصف للوقائع، ولكنه يبحث ايضا عن تفسير للسلوك البشري الاجتماعي وذلك ما اكده كل من " فورسز وريش " عام ١٩٧٣ م . اذ ان كثيراً من مشروعات البحوث تستهدف تحقيق التفسير، بالادالة الى تلك البحوث التي تستهدف تقديم الوصف العلمي للوقائع (١) ولذا ان لكل نمط من تلك الانماط البحثية بشاؤه المنهجي الذي يلائم طبيعة الموضوع والغرض من دراسته . ومن ثم اهتم كل من " شامبلز " وريش ١٩٧٥ بنظامي التحليل الوصفي والتفسيري في علم الاجتماع باعتبارهما اساسا للعلم السلوك البشري الاجتماعي والتنبؤ به في المستقبل (٢) .

وقد جاءت تلك التأكيدات على أهمية التحليل الوصفي والتحليل التفسيري من قبل علماء الاجتماع معقدة لتصنيف " جيلان سيمون " للبحوث الامبيريقية في نمطين اساسيين هما : البحوث الوصفية والبحوث التفسيرية . والذي طرحه عام ١٩٦٩ م في مؤلفه مذاهب البحث الاساسية في العلم الاجتماعي (٣) والذي رد فيه على ادعاء بعض دارسي علم النفس والاقتصاد والتحليل النفسي ، الرامية ل جعل البحث التفسيري النمط الاساس للبحوث الامبيريقية مؤكدا بالعلم على نمط البحث الوصفي الامبريقي بالاستناد الى أهمية الوصف للتفسير من ناحية ، وكونه وسيلة اساسية لبعض البحوث من ناحية أخرى .

(1) Forcase & Richer, op.cit., p. 89.

(2) Chambliss & Ryther T., op.cit., p. 117.

(3) Simon, J., op.cit., pp. 51-52.

ولى فؤء تحليلنا لخصائص علم الاجتماع ووظائفه الاساسية ، وعلاقتها باعدادله كنظام علمى، يسبحى لتحقيق الفهم العلمى للواهره من خلال تعطى البحوث الامبيريقية الوصفية والتفسيرية، لتوفير المعرفة التى تمكن من عقد التنبؤات حول تلك الظواهر، والسيطرة عليها، والتحكم فيها، نحتطد لى تحليلنا لانماط البحوث الوصفية والتفسيرية فى علم الاجتماع .

#### ١ - انواع البحوث الوصفية الامبيريقية فى علم الاجتماع

يعتبر الوصف مرحلة اولى وهامة، اذ اى بداية علمية لمعرفة ظاهرة ما تعتمد على الوصف ، خاصة عندما لا يكون لدى الشخص اى معلومات حولها هذه الظاهرة او يعرف حوائبها . ومن ثم اكتسب البحث الوصفى اهمية فى العلوم الاجتماعية عامة، وعلم الاجتماع خاصة . ولكن لايعنى هذا اتفاقنا مع وجهة نظر هؤلاء الذين يذهبون الى أن البحث الوصفى مجرد مرحلة مبكرة ابحاث مبكر ، وانه لايتجساور حدود الوصف ، وانه لايسهم فى عملية توليد القوانين ، وانه يساعد فقط بتقديم المعلومات لبحوث تالية قادرة على استخلاص تعميمات معينة اصول الظاهرة، واختبار الفروض التى تطرح حولها (١١) .

وذلك لاننا ننظر للبحث الوصفى على انه قادر على تحقيق كل ذلك، وانه ذات قيمة علمية فى حد ذاته، كما انه لاينتهى عند مجرد اكتشاف البيانات حول الظواهر الاجتماعية مفهوم البحث ، فتصنف البيانات وتحديد خصائص لثاتها يقع فى نطاق البحث الوصفى، كما أن الفروض الوصفية يتم اختبارها والتحقق منها من طريق البحث الوصفى، وهى لا تقل اهمية من الفروض التفسيرية ، هذا فضلا عن اسهام البحث الوصفى بطريق غير مباشر فى التحقق من الفروض العوربية التنظيرية . ولايعنى ذلك ان البحث الوصفى لا يوفى لنا المتغيرات التابعة، والمتغيرات

المستقلة، وان ذلك من عمل البحث التفسيري، لأن البحث الوصفي لا يسهم في دعم هذا التحقق ولا ختصاره، بل على العكس من ذلك إذ أن وصف تلك المتغيرات وتعريفها بطريقة جيدة يدخل في نطاق الوصف، ومع ذلك فإن فريسة تلك العوامل يدخل في نطاق عمل البحوث التفسيرية، وهى ما يميزها عن البحوث الوصفية (١) . ومن ثم يتضح لنا أن للبحث الوصفي قيمة في حد ذاته، وأنه ليس مجرد مرحلة أولية للبحث العلمى .

ورغم أن البحث الوصفي يسهم في عملية تصنيف معيقاته ، كما أن الباحث هنا هو الذى يحدد الجوانب الأساسية التى يسترشد بها فى عملية الوصف، إلا أنه فى بعض البحوث الوصفية التقليدية كما هو الحال بالنسبة للبحوث الانثروبولوجية توجد معايير محددة ومفاهيم أساسية يستلزم الباحث أن يستخدمها (٢) .

ومن الأمور التى أصبحت محل اتفاق علماء المنهج، أن الحصول على وصف علمى للظواهر الاجتماعية ضرورة لأمراض منها قبل التقدم كثيرا فى تناول تلك الظواهر . وذلك للحصول على تقديرات دقيقة لحدوث الظواهر وتوزيعها . وما بينها من علاقات . ومما يزيد من أهمية البحوث الوصفية فى الوقت الحاضر، أن هناك ظواهر عديدة صارت معرفتنا بكل أبعادها محدودة للغاية . ومن ثم برزت الحاجة الملحة لأجراء بحوث وصفية للكشف من طبيعة تلك الظواهر، وطبيعة العوامل التى أدت بها لحالتها الراهنة .

وان كان جمع البيانات وتوفير المعلومات من المسائل الهامة التى تلتفت إليها الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية، إلا أن البحث الوصفي يذهب لمدى أبعد من ذلك بغية تحديد الدرجة التى توجد بها العوامل العاملة فى مواقف معينة،

---

(1) Simon, op.cit., p. 53

(2) Simon, Ibid., p. 54.



ولي شروط معينة، وذلك لتقدير أهميتها النحوية . هذا بالإضافة لاهتمامه المباشر في تحديد ما يوجد بين هذه العوامل من ارتباطات وعلاقات ، أين ان يقع فروقا تختبر مدى استقلالية هذه العوامل وتبعيتها<sup>(١)</sup> . وذلك يعني بوفرح ان البحث الوصفي لا يتخذ من التجربة في حد ذاتها ، رغم انه يعنى بداعلية للكشف عن طبيعة العوامل الدائمة في مواقف محددة، وما بين تلك العوامل من ارتباطات وعلاقات . ولغلا عن كونه ايهام مباشر وحيوي في تفسير المعلومات وتصنيفها الا انه ينطوي على جانب من جوانب التفسير وخاصة فيما يتعلق بدلالة ومعنى ما يعنى بوصفه وهو بذلك يقدم لنا تفسيراً معيناً للنتائج التي يتوصل اليها .

ومن ثم ذهب كل من "لوفيل" و"لوسون" السعد القول بأن البحث الوصفي يهتم بملاحظة العوامل ذات الداعلية في موقف معين، ووصفها وتحديد ما بينها من علاقات هذا بالإضافة الى اهتمامه بتقديم تحليل تفسيري لسكل ما يوصف، وذلك بعينه ما جعلهما يقرران بأن البحث الوصفي يمكن استخدامه لتحديد الاهداف والاشارة الى كيفية تحقيقها، والطرق الموصلة لذلك<sup>(١)</sup> .

ولا يعنى ذلك ان البحث الوصفي يقدم لنا نظريات تفسيرية، اي نظريات لتفسير المتغيرات في علم الاجتماع، والمتعلقة بالواهر الاجتماعية، وكيفية عملها . الا انه يهتم بداعلية في تقديم المعلومات التي نستند اليها في الوصول الى نظريات . ومن أجل ذلك كرر "لوفيل" و"لوسون" ان البحث الوصفي يساعد دارسي العلوم السلوكية على بلوغ اهدافهم ، وذلك لانه يحاول ان يفسر عملية شرح السلوك، والتحكم فيه والتنسيق بعواقبه .

---

(1) Lovell & Lawson, op.cit., Chapter 3

هذا بالإضافة الى كون البحث الوصفي اساساً للتحقق من الفروض الوصفية،  
التي تتكامل مع الفروض التفسيرية، التي تعالجها البحوث التفسيرية، فليس  
الوصول الى الصيغة النظرية الملائمة لفهم الظاهرة السلوكية .

والبحث الوصفي بذلك ينهض على اسس المنهج العلمي، فلا يكتفى بمسح  
انطباعات الباحث الشخصية حول الظاهرة ، او مجرد سرد بيانات ثم جمعها  
عن طريق الملاحظة العابرة حول ظاهرة ما . ولكنه يتبع الطريقة العلمية  
في جميع مراحلها . حيث يتم تحديد مشكلة البحث، وفرض موهومها، وتحديد  
البيانات اللازمة حول مشكلة البحث، مع وصفها بدقة كافية . وهذا الوصل  
يكتفى توفير الفروض الوصفية، وما ترتكز عليه من مسلمات . وذلك لكي  
يتم جمع البيانات والادلة في ضوء تلك الفروض ، وقد تكون عملية جمع  
البيانات موجهة بنظرية معينة، يتم في ضوءها تلخيص البيانات وتحليلها،  
بغية الوصول الى تعميمات تكون ذات دلالة ومغنى توسع نطاق معرفتنا  
بالظاهرة الاجتماعية . ثم يتم تحديد المداخل المنهجية والاساليب  
والادوات المنهجية التي تستخدم في عملية جمع البيانات، مع توفير البناء  
المنهجي الملائم لادوات الدراسة لكي تكون على مستوى الكفاءة المنهجية،  
المطلوبة لتحقيق البيانات الكافية حول الظاهرة، على أن يتم تحديد تلك  
الاساليب والادوات في ضوء الحاجة الفعلية التي تلزمها طبيعة وحسب  
الدراسة، سواء كانت أفراداً او جماعات . ثم يتم بعد ذلك وصف الانتاج  
المتحصل لدينا ، وتقديم التحليل الوصفي المتعلق، أي الذي يربط ما بين  
النظرية او الفروض ومعطيات الدراسة الوصفية، مع تفسيرها أي تفسير ما تم  
وصفه في ضوء تلك الفروض أو النظرية بطريقة واضحة ومحددة، تمكن من

اصدار الاحكام العلمية الوصفية حول القضايا النظرية والفروض المرتبطة بها ،  
والعوامل المرتبطة بها ، وطبيعة العلاقات القائمة بين تلك العوامل ،  
التي يتم عبرها ، وتحديد ما هو في وضع المتغيرات التابعة او المستقلة منها ،  
من طريق الدراسة التفسيرية .

ومن الأساليب المنهجية الأساسية التي تستخدم في البحوث الوصفية ، أسلوب  
دراسة الحالة ، واسلوب المسح . سواء كان المسح بالعينة الذي يتناول بعض  
الوحدات المعشاة للمجتمع الأصلي ، او بالحصص الشامل الذي يشهدل مس جميع  
مفردات مجتمع الدراسة ، واسلوب التقرير الذاتي الذي يتم مع الأنبياء  
والذي يستخدم بشكل واضح في البحوث الانثروبولوجية . ومن الادوات المنهجية  
التي تستخدم بمفئة أساسية في البحوث الوصفية ، الاستفتاءات والمقابلات  
وكذلك المقابلات بأنواعها المختلفة ، وما تتطلبه من جداول ( القوائم ) مكتوبة  
او مغلقة .

ومن الأساليب الاحصائية التي تستخدم لمعالجة البيانات  
الوصفية التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية ، ومقاييس التشتت  
والانحراف ، ومقاييس الدلالة والفرق والتوافق .

وتحقيق هذه الاجراءات المنهجية في البحوث الوصفية يلبي كثيرا في وصف  
البيانات بدلة باستخدام الرموز الكمية او الرقمية ، وذلك لكي تكون  
معطيات البحوث الوصفية اقل عرضة لسوء التفسير . وذلك ليعنى أهمية الوصف  
الكيفي لبيانات البحوث الوصفية ، اذ أن ذلك وارد بالاضافة الى الوصف الكمي ،  
وخاصة بالنسبة للقضايا النظرية وما بينها من علاقات وارتباطات والمفاهيم  
المستخدمة في الدراسات الوصفية ، وكذلك بالنسبة للتعميمات المتحصلة من  
البحث الوصفي ، والتي توصف كليا بالاضافة الى ذلك الوصف الكمي السببي

ينبغي من ذلك هذا الوصف واحكامه، وبالتالي ينبغي من قدرتنا على التحكم في تلك التعميمات الوصفية، واخضاعها لاي اختبار او تحقق امبيرى، والتنبؤ بها .

ومن البحوث الوصفية الاساسية التي تسهم بعملية اساسية في تقديم الوصف العلمى المتمثل في توفير البيانات وصفها وعرفها في فئات وتمثيلها ووصف العلاقة القائمة بينها<sup>(١)</sup> .  
- البحوث الاستطلاعية الاستكشافية .  
- البحوث الانتروبولوجية .  
- البحوث التنبؤية .

وكل نوع من هذه البحوث الوصفية يقدم لنا البيانات حول الظواهر التي يتناولها ويقدم لنا فئات معينة للبيانات التي جمعها . مع تصنيف تلك الفئات في فئات اسويهايم معينة موجهة بنظرية او فروف معينة .

ولقد أولم " سيمون " ان الاكتشافات الوصفية الاساسية التي قدمها "فرويد" قد اوفحت العديد من انواع الدراسات الاخرى ذات العلاقة بالنظريات ، وذلك يعني ان الدراسات الوصفية يمكن ان تستند الى نظريات معينة، وتستهدف اختبار فروف وصفية محددة ، وذلك لان النشاط العلمى يبدأ بتوفير الوصف الضروري للظاهرة المطروحة، وتحديد فئات الظاهرة وتصنيف بياناتها، ووصف العلاقة القائمة بين الفئات المصنفة، وذلك ما حاول " ابراهيم كابلان " ايجاده<sup>(٢)</sup> . الامر الذى استند اليه "سيمون" في توسيع نطاق البحوث الوصفية لتشمل وصف الظاهرة ، وتصنيف البيانات وقياسها، والمقارنة بين فئاتها باعتبارها تسهم في تحديد ابعاد الظاهرة . ومن ثم اعتبر الاستنتاج والتصنيف والقياس

(1) Simon, J., op.cit., pp. 53

(2) Kaplan, Abraham, The Conduct of Inquiry, San Francisco: Chandler, 1964, p. 78.

والمقارنة أمورا ترتبط بصورة مباشرة بالبحث الوصفي . حيث ان الوصف والقياس يعد بعض جوانب الظاهرة او الحادثه في حد ذاتها . كما ان المقارنه تتم في وصف ظاهرتين او جماعتين بإجماع كل منها للأخر . في حين ان التصنيف يسهم في خلق فئات معينة تكون اكثر تحديدا ويكون وصفها ذات دلالة ومعنى<sup>(١)</sup> .

وقد اكد هذا المنحى في تحديد البحوث الوصفية والاداس الذي تنهض عليه في عملية وصف الظاهرة كل من "فورستر" و"ريشر" . ومن ثم اعتبروا البحوث الاستطلاعية الاستكشافية نوعا من انواع البحوث الوصفية<sup>(٢)</sup> ، كما انها اعتبروا البحوث التتبعية الاستكشافية مندرجة ايها ضمن انواع البحوث الوصفية<sup>(٣)</sup> ، مؤكدا ان هذه الدراسات والبحوث الوصفية الاستكشافية تمهي للتعميم أو أنها على الاقل تميل للوصول لتعميمات .

كما ان "سيمون" قد أدرج البحوث الانثروبولوجية ايها ضمن انواع البحوث الوصفية . باعتبارها تستهدف تحديد صورا واضحة حول الثقافة او بعض الجوانب الواضحة منها<sup>(٤)</sup> .

والواقع أن اي من انواع البحوث الوصفية الثلاث المشار اليها، والتشتمل في البحوث الاستطلاعية ، والبحوث التتبعية الكيفية والبحوث الانثروبولوجية .

---

(1) Simon, J., op.cit., p. 65.

(2) Force & Richer, op.cit., p. 89.

(3) Force & Richer, Ibid, p. 79.

(4) Simon, J., Ibid, p. 53.

تسهم بصورة او باخرى في توفير المعلومات حول الظاهرة المطروحة للبحث ،  
الا ان البحوث الاستكشافية اكثرها توفرا على ذلك كما انها تسمى جميعا  
للتعرف على طبيعة العلاقات القائمة بين فئات الظاهرة ، والتي في فوسفها  
تتصف البيانات وتسمى لوصف العلاقة القائمة بين فئات الظاهرة ، وبياناتها  
ويمكن للبحوث الاستكشافية ان تنتهي على اكثر من وحدة بحث وتحليل  
بحيث يمكن ان تستخدم أسلوب دراسة الحالة ، او أسلوب المسح ، الا أن المسح  
من اكثر الاساليب شيوعا في الدراسات الاستكشافية ، ومن ثم يمكنها ان تصل  
الى تعميمات معينة تتعلق بفئات الظواهر وتصنيفها ، والعوامل المرتبطة بتلك  
الظواهر ، وطبيعة العلاقة القائمة بين تلك العوامل والمتغيرات . الا أن  
البحوث التتبعية قد تستخدم القياس بصورة اساسية لتوفير البيانات حول  
الظاهرة وفئاتها ، وكذلك لوصف العلاقة القائمة بين تلك الفئات ، والعوامل  
التي تؤثر على الظاهرة في ضوء البيانات التي يوفرها القياس حول الظاهرة ،  
ومن ثم اكد كل من " لوفيل " و " لوفسون " على أهمية الدراسة التتبعية بالنسبة  
للبحوث الوصفية <sup>(١)</sup> وذلك لان الدراسات التتبعية لا تهتم فقط بوصف الوصف  
القائم للظاهرة وفئاتها ، ولكنها تتناول العلاقات المتبادلة بين المتغيرات  
في الموقف هذا بالإضافة الى تناولها للمتغيرات التي تحدث على مر الزمن  
فتتبع بالوصف المتغيرات في حالة تطورها ، وتقارن بين ما كانت عليه في الماضي  
وما هي عليه حاليا ، في ضوء البيانات التي توفرها حول الظاهرة ، والعوامل المؤثرة  
في الموقف . وذلك بغرض معرفة التغيرات التي تطرأ على المتغيرات المختلفة  
المرتبطة بالظاهرة ، والتنبؤ في ضوء ذلك باحتمالاتها في المستقبل ، والكيفية

---

(1) Lovell & Lawson, op.cit., Chapter 3.

التي يمكن ان تحدث بها . قد تتوصل الدراسة التتبعية لعمل بعض  
التعميمات الوظيفية حول جماعتين أو أكثر من الجماعات المتعارفة وليس  
حالة التصميم المتعاقب لتتناول جماعات متعارفة<sup>(١)</sup> .

وترجع أهمية الدراسة التتبعية لتناولها لكيفية ارتباط المتغيرات  
ببعضها، وتحديد طبيعة هذا الارتباط، والتأثير بين الظواهر وبعضها. وبذلك  
تكتسب قيمة كبيرة لما توفره من معرفة عما اذا كانت العلاقات موجودة أم لا، وما  
اذا كان قياس ظاهرة ما يخدم في معرفة قياس ظاهرة أخرى، وما يعود علينا من  
قياس الظاهرتين من فائدة في فهم التفاعل القائم بينهما<sup>(٢)</sup> .

كما أن الدراسة الانثروبولوجية تهتم بتوفير المعلومات حول لطايات الثقافة  
والبناء الاجتماعي للمجتمع . لومف عناصر الثقافة ومكونات البناء  
الاجتماعي لنظام معين كما انها تستعين كذلك بالمعلومات الوظيفية في وصف  
انماط العلاقات الاجتماعية، والارتباطات الدائمة بين النظم وعناصر الثقافة  
في مجتمع بكامله . ولاشك ان البحوث الانثروبولوجية تسهم بالاعية في مجتمع  
البيانات حول الظواهر التي تتناولها ، وترتيبها وتبويبها وتصنيفها .  
ثم محاولة تحليلها الى عناصرها للتمييز بين السبب والنتيجة . مع تتبع  
تفرعات النظم وما بينها من ارتباطات تهم في دعم وجودها في التنظيم  
الاجتماعي العام . والجدير بالذكر أن التحليل الانثروبولوجي عندما يكون موجهاً  
بنظرية أو مفروض معينة فانه يرقى لمستوى الوصف التفسيري للظواهر وفئاتها ،  
وطبيعة العلاقات القائمة بين العوامل المؤثرة فيها . وقد تساعدنا على  
رسم خريطة للنسق، وذلك عندما تتناول بناء القرابة لخدمة ما لتحديد  
ارتباطات أعضاء الجماعة ببعضهم ، والطرق التي تربطهم ببعضهم ، والواقع

(1) Polansky, Norman, Social Work Research, London, The University of  
Chicago Press. 1960. p. 61.

(2) Simon, J., op.cit., pp. 66-67.

ان رسم خريطة النسخ نوع من الوصف<sup>(١)</sup>، الذي قد يدعم عملية ائتمقارنة بين جماعات وبعضها، او مجتمعات بشرية وبعضها، في فترات حضارية مختلفة ببعضها . وفي ضوء ذلك يتأكد لنا ان البحوث الوصفية تسهم بشئ واضح بعد جمع المادة وتنظيمها وتحديد مابين فئات الظواهر من ارتباطات وطبيعة هذه العلاقات، والمعتقدات المرتبطة بالعوامل المؤثرة في الظواهر تسهم في تحليل جانب أساسي من جوانب الفهم، الذي يستكمل التحليل التفسيري للظاهرة، وبالتالي يسهم الوصف بصورة ايجابية في عملية التنبؤ حول الظاهرة والكيافة التي تعمل بها في المستقبل<sup>(٢)</sup>.

وبذلك تمدنا البحوث الوصفية بالمعلومات التي يمكن بالاستناد اليها التوصل الى نظريات، وتساعدنا على تفسير السلوك والتنبؤ به في المستقبل، الا ان دعم الصياغة النظرية، وعملية التنبؤ بالسلوك الاجتماعي البشري، تتحقق بتوفير التحليل التفسيري، الذي يستند لما توفره البحوث التفسيرية من امكانية معالجة المنشورات المرتبطة بالظاهرة السلوكية، وفربلتها، وقياس درجات تشعبها ببعضها، من طريق البحث التجريبي واجراءاته المنهجية .

## ٢ - أنواع البحوث التفسيرية في علم الاجتماع :

تحتل البحوث التفسيرية في العلوم الاجتماعية أهمية كبيرة الى الحد الذي تمور فيه بعض المتخصصين في علم النفس وعلم الاقتصاد ان البحوث التفسيرية - التي تشير مباشرة للبحث التجريبي حول علاقات التأثير، والسبب في السلوك البشري - اساس البحث في العلم الاجتماعي . كما أن بعض دارسي الانثروبولوجيا يعتقدون ان الملاحظة بالمشاركة هي التي تجعلنا نعرف اي شئ حول العالم الاجتماعي الذي نعيش فيه . كما ان المطلقين النفسانيين يعمرون ان فهم اي شئ

(1) Simon, op.cit., p. 71.

(2) Black & Champion, op.cit., p. 8.



بعمق يلتفتى حقله موضوعاً للتحليل الكليينيكى .

وجميع هؤلاء يعتقدون ان التجربة هي الفعل الطرق لتعريف مختلف النظم العلمية الاجتماعية<sup>(١)</sup> وقد اشر هذا الاتجاه على بعض علماء الاجتماع ، واهتموا بالتفسير وكانه الوظيفية الاساسية للمعلم . الا ان اجماع علماء المناهج وعلماء الاجتماع المعاصرين على اعتبار الوصف والتفسير وهاتين اساسيتين لعلم الاجتماع كعلم ، قد جعل الاتجاه والحد ، لامتناع كل من نمطى البحوث الوظيفية والتفسيرية يشكلان معا البحث الامبيرى فى علم الاجتماع .

وقد ذهب " بول لازارسفيلد " والسن يارتون " وهذا بمدد تحليل منهجية البحث الاجتماعى الكلى : ان شدة اتفاق واضح حول اعتبار العلوم الاجتماعية اليوم تؤكد اساساً على البحث الامبيرى ، الذى يستخدم القياس والعقد على نطاق واسع . وهذا بلذاتنا يدعيان عملية علم الاجتماع بالتأكد على البحث الامبيرى الكلى وهذا يعرفان البحث الاجتماعى الكلى بأنه الوصف والتحليل الدقيق للحوادث الاجتماعية<sup>(٢)</sup> وانه يتم بتحقيق ملاحظة وتنظيم المتغيرات التى تدرس ، وأنه يتناول العلاقات الكمية بين المتغيرات التى توجد ، وانه يهتم ليس بتناول العلاقات المتبادلة بين المتغيرات التى يتم تحليلها كثنى متكامل بحيث يتم صياغة وقياس المتغيرات الاجتماعية بتمثيلها ، وترتيبها ومقارنتها ثم ربطها ببعضها فى المواقف الاجتماعية الفعلية . ثم يفيضان كذلك امكانية تحليل اتساق المتغيرات<sup>(٣)</sup> وهذه العمليات الامبيرية تؤكد بوفوج على أن البحث الامبيرى يهتم نمطين اساسيين من البحوث تتمثل فى : البحوث الوظيفية والبحوث التفسيرية . وذلك ما اكده كل من " فورسز ورشر " حينما اعتبر كل من

(1). Simon, J., op.cit, p. 51.

(2) Barton, Allen & Lazarsfield, Methodology of Quantitative Social Research. in Varma, Baidya Nath. A., New Survey of the Social Sciences, New York: Asia Publishing House, 1962. pp 151-152.

(3) Barton & Lazarsfield, Ibid., pp. 153-156.

البحوث الوصفية والبحوث التفسيرية يشكلان معاً البحث الامبيرى فى علم الاجتماع . فعلم الاجتماع لا يلقى عند حدود الوصف ولكنه يهتم بدعم التفسير ، وذلك لتحقيق الفهم الكامل حول الظاهرة الاجتماعية ، وامكان التنبؤ بمستقبلها ، وتمثل البحوث التجريبية فى علم الاجتماع العمود الفقري للبحث التفسيري . واذا ما تناولنا المعادى الاساسية للتفسير أمكننا تحديد انواع البحوث التجريبية التى تخلق لنا التفسير العلمى فى علم الاجتماع .

فبالنسبة للبحث العلمى يتحقق التفسير عندما يمكن عرض العلاقة بين اسباب وتأثيرات معينة ، وذلك يرتبط بفهم " رزغر " N. Rescher الواضح للتفسير على انه فى تفسير ظاهرة تفهمها فى سياق الحوار مع الظواهر الأخرى ، والتى توضح وجودها وتحددها<sup>(١)</sup> . فاساس التفسير اذن هو طبيعة ثلاثة تلك الظواهر وارتباطها ببعضها ، والاسهام الذى يقدمه التفسير هذا هو مقارنة الظواهر ببعضها ، وايضاً لما يتم بهذا الشكل من الحدث ، القائم بين تلك الظواهر<sup>(٢)</sup> .

وهذا المعنى الذى يشير اليه التفسير يتطوى على مشكلتين اساسيتين تتمثل اولهما فى كيفية ربط الوقائع ببعضها وذلك ما يتناوله علم الاجتماع على انه وحدات العلاقات الاساسية للتحليل ، والتى يسميها بالمتغيرات ، ولهذا هذه المتغيرات كميّات عديدة تعتبر اساس عملية التفسير .

اذ انها تعيد عرض سمات الحياة الاجتماعية القابلة للتفسير مثل العمر ، والجنس ، والمنصر ، والطبقة الاجتماعية ، والتعليم ، والمهنة . وما الى ذلك من سمات اساسية . كما انها تعكس لنا مستوى معين من القيم ، وتحدد الترتيبات القائمة بين تلك المتغيرات . وعندما نطرح تعميمات فيما بين تلك المتغيرات

---

(1) Rescher, Nicolas, Scientific Explanation, New York: Free Press, 1970. p.2.

(2) Black & Champion, op.cit., p. 15.

تكون بمحدد مشكلة تقدير العلاقات السببية والتأثيرية فيما بين تلك المتغيرات وهذا يكون بصدد تفسير سببي للعلاقات القائمة بين المتغيرات .

اما بالنسبة للمشكلة الاخرى المرتبطة بالمتغيرات فتتمثل في فهم التسلسل بين العلاقات . وذلك يدخل في نطاق التفسير الوصفي حيث يتم تحليل العلاقات القائمة بين المتغيرات على انها حق .

ومعندما يتناول تفسيرنا للوقائع في فوه نظريات معينة<sup>(١)</sup> نكون بصدد مستوى آخر من التفسير، وهو التفسير الفرعي او الصوري . واذا كان التفسير العلمي او السببي الاول بالتفسير الوصفي يتم في فوه فروفي تفسيرية تقبل التحقق، فان النوع الثالث من التفسير وهو التفسير الفرعي يقاسوم على فروفي لتقبل التحقق التجريبي المباشر . حيث يتم تفسير التعميمات التجريبية المستخلصة من التفسير العلمي والتفسير غير العلمي او التفسير الوصفي من طريق الربط بين تلك التعميمات التي امكن التوصل اليها من طريق التجربة، بالتعميمات التي تتلفنها النظرية بصورة تساعدنا على قبولها . والتعلق غير المباشر من تلك الفروفي يتمثل في اخراج القضايا المستنبطة من التفسير الفرعي العمومي للتحقق التجريبي<sup>(٢)</sup> الذي يكشف عن مدى صحة القضايا المستنبطة من التفسير الصوري .

واذا كانت البحوث الوصفية الامبيريقية تمر بمراحل وتتنوع خطوات اساسية تتمثل في: جسم المادة حول الظاهرة وترتيبها ثم تصنيفها في فئات والمعارنه بينها مع وصف العلاقة القائمة بين تلك الفئات المعنوية وتفسيرها، لتحديد طبيعة العلاقات القائمة بين العوامل والمتغيرات المرتبطة بالظاهرة .

(1) Black & Champion, op.cit., p. 16.

(٢) دكتور محمود فهمي زيدان ، المرجع السابق، ص ١٥٩ .

فإن البحوث التجريبية تمر بمراحل وتتبع خطوات أساسية . حيث يحدد الباحث المتغيرات التي يحتمل أن تكون ذات تأثير على الظاهرة، والتسعى ستضع للمعالجة . على أن يقوم بعد ذلك بحصر باقي المتغيرات التي تعتبرها غير تجريبية مع ضبطها والتحكم فيها . لكي لا تؤثر على سير الدراسة .

على أن يكون في اعتبار الباحث طبيعة المجتمع الذي سيجرى عليه الدراسة، ومدى تمثيل عينة الدراسة للمجتمع الأصلي ، وقد يحتاج الباحث لأجراء بعض الدراسات الاستطلاعية التي تمكنه من التعرف على الموانع الأساسية التي تحكم الدراسة التجريبية .

ومن ثم تميم الدراسة التجريبية وفقا لنوع الفروض المطروحة للاختبار والتفسير، سواء كانت فروضا كلية او فروضا فعلية او فروضا فرعية صورية .

وفي ضوء ذلك يبدأ الباحث في التحكم في المتغيرات بحيث يستبعد المتغيرات غير المطلوبة ، ويبقى على المتغيرات التي يعرفها للاختبار . على أن تكون لديه القدرة العلمية على ضبط ظروف التجربة حتى يتمكن من دراسة نمط المتغيرات المطلوب دراستها سواء كانت في وضع المتغيرات المستقلة أو الوسيطة والمتغيرات التابعة ، وحتى يستطيع تحديد العلاقات الدافعة بين المتغيرات والتعبير عنها، أي من تلك العلاقة بصيغة رياضية .

### ٣ - البحوث الإمبريقية التاريخية في علم الاجتماع :

تمثل البحوث التاريخية مكانة خاصة اليوم في علم الاجتماع ، وذلك لما تقدمه من معلومات تدعم عملية الفهم التي يرتكز عليها التنبؤ العلمي حول الظواهر الاجتماعية . وقد زاد من أهمية البحوث التاريخية في علم الاجتماع اليوم أنها ما للبحث الاجتماعي من دلالة كبرى في الاقطار النامية .

وذلك لان المافى يلعب دورا بالغا في جميع المجتمعات . اذ ان التقاليد والنظم الاجتماعية تمارس تأثيرها على التنمية بصورة لا تقبل الشك . ولو احذنا مثلا لذلك بالمجتمع الهندي لوجدنا ان المافى والبا ما يكون ملتحاق الحاضر اذ ان بينهما (أى بين الحاضر والمافى) علاقة سببية اكيدة .

ومن ثم تطلب الحال تقدير جوانب التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية للمافى على السلوك وحياتنا الاجتماعية للمجتمعات المعاصرة . اذ انه بدون فهم هذه التأثيرات يكون نجاح عمليات التنمية مشكوكا فيه . ولاشك ان تقدير تلك التأثيرات ومتطلبات الترتيب يدخل ضمن اطار البحوث التاريخية الامبيريقية التى تنهض على مبادئ الاستقراء من خلال بحث المافى، والقوى الاجتماعية التى تشكل الحاضر<sup>(١)</sup> .

ويمثل هدف البحث التاريخى فى محاولة تطبيق التفكير الانعكاسى على المشاكل الاجتماعية التى لم تحل باكتشاف اتجاهات الحوادث والظواهر والاتجاهات فى المافى مع رصد خطوط نمو الفكر والاعمال البشرية للوصول الى بعض اسس النشاط الاجتماعى<sup>(٢)</sup> . واذا كان هذا العالم الاجتماعى هو اكتشاف الظواهر والوقائع والقاسم العلاقات بينها ، فان أى باحث اجتماعى يهمل المافى فسي تحليل الحاضر يكون بعدد مخاطرة بالغة . واذا ما قام الباحث بوصف الاحوال المرتبطة بالاحداث، التى تؤدى اليها، والاراء والنظم وبالمثل الاحوال المنبثقة منها، فانه يكون بعدد تحديق الوظيفية فى نطاق البحث التاريخى .

كما ان البحث التاريخى يتخذ من التحليل، والتأليف بين الظواهر اسما له . وذلك لانه ليس مجرد تسجيل للوقائع او الحوادث غير المترابطة. وذلك لانه يسعى

(1) Young, Pauline, Scientific Social Surveys, p. 207.

(2) Gopal, H.B., op.cit., p. 78.

لتحقيق فهم تلك الوقائع والظواهر والكيفية التي حدثت لها . ومن ثم فهو يتناول العوامل السببية التي تساعده على كشف العلاقة القائمة بين الأحداث في حد ذاتها وبين الأحداث والبيئة الاجتماعية والثقافية التي وقعت فيها<sup>(١)</sup>.

وبذلك يحقق البحث التاريخي الوظيفية التفسيرية، بالإضافة للوظيفية الوصلية، التي أكد عليها كل من "جوبال" على نحو ما سلفنا و"شامبلز" و"ريثر" . وهم يحدد محاولة إيضاح نظام علم الاجتماع ومناصره العلمية الأساسية . والذي يشير لمحاولة وصف كيفية النظر للحياة الاجتماعية من خلال جماعات مختلفة، والذي يعني ان معرفة العديد من نهجنا الحالية، وطرق عمل الأشياء، تأتي إلينا من المجتمعات القديمة . وهنا يؤكدوننا على محاولة رؤية العالم الاجتماعي الحالي لكل من انجلترا والمين وأفريقيا من وجهة نظر المجتمعات والعمور القديمة .

وهنا تقوم هذه المحاولة أساسا على وصف أحداث الماضي ووقائعه ومحاولة تفسير أحداث الحاضر في ضوء الظروف الاجتماعية للماضي ، وهذا ما يحققه البحث التاريخي<sup>(٢)</sup> في علم الاجتماع. ويعتمد مدق الوعد والتفسير في البحوث التاريخية على مدى ما يتوفر من المعلومات، ومدى ملائمتها للظواهر المطروقة للدراسة، ومدى شهادتها . إذ ان توفير هذه المعطيات الأساسية المحققة لموضوعية البحث التاريخي تساعدنا على فهم الظاهرة، وتمكننا من تطبيق التقييم الفعال للماضي والذي يليدنا في فهم الحاضر .

ولما كان البحث التاريخي يحتاج لأطر تعنوية واضحة فإن ذلك يرجع إلى البيانات رغم أهميتها، فإن التعور على درجة كبيرة من الأهمية، ويخونه يعير البحث التاريخي مجرد جمع لبيانات ليس لها معنى . وذلك يشير إلى ان البحث

(1) Gobal, op.cit., p. 80.

(2) Chambliss & Ryther, op.cit., pp 116-117.

التاريخي يتناول ايضا فروضا موزية، بالإضافة الى الفروفي الوصفية والتفسيرية. وذلك لاداجته للتوجه النظري الذي تعالج قضايا في ضوء الفروفي الموزية، والتي يتم التحقق منها بطريق غير مباشر عن طريق التحقق من قضايا النظرية، في ضوء معطيات البحث التاريخي التي ترتب في نظام منطقي يمكننا من فهم المجتمعات المحلية والواهرها، واعداد التعميمات حولها . ولشك ان البحث التاريخي يسير في خطوات محددة يتناول خلالها الفروفي المطروحة للاختبار، سواء كانت وصفية او تفسيرية او فرضية .

حيث يتم وصف الواهر في سياق المجتمعات الحديثة، ثم نتناول ما يدائلها من واهر في سياق المجتمعات الماضية بالوصف، وذلك لكي يتم تفسير الواهر في الحالية في ضوء الواهر والاحداث في الماضي<sup>(١)</sup> .

ولما كانت للبحوث التاريخية الامبيريقية ادائها الوافي بالنسبة للوصف والتفسير الذي يمكننا من فهم الواهر والاحداث الحالية في ضوء الواهر والاحداث الماضية، لقد اكتسبت أهميتها بالنسبة لعلم الاجتماع في الوقت الراهن. على ألا يفوتنا الإشارة الى ان شمة تحفظات و حدود تتعلق بالبحوث التاريخية . اذ ان بعد الماضي وحوادثه قد يؤثر على عملية التفسير، اذا لم يكن هناك ومن كامل بالفروفي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي احاطت بتلك الحوادث والواهر، خاصة وان ذلك له أهمية بالغة في تقديم التفسير المتكامل للاحداث والواهر الحالية في المجتمع البشري .

---

(1) Gobel, op.cit, p. 87.

### ثالثاً : الفروض العلمية والدراسات الإحصائية في علم الاجتماع :

يهتم علماء المناهج بالفروض العلمية بشكل واضح وذلك لأنها تشكل إحدى عناصر النظرية الأساسية، والتي يسعى لمعالجتها والتحقق من صدق المعرفة التي تنهض عليها، والتي تساعدنا في فهم الواقع الاجتماعي وإيضاح أبعاده . ورغم أن الفروض المعلنة في بناء النظرية ذات طابع تفسيري . بمعنى أنها تتناول العلاقات القائمة بين المفاهيم والمتغيرات التي يتفحصها بناء النظرية . إلا أن الفروض الوصفية ذات أهمية وإلمة بالنسبة لبناء النظرية، وإن كانت في صورة فتمتية . هذا فضلاً عن كونها أساسية أيضاً بالنسبة للفروض التفسيرية من حيث فهمها ومعالجتها والتحقق من صحتها . وذلك بعينه ما جعل علم الاجتماع يخصص تلك الفروض الوصفية أنماطاً معينة من البحوث والدراسات التي تخدم في اختبار تلك الفروض والتحقق من صحتها . وذلك لإقامة الفروض التفسيرية على أساس راسخ من المعرفة العلمية، التي تقدمها الدراسات الوصفية في علم الاجتماع . وفي ضوء ذلك تصالغ الفروض الوصفية والفروض التفسيرية في ميادين الدراسات الوصفية والتفسيرية لعلم الاجتماع .

#### ١ - الفروض الوصفية والدراسات الوصفية

منذ تأكيد كارل بيرسون<sup>(١)</sup> على أهمية الوصفية الوصفية للعلم، وعلماء

الاجتماع مهتمون بهذا النوع من الفروض أي بالفروض الوصفية Descriptive Hypotheses ، فضلاً عن اهتمامهم بالفروض التفسيرية . وقد دفع الاهتمام بهذين النوعين من الفروض بين قلممساء الاجتماع<sup>(١)</sup> بعض البعث لاجتماع العلاقة بين نوعي الفروض هذه . وهذه الفروض ليست مجرد اقتراحات نستهدف

(1) Forcass & Richer, op.cit., p. 195.



بها تفسير مجموعة من الظواهر والحوادث الاجتماعية تفسيراً طلياً ، على نحو ما درجت عليه فرويد، الاستقراء التقليدي ، وإنما تستهدف تلك الفروض الوصفية وصف نوعاً معيناً من الظواهر أو أنماطاً سلوكية لجماعات معينة<sup>(١)</sup> بالضرورة التي تمكننا من فهم تلك الظواهر والوقائع من طريق وصفها<sup>(٢)</sup> ولاشك ان مثل تلك الفروض مؤقتة وقابلة للتطور، وذلك ما دفع " هوبال" لسميتها بالفروض الخام Crude Hypotheses وهي اقل في مستواها التجريدي من الفروض التفسيرية كما انها تشير لنوع من جميع البيانات ودالبا لاتؤدي الى اي بحث نظري في طبيعة القانون او النظرية. وتشكل الدراسات الوصفية القاعدة العريضة لمثل تلك الفروض الوصفية . ولاشك ان الفروض الخام يمكن مياقتها باعادة مادة العمل السابق، ومحاولة وضعها في تناقض محدد<sup>(٣)</sup> تشير للوم البسيط لانشطة الجماعة او الظواهر والحوادث الاجتماعية . وربما يتصور البعض ان مثل تلك الفروض محدودة القيمة والدافدة، اذ ان دافعتها الكبرى تتمثل في تصحيح وضع الأنشطة والظواهر والحوادث والالكار في مذاهب ومفومات محددة، تجعل لقضاياها قابلية للاختبار كما انها تحقق وظائف علمية اساسية تتمثل في :

Volve Judgements

- ازالة احكام القيمة

- تصنيف الملاحظات

- تطبيق اختبارات الصدق

(1) Force & Richer, op.cit., p. 89.

(2) Goode & Hatt, op.cit., p. 59.

(3) Gosal, op.cit., p. 118.

ومن ثم تؤدي الفروض الوصفية وظيفة هامة وحيوية للعلم، لأنها بذلك تمكننا من تفهم أنماط سلوك الجماعات وأنشطتها، وفئات الحوادث والظواهر، فهذا دقيقاً، وهي بذلك أساسية بالنسبة للفروض التفسيرية وتدعمها وتمهد لها . وذلك بعينه ما جعل علماء الاجتماع يهتمون بالتحليل الوصفي، والفروض الوصفية، لأن البحث الوصفي في نظرم ينطوي ايضاً على تفسير وايضاح لبعض الظواهر عندما لا يتولى حولها بيانات محددة . ومن ثم تقوم الدراسات الانظمة بهذه الوظيفة اي وظيفة توفير المعلومات والبيانات حول الظواهر . والدراسات الوصفية بذلك تقدم لنا ومفاد بلادر الامكان لسمات الظواهر والذي قد يزودنا بالمادة التي نرشدنا لبحث تفسيرية ثالية تسمح لنا بالوصول لتعميمات معينة .

ومن ثم يمكن التمييز بين الفروض الوصفية والفروض التفسيرية في أن الباحث يقيم فروغه التفسيرية على أساس الفروض الوصفية، بمعنى أن الدراسات التفسيرية تعتمد في المحل الأول على معطيات الدراسات الوصفية . حيث أن البيانات الوصفية تخبرنا بالكثير حول الظاهرة . وبذلك لا يكون التحليل التفسيري ممكناً وذات دلالة طيبة بدون بحث وصفي مسبق<sup>(١)</sup> .

ويمكن ان نعتبر دراسة الحالة والمسح استويين للدراسات الوصفية وأدائها لاختبار فروغها . وجمع مادتها بواسطة ادوات منهجية مناسبة للمفردات الدراسة والبيانات المطروقة وقد يعتمد المسح على المقابلة والاستمارات والتحليل الثانوي للبيانات ذات القيمة للبحث الوصفي والتي يوفرها استخدام اسلوب تحليل المفهوم ،لوشافق والمجلات كما ان دراسة الحالة تستخدم في دراسة الجماعات والافراد دراسة متعمقة .

---

(1) Forcese & Richer, op.cit., p. 80.

ونظرا لان وحدة التحليل في علم الاجتماع هي الجماعة فان دراســة  
الحالة الثقافية في الدراسات الوصفية تتناول الجماعة بصفة اساسية،  
حتى لو كان ذلك من خلال الشخصيات التي ننتص اليها كأعضاء .

ولما كان علم الاجتماع يهتم بدراسة وطبيعة الجماعة ككل، ومن ثم يهتم  
بتناول التفاعل وانماطه، والقيم والمعايير السائدة لدى الجماعة،  
وبالمثل الجوانب الاخرى المتعلقة بالبناء الاجتماعي فان الدراسات  
الوصفية سواء استخدمت دراسة الحالة او المسح، تكون وحدة الدراسة  
والتحليل الوصفي الجماعة الاجتماعية<sup>(١)</sup> .

كما ان تحليل البيانات في الدراسة الوصفية يعتمد في المحمل الاول  
على النسب المئوية ويعتوية دلالات الفروق فيما بينها، وما يهين التشخيصات  
والمتوسطات والانحرافات المعيارية، وذلك للوصول الى المعالجة الدقيقة  
للبيانات الوصفية. وعلى اساس ذلك يكون تناول الفروض الوصفية، والتي  
لا تكون فروضا نهائية بل على العكس من ذلك فانها فروض عام على نحو مسا  
أشار " جوبال " حيث انها تصاغ في عبارة محددة لاتشير لعلاقات بين  
متغيرات على نحو ما يحدث بالنسبة للفروض التفسيرية . ومثالنا للفرض  
الوصفي نلغز وجود مظاهر معينة، وذلك مما تشير اليه عبارة :

ان نزلاء السجن من فئة واحدة يشكلون بناء غير رسمي محكم التنظيم .

في حين ان المعالجة للفرض التفسيري في الجانب الاخر تشير لعلاقة بين  
متغيرين او اكثر مثال ذلك ما تشير اليه عبارة " الشخصية التملطية  
للجناء ١٥ / ١ تنتج بناء غير رسمي محكم التنظيم . وكما أشرنا سلفا  
فان جمع البيانات حول أي من الفرضين يتم بطرق مختلفة، وهذا هو اخصاها بتكنيكات  
مختلفة .

(1) Forrester & Richey, op.cit., pp 83-84.

## ٢- الفروض التفسيرية والدراسات التفسيرية :

ان الموضوع الاساسى للدراسات التفسيرية Explanatory Studies هو اختبار علاقات فرضية معينة بين المتغيرات . تلك العلاقات التى يتفحصها الفروض التفسيرية مثال ذلك ما يتفحصه الفرض التفسيري . التالى مسن علاقات تشير اليها عبارة " ان الشخصية التسلطية للجناء تنتج بناءً غير رسمى محكم التنظيم " واذا أُشرنا للشخصية التسلطية ا س ( ) والتنظيم غير الرسمى ا هـ ( ) يكون الفرض التفسيري هنا قائما على اساس العلاقة السببية او العلية، بحيث يقال ان س تودى الى ص . ، وقد تكون العلاقة التى يتفحصها الفرض التفسيري علاقة مرحلية تحوى متغيرات متتالية، ومتغيرات بسيطة، ومتغيرات تابعة، مثال ذلك ان نفترض ان العلاقات الفرعية المنحرفة تنتج الشخصية المتممة الأكثر تعقيدا للجماعات المعروفة، واذا الترفنا أن الشاذة الفرعية المنحرفة للجماعات العامل المستقبل ( ا ) ، والشخصية المتممة متغير بسيط ( ب ) ، والتعقيد القوى للجماعات المنحرفة متغير قاسم ( ج ) ، نكون بعدد تحليل علاقات يتفحصها الفرض التفسيري، ومثل هذه الفروض اكثر تجريدا من الفروض العلى البسيط الذى يتناول علاقة سببية بين ( س ، ص ) ، بحيث يقال ان ( س ) تودى الى ( ص ) . وقد يشير الفرض التفسيري للعلاقة المتبادلة بين متغيرين او اكثر، وهنا يكون الشاذل بين المتغيرات هدف التحليل التفسيري كان يشير الفرض التفسيري، مثلا لوجود علاقة وطبية بين ( ا ، ب ) أو ( ا ، ب ، ج ) . وهذا يمثل أعلى مستويات التحليل التفسيري من حيث التعقيد . وذلك لان هذا النوع من الفروض التفسيرية يتناول العلاقات المتبادلة بين المتغيرات المتمدة.

والواقع ان عدد المتغيرات غير محدود من الشاحبة النظرية وكلما زاد عدد المتغيرات كلما كان قياس العلاقات بينها أوسعها، وبين المفومات المتعلقة بالخصوبة او الصحة الغذائية في الدول النامية مثلا أكثر تعقيدا<sup>(١)</sup>.

وفي حالة التحليل التفسيري للظروف التفسيرية يكون لقياس الارتباطات بين المتغيرات أهمية اساسية، حيث تستخدم اساليب احصائية متنوعة لتقرير نوع الارتباط من حيث طبيعته او اتجاهيته، وتحديد مستوى الدلالة المعنوية للارتباط ودرجة تشبع المتغيرات ببعضها، ومن ثم تستخدم ملايير الارتباط الاحصائية ومعاملات التوافق ويعرف الملايير التي تقيس درجة تجانس المتغيرات وارتباطها ببعضها، واتجاه هذه العلاقة، وبالنسبة لقياس التداخل بين المتغيرات لمعرفة درجة تشبع العوامل ببعضها ومستويات هذا التشبع، يستخدم تكنيك التخطيل العاملي، وهو أكثر فاعلية بالنسبة لتفسير العلاقات الوظيفية بين المتغيرات اى بالنسبة لقياس التداخل القائم بين المتغيرات وبعضها.

والواقع ان فهم استراتيجيات التحليل التفسيري وما يرتبط به من تطويل للعلاقة السببية بين المتغيرات، وقياس تفاعل المتغيرات، والعلاقات المتبادلة، يعتمد الى حد كبير على تحديد مستوى العلاقة المراد تفسيرها بين المتغيرات والملايير المناسبة لمستوى العلاقة، التي يتضمنها الفرز التفسيري<sup>(٢)</sup>.

#### ٣- اصول المعرفية للظروف:

شمة اصول معرفية تحكم في عملية صياغة الفروض، وتمثل هذه الاصول في الشكافية العامة التي يطور العلم فيها العديد من فروعه، حيث نجد مثلاً ثنائية المحتشمات الأوروبية تؤكد على السعادة الفردية والحراك والمنافسة،

(1) Gohal, op.cit., pp. 119-120.

(2) Forcese & Richer, op.cit., pp. 222-232.

في حين تؤكد المجتمعات الأخرى الشوكية على الجماعة . والواقع ان علم الاجتماع علم حديث. كما انه قد حقق نموه في كل من الولايات المتحدة وانجلترا والمانيا وفرنسا، وذلك يعني ان الفروض التي وضعت وصيغت وتسم اختبارها، كانت مرتبطة بتعليقات الثقافة الخاصة، وتأكيداتها<sup>(١)</sup> على نحو ما اثرنا سلفا .

كما ان للمعتقدات الدارجة لدى الجماهير دور ايذا في وضع الفروض، أفد لذلك الخبرة الشخصية وما تلعبه من دور في عملية صياغة الفروض .

اما من دور المماثلة كمصدر للفروض المفيدة، فقد اكد " جيليان هوكسلي " Julian Huxley على نحو ما اشار كل من "جود وهات" على ان ملاحظات أطر، وطبيعة العلوم الأخرى قد تكون مصدرا خبا للفروض، وذلك مادفع بكل من "هات وجون" لاعتبار الفروض تنامي التطور علم البيضة البشرية. وعندما ولد الفرض من طريق الملاحظة الاجتماعية استخدم نفس المصطلح في علم الاجتماع، حيث صار فكرة هامة في النظرية الاجتماعية . وهذه المماثلة وغيرها من المماثلات قد أشرت الفروض، ولكن ذلك لا ينفي خطورتها، حيث ان نماذج الطبيعية تلهم بوضعها في اطارها النظري الأعلى، ولا ترتبط بالافكار المرجحى الحديث . وهنا تكمن بعض جوانب الخطورة، كما ان للفروض اصولها في العلم نفسه : حيث يؤدي العلم وطيفة هامة على مستويين، على مستوى النظرية التي تشتق منها الفروض، التي تتناول مشاكل معينة جديدة، كما ان اكتشاف العالم لصنع نظام العلم له أهمية كبرى . وذلك يسهم في تطوير نظام البحث واستخدام نظريات، واشتقاق الفروض نتيجة للخبرة الاجتماعية داخل العلم<sup>(٢)</sup> وذلك لان المعرفة القائمة والمتصلة في تق العلم تلعب دورا هاما في عملية

(1) Goode & Hatt, op.cit., p. 63

(2) Gopal, op.cit., p. 121.

اشتقاق الفروض، فافعل لذلك ان الاعتراف من النظريات المقبولة احيانا قد يقترح  
خطة جديدة للبحث<sup>(١)</sup>. واذا كانت تلك هي المصادر المتعددة لصياغة الفروض،  
فان شمة مشكلة قائمة تتمثل في عملية اختبار تلك الافكار التي قد تبرهن  
داخليا الفعالية .

ونتيجة لتعدد مصادر الفروض ونوعية العلماء في تحقيق الانتقاء الجيد  
المعترف بها، أكد جوبال على محركات الفروض المثمرة في البحث . فزعم أن  
جميع الفروض ترى عملية البحث وتتساوى في مساعدتها للباحث، الا أن شمة  
فروض قد لا تحقق ذلك تماما . ومن ثم يصبح من الضروري ان يأخذ الباحث في اعتباره  
بعض الاعتبارات الهامة التي تساعد في عملية الاختيار والمبالغة للفروض ،  
بحيث تكون مثمرة وفريدة في عملية البحث .

- ويتمثل الاعتبار الاول في الوضوح التصوري، والذي يعتمد على وروح المفاهيم  
وتحديدها، وتعميقها تعريفا دقيقا على المستوى النظري والاجرائى .

- ويتمثل الاعتبار الثاني في استبعاد الاعكام القيمية في صياغة الفروض  
وذلك مثل :

يجب او ينبغي او حسن او سيء . فمن الضروري تجنبها واعتماد الباحث على  
الوقائع واستبعاد كل حكم مسبق يتعلق بالفرض .

- اما الاعتبار الثالث فيتمثل في أن يكون الفرض محددا ودقيقا . حتى يمكنه أن  
يؤدي غرضه المستهدف منه في عملية البحث . وقد يشير ذلك الى ضرورة اشتقاق  
فروض فرعية Sib Hypotheses من الفروض لتحقيق الوضوح والدقة،  
والتحديد الذي يساعد على ايضاح العلاقة بين الهياكل والاستنتاجات<sup>(٢)</sup> .

- ويتمثل الاعتبار الرابع في استخدام الاساليب المنهجية الملائمة للفروض،  
ولكي يكون الفرض عملية يجب ان يرتبط الفرض بالبحث بالتكنيكات البحثية الملائمة

(1) Goode & Hatt. op.cit. pp 64-67

(2) Gopal, op.cit., p. 122

لعلم معين . فحيث يكون الأسلوب التجريبي ملائماً وضرورياً في المسائل  
الغينية، فإنها لا تتساوى في ذلك مع العلوم الاجتماعية، وذلك لأنه بالنسبة  
للعلوم الاجتماعية يظل التجريب محل تساؤل وفي غير محله حتى يتطور استخدام  
المنهج التجريبي بالصورة التي تلائم طبيعة العلوم الاجتماعية. ومن ثم كان  
عليها أن تسعى لاستخدام أدوات تحليل جديدة لمعالجة هذا التحدي في مجال  
العلوم الاجتماعية عند معالجتنا للفروض من خلال الدراسات الوصفية  
والدراسات التفسيرية .



### الفصل الثالث عشر

#### البحوث التتبعية ومناهجها

##### Panel Research

##### اهتم بمفهوم علماء الاجتماع بالبحوث التتبعية

باعتبارها نوعاً من أنواع البحوث الوصفية، التي تتناول بالإضافة إلى دراسة الوضع القائم، والعلاقات المتبادلة بين المتغيرات في سياق موقبل معين، التغيرات التي تحدث على مر الزمن، حيث يقوم الباحث بمجموعة من المتغيرات وما يقرأ عليها من تطور على امتداد شهور أو سنوات معينة. والواقع أن الدراسات التتبعية قد استخدمت في البداية في مجال بحوث الاستهلاك، ومسوح الرأي السياسي<sup>(١)</sup>.

والغرض المباشر من مثل تلك الدراسات التتبعية هو تحديد ما يحدث في الماضي وما يحدث حالياً، وذلك على أساس من الملاحظة والمقارنة، لما يخلقه ذلك من فهم لإبعاد الماضي ومعرفة جوانبه وتطوره وخصائصه، وكذلك التنبؤ باحتمالات المستقبل وما يحتمل حدوثه في ضوء هذه الدراسات التتبعية.

وقد كان اهتمام كل من ك. نوبل<sup>(٢)</sup> و. لوسون<sup>(٣)</sup> بالبحوث التتبعية واضحاً عندما تناولوا كنوع من أنواع البحوث الوصفية، التي تهتم بدراسة النمو والتطور. وقد استخدمها تحت عنوان الدراسات التتبعية التي تهتم بالضمور والتطور Developmental Studies<sup>(٤)</sup> في مجال البحوث

التربوية. وإذا كان هذا الاهتمام قد ظهر منذ بداية الحقبة السابعة من هذا القرن، فقد مهد لذلك اهتمام واضح من قبل علماء الاجتماع بعامة، وعلماء المناهج بخاصة، وذلك منذ عام ١٩٤٨ عندما أجبر "لازرفيلد" و"جايت" دراسة حول الانتخابات ومدى تأثير الناخبين واتجاهاتهم خلال فترة الانتخاب، وذلك

(1) Mayntz, Renate, Halm, Kurt & Huebner, Roger, Introduction to Empirical Sociology, Trans. Great Britain: Penguin Education. 1976. p. 130.

(2) Lovell & Lawson, op.cit., Chapter 3.

بدراسة مينة من الجمهور لفترة بلغت سبعة شهور شملت فترة ما قبل الانتخابات، وفترة الانتخابات وفترة ما بعد الانتخابات في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(١)</sup>، وقد اهتم كل من "هانز" و"هيروتر"، و"دو" بهذا النوع من البحوث التتبعية، وذلك عندما اشاروا الى انه عندما يتم مقابلة وملاحظة مجموعات او مجموعة من الناس ذاتها في فترات متعاقبة فان موضوع مثل تلك الدراسة هو انتميه بالدراسة التتبعية<sup>(٢)</sup>.

والد كانت دراسة "تيدور نيوكومب" التتبعية الذي نشرها عام ١٩٤٢، والتي تتبعض تحليلاً لمعطيات الجهد الذي تم خلال فترة بلغت تسع سنوات للقياس للاتجاهات المتغيرة للطلبة تجاه بعض الأمور الاجتماعية، التي استهدفت بها اختيار فرط اساس يشير الى ان تكيف الطلبة مع رأى الطلبة السائد يزداد كلما ازداد اندماج الطلبة في الكلية<sup>(٣)</sup>.

وقد شاع استخدام هذا النوع من البحوث الوصفية في دراسة نمو الطفل وتطوره. كما أن "كلوارد" Cloward استخدم الدراسات التتبعية في بحث حالات نزلاء السجن والطرق التي تغيرت بها ادراكاتهم لحقائق المجتمع المحلي والمؤسسة تحت تأثير برنامج الادارة وسياساتها في معاملة النزلاء.

---

(1) Lazarsfeld, Berelson and Gaudet, The People's choice, New York, Columbia University Press, 1948.

(2) Hansen, M.H., Hurwitz, W.H., & Madow, W.G., Sample Survey Methods and Theory, I. New York, John Wiley & Sons, 1953. p. 23.

(3) New Comb, T., Personality and Social Change, New York: 1943

- انظر دكتور عبد الله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، جدة، الناشر (المؤلف)

بالإضافة لتأثير تدافئة النزيل، وذلك ما اهتم به تخطيطه "جيمس جوجين"  
وهو يحدد دراسة بعض الجماعات العائلية<sup>(١)</sup>.

وقد اهتم بهذا النوع من الدراسات الوظيفية نورمان بولانسكي لهذا  
لها من أهمية في دراسة التغيرات التي تطرأ على الجماعة نتيجة لتأثيرات  
متعاقبة، وبذلك يذهب إلى أن تصميم الدراسة التتبعية يعتمد على  
مقدرة الباحث على اختيار أو دراسة جماعة أو أكثر في فترات مختلفة  
من الوقت لأن كان احراء المقارنة بين وضع الجماعة او الجماعات على مدار  
تلك الفترات<sup>(٢)</sup>.

ولقد ورد كل من "ماينتزر" وهو لم يوهبتر جزءاً خاصاً من  
الدراسات التتبعية Panel Studies وذلك في مؤلفهم "مدخل لعلم  
الاجتماع الامبيريقى" يهدف تعريف مصطلح الدراسات التتبعية وتحسين  
تطبيقاتها في مجال بحوث علم الاجتماع. حيث يشير مصطلح التتبعية في  
نظرهم للدراسة التي تلاحظ فيها أو تقيس وضع الاشخاص او الوحدات  
الاجتماعية الاخرى في مناسبتين متعاقبتين على الاقل تحت نفس الظروف  
والسمات. وبذلك تكون الدراسة التتبعية في نظرهم تحليل طامس مقارن  
عبر الزمن. وينحصر هدفها في بحث عمليات تغير معينة. وذلك مثل تغير

---

(1) John, Julius A. Area Sampling Applied to a survey of Ethnic Groups in  
Seattle, Washington: Research Studies, State College of Washington,  
1937, pp. 19-85-88.

(2) Polansky, Norman A., Social Work Research London: The University of  
Chicago Press. 1969. p. 62.

الاتجاهات السياسية بين الطلبة خلال فترة دراساتهم او التغير في سلوك المستهلك<sup>(١)</sup> والحدير بالذكر هنا اننا اشار اليه كل من "ماينتز" و"هولم" و"هيبنر" بالنسبة لما تحلقه هذه الدراسات من غاية وفيلفة، حيث انها لا تلتف عند مجرد الوصف ولكنها تحلق ايضاً المستوى التجريبي حيث يدرج عامل او عاملين في مرحلة التجريب الشابتة للتعرف على مدى علاقتها بالعوامل وبذلك يؤكدون على اهمية الدراسة التتبعية بالنسبة لوهيكتي الوصف والتفسير<sup>(٢)</sup>، ورغم اننا نقر وجهة النظر تلك الا اننا ندرج هذا النوع من البحوث ضمن اطار الدراسة الوصفية لأن ما تقدمه من تفسير للمتغيرات مرتبط بطبيعة العلاقة الدائمة بين تلك المتغيرات والعوامل ورغم ذلك لتفسيرها الذي تقدمه لنا من النوع المتقدم الذي يمكن ان نشلق منه لتعميق تجريب حول الظاهرة، وما يرتبط بها من متغيرات

وفي ضوء ذلك نعرض للدراسة التتبعية على النحو التالي :

- طرق تطبيق الدراسة التتبعية .
- الوصف التفسيري في الدراسة التتبعية .
- مشكلة الثبات والعقد في الدراسة التتبعية .
- كفاءة الاستخدام المنهجي للدراسات التتبعية في علم الاجتماع .
- مراحل الدراسة التتبعية .
- الاجراءات المنهجية للدراسة التتبعية .

---

(1) Mayntz, R., Holm, K. & Huebner, R., Introduction to Empirical Sociology, Great Britain, Penguin Education, 1976. p. 130.

(2) Mayntz & Others, Ibid., p. 131.

## أولاً : طرق تطبيق الدراسة التتبعية :

أهتم الفرد كاهن " في دراسته بعنوان (تعميم البحث) بإبراز الطريقتين الأساسيتين التي تطبق بها الدراسة التتبعية، وهما في طريقتين أساسيتين تتمثل أولهما في الطريقة الرأسية الطولية Longitudinal وتتمثل الطريقة الثانية في طريقة المقارنة الأفقية المتتفرقة<sup>(١)</sup> Cross Sectional .

وقد استخدم كل من " لوفيل " و " لوجون " الطريقتين وهما بمسدد تحديد الطرق الأساسية للدراسة التتبعية<sup>(٢)</sup> .

وسوف نعرف هذا لطرق الدراسات التتبعية والتي حددها سلفا في الطريقتين الرأسية الطولية، والأفقية المتتفرقة .

### ١ - الطريقة الرأسية الطولية للدراسة التتبعية :

متنمدا يتناول الباحث التغيرات التي تحدث في جماعة معينة بالتعاقب وفي فترات معينة متتالية، حسب نموهم العمرى، أو مستواهم الدراسى على أن تكون مداخلته أو اختياره وملاحظته على نفس الجماعة في مراحل متعاقبة، وقصد يصل كل مرحلة عن الأخرى عام مثلاً، وذلك لرسم أنماط النمو والتأثيرات المختلفة التي تتعرض لها الجماعة، سواء كانت التغيرات جسمانية ، أو عقلية ، أو انفعالية، أو اجتماعية ..... الخ ، وذلك على مستوى الجماعة ككل ولكل فرد منها .

(1) Kahn, Alfred, J., The Design of Research in Polansky, Norman A; Social Research, op.cit., pp. 60-62.

(2) Lovell & Lawson, op.cit. Chapter. 3

هذا نكون امام دراسة تتبعية على نحو ماذهب كل من " هانن " و"هيروتر" ومادو<sup>(١)</sup> وذلك ما استعمل به " الفريد كاهن " تمريره للدراسات التتبعية وبوجه خاص التتبع الراسي الطولي للجماعة (٢) .

وهذا تحددت ابعاد هذه الطريقة باعتبارها تنهض على مجموعة واحدة يتم دراستها خلال فترات مختلفة بهدف تحديد التأثيرات التي تتعرض لها، والتغيرات التي تطرأ على اتجاهاتها. ومثال ذلك دراسة مجموعة مسمى الناضجين في ثلاثة فترات مختلفة تتمثل في فترة ما قبل الانتخاب وفترة الانتخاب ثم فترة ما بعد الانتخاب وذلك على نحو ما فعل بيرلسون<sup>(٣)</sup> وملاو<sup>(٤)</sup> .

#### ٢ - طريقة التتبع الافقي المستمر

وهذا يتم دراسة مجموعتين او اكثر من الاطفال في مراحل معينة مختلفة او من التلاميذ في مراحل دراسية مختلفة، وهي عكس الطريقة الراسية الطولية، التي تتناول نفس المجموعة في فترات مختلفة . اما الطريقة المستمرة هنا فتتناول جماعات متعاقبة، تمثل كل منها مرحلة نمو معينة، وتتكامل تلك المراحل مع بعضها في اعطائنا صورة كلية عن خصائص وشروط كل مرحلة من مراحل النمو . ورغم ان الطريقة التتبعية الطويلة اكثر فعالية وكفاءة نظرا لانها تتناول نفس المجموعة من الافراد الا ان الطريقة المستمرة هي اكثر الطرق التتبعية انشازا في البحوث الاجتماعية والبيولوجية .

ورغم ما للدراسات الطويلة من مميزات تتمثل في استمرار اتصال البسائط بوحدات الدراسة لفترات طويلة، الا انها تتأثر بطول الفترة وتغير عوامل تؤثر على سلوك بعض افرادها، ولقد انهم من الدراسة بالاضافة للوقت والمال

(1) Hansen, M. Hurwicz, W.N., & Madow, W.G. op.cit., p. 23.

(2) Kahn, Alfred, op.cit., p. 60.

(3) Kahn, A., Ibid., p. 60.

الذى تحتاجه هذا فضلا عن احتمال اشتغال بعض الأفراد نتيجة لانتقال الآباء .  
ورغم أن لاندان بعض الأفراد العينة عن طريق الوفاة احتمال غير مؤثر  
نسبيا لقلّة العدد المتوفى من افراد العينة . الا ان انقطاع  
بعضهم عن الدراسة . اذ ما كنا بصدد دراسة مجموعة من الطلبة والاشخاص  
بالعمل ، فقد يجعل عامل الاهتمام غير متوفر لدى بعض افراد العينة .  
وعندما ترتفع نسبة اللقطة المفقودة من عينة الدراسة الطولية  
يفطر الباحث لاستعواضها بأفراد آخرين<sup>(١)</sup> وقد لا تتعادل هذه اللقطة  
الجديدة في خصائصها مع اللقطة المفقودة .  
أما لذلك ان اشتراك افراد العينة في البحث قد يؤثر على سلوكهم ،  
هذا فضلا عن احتمال تغير القاصمين بالبحث نتيجة لطول فترة الدراسة .  
ولذلك ان لكل ذلك تأثيره على درجة التركيز في البحث واتجاه التحصيل  
وتناول العوامل المستهدفة من الدراسة .

وذلك بعينة ما اكسب الدراسة : المستعرة أصبحت حيث انها اقل تكلفة  
واختصارا للوقت كما انها تضمن استمرار التركيز والاهتمام من قبل الباحث  
وعمان الاتجاه الواحد للبحث والتدليل . ورغم ذلك فان اهم صعوبة تواجهنا  
بالنسبة للدراسة التتبعية المستعرة ، تتمثل في سحب العينة العنقودية  
للمجتمع الأصلي ، والتي تعتمد عليها صحة تعميماتنا وتمولها .

---

(1) Kahn, op.cit., p. 61

### ٣ - طريقة اللواحق المقارنة :

وإذا كانت الطريقة الطولية والطريقة المستعرضة تساعدان على دراسة  
قواهر معينة تتعلق بالتغيرات والتأثيرات التي تتعرض لها مجموعة معينة،  
أو مجموعات مختلفة في فترات زمنية مختلفة، من حيث خصائصها وقرولها  
وتأثيراتها على الأفراد .

إلا أن هناك بعض الظروف التي لا تستطيع فيها أن تتبع نفس العينة  
من الأفراد، ولا تستطيع أن تتناول مجموعتين في نفس الوقت، وذلك يحدث  
عندما نتناول تأثيرات ثلثات لمجتمعين أو أكثر على اتجاهات الأفراد .  
مثال ذلك عندما ندرس لدراسة أثر التعليم الثنائي المقارن على اتجاهات  
الطلبة نحو ثقافة مجتمعهم التقليدية<sup>(١)</sup>.

وهنا نكون في حاجة لتتبع عينة من المجتمعين للخارج فنناولهم بالدراسة  
تسلسل طرقهم ، ثم ندرسهم خلال مرحلة إقامتهم وأخيراً فنناولهم بمسند  
مودتهم لمجتمعهم الأصلي .

في هذه الحالة بالذات قد لا نستطيع دراستهم باتتبع الطريقة الطولية  
للمجموعات التي ترتبط بظروف الدراسة المتتبعية وحاجتها للوقت الطويل،  
في هذه الحالة بالذات واحتمال فقدان أفراد كثيرين من العينة نظراً لطول  
الفترة ووجود احتمالات كثيرة لانحسابهم وعدم استكمالهم للتعليم أو عدم  
عودته لبلده الأصلي، أو عدم التعرف على مكان تواجد بسهولة مما قد يطرأ  
للتغلب منه .

كما أن الطريقة المستعرضة غير ممكنة لأننا لا نستطيع تناول مجموعات  
ثلاثة في محتمات مختلفة في نفس الوقت الأمر الذي يطرأ إلّا أن نتناول جماعة

---

(1) Al-Banyan, Abdullah Saleh, Saudi Students in The United  
States, London, Ithaca Press, 1980.



من المبتعثين قبل سفرهم للتعرف على اتجاهاتهم نحو علوم الحياة والقيام  
التأليفية، ثم نتناول مجموعة من المبتعثين في البلد أو البلدان الأجنبية  
ثم نتناول بعد ذلك مجموعة من المبتعثين بعد عودتهم إلى مجتمعهم الأصلي .

وبذلك يكون متصل فترات المتبع المتصلة في فترة ما قبل الابتعاث واثنا  
فترة الابتعاث وبعد فترة الابتعاث كما أن الجماعات التي نتناولها  
سأدراسة جماعات متعاقبة ومختلفة غير أننا لا نتناول تلك الجماعات  
في نفس الوقت، وإن كان ذلك أمراً معقولاً إذ يمكن مقابلة هيئة من المبتعثين  
قبل سفرهم وهيئة أخرى من المبتعثين فعلاً وهيئة من المبتعثين بعد عودتهم  
إلى مجتمعهم الأصلي، وذلك بإرسال استمارة البحث إليهم مباشرة  
من طريق البريد ورغم ما في هذه الوسيلة من عيوب تتعلق باحتمال عبث  
نسبة محدودة من الحالات، كما أن ذلك يكلف كثيراً، ويحتاج لجهد غير مادي  
ومن ثم أشرنا أن يطلق على هذه الطريقة التتبعية طريقة اللوحات  
المستعرضة أو طريقة المتبع اللاحق المقارن . وذلك لأنه يمكن للمباحث  
أن يتناول هيئتين من المبتعثين في نفس الوقت، كأن يتناول هيئة المبتعثين  
قبل سفرهم وهيئة من المبتعثين بعد عودتهم إلى المجتمع الأصلي في نفس  
الوقت، كخطوة لاحقة لتناول هيئة من المبتعثين أثناء إقامتهم في  
الدول الأجنبية ويمكن أن تتم الدراسة التتبعية على نحو آخر بأن يستم  
دراسة هيئة من المبتعثين في الخارج أثناء إقامتهم بالمجتمعات الأجنبية  
ثم يتم بعد ذلك بفترة تناول هيئة من المبتعثين بعد عودتهم لمجتمعهم الأصلي،  
وهيئة من المبتعثين قبل سفرهم، وذلك في فترتين أو في فترة واحدة .

وعلى أساس ذلك تتم المقارنة والمقابلة بين عينات المبتعثين

التي

ثانيًا : ابعاد التطبيق السيولوجي في الدراسات التتبعية :

ان ما اشار اليه كل من " فورسيز ورشر " بالنسبة للدراسة التتبعية باعتبارها بحثاً وصفيًا يساعدنا على اكتشاف وامتطام الظاهرة المطروحة من ناحية كما انها اي الدراسة التتبعية تسمح لنا بالوصول لبعض التصميمات او انها تميل لتحقيق ذلك<sup>(١)</sup> يؤكد مذهب اليه كل من رنات ماينتز " وكيرت هولم " و" روجر هينتز في مؤلفهم (مدخل لعلم الاجتماع الامبيريق، ١٩٦٩) من ان هذه الدراسة التتبعية لايتولى عند مجرد عملية الوصف للتغير ولكنها تذهب لحد ابعد من ذلك لتفسره . ثم يستردوا في ذلك مؤكدين ان الدراسة التتبعية تسعى لتحقيق القياس للتأثيرات التي يحتمل تأثيرها على تفسير الفرد (لتجاهه<sup>(٢)</sup> .

وذلك يشير في جملة الى أن الدراسة التتبعية تستهدف تطبيق الوصف التفسيري للظاهرة المعطاة للبحث والدراسة، وهي بمدد ذلك تحقق جانباً استكشافياً لتوفير البيانات حول الظاهرة ثم تحقق جانباً تنبئياً بتحديد لغات الظاهرة ومتغيراتها، والد تسعى لتعميق الفهم وتوفير البيانات حول تلك اللغات باجراء قياس للعلاقات القائمة بين المتغيرات، وذلك لوصف تلك العلاقات وتقديم التفسير للغات المعنوية، ووصف العلاقات القائمة بين المتغيرات .

ومن ثم اعتبر الدراسة التتبعية دراسة وصفية بكل ما يحمله الوصف من معنى علمي نظراً لقدرتها على تحقيق الوصف التفسيري، وذلك بعينه ما جعل بعض العلماء ينظرون اليها باعتبارها محققة للوصف التفسيري للظاهرة المعطاة على نحو ما اشرنا سلفاً .

(1) Forcese & Richer, op.cit. p. 79.

(2) Hayntz, Renate, Holm, Kurt & Buebner Roger, op.cit., p. 131-132.

ولد أجمع علماء المناهج على أن الدراسة التتبعية بذلك تقدم لنا  
أهدافاً تحليلية مختلفة بالإضافة إلى التحليل الوصفي المقارن بين  
الجماعات على المستوى الرأسى فأنها تقدم لنا أيضاً تحليلاً وصفيًا مقارنًا  
على المستوى الأفقى عبر الزمن وخاصة عندما نكون بصدد دراسة عمليات  
التغير . وذلك مثل التغير في تفضيلات الأفراد داخل الجماعة أو التفسير  
في الاتجاهات السياسية بين الطلبة خلال فترات دراساتهم . والتغير في  
سلوك المستهلك<sup>(١)</sup> . وحتى اليوم مازالت الدراسات التتبعية تستخدم في مجال الاستهلاك  
وسموح الرأي العام ، وبطريقة الواثق المقارنة يمكن استخدامها في دراسة الاتمال  
الثقافى ، ورغم وجود مجالات متعددة يمكن أن تستخدم فيها الدراسات التتبعية  
بشباب كبير على مستوى الجماعات المحلية والجماعات المختلفة لدراسة  
السلوك والمراكز والأدوار والعضوية ..... إلخ . إلا أن تلك المجالات  
لم تولد في الاعتبار إلا في النذر اليسير .

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ، أن التحليل الوصفي الذي يتبع  
لمتناول التصنيف ووصف العلاقة القائمة بين المتغيرات ولفئات الظاهرة  
والمقارنة بين المتغيرات التي قيمت ، يتحقق لدرجة كبيرة على مستوى  
طرق الدراسات التتبعية الرأسية والأفقية والافقية اللاحقة .

ويمكن للدراسة التتبعية بهذه الصورة أن تختبر بعض الفروض الوصفية  
كما يمكن أن تكون موجهة بإطار نظري معين ، وتسهم في تطوير تميماته  
الوصفية إلى حد كبير على نحو ما أكد كورنر ورشر<sup>(٢)</sup> .

والواقع أن كفاءة التحليل الوصفي في الدراسات التتبعية يتأثر إلى  
حد كبير بإسلوب الدراسة وحدود الدراسة والتحليل ونوع الطريقة المستخدمة

(1) Hayatz & Other, op.cit., p. 330.

(2) Force & Richer, op.cit., p. 79.

والجدول التالي يوضح بنية الدراسة التتبعية في ضوء التفاضل بين أسلوب الدراسة ووحدات تحليلها.

وحدات الدراسة أسلوب الدراسة	فرد	جماعة
دراسة حالة	١ د	٣ د
مسح اجتماعي	٢ د	٤ د

والواقع ان الدراسة التتبعية التي تتخذ من نمط الدراسة رقم (١) اساسها تكون تعميماتها التي يتمثل منها التحليل محدودة نسبيا من حيث صلاحيتها للشئول . ويمكن ان يستخدم هذا النمط على مستوى علم النفس وبالمثل الدراسة رقم (٢) والتي تلبيها في مستوى التعميمات الا ان استخدامها محدود في علم الاجتماع .

اما النمط الشاير والرابع فيمكن ان يقدم لغة تعميمات شاملة عسول الظاهرة وتعتبر الانماط الثلاث دراسة حالة الجماعة<sup>(٢)</sup> ومسح الافراد (٢) ومسح الجماعات (٤) من الانماط المستخدمة في البحوث الاجتماعية في علم الاجتماع .

والطريقة الراسية يمكن ان تستخدم بوفوح الدراسة رقم (٢) في حين ان الدراسة المستمرة يمكن ان تتناول الدراسة رقم ٢ وبالنسبة للنمط الثالث من الدراسات وهو رقم (٤) فيستخدم بوفوح في الدراسة التتبعية الالقية المدارة الالفة وذلك لما تنبحة هوف هذه الطريقة من تناول جماعات متعددة في كل مرحلة من مراحل الدراسة .

وبذلك تكون الطريقة الثالثة من اكثر الطرق التتبعية كفاءة في الوصول الى تعميمات حول الظاهرة .

ورغم ان التحليل التجسسى يقدم لنا عبارات وصفية من الممكن تجميعها .  
وذلك لان اى تحليل وصفى لعمليات التغير يفرغ مشكلة منحة تتمثل فى : لماذا  
يحدث تغير معين ولا يحدث تغير اخر ؟ وذلك ما يجعل التفسير اساسا مكتملا  
للوصف العلمى حيث يكون تفسير لماذا تغير بعض الناس فى حين ان البعض  
الاخر لم يتغير ؟ ولماذا حدثت بعض التغيرات بصورة ايجابية وفى اتجاه ايجابى ،  
فى حين ان الاخرى فى اتجاه سلبى ؟ . وهنا تبرز الحاجة لمتغيرات المدخلية ،  
وذلك ما يدمر لتكميم التحليل الوصفى فى الدراسة التجسسية ، اذ ان القياس  
الذى يتناول تلك المتغيرات يستهدف تقديم بيانات وصفية حول تلك المتغيرات  
لتعميق فهمنا لها ، والوصول الى فئات معينة من السلوك والاتجاهات حول الموقف .  
والواقع ان الجداول التى نحصل عليها من هذا القياس حول المتغيرات ، ليس  
الدراسة التجسسية جداول وصفية فى اساسها ، ويتم تحليلها على اساس  
مقارن بين القياس الاول والقياس الشائى للمتغيرات ، الا ان التحليل هنا  
يسهم فى تفسير مجرد التغيرات ولا يقدم لنا تفسيراً للاختلاف بين الافراد (١) .

والتحليل الوصفى التفسيرى هنا يسهم فى وصف العلاقة الدائمة بين  
المتغيرات ، ووصف ثباتها النحوى كما انه بالتالى يساعد بمقارنة المتغيرات  
بعضها فى مراحل التتبعية المختلفة بحيث يمكن الوصول الى صورة تنبؤية حول  
الظاهرة ، وما يمكن ان تتسم به من خصائص وثبات فى المستقبل .

ومن ثم يتضح لنا مدى الكفاية المنهجية التى تتمتع بها الدراسة  
التنبؤية فى توفير الوصف العلمى للظاهرة ، اى الوصف التفسيرى للظاهرة وثباتها  
ومتغيراتها وخصائصها ، ومدى ما تتمتع به من ثبات وتغير فى المستقبل .

---

(1) Mayntz & Others, op.cit., p. 141-142.

### ثالثا : ثبات الدراسات التتبعية ومدتها :

يشكل الثبات Reliability والصدق Validity اهم المشاكل العملية في الدراسات التتبعية<sup>(١)</sup> . ورغم ان الثبات والصدق يعتمدان لدرجة كبيرة على مقدرة الباحث<sup>(٢)</sup> في انتقاء الاجراءات المنهجية ومقدرته العلمية لالامة التالىفس بين التحليل الوملى الكيفى والتحليل الوملى الكمى . الا ان شمة معوقات عملية للطريقة التتبعية يجب ان نأخذها في اعتبارنا، وتتمثل اولى هذه المعوقات في عينة الدراسة ونوعيتها، وما اذا كانت فردا او جماعة ، والطريقة التى تسحب بها، ومدى تمثيلها لمجتمع الدراسة . ومما يزيد من اهمية هذا الجانب ذلك التاكيد الذى يثيره الى ان العينة المفيرة تستخدم بكثرة في الدراسات التتبعية . ومن ثم تصعب مشكلة تمثيلها أى تمثيل عينة الدراسة سواء كانت افراد او جماعات للمجتمع الاصلى من اهم المشكلات العملية التى تواجه الباحث . وتزداد مشكلة تمثيل العينة للمجتمع الاصلى معوية في حالة العينة العشوائية . كما ان العينة المنتقاة لها عيوبها ايضا في عملية التمثيل . وذلك ما جعل للمصح الشامل للجماعات الفرعية او لقطاع الدراسة من السكان ككل مفعلا، لتخطي معويات سحب عينة ممثلة للمجتمع الاصلى . وما يطرأ عليها من تغير نتيجة للفقدان بعض وحداتها خلال مراحل التتبع .

وبذلك تكون مشكلة السلوب الدراسة من اهم مشاكل البحث التتبعية، والتى ترتبط في جعلتها بعد أن يقرر المصح كاسلوب اساسى بعملية اختيار السلوب المصح، وفهم ابعاده واستراتيجيته المنهجية، ومدى استحداثه في الدراسة التتبعية . وحدود هذا الاستخدام .

(1) Mayntz & Others, op.cit., pp.142-143.

(٢) Polansky, op.cit., p. 62.

ثم تتمثل المشكلة الأخرى بعد مشكلة العينة، واللوب الدراسة، في اختيار الأدوات المنهجية الملائمة للدراسة، ومدى كفاية البناء المنهجي لاستمارة البحث، وما تتغفنه من أسئلة حول الاتجاه والرأي، ومدى ما تتمتع به مسن قابلية لاستيعاب صور المداومة للاعتراف بالتغير . ومدى ما تحويه الإدارة من فئات ترتبط بالموضوع وتغطي جوانبه المختلفة، وبمرونة تجعل المفاهيم التي تتغفنها واضحة أمام الباحث، وكذلك التحفيزات المتعددة المرتبطة بالموضوع، والتي تمثل فئات معينة نضى لتكميمها .

وذلك ما يلتفتى من الباحث ان يقوم باختيار مدق الأدوات وثباتها للتأكد من كفاءتها المنهجية في معالجة الظاهرة او الموضوع المطروح للبحث والدراسة .

ومما لا شك فيه ان شذات العبارات التي تركز على الاجابات يتأثر بموقف المقابلة، والاختلاف المرتبطة بالمقابلة، والاختلاف المرتبطة بجمع البيانات وتقنياتها . وذلك ما يرتبط مباشرة ايها بمشكلة المدق فليس التحليل التقني ويؤثر عليه .

ومن الجوانب المرتبطة بلقبة المدق، إعادة القياس، حيث يكون المبحوث في القياس الشاغل قد تأثر بالمقابلة الأولى وعلى ما يدور القياس حوله، وبالتالي يحاول ان يقدم اجابات في المرحلة الثانية من القياس بمرونة مماثلة لما اجابة في المرحلة الأولى رغم ما طرأ على اتجاهاته ورائته من تغيرات<sup>(1)</sup> .

ومن ثم يكون من الضروري تبخير المبحوث بأهمية الاجابة حسب ما يتراءى له، وما طرأ على اتجاهاته ورائته من تغيرات، دون التقيد بالاجابة السابقة . والاجتهاد لتشجيعهم على ذلك .

---

(1) Mayntz & Others, op.cit., p. 144.

ثم ان مشكلة اختيار الوقت ترتبط مباشرة بالفترة المحددة، حيث ان عامل الزمن من اهم متغيرات الدراسة التتبعية، ويمكن اذا لم يكن اختياره ملائما للدراسة ان يؤثر على صدق البيانات المتعلقة . ولذا يلتفت هذا التدقيق في أنسب فترات الدراسة وطول العدة بين الفترة الاولى والثانية، حتى يكون لمتغير الوقت دلالة في الدراسة . وبذلك يكون للاختيار الجيد للفترات الدراسة والوقت المناسب اثر واضح على صدق البيانات التي نحصل عليها .

رابعا : كفاءة الاستخدام المنهجي للدراسة التتبعية في علم الاجتماع :

ادرج "جود و سكيتس" في دراستهما بعنوان مزايج البحث (١) المنهج التتبعى فمن تعريفهم للمناهج البحثية، شروع الدراسات مؤخرا على اساس المنهج التتبعى في مجال علم الاجتماع وفروعه الى الحد الذى جعل بعض علماء الاجتماع الامريكانيين يتناولون تأثير الاقدمية في التنظيمات المناعية على درجة الارتباط والتكامل مع التنظيمات وتعتبر دراسة " رلج " بعنوان (العامل في مجتمع الرفاهية) مثالا لذلك، فدراسة على عدد من التنظيمات المناعية، في فترات زمنية متعددة، وفي سنوات متتالية . وقد ساعدت دراسة "رلج"، على تتبع درجة ارتباط العمال من سنة لآخرى على اساس مقارنة بين مدمن التنظيمات على المستوى الافلى والراسى . حيث نجده مقارنة بين سنة واخرى بالنسبة لكل تنظيم، وبين تنظيم واخر على مستوى كل سنة من سنوات الدراسة .

وبذلك نجد ان البعد الزمنى هو الذى تحكم في سير الدراسة التتبعية، حيث ان العمال يعيشون ظروف التنظيم بكاملها، وذلك لمعرفة مدى توفر

---

(1) Goode, C & Scates, D., Methods of Research Educational Physiological, New York. 1954. pp 170-182.



المعرفة لدى العاملين خلال السنوات المتتالية ، والاتصال المستمر بالتنظيمات أو أثر ذلك على التمسك بالعقيدة في تلك التنظيمات ودرجة الرضا وتحقيق الذات من خلال الانتماء لتلك التنظيمات وانعكاس ذلك على روم المشاركة والعمل مع الجماعات التي تتعلمها التنظيمات سواء كانت جماعات الإدارة ، أو المثرفين أو جماعات العمال . وتعتبر هذه الدراسة التتبعية من أكثر الدراسات أهمية لما تلقيه من ضوء على طبيعة التنظيمات في المجتمعات الجماهيرية Mass Societies ، أي مجتمعات الوفرة والرفاهية .

ويرجع رواج هذا النوع من البحوث للمناخ الكبري التي يجنيها الباحثون من اتباع الاجراء التتبعية في الدراسة لما يلقيه من قوة على ابعاد الظاهرة، وما يوفره من عمق في الدراسة والتحليل .

ومن ثم نعرف لهذا النوع من البحوث والدراسات بتطيل النقاط التالية:

- الميزة النظرية والمنهجية للدراسة التتبعية .
- الكدائية المنهجية للدراسة التتبعية في معالجة الفروض .
- ومما جعلنا لاجراءات الميزة النظرية والمنهجية للدراسة التتبعية تستهدف استكشاف المعلم الاجرائية والنظرية المرتبطة بالدراسات التتبعية، والتي تتعدد ومن خلالها .
- مدى كفاءتها المنهجية في معالجة فروق الدراسة، وذلك ما نتناوله بشيء من تفصيل فيما يلي :
- ١ - الميزة النظرية والمنهجية للدراسة التتبعية :

تختلف الميزة النظرية للدراسة التتبعية بشكل جوهري من الميزة النظرية للبحث التاريخي، فليست الدراسة التتبعية مجرد تتبع تاريخي لظاهرة ما من الظواهر الاجتماعية، كما انها ليست تجميع للمعلومات والبيانات التاريخية ،

#### لأستخدامها في البحث والدراسة .

فإذا كان البعد الزمني بعدا مشتركا بين البحث التاريخي والبحث التجريبي ،  
إلا أن الدراسة التجريبية تنحصر في إطار محدد من الناحية النظرية والمنهجية ،  
حيث أنها تعالج نظريا فرعا بعينه ، أو مجموعة فروف مستندة للبعد الزمني ،  
الذي يندرج أساسا في الفروفي التي نعتهدل اختبارها . وذلك كأن نفترض مثلا  
أن التحصيل الدراسي يختلف بين طلبة الجامعة باختلاف المستوى الدراسي ،  
بمعنى أن طلاب السنة الثانية أكثر قدره من طلاب السنة الأولى في تحصيلهم ،  
وبالمثل طلاب السنة الثالثة ، حقيقة أن هناك عوامل مختلفة تلعب دورا  
فعالا واهجابيا في رفع المقدرة التحصيلية بين طلبة المستويات المختلفة ،  
ولكن مثل تلك العوامل يععب اكتشافها بمجرد طرح الفروفي المتعلقة بكل منها .  
ومن ثم تكون الدراسة التجريبية هنا عامل مساعد على فربلة العوامل التي  
تتهم في عملية رفع المستوى التحصيلي بتتبع فاعلية كل منها من مستوى  
دراسي لمستوى آخر . ولقد تكون الدراسة متعبدة على مجموعة معينة مسن  
الطلاب وتستمر في تتبعهم من مستوى لمستوى آخر . وقد نأخذ مجموعات من  
الطلاب من مستويات مختلفة كأن نأخذ مجموعة من المستوى الأول ، ومجموعة من  
المستوى الدراسي الثاني ، ومجموعة من المستوى الدراسي الثالث ، ومجموعة من  
المستوى الدراسي الرابع . وهنا يكون البعد الزمني مفترضا في الحاليتين ،  
ومشكلا ويهبط الاختلاف بالنسبة للبعد الخاص بنمو القدرات ، وتوفر الخبرات  
الثقافية والاجتماعية والتعليمية لديها . إلا أن هذه الأبعاد الأخيرة تتأثر إلى  
حد كبير بالظروف الشخصية لمجموعات الدراسة ، ومن ثم يكون تناول مجموعة  
واحدة من الطلاب وتتبعها في المستويات الدراسية المختلفة ، هو تشبيث ففس  
الوقت نفسه لعامل الظروف الشخصية والاسرية ، بالإضافة لعامل الزمن . وبذلك  
يمكن التحكم في بقية العوامل بصورة أكثر .

وإذا كانت هناك بعض الإجراءات المشتركة بين الدراسة التاريخية والدراسة التتبعية، حيث تبدأ الدراسة في كل منهما بتحديد الظاهرة المراد دراستها ، والعمل على تغطيتها خلال فترات زمنية مختلفة، للوقوف على مدى تطورها وما تخضع له من قوانين .

إلا أن مدى تلك الفترات الزمنية يختلف بالنسبة للدارسين في الدراسة التاريخية، حيث يتسع مدى الفترة التي يهتم بها كل فترة تاريخية للسؤال متكاملة لأحداث تاريخية، تحدد مع بعضها معادلاتها واجتماعية معينة . في حين أن مدى الفترة الزمنية في الدراسة التتبعية تنحصر في الظاهر عام أو شهر أو أقل من ذلك نظرا .

كما أن مصادر الدراسة التتبعية تنحصر في نطاق الوثائق المدونة حول ظاهرة معينة، كأن تدرس جناح الأحداث دراسة موضوعية، من والسبع ملفات القضايا الخاصة بهم، خلال سنوات مختلفة، وتتبع التغيرات التي طرأت على الظاهرة، وذلك بتثبيت متغيرات معينة وتتبعها في كل سنة من السنوات . في حين أن الدراسة التاريخية لا تتخذ من هذا البعد أساسا لها وإنما يمكن أن تكون جميع سنوات الدراسة التتبعية مؤشرا للإلقاء الضوء على بعض الظواهر المرتبطة بالمجتمع كأن نقول إن انتشار الجريمة والانحراف في الفترة الزمنية من تاريخ المجتمع تعكس لنا بعدا معيناً يتعلق بمدى تماسك البناء الاجتماعي للمجتمع أو لعمده .

وبذلك يمكن أن تتم الصيغة النظرية للدراسة التتبعية على أساس الربط بين فترات زمنية معينة تمتد بعضها للماضي، ويتصل بعضها بالحاضر . ويمكن أن تيسر في ممالك معينة تفسير لسنوات الحاضر والمستقبل للدراسة بين السنوات السابقة والحاضر، وربطها بالسنوات المقبلة . ومن ثم تكون الدراسة التتبعية ذات قدرة تنبؤية بالاستناد إلى البعد الزمني فببني المعالجة .

والواقع ان هذه هي الملة الوحيدة التي تربط الدراسة التتبعية بالدراسة التاريخية، والتي يمكن في فروعها ان تعتبر الدراسات التاريخية نموذجا مميزا للدراسة التتبعية، الا ان الدراسة التاريخية لا يمكن اعتبارها بصورة مطلقة دراسة تتبعية .

اذ ان الدراسة التتبعية بالمفهوم الاجرائي لها، والذي راج بين المهتمين بهذا النمط من الدراسة تقوم اساسا على الدراسة التجريبية التي تستهدل اختيار فرعي بعينه من خلال التجربة التي تحدد لاختبار تلك الفروض . بين افراد او جماعة معينة وتتبعها في فوه الفرعي الذي يمكن ان يساعدنا في تفسير الظاهرة .

كما ان الدراسة التتبعية يمكن ان تقدم ومدا وتحديدا معينا للمفاهيم ظاهرة معينة، تمهيدا لاستخلاص بعض الفروض منها .

وذلك ما يمكن ان تلذمه الدراسة التتبعية اذا ما اتخذت من المراحل السابقة اساسا زمنيا لها . كان نتناول جماعة الاحداث، او جماعة من المجرمين بالدراسة، من خلال ملفات قضائهم بتعطيل مضمونها لتحديد الخصائص والظروف المميزة . لكل نمط من انماط السلوك . كما انها تحقق لنا الوصف للظاهرة معينة . من خلال تعقبها وتحديد معالمها وظروفها ، ومن ثم يمكننا توسيع الفهم الخاص بالدراسات التتبعية لتبرز الجانب الانساني لدراسات التتبعية بالنسبة للبحث العلمي .

وربما كانت طبيعة المذاهب التي تتخذ اليها الدراسة التتبعية هي التي وسعت من النطاق الانساني للدراسة التتبعية، حيث تتخذ الدراسة التتبعية للمنهج التجريبي بصفة اساسية بالإضافة الى المذاهب الاخرى مثل التاريخي والمقارن .

وإذا كانت الدراسات التتبعية تواصل تتبعها للتغيرات التي تحدث على الظاهرة، والتي تعترض لها العلاقة العرفية، لمعرفة مدى تأثير هذه الظروف على اتجاه تلك العلاقة زيادة ونقصاناً ، بصورة إيجابية ، فلا شك ان الدراسة التتبعية بهذه الصورة ترتبط اساساً بدراسة ظاهرة التغير، وعلاقتها بالمتغيرات المختلفة المرتبطة بالظاهرة أو الظواهر التي تتخذ موضوعاً للدراسة التتبعية .

ونظراً للأهمية التي ترتبط بظاهرة التغير خاصة في هزول المجتمع المعاصر الذي يؤكد على أهمية توجيه التغير وترشيده ، سواء على مستوى الدول النامية أو المتقدمة ، فقد اكتسبت الدراسات التتبعية أهميتها بالنسبة للبحث العلمي بين علماء الاجتماع .

#### ٢ - الكفاية المنهجية للدراسة التتبعية في اختبار الفروض :

تشكل معالجة الفروض أهم أهداف الدراسة التتبعية ، وذلك لان الفرض العلمي وسيلة تساعدنا على فهم ظاهرة ما . وإذا كان الفرض محادولاً لوصف منصر او علاقة فان الدراسة التتبعية تستهدف اختبار هذه العلاقة التي يقوم عليها الفرض العلمي . وتحديد العوامل او المتغيرات التي يمكن ان تكون مسؤولة عن حدوث الظاهرة ، وذلك كيأن نفترض ان التحصيل الدراسي بين الطلبة يتأثر مباشرة بالنفج العصري ، أو ان نفترض ان المشاركة بالمعاملة في التنظيمات الاجتماعية ترتبط بأقدمية العفو في التنظيم .

ومن الأمور الهامة والحيوية بالنسبة للدراسة التتبعية، هي عملية تتبع الظواهر. ومن ثم يمكن للدراسة التتبعية تحقيق مبدأ التحكم الدقيق في عملية اختبار العلاقة القائمة بين المتغيرات نظراً لأنها تواصل تتبعها ولا تقتصر على مجرد دراستها في فترة معينة فقط . بل تتناولها في فترات مختلفة. ومن ثم تتطلب من الباحث لدراسات أكثر في تحديد نمط العلاقة بين المتغيرات وإمكانية فعلها من المتغيرات الأخرى والتحكم فيها .

ومن ثم تأتى نتائج اختبار فروبي الدراسة، فى إطار الدراسة التتبعية، أكثر دقة، وأكثر تحديداً، ومدياً وشبهاً . لاننا ننتج تطور تلك العلاقة فى ضوء المتغيرات الأخرى التى يمكن ان تتعرض لها فى ظروف متغيرة .

#### خامساً - مراحل الدراسة التتبعية :

فى ضوء ما أبلغنا ذكره بالنسبة للدراسة التتبعية من حيث المبادئ النظرية والمنهجية تحددت المعالم الأساسية لهذا النوع من الدراسة فى علم الاجتماع، واماكننا تلمس الجوانب الأساسية التى تتل فى مراعى الخطوات العامة لمنهجية البحث فى علم الاجتماع . والتى تحددت بمرحلة التصور ، ومرحلة التجريب ، ومرحلة التفصيل، حيث نجد أنها على مستوى التصور تتطلب من الباحث مراجعة التراث النظرى والأنبياء الذى انجز حول الظاهرة موضوع البحث المطروح للدراسة التتبعية، لإبراز المعالم الأساسية للجوانب المراد تناولها بالنسبة للظاهرة المفروضة للبحث والدراسة، وما اذا كانت تحديداً للخصائص الأساسية للظاهرة او اختياراً. لفرض معين، تكشف معالمه من مراجعة هذا التراث . كما انها تتسق من حيث المعالجة التجريبية،، لكونها تسير فى معالجة الظاهرة بعد مرحلة التحديد النظرى، إلى مرحلة الاختبار والمعالجة، وذلك بتحديد إجراءات المعالجة المنهجية، وإساليبها وادواتها والقيام بتطبيقها .

ومن ثم يتحدد اتساقها مع المرحلة الشالفة للبحث العلمى، والخاصة بالتطبيق الذى يتم فى ضوء البيانات التى امكن جمعها حول الظاهرة ، فاذ كان الهدف الأساس للدراسة هو وصف الظاهرة وتحديد خصائصها فى فترات زمنية

معينة ، يكون التحليل وعلى/حيث يتحدد في فئته خصائص الظاهرة ومعالمها المراد تعديدها ، وإذا كان الهدف الذي سعت الدراسة اليه هو اختبار فرض أو فروض معينة ، يرتفع مستوى التحليل لمستوى التفسير لتلك العلاقات فيسفر المتغيرات المختلفة .

وذلك ونفسا لابعاد الاتساق العامة ، الدافعة بين الدراسات التتبعية ، والمراحل الاساسية للبحث العلمي . اما بالنسبة للمات الاساسية المميزة لخطوات ومراحل الدراسة التتبعية في البحث الاجتماعي فان ذلك يتجسد على النحو التالي :

أ - مرحلة تحديد الظاهرة أو الفروض المراد دراستها وتعليلها المعرمة بظاهر تطورها والقوانين التي تتحكم فيها والهدف المرتبط بالدراسة .

ب - تحديد فترات المتابعة المنهجية .

ج - مرحلة تحديد الاجراءات المنهجية الملائمة لطبيعة الدراسة والهدف منها .

د - مرحلة التطبيق والاختبار .

هـ - مرحلة التحليل والاستنتاج .

و - مرحلة اعادة التطبيق .

وهذه المراحل الستة التي حددها تشكل من حيث اجرائها مراحل اساسية ثلاثة حيث تضم كل مرحلة بحثية اساسية خطوات معينة من الخطوات السابقة .

س المرحلة الاساسية الاولى :

وهي مرحلة التحديد العام لموضوع الدراسة ، ومراحلها والاجراءات المنهجية التي تتبع في الدراسة . وبذلك فهي تتلخص الخطوات الثلاث الاولى ( أ ، ب ، ج ) ولهذا تعتبر هذه المرحلة اساسية بالنسبة للدراسة التتبعية وذلك لانها تحقق

تحديد الظاهرة او الظروف المراد دراستها والهدف الموجه للدراسة ، مع تحديد الفترات الزمنية المطلوبة للمتابعة المنهجية، والطرق المنهجية، واساليبها وادواتها التي تناسب طبيعة الموضوع،  
ـ المرحلة الاساسية الثانية : وتتضمن خطوتين فقط ( د هـ ) ، وهي مرحلة التطبيق والاختبار . حيث يتم تطبيق الادوات والاجراءات المنهجية على الظاهرة المراد دراستها . او الفرع المراد اختباره ، وبعد التطبيق وتجميع البيانات تتم عملية التحليل لتلك البيانات ،والذي يتسوزع بين التحليل الوصفي للظاهرة والذي يستهدف تحديد خصائص الظاهرة ، واصدار تعميمات بشأن الظاهرة او المؤلف الذي تتناوله الدراسة . وذلك لخدمة الغرض البحث حول الظاهرة بتوفير بيانات حولها او بتحديد بعض التعميمات التي يتم اختبارها والتأكد منها في فترات زمنية أخرى ، يتبعها اجراء التحليل و التفسير . اذا كان الهدف من الدراسة اختبار فرض او فرض معينه .

ـ المرحلة الثالثة الاساسية للدراسة التتبعية وهي مرحلة اعادة التطبيق : وتتضمن الخطوة السادسة من خطوات الدراسة التتبعية ، وهذه المرحلة تميز الدراسة التتبعية عن الدراسات الاخرى ، اذ انها المرحلة التي تشير لمواصلة السير في الدراسة لفترة زمنية اخرى ، سواء لاختبار الفروض التطبيقية الاولى ، او الفروض التي اختبرت في الفترة الاولى من تطبيق الدراسة التتبعية .  
سادا : الاجراءات المنهجية للدراسة التتبعية :

تتمند الدراسة التتبعية لاجراءات منهجية اساسية ، تتمثل في الاطار التصوري للدراسة ، ودراسة الحالة ، والمقارنة . وهذه الاجراءات الثلاثة تتكامل مع بعضها لتشكل لنا الاجراء المنهجي العام المميز للدراسة التتبعية . وذلك لان ابعاد كل اجراء مترابطة مع ابعاد الاجراءات الاخرى ، ومكملة لها .



وذلك ما نبينه فيما يلي :

١ - التتبع كإجراء منهجى للدراسة التتبعية :

تنتهى الدراسة التتبعية مبدئياً على مصادر أساسية تشير لدراسة الظاهرة أو معالجة الغرض على أساس تنبؤى ، ومعنى ذلك أن يتناول الباحث الظاهرة أو الغرض فى فترتين يلفصل بينهما الزمن أو الوقت، كبعد أساسى سواء بدأت الدراسة التتبعية بتحديد خصائص الظاهرة ومعالجتها فى فترة زمنية معينة، تستمر فى دراستها فى فترة أخرى، لمعرفة مدى ثبات تسلسل الخصائص أو تغيرها أو مدى ثبات الغرض الذى استخلص من الدراسة السابقة ، وذلك يشير بصورة فنية أو علمية لاحتمال ثبات الخصائص ، أو تغيرها بتفسير الظروف الزمنية أو المكانية ، أو الظروف المتعلقة بالأنواع الاجتماعية والثقافية .

وبذلك تتوزع أبعاد الإجراءات التتبعية بين مستويات تتبعية أو أنسواع

تتبعية ثلاث نمتها فى قوة نوعها والغرض منها وهى :

- تتبع لاحق تكميلي .
- تتبع إثباتى فرعى .
- تتبع متصل .

وهذه الأنواع الثلاث للإجراء المنهجى التتبعى رغم أنها تستهدف مواصلة التناول المنهجى للظاهرة أو الغرض، إلا أنه بالاستناد لمصدر هذا الغرض أو تحديد الظاهرة يمكن التمييز بينها رغم أنها جميعا تستهدف الإثبات والتحقق ، وذلك ما نحدد فيما يلي :

أ - التتبع اللاحق التكميلى :

وهذا النمط التتبعى ينتهى أساساً على فكرة ربط الدراسة الحالية

بدراسة سابقة بمعنى ان تكون هناك دراسة قد أُجريت لاختبار فرض معين، وتوصلت  
بصدده لتعميمات معينة، ثم تأتى الدراسة لتكمل الدراسة السابقة في فترة  
زمنية لاحقة، مع استنادها على نفس المحركات الاساسية، التى حددتها الدراسة  
السابقة في اختبارها لتلك الفروض، مع احتمال تغير ظروف متغير او اكثره  
مشال ذلك دراسة تغير الاتجاهات نحو القيم التقليدية نتيجة للاحتكاك بثقافة  
اخرى، حيث يكون هناك دراسة اجريت حول هذه القضية في فترة سابقة، وفى مجتمع  
غيره، ثم يتم اجراء دراسة ممتدة لنفس محركاته للاختبار والمعالجة، على عينة  
مماثلة من الشباب بعد عودتهم الى المجتمع الاصلى . وهنا تكون الدراسة  
الثانية ملتزمة بفرضيات الدراسة الاولى، وباجراءات معالجتها مع التعديل  
في بعض لمعنيات المقاييس الى تناسب الظروف المتغيرة، وللتعرف على اثر العوامل  
التي طرأت، والتى يحتمل ان يكون لها تأثيرها على تغير الاتجاه . بالافادة  
الى المتغير الاساسى وهو تغير السياق الثقافى ومعايشة ثقافة الجسرى  
في ثقافة المجتمع الاصلى .

#### ب - التشبع الفرضى الاشباتى :

وهذا النمط التشبعى يقوم على وجود فرض معين يوجه المعالجة والدراسة،  
سواء كان هذا الفرض مستخلص من الدراسات السابقة، او طرحه الباحث، واذا لم عليه  
اطار نظرى للدراسة، وذلك كان يعالج الباحث فرضا يتعلق بمقدرة الطلبة على  
التحصيل الدراسى وعلاقة ذلك بمفهوم المصبرى او بمستواهم الدراسى . او ان  
يعالج الباحث فرضا معينا يشير لارتباط الابدائية والمشاركة في التنظيهم،  
بأقدمية العنصرية في التنظيم . وهذا تصمم الدراسة التشبعية على اساس اختبار

الفرض الموجه للدراسة، سواء بدراسة الأفراد او مجموعة الأفراد التحلوا بالتنظيم، او بالجامعة في العام الأول ثم متابعة نفس المجموعة في اعوام لاحقة . وبدراسة مجموعات من الطلبة او من العاملين بالتنظيم، مختلفة من حيث مدة الالتحاق او المستوى الدراسي . وبذلك يكون المحور الاساس للدراسة هنا هو اثبات الفرق او نقيضه .

### ج - المتبع المتصل :

وهذا النمط من المعالجة التتبعية يجري في حالة دراسة ظاهرة معينة . لمعرفة التغيرات التي طرأت عليها في فترات زمنية مختلفة، لا مكان التنبؤ بمستقبلها والتحكم فيها . كان ندرس ظاهرة جناح الاحداث في في اي مجتمع من المجتمعات بهدف تحديد خصائصها والتغيرات التي طرأت عليها في فترات زمنية مختلفة . وذلك بدراسة مجموعة من الاعداد الجانبين في فترات زمنية معينة ومتعاقبة ، او بدراسة مجموعات مختلفة من الجانبين في فترات زمنية متعاقبة . وعند دراسة مجموعة الاحداث في المرحلة الاولى يمكن الوصول لنتائج وتعميمات حول الظاهرة وهنا يحاول الباحث في الدراسة اللاحقة او المتبع اللاحق التأكد من صحتها او ثباتها او عدم اثباتها، وتحديد العوامل والظروف التي ادت لتغيرها ، اذا كانت هناك بعض التغيرات ، وفي هذه الحالة يكون النمط الثاني الاثباتي وارد في المتبع المتصل .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الانواع التتبعية الثلاثة تستهدف تحقيق هدف تنبؤي حول الظاهرة او الفرض المطروح للدراسة التتبعية ، اما بالنسبة للنوع الثالث من الاجراءات التتبعية وهو المتبع المتصل فبالإضافة الى تحقيق الهدف التنبؤي فإنه يستهدف تقديم وصف لخصائص الظاهرة او العوامل في فترة زمنية معينة . ومن ثم يتفحص لنا ان المتبع هو الاساس التموري الاساس للدراسات التتبعية .

## ٢ - دراسة الحالة كإجراء منهجي للدراسة التتبعية :

تعتبر دراسة الحالة الثقافية إجراءً منهجياً أساسياً للدراسات التتبعية . وذلك على مستوى انماط التتبّع الثلاثه وما نعينه بالحالة الثقافية أي دراسة الظاهرة موضوع البحث من جوانبها المختلفة سواء كانت ثقافية ( قيم ومعايير ) او اجتماعية ( نظم وادوار وافهام وعلاقات اجتماعية ) . او شخصية ( دوافع وحبول ورغبات واتجاهات وسلوك وافعال ) . وكذلك دراسة الظروف الاجتماعية والثقافية والشخصية للأفراد والجماعات او المجتمعات . مفهوم الدراسة ، وذلك لمعرفة اثر العوامل المختلفة على الظاهرة ، او العلاقة المقترحة بين متغيرين أو أكثر ، والتي تقوم عليها الدراسة التتبعية . فمثلاً بالنسبة للنمط التتبعي اللاحق او التكميلي ، نتميز بإجراء دراسة الحالة الثقافية لمعرفة ابعاد الظروف الثقافية والاجتماعية والشخصية التي يحتمل ان تمارس دوراً في التأثير على تغير الاتجاه نحو القيم التقليدية . وبالنسبة للدراسة التبعية الفرعية او التي تستهدف التثبت من الفرض يستعان بدراسة الحالة الثقافية لتطعيم الفرضية العوامل المختلفة بالنسبة للظاهرة بالقياس للعامل الأساس الذي يخضع عليه الفرض الأساس الموجه للدراسة وذلك كأن تدرس اثر الحواضب الثقافية والاجتماعية والشخصية على التحصيل الدراسي للطلبة / القدارنة اثر العوامل المختلفة بالقياس لعامل النمو العمرى او عامل المستوى الدراسي .

ولما يتعلق بإجراء دراسة الحالة بالنسبة للدراسة التتبعية المتصلة ،  
تزداد أهميتها ولفاعليتها خاصة . وإنها تستهدى تقديم بعض الخصائص الظاهرة  
وابعادها سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو شخصية المعرفة مدى التفسيرات  
التي تطرأ عليها في فترات زمنية مختلفة وبذلك تكون دراسة هذه الجوانب  
ذات أهمية واضحة ، لأنها محور الدراسة التتبعية المتصلة .

## ٢ - المقارنة كإجراء منهجي للدراسة التتبعية :

المقارنة هنا مقارنة رأسية لأنها تخرج أساما لعامل الزمن حيث  
يُقارن الباحث بين تشاخم الدراسات التتبعية في الفترات الزمنية المختلفة ،  
لنقارن مثلا التحصيل الدراسي بين طلبة الجامعة في السنة الأولى بمستوى  
التحصيل في السنة الثانية بمستواه في السنة الثالثة والرابعة . أو نقارن  
درجة مشاركة العاملين في التنظيم وإيجابيتهم في العام الأول من انتمائهم  
بالعمل بالعام الثاني والثالث والرابع .... الخ .

أو نقارن بين خصائص ظاهرة ما في فترات زمنية مختلفة . ولكن ذلك لا يعين  
قيام المقارنة على المستوى الأقل في الدراسات التتبعية إذ أن الدراسة  
للظاهرة في فترة معينة ولمرحلة معينة تقتضي عقد المقارنة بين الخصائص  
وعنفها ، أو بين العوامل المؤثرة في الظاهرة وعنفها ، المعرفة مدى لفاعليتها  
تلك العوامل المختلفة بالنسبة للظاهرة ، وذلك كان نقارن لفاعلية العوامل  
الثقافية ولفاعلية العوامل الاجتماعية ولفاعلية العوامل الشخصية المؤثرة  
على التحصيل الدراسي للطلبة ، أو المؤثرة على إيجابية العمال ومشاركتهم في  
التنظيم ، وذلك لأن هذه المقارنة الالقية تساعدنا بالافادة للمقارنة الرأسية  
في التحقق من الفرض المطروح للدراسة من ناحية ، أو الوصول الى تعميمات  
تنبؤية حول الظاهرة من ناحية أخرى .

وبذلك نجد ان للدراسة التتبعية وظيفة علمية وعملية تتمثل  
الوظيفة العلمية في مواصلة تتبع الظواهر والفروغ والوصول  
بها الى مستوى التعميم والتنبؤ .

اما وظيفتها الثانية والتي تمثل احدى جوانب الدراسة التتبعية  
الهامة فتتضمن في عملية التقويم والمتابعة للخطط والمشروعات  
والتجارب التي تجرى وذلك لتحديد خطوات تقديمها وابرار ما تمخض منها  
من نتائج لا مكان لممارسة تلك النتائج بمستهدفات الخطط والتجارب فسي  
مختلف مجالات العمل (الاعتماد على) وذلك بهدف توجيهها في ضوء تلك المقارنات  
لممارستها الصحيح بما يجعلها تحقق مستهدفاتها العملية .

## الفصل الرابع عشر

### البحوث التجريبية ومناهجها في علم الاجتماع

من الأمور المتعارف عليها أن الإجراءات التجريبية أداة أساسية للمعلوم الطبيعية وأنه يستهدف رصد العلاقات التآشيرية والسببية ، والتحقق من صحة الاستنتاجات . وفي ذلك ذهب فشر R. Fisher في مؤلفه " تصميم التجارب " إلى أن المعرفة المتحصلة عن طريق الملاحظة التجريبية تعتمد على التسجيل الدقيق ، ونتيجة لهذا الدور الفعال الذي تلعبه التجربة بالنسبة للمعرفة اهتم شابن<sup>(١)</sup> E. Shapin في مؤلفه التسميمات التجريبية في البحث السبولوجي بإفصاح إمكانات استخدام التجربة في مجال علم الاجتماع. لذا لها من فائدة في إثراء المعرفة العلمية لهذا الفرع من فروع المعرفة . وعلى أساس ذلك مع تحديد ثلاث أنواع من التسميمات التجريبية التي يمكن استخدامها في مجال البحث الاجتماعي بالاستناد إلى المجال الأساس للبحث ، والاساس المتمايز لنوع التعميم التجريبي<sup>(٢)</sup> . وتتمثل هذه التسميمات التجريبية الثلاثة التي أبرزها شابن<sup>(٣)</sup> فيما يلي :

#### التصميم التجريبي المستعرض Cross-Sectional Design

وهو يستهدف تحليل المشكلات ومعالجتها مستخدماً في ذلك مجموعات تجريبية ومجموعات ضابطة متجانسة معها، وذلك لعقد المقابلة بينهما . وهذا النوع من التصميم التجريبي يوجه معرفتنا للعوامل المتعلقة بالمشكلة المطروحة للدراسة ، ويساعد على اختبار الفروض المطروحة حول تلك المشكلة .

---

(1) Chapin, F.S., *Experimental Designs in Sociological Research*  
New York: Harper, 1947. (Rev. ed.) 1955.

التصميم التجريبي التنبؤي Prospected Design

وهو يعمل مع الحاضر ويستند اليه في فهم المستقبل وتعاقب الحوادث . وهنا يستند 'شابن' على الوصل الكمي للعوامل، ويعتمد على المقاييس الشابهة لقياس التكيفات المختلفة .

التصميم الارتجاعي ex post facto design

وهو النموذج الثالث الذي اقترحه 'شابن' وهو الذي يستهدف رصد الماضي من واقع المشكلات الحالية بالاستناد الى المقارنات التي تعقد بين الوفسم الحالي للمشكلة ووضعها الماضي . كما انه يربط بين التأثيرات الحالية للظاهرة والعوامل السببه لها في التاريخ السابق . ويقوم هذا التصميم على اساس فروف معينه مضافه بهدف اختبارها والتعلق منها . باختيار الفترة لتقدير التغير ، وقياس المتغيرات ، وتقدير العوامل ومفناحات توزيعاتها .

ولاشك أن الاجراء التجريبي بهذا النوع يسهم في اثراء المعرفة النسيولوجية، ويحقق فرصا افضل لاختبار الفروفي وعدم التفسير الاجتماعي وتوفير المعرفة الكلية بتحقيق التنبؤ الشابهة حول مستقبل الظواهر، وتعاقب الاحداث الاجتماعية . وفي ضوء ذلك نسير في معالجة البحوث التجريبية ومناهجها لــــ

علم الاجتماع في الخطوات التالية :

- تحديد نطاق تطبيق البحوث التجريبية في مجال علم الاجتماع .
- تحليل العناصر الاساسية للبحوث التجريبية .
- مقومات التصميم التجريبي واختيار الفروفي .
- التحفظات النظرية والعملية للإجراء التجريبي في علم الاجتماع .



أولاً : نطاق تطبيق البحوث التجريبية في مجال علم الاجتماع .

تعتمد العلوم الطبيعية بشكل ملحوظ على التكنيكات التجريبية . فالتجربة أساسية لرصد السبب والعلاقات التأثيرية . بهذا الوصول الى الاستنتاجات الصحيحة المؤكدة حول تلك العلاقات السببية . وفي ذلك يذهب " جوبال " الى أنه رغم شيوع استخدام التجربة بشكل عام في مجال العلوم الطبيعية ، إلا أن تطبيقها في العلوم الاجتماعية مازال في مراحله الأولية ، ومن ثم مازال هناك تساؤلا مطروحا بين العلماء : عما إذا كان استخدام التجارب أمرا ممكنا على مستوى كافة العلوم الاجتماعية ؟ . ومما هو جدير بالذكر في هذا الشأن أن التجربة تمكننا من استخلاص الاستنتاجات الصادقة ، كما انها مألوفة لمناقشة النتائج واسبابها واستخلاص الفروقات من الملاحظة . وما يمكن أن نأخذه بعين الاعتبار في هذا الشأن هو الخطأ المحتمل في عملية الاستنتاج تلك ، والذي يشير الى حاجتنا للتأكيد على تحسين التكنيك التجريبي الذي قد لا يكون قابلا للتطبيق بصورة كاملة في مختلف الحالات (١) .

فإذا كان الغرض الأساسي أو السمة الأساسية للتجربة هو تعيين المدى الذي توزع عنده تلك الأسباب في عملية استخلاص النتائج ، وذلك ما يجب أن نأخذه بعين الاعتبار عند معيشتنا للتجربة في مجال العلوم الاجتماعية .

وإذا ما ناقشنا السمات الأساسية للإجراء التجريبي أمكن حصرها في

ثلاث سمات أساسية تتمثل في :

- عزل العوامل . Isolation of Factors .
- إعادة التجربة . Replication of the Experiment .
- القياس الكمي للنتائج . Quantitative Measurement of Results .

---

(1) Gopal, M.H., An Introduction to Research Procedure in Social Sciences , London: Asia Publishing House, 1964. pp. 193-194.

وهذه الخصائص ملائمة وقابلة للتطبيق في بعض العلوم الاجتماعية

وبعض المجالات على الأقل .

وذلك لا يعني أن هذا الاجراء التجريبي يمكن أن يطبق على نفس النطاق والنتائج التي يمكن أن يطبق عليها في العلوم البيولوجية والطبيعية .  
ولاشك أن التجريب الطبيعي والتجربة العملية محدودة النطاق وثـاـدرا  
ما تجرى في العلوم الاجتماعية ، وهذا يرجع لمعوية التعرّف على المولىـد  
وملاحظة بصورة دقيقة . وذلك لعدم وجود الفرص الكافية لاختبار الفروض .  
ولوجود المنصر الإنسان في المواقف الاجتماعية وبالمثل صعوبة اعادة  
التطبيق على الموضوع ثانية . ومن ثم كان لزاما على العلماء الاجتماعيين  
الاجتهاد لتحسين ادواتهم التي ترفع من مستوى استخدام التجربة وتطبيقها  
في مجال العلوم الاجتماعية (١) .

وقد اكد مكين " وهو يمدد تحليل الاجراء التجريبي كأساس استقرارا لـ  
Inductive للعلم ، انه رغم ان استخدام هذا الاجراء التجريبي مختلف نسبيا  
بالنسبة للسلوك البشري ، ان ذلك لا يعني ان علماء الاجتماع لا يجدون في منطق  
التجربة ما يكفي لدراسته العلمية ، بل على العكس من ذلك ، لقد توصل هؤلاء العلماء  
الى ان اهمية الدراسة التجريبية في علم الاجتماع لاتقل اهمية منها في  
العلوم الطبيعية . وذلك مع ادراكهم ان درجة السيطرة الكاملة التي يمكن  
توليفها في مجال العلوم الطبيعية على التجربة لا يمكن ان تتوفر بنفس القدر  
والمستوى في دراسات علم الاجتماع . ومن ثم نجد ان الميل الحديث يتمثل في  
قبول التجربة كنموذج " Model " لتعميم البحث . وذلك لان " مكين "   
يوكد على اهمية التجربة المنهجية في عزل العوامل وتحديد تأثير كل منها  
على الظاهرة (١) .

(1) Gopal, op.cit., P. 194 .

(2) Beker, H., op.cit., P. 222 .

ولقد كان لذلك تأثيره الواضح على تزايد اهتمام علماء الاجتماع بالمفهوم التجريبي . ومن هذه الدراسات التجريبية في علم الاجتماع ، والتي تحتل أهمية واضحة بين الدراسات التجريبية . الدراسة التي أجراها " البورت " F. Allport عام ١٩٢٠ لتأثير الجماعة على الأنشطة الذهنية المختلفة ، ودراسة " غوزنل " Gosnell عام ١٩٢٧ لاسباب عدم الانتخاب ، ودراسة " التون مايو " E Mayo عام ١٩٢٢ لتأثير العوامل الاجتماعية والفيزيائية والاختلافات الفنية على انتاجية العمال في شركة الكهرباء ، ودراسة " دود " لبعض القرى الغربية عام ١٩٣٤ . يضاف لذلك بعض الدراسات التي طبقت التجربة في مجال في مجال علم الاجتماع مثل دراسة " نيورتنر " عام ١٩٣٧ لطبيعة تكيف الجماعات في معسكر الأولاد . واختبار " منفي " S. Menefee في عام ١٩٣٨ لتأثير الدعاية على الطلبة . هذا بالإضافة للدراسة التجريبية التي أجريت عام ١٩٤٠ والتي تناولت الفرض الخاص بأن اعادة اسكان الأسر في المناطق المتخلقة في مخيمات الإسكان العام ، سوف تؤدي لتحسين حياتهم الاجتماعية ، وهذه الدراسات جميعها تعكس مدى الاهتمام بالدراسة التجريبية في علم الاجتماع <sup>(١)</sup>.

- (1) Allport, F.E. The Influence of groups upon Association and thought, Journal of Experimental Psychology, June, 1920. Vol. 3. pp. 159-182.  
Harold Gosnell, Getting out of the Vote, Chicago: 1927-  
Gillis, An Experimental Study of the Development and Measurement of Health Practices of Elementary School Children, JK S, (November 1927 pp 164-65, Elton Mayo, The Human Problems of An Industrial Civilization New York, 1933.  
Newatetter, W.I., An Experiment in the Defining and Measuring of groups. Adustement, A.S. R. 2 April 1937.  
Selden Menefee, An Experimental Theory and Experiment in the Social Psychology, Autocratic and Democratic group. A J. s. 43. 1939.  
Chapin, F.S., An experiment on the Social Effects of Good Housing, A.S. R, Dec, 194. pp. 868-879.

والواقع ان ما اشرنا اليه من امثلة بسيطة يمثل الاعمال التي نفذت منذ الحرب العالمية الاولى وهي تشير الى ان الاهتمام والحق وعميق بين علماء الاجتماع بالمفهوم التجريبي . ومع ذلك يشير " مكسني " الى وجود بعض الحدود المفروضة على الدراسات التجريبية في علم الاجتماع ، وذلك يرجع الى ان المواقف الاجتماعية التي يتناولها عالم الاجتماع لا تخضع لسيطرته بصورة كاملة تمكنه من تحقيق التجربة بصورة كاملة في كافة المجالات . ومع ذلك فان " مكسني " يذهب الى انه لا يوجد مانع من استعارة عالم الاجتماع لمنطق التجربة وتطبيقه لها في دراسته لاي مشكلة يعنى بدراستها . وهو يؤكد مذهب اليه بقوله : انه في السنوات الحديثة بدأ علماء الاجتماع يهتمون منطق التجربة على النحو الذي يمكن تطبيقه سيولوجيا ، اكثر منه في خاصيته الرسمية ( الشكلية ) المجردة .

وقد اهتم " اوديم " بصرف هذا الوضع عام ١٩٢٩ في مؤلفه مقدمة للبحث الاجتماعي<sup>(١)</sup> . كما ان " براولسي " قام بجمع هذا الوضع عام ١٩٣١ في مقال بعنوان علم الاجتماع التجريبي<sup>(٢)</sup> .

وقد تكشف من تحليلاتهم مدى الاختلاف في وجهات النظر حول امكانية استخدام التجربة في علم الاجتماع . فبلا من انها تكشف من ظهور الميل نحو الدراسات التجريبية . وقد تأثر هذا الاتجاه مجموعة من العوامل التي اكدت على امكانية تطبيق التجربة في مجال عمل علم الاجتماع وهذه العوامل تنحصر في :

---

(1) Odum, H.W. & Katharine Jocher, Introduction to Social Research, New York, 1929. pp. 260-280.

(2) Brearly, H.C., Experimental Sociology in the United States, S.T., 10 Dec. 1931. pp. 196-199.

- ١ - أن العمل الاستقصائي يجري تقريرا حيث يمكن رؤية النموذج التجريبي .
- ٢ - أن التطويل المستمر لهذه المحاولات اكسها قدرا من التقدير .
- ٣ - تقدم المحاولات المنهجية في علم الاجتماع الأداس وتأكيدا على الأدوات التصورية قد اشرى منهجية علم الاجتماع الأمريكي .
- ٤ - تقدم النظرية والتقنيك المنهجي مع زيادة السيطرة على البيانات .
- ٥ - الاهتمام المتزايد بتصميم الدراسة، والتعرف الوافح على منطقتي التجربة .

كل ذلك قد ساعد على استخدام علماء الاجتماع المثمر للاجراءات التحريبية، في بحوثهم ودراساتهم للمشكلات التي تدخل في نطاق اهتمامهم .

كما أنه كذلك من أن أهمية الاجراء التجريبي لعالم الاجتماع تتدائل مع أهميته بالنسبة لهؤلاء العلماء الذين لديهم الطري الكافية لان يخلوا سيطرتهم على بياناتهم .

والواقع أن منطق الاجراء التجريبي هو منطق الاستخدام التفسيري للاجراءات الاحصائية وما يرتبط بها من نماذج وأساليب ، وذلك لان استخدام اي من تلك الاجراءات على المستوى التنبؤي يتطلب اختياره في ضوء الشروط الاسبقية، وذلك يشترط ضرورة اجراء مقارنات مع المنطق التجريبي وبياناته المرتبطة بالجوانب الطبيعية، بحيث لا يكون ذلك معقولا لعالم الاجتماع، وبحيث يكون مدعما بما يحل تفسيره على المستوى العلمي .

وقد عبرت عن ذلك الرفح تلك الملاحظة التي ابداهها " ستوفر " Stouffer في عام ١٩٥٠ والتي موداهها " أن مشكلتنا الظلمة تكمن في تصميم الدراسة بصورة متقدمة ، وذلك ليعني أن الاقدام ليس مهاديا للتفسيرات البديلة ، وبمعة اساسية ، اعتقد انها اساسية لاننا نُبقي في اذهاننا دائما نموذج التحريسة

المقبولة ، حتى لو انحرفت في الممارسة عن النموذج المثالى لها .<sup>(١)</sup>

وبذلك يمكننا ان نقبل رأى "جوبال" الذى يشير الى أن اجراء التجارب في العلوم الاجتماعية أصبح اليوم امرا ممكنا ، وذلك لان الاجراء التجريبي يساعدنا على استخلاص النتائج الصادقة واستنتاج الاسباب من النتائج ، والفروض من الملاحظات ، فضلا عن امكانية معالجته للاسباب والفروض . وان كان ذلك لا يلازم الممكنة بالنسبة لتطبيق التجربة في مجال مسلم الاجتماع ، فان هذه الاستنتاجات تؤكد على الحاجة الملحة لتحسين التكنيك المستخدم ، وذلك حتى يعبر التجريب قابلا للتطبيق في اى من الحالات التى تهم عالم الاجتماع ، ويتوفر على دراستها<sup>(٢)</sup> .

ثانيا : العناصر الاساسية للبحوث التجريبية .

ان الحديث على العناصر الاساسية للبحوث التجريبية يجرنا لتناول طبعتين اساسيتين قبل العرض التلخيصي لتلك العناصر وهاتان الطبعتان تتمثلان في تعريف المنهجية Methodology من ناحية والعناصر الاساسية ، للمنهج العلمى من ناحية اخرى ، وذلك تمهيدا لتناول العناصر الاجرائية الاساسية للبحوث التجريبية .

اذ ان المنهجية تعرف بلفظ " مكنى " بأنها مبادئ البحث المنظم ، والمعايير التى نختار بواسطتها الاجراءات وتكنيكات ونظمها مع بعضها<sup>(٣)</sup> .

ومما هو جدير بالذكر في هذا الشأن ان الاجراءات والتكنيكات اصبحت من الامور الضرورية ، والهامة في علم الاجتماع ، ومن ثم تزايد التأكيد عليها في خلال الخطبات القليلة الماضية .

(1) Stouffer, Some Observations on Study Design, A.J.S., 55, Jan. 1950. PP. 335-61.

(2) Gopal, op.cit., pp. 143-194.

(3) McKinney, J., op.cit. p 186.

ومن ثم نوقشت الاجراءات وحدودها الشخصية والفنية<sup>(١١)</sup> وعرفت

الاجراءات بصورة عامة بانها :

الشكل العام أو نسق العمل في البحث ، إما التكنيك ذاته يختلف ضمن  
الاجراء كتجهيل خاص للولاءات . او عملية معالجة تتلاءم مع الاجراء الاساسي .

وان كان المنهج العلمي ضرورياً أساسية للبحث العلمي على نحو ما اكد  
جوبال<sup>١</sup>، وانه لا يوجد في البحث سوى منهم واحد هو المنهج العلمي.  
واذا كان جوبال يغفل تناول المنهج العلمي كطريقة اكثر منه مدخلا او معيارا  
داما للبحث العلمي . فان ما اشار به حول تلك القضية من اراء جديس  
بالاعتبار خاصة وان ذلك يرجع الى انه يشير سلفا الى ان المدخل العلمي  
قد صار اسما لاختلاف فائدة المناهج المستخدمة بالنسبة للبحث . مثال ذلك  
المنهج التاريخي والعقائري والتجريبي . وغيرها من المناهج وذلك لان ايها

من تلك المناهج من الضروري ان يتبنى المداخل العلمية، الا ان لكل منها وظيفة معينة خاصة به، وسجال تطبيقه المحدد، وذلك لان المنهج التجريبي محسود

يستخدم في دراسة الماضي ، كما ان التاريخ له مجال عمله الخاص الذي يعين ان يتعداه أيضا في حين ان المدخل العلمي وام في تطبيقه اما النسبة

استخدامها في أي منهج ، أو لأي شكل أو ذلك مثل أسلوب القياس واسلوب دراسة الحالة واسلوب المسح ... الخ .

وبذلك يشير استخدامنا للنهج العلمي لأنواع المذاهب المختلفة بينهما

يشير التكنيك للمراحل الملائمة لأي بحث في حين أن المدخل العلمي Scientific

Method اساس عام لمختلف المناسبات وللعمل البهشي . وبذلك يمكن

القول بأن المدخل Approach والمناهج Method والتقنيات Techniques

(1) Gobq1, op.cit., pp 65-66.

والادوات Tools ما هي الا عناصر اساسية متداوثة في البناء المنهجي  
كما انها تدور حول مركز واحد<sup>(١)</sup> هو المنهج العلمي .  
والشكل التالي يوضح عناصر البناء المنهجي :



والدوائر الخمس تشير الى عناصر البناء المنهجي حيث تأتي المنهجية باعتبارها محور الطريقة العلمية ، اما المداخل المنهجية فتقع في الدائرة الثانية وهي تشير الى التطور المنهجي الذي يحدد استخدامنا لى من الطريقة المنهجية السوامة في الدائرة الثالثة والتي تشمل على الطريقة التجريبية والطريقة التاريخية والطريقة المقارنة .... الخ . في حين ان الاساليب المنهجية تشير الى العنصر الرابع من عناصر البناء المنهجي ويتحكم في تحديد الطريقة المنهجية المتبعة في الدراسة فهي بدورها أى الاساليب تحدد نوع الاداة التي تستخدم في جمع البيانات حول الظاهرة والتي تناسب الظواهر الاجتماعية والواقع ان تنوع الاستخدام لى من المداخل والطرق والاساليب والادوات تحكمه مبادئ منهجية واحدة/تستند اليها الطريقة العلمية عامة .

ولى قراء ذلك يتضح تأكيدنا على منطق وحدة المنهج العلمي وبذلك يشير المنهج العلمي في استخدامنا للمدخل العلمي . ومن ثم كان تأكيد جوبال على ان المنهج

(1) Gobal, op.cit., P. 61.



العلمى ضرورة لائن منها Sinequa Non للبحث<sup>(١)</sup> وذلك لان  
اى باحث فى العلوم الاجتماعية والعلوم البيولوجية والطبيعية يجب ان يتبع  
المنهج العلمى على نحو ما اكد نايجل " وكوهن " .

وقد اشار " بارسونز " فى ذلك الى ان الانسان الذى يملك الحقائق من اى  
نوع كانت والذى يرى ملامتها المتبادلة، ويعطى جوانبها المختلفة، يمكنه ان ينتهج  
المنهج العلمى، وان يكون رجل علم .

على ان يتولى فى استخدام المنهج العلمى عناصره الاحرائية الاساسية  
المتشكلة فى الملاحظة Observation والفروض Hypothesis  
والتحقق Verification . والتي تعد بمثابة خطوات رئيسية ثلاثة تطبق  
بدرجات مختلفة، فى مجالات البحث المختلفة، وبمختلف الطرق المنهجية .

وبذلك يتأكد لنا أن العالم لا يمكنه اعتماد المدخل العلمى الذى يعد  
اساس البحث وجوهره .

ومن ثم يقيم " غوبال " التمييز بين المدخل والطرق والادوات والتقنيات  
فى البحث، ويؤكد على اهمية تناول المنهج العلمى بمعنى مختلف عن المعنى الذى  
تستخدم به المناهج التاريخية..... الخ .

واذا كان المنهج العلمى معطالاً ما يشير لمختلف العمليات التى تتمتع بها  
العلوم فان اى منهج للبحث يحقق المعرفة كنظرية علمية او غير المنهجية منها علمياً ،  
وهذا المنهج العلمى ، وهو الذى نشير اليه بالمدخل العلمى  
القائم على عنصرين اساسيين :

- العنصر الاحرائى Procedural Component
- العنصر الشخصى Personal component

(1) Gopal, op.cit., p. 62.

وتتمثل عناصره الإجرائية في الملاحظة والفروض والتحقق .

أما العنصر الشخصي فيشكل الجانب الإنساني في البحث وهو أكثر أهمية من العناصر الإجرائية والأدوات الفنية ، وذلك لأن الإنسان يحتاج للرؤى العلمية لمعالجة الفروض ، كما أنه يحتاج للمقدرة التحليلية واتجاهان التجريبية لاختبار الفروض . ومن ثم برزت أهمية مراعاة المنصرين الذين يلزم عليهما المدخل العلمي .

وإذا كان المدخل العلمي أساساً للبحوث المختلفة ، فإن توفر عناصره في أي من البحوث التي تجري على درجة كبيرة من الأهمية . وإذا كان ذلك بالنسبة لمختلف البحوث فإن أهميته بالنسبة للبحوث التجريبية تكون أكثر فائدة ، خاصة وأن العناصر المختلفة للمنهج العلمي سواء كانت شخصية أو إجرائية على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للدراسات التجريبية . ومن ثم نعرض فيما يلي للعناصر الإجرائية والشخصية للدراسات التجريبية :

#### ١ - العناصر الإجرائية للبحوث التجريبية :

تعتبر البحوث التجريبية من أكثر أنواع البحوث التي تتق في خطواتها الأساسية مع العناصر الإجرائية الأساسية للمنهج العلمي المتمثلة في الملاحظة والفروض والتحقق . ولقد أكد كل من كوهن وشاغل على ضرورة اتباع العلوم الاجتماعية والطبيعية للخصائص الأساسية التي تسم المنهج العلمي والتي تتمثل في خطوات أساسية ثلاثة والتي سبق ذكرها مسبقاً والمتمثلة في الملاحظة والفروض والتحقق ، وذلك لأن مثل تلك العناصر أساسية بالنسبة للمدخل العلمي ، الذي يعتبر جوهره أساساً للبحث .

وإذا كانت تلك العناصر متولدة بصورة أساسية بالنسبة للبحوث التجريبية فقد بقي أن نعرض بصورة موجزة لدلالة كل من تلك العناصر الإحصائية بالنسبة للدراسة التجريبية من ناحية، ومدى التماسك القائم بين تلك العناصر الثلاثة باعتبارها دوائر ثلاثة حول مركز واحد هو البحث الاجتماعي - وباعتبارها مقومات أساسية ثلاثة للبحث العلمي<sup>(١)</sup> .

١ - الملاحظة : وهي تجرى حول البيانات ذات القيمة للبائع قبل أن يبدأ بحثه لتمكن من تقديم صياغة أولية للفروض وبذلك فإن الفروض الأولية تبنى عليها وفي ضوء معطياتها ، ولأنه أن تلك المعرفة تعتمد في بعض جوانبها على التواتر وبالمثل على الملاحظة الشخصية، وتدخل الملاحظة في عملية البحث بما يساعدنا على إيفاج فرض أو أكثر من الفروض العلمية، السببية تنهض عليها الدراسة، وعند هذه المرحلة تكون المعرفة ذات فائدة واضحة كما أنها تدخل في مرحلة ثانية بكلاية أكبر باعتبارها تكتيك لجمع المادة والتحقق .

وبذلك نجد أن الملاحظة ذات وهيتين أساسيتين في الدراسة التجريبية - تتمثل أولهما في تقديم البيانات التي تساعد في عملية الصياغة التصورية المبدئية للفروض سواء من طريق الملاحظة المباشرة أو بمراجعة التراث وتتمثل وهيتها الثانية في استخدامهما كأداة منهجية لجمع البيانات حول الفروض بهيكل التحقق منها .

ورغم أن الملاحظة أولى خطوات البحوث التجريبية، ورغم أهميتها في الدراسة التجريبية إلا أن ثمة تحديات مبدئية يمكن طرحها يجب أن تؤخذ في الاعتبار، لتمكن التغلب عليها، ورفع كداية هذا العنصر الإجرائي وأعلىته بالنسبة للبحث التجريبي في علم الاجتماع .

---

(1) Goba, op.cit., P. 65

وهذه التحفظات تدور حول تأثير معنى الجوانب المتعلقة بالملاحظة، وخاصة فيما يتعلق بصياغة الظروف من ناحية وتعريف المصطلحات وتسجيل البيانات من ناحية أخرى .

وبالنسبة للتحفظات التي توضع على الملاحظة عند صياغة الفروض فتتمثل في أن الملاحظة تعتمد على الخبرة الحسية، والتي قد لا تكون دقيقة دائما . كما قد توجد صعوبة في التمييز بين الإدراك الأولي والاستنتاجات الشائنية حول الوظائف أو الانطباعات .

أما من التحفظات الأخيرة المتعلقة بتعريف المصطلحات أو تسجيل البيانات وخاصة ما يتعلق منها بالتراث والملاحظة الشخصية . وبصورة عامة كلما كانت الملاحظة دقيقة ومفصلة وأكثر شمولاً للبيانات كانت الظروف ذات معنى ودلالة أكثر .

ب- صياغة الفروض : ويتمثل العنصر الإجرائي الثاني في صياغة فرضي أو مجموعة فروض لبداية البحث وتوجيه مساره . ولأنك إن الصياغة الأولية للفروض تعتمد على البيانات المتحصلة عن طريق الملاحظة ، والواقع أن صياغة مثل تلك الفروض على أهمية بالغة في بداية البحث، لأن مثل تلك الصياغة تعدد الفرض من البحث وتوجه عملية جمع الحقائق كما أنها تحين مسلك البحث ومساره . وبذلك يتحقق نجاح خطوات البحث عندما يدور حول التحقق من الفرضي وهنا يكون اعتبار الفرض وليس اثباته هدف البحث الأساسي (١) .

---

(1) Gobel, op.cit., P. 66.

جـ - **التحقيق :** اما من العناصر الاجرائي الثالث للبحث التجريبي فيتمثل في التحقيق، وهو الخطوة الثالثة من خطوات المدخل العلمي للدراسة . وهذا العنصر يشكل مركز البحث والمنهج العلمي ومويريهما ، وذلك لان عملية التحقيق تلك تتضمن اربعة عمليات اساسية مختلفة تتمثل في جمع المادة ، وتحليل البيانات وتفسيرها بما يؤدي الى عملية اختبار الفرضي والتعميم المستنتج من عملية التحليل والتفسير .

والواقع ان النتائج السلبية في عملية التحقيق تكون في غالبية الاحوال ذات دلالة مماثلة للنتائج الايجابية ودالاتها . وذلك ما اكده كل من " توماس الحادسون " Thomas Alva Edison وسمك N.K. Smith لقد اشار اليه ، بوفروخ سمك في مؤلفه « المؤلف الراهن في الطلبة » بتقرير ان تاريخ الفكر البشري ليس تسجيلا لاكتشافات المتعاقبة للصواب ، ولكنه تسجيل لتحريرنا وغلامنا التدريجي من الخطأ .

والواقع ان عملية التحقيق تلك لها جانبين اساسيين هما : الادوات والباحث . حيث ان استحداث ادوات جمع البيانات والتحليل ، باعتبارها وسائل اساسية تستخدم قدر الامكان لتحقيق المراجعة . اما الجانب الثاني للادوات المرشطة بجمع البيانات الصحيحة . فهو . يتضمن الجانب الموضوعي لتسجيل الحقائق الملازمة للبحث . ويجب ان تكون هذه الحقائق كما هي ، وليست كما يفسل الشخص رويتها . كما ان تعريف المفاهيم المستخدمة في البحث تمثل حقيقة اخرى للادوات والاداة التي تستخدم بصورة اكثر في العلوم الاجتماعية ، هي التكنيك الاحصائي او الكمي .

وبقدر ما لهذه الخطوات الاجرائية من أهمية بالنسبة للمدخل العلمي الذي تمثل عناصره الأساسية، بقدر ما تتحدد ضرورتها في البحوث التجريبية. ولا شك أن تحسين الأدوات المستخدمة في البحوث التجريبية - وموجبه خاصي المقاييس الكمية والاجتماعية، يلتقي ايضاح المفاهيم وتعريفها وتنظيمها فضلا عن تبسيط الظروف - ومن ثم يذهب علماء المناهج الى أهمية تحسين الأدوات واستخدام التكنيكات الاحصائية الاجتماعية الجديدة، مثل تحليل العلاقات والتحليل العائلي، لكي يأتي التحقق من الفروض بنشأة مثمرة تلبي في عملية التعميم العلمي في البحوث الاجتماعية التجريبية .

#### ٢ - العناصر الشخصية للبحوث التجريبية

للعنصر الشخصي أهمية مميزة بالنسبة للبحوث التجريبية، وذلك لأنه يؤثر على سير عملية التجريب وتفسير نتائجها - واستخلاص التعميمات الامبريقية حول الظواهر، التي يتناولها الباحث بالمعالجة - سواء كان التعميم التجريبي مستعرضا، تميم قائم على أساس المقارنة والمقابلة بين المجموعات التجريبية والمجموعات الضابطة او تميم تنبؤي او تصميما ارتجاعيا، فان العنصر الشخصي يمارس تأثيرا وداعية على سير عملية التعميم ذاتها، واجراءات تنفيذها من ناحية. وعملية تأويل نتائجها من ناحية اخرى. ويرجع ذلك التأثير الى حاجة الباحث للتصور العلمي لهذه الظروف، وللمقدرة على التحليل والقائمة التجارب واختيار التعميم المناسب لاختيار الظروف - وذلك ما يعتمد بصورة اساسية على الرؤية الواضحة لدى الباحث وقدرته على التمييز والانتقاء - وبذلك يتضح أن الباحث وقدراته الشخصية لها تأثيرها على سير عملية البحث والتحليل وتفسير النتائج - وذلك ما جعل لعدد من علماء المناهج يؤكد على الجوانب الشخصية باعتبارها احدى عناصر المنهج العلمي عامة، والتعميم التجريبي خاصة . ونظرا لما للعنصر الشخصي من أهمية في عملية البحث، فقد أردنا له معالجة خاصة ونحن بصدد تحليل عناصر المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

ثالثا : مقومات التعميم التجريبي لاختبار الفروض :

تستهدف عملية التجريب بصورة أساسية تحديد اسباب التوزيعات  
الأساسية المستخلصة من النتائج، وتحقيق ذلك يتخذ من عزل العوامل  
واعادة تطبيق التجربة ، والقياس الكمي للنتائج أساسه وخاصة ما يبدونها ملائمة  
وقابلا للتطبيق في بعض المجالات وبالنسبة لبعض العلوم الاجتماعية .

وفي ضوء ذلك تنحصر مقومات الطريقة التجريبية في :

- عزل العوامل .
- اعادة التجريب .
- القياس الكمي .

والجدير بالذكر في هذا الشأن ان ذلك لايعنى ان الاجراء التجريبي  
يمكن ان يطبق بنفس المدى والنطاق المتبع في العلوم الطبيعية ، او ان نتائجه  
تتمتع بنفس الدقة التي تتوفر للعلوم الطبيعية والفيزيائية . ولأنه ان القامة  
التجربة في العلوم الاجتماعية ليست مطابقة تماما للتجريب في العلوم الطبيعية  
والبيولوجية . كما ان التجريب المعمل الذي يستخدم بصورة اساسية في  
مجال العلوم الطبيعية ، نادرا ما يستخدم بنفس المعنى في العلوم الاجتماعية .

ويرجع ذلك بصورة اساسية الى صعوبة معرفة وملاحظة المواقف الاجتماعية  
بصورة دقيقة ، على نحو ما يتوفر في العلوم الطبيعية . ومن ثم تكون الفرص  
الملائمة لاختبار الفروض غير متعادلة . كما ان المواقف الاجتماعية تتغير  
العنصر البشري . أضف لذلك الصعوبة التي تواجه الباحث في العلوم  
الاجتماعية عندما يقوم باعادة تطبيق تجاربه .

وتتوزع هذه الصعوبات بين صعوبات تتعلق بانتقاء الأدوات التي تسهل  
عليه التطبيق التجريبي من ناحية ، وصعوبات تتعلق بتحديد الجهود من قبيل

علماء الاجتماع وتنظيمها لتحسين الأدوات التي يستعان بها في عملية التجريب من ناحية أخرى ومن ثم نناقش في هذا المجال قضية اختبار الفروض، والتصميم التجريبي لعملية الاختبار، وهو الفرع الأساس للأجراء التجريبي، وذلك تمهيدا لمناقشة المعلومات الأساسية للتجريب في علم الاجتماع .

#### ١ - التصميم التجريبي لاختبار الفروض :

والواقع ان الوظيفة الأساسية للفروض هي تقرير علاقة معينة بين الظواهر وبالطريقة التي تجعل هذه العلاقة قابلة لان تختبر امبيريقيا<sup>(١)</sup>، بمعنى أن الفرع يجب أن يكون معروفا للعمل الامبيريقى على أنه محتمل أو غير محتمل، ثم يمكننا ان نصمم البحث بما يمكننا من قبول أو رفض هذا الفرض . ولأنه في أن تصميم التجربة يقتضى ان يخطط الباحث ملاحظاته، وذلك لكي يكشف عن العلاقات الأخرى الممكنة .

وقد كانت اسهامات " جون استيسورت مل " في هذا المجال واضحة إذ أنسه وضع اسما للأجراء التجريبي ما زال يعتقد به حتى يومنا هذا، وذلك لان تحليله تلمح من عدة طرق أساسية للبرهان وأول هذه الطرق التي استهدف بها مل تحقيق الفروض والتثبت منها وصولا للقوانين التي تحكم الظواهر، تنحصر في طريقتي الاتفاق والاختلاف . ثم طريقة التلازم في التغير وأخيرا طريقة البؤالي .

والواقع ان " جون مل " عندما ناقش قضية صياغة الفروض اشترط قابليتها للتحقق امبيريقى كشرط اساس لحياتها، وتكوين الفروض العلمية . وعندما تطرق " مل " لعملية التحقق امبيريقى من الفروض أشار الى وضع أربعة طرق اسماها بالطرق الاستقرائية لتحقيق الفروض واسماها مرة ثانية بطرق البحث العلمى . وعندما وضع تلك الطرق التجريبية لتحقيق الفروض ذكر انها أربعة طرق ثم جدها في خمسة طرق وذلك ما يكشف عن عدم وفور موقف " جون مل " .

(1) Goode, & Hart., op.cit., p. 74.



وذلك ما جعل العلماء يختلفون في تحديد الطريقة الزائدة من بين الطرق،  
النسب وسوف نعرف لهذه الطرق على نحو ما فهمها جون مل .

#### ١ - طريقة الاتفاق Method of Agreement

وهذه هي أولى طرق البرهان المنطقي التي تتبع عند عمل التصميم التحريبي،  
وهذا يتقرر إيجابياً عامل معين بالنسبة لأحداث ظاهرة ما . بمعنى أن  
ارتباط حالة أو أكثر إيجابياً بالظاهرة موضوع البحث بحيث نجد أن الحالة  
أو أكثر لها صلة الدوام في جميع الحالات التي تتناول فيها التجربة الظاهرة  
في الوقت الذي تكون فيه الحالات الأخرى غير ثابتة وهذا يمكن تقريره أن  
هذه الحالة المتعلقة بالثبات هي سبب في حدوث الظاهرة بمعنى أنها علة  
علاقة تأثيرية بالظاهرة . فالسبب والمسبب متلازمان في الحدث .

وهذه الطريقة تقرير بوضوح أنه في حالة اشتراك حالتان أو أكثر من حالات  
الظاهرة المراد بحثها في عامل واحد فإن ذلك العامل الذي تشترك فيه  
جميع الحالات هو العلة لتلك الظاهرة . وذلك بشرط أن ثمة تلازم دائم  
بين السبب والمسبب في الحدث وهذه الطريقة تقتضي جمع أكبر عدد ممكن من  
الحالات التي تبدو فيها ظاهرة معينة . وذلك لأن المتغير الثابت الذي  
لا يتغير مما سبق حدوثه يسمى بالعلة أو السبب أو اللاحق الذي لا يتغير فلسفياً  
ملاحظة السابق تلازماً متكرراً ومنتهكاً نسبية بالسبب أو المعلوم ، ويلتزم  
مل ذلك بالرموز التالية :

أ ، ب ، ج ————— س ، ص ، ع  
أ ، د ، هـ ————— س ، ط ، ل  
: أ ————— س

ومن العادى الذى عرضها " جود وهات " على هذه الطريقة ان بعض  
العوامل قد يكون لها وزن فى احداث الظاهرة، الا انها فى حالة وجود  
بعض العوامل لا يظهر لها وزن فى عملية التأثير، فى حين انها قد تكون  
ذات اهمية كبيرة بالنسبة لاجداث الظاهرة مفهوم البحث (١) .  
هذا من حيث المعيار الايجابى للاتفاق .

اما بالنسبة للمعيار السلبى للاتفاق فيتقرر عندما يكون غياب  
السبب مصحوب بغياب النتيجة . وذلك عندما يرتبط عدم حدوث الظاهرة بغياب  
عامل ما من العوامل فى جميع الحالات ومن ثم تتقرر هذا العلاقة السببية  
بين العامل الفاعل والظاهرة . مثال ذلك ان تلحق الخبرة الاجتماعية  
بالانطلاق والتعصب العنصرى فى الطفولة يكون متبوعا بتقصى التعصب  
العنصرى فى سن الرشد (٢) .

والواقع ان البناء المنطقى للطريقتين المشار اليهما سلفا واحد . ومن  
ثم ان جوانب الفعل المشار اليها بالنسبة لطريقة الاتفاق هي عينها بالنسبة  
للمبرهان بعكس طريقة الاتفاق . حيث ان غياب هذا العامل قد يكون نتيجة  
لفياف عوامل معينة وبالتالي قد لا يكون له علاقة بغياب حدوث الظاهرة (٣) .

ونتيجة لتأكيد علماء الاجتماع امثال سروكن وبارسونز ومن قبلهما دوركايم  
على ترابط الظواهر الاجتماعية، وتأثيرها على بعضها، فان عملية عزل سبب واحد  
باعتباره السبب المحدد من الامور المعقدة نظرا لتشابك الاسباب فى الواقع على  
حد قول "يوبلر" و من ثم علينا الا نتخذ من طريقة الاتفاق وطريقة الاستدلال  
بعكسا دليلا على وجود علاقة سببية بين عامل مجموعة عوامل وحادثة  
معينة (٤) .

(1) Goode W. & Hatt. P., Method of Social Research, New York: McGraw- Hill  
Book Company, 1952. pp. 47. 75.

(2) Goode & Hatt, Ibid., p. 75

(3) Goode & Hatt, Ibid., p. 76.

ب - طريقة التفاضل ( الاختلاف ) Method of Difference

ثم تطور التعميم التجريبي الكلاسيكي من المبدأ أو المعيار الإيجابي والسلبى . للطريقة الأولى وذلك تجنباً لجوانب الخلل القائمة فى كلاً من الطريقتين (١).

ولقد حدد جون ميل ، هذه الطريقة باعتبارها تولد برهاناً اقناعياً مما هو حادث بالنسبة للطريقة السابقة . وبذلك يقوم برهان هذه الطريقة على ان النتيجة ترتبط فى حصرها وبغايها بالسبب وان النتيجة تكشف عن ذلك أى عن ارتباطها بهذا السبب دون غيره من الأسباب .

ويرمز لـ "طريقة الاختلاف بالرمز التالي :

١ . ب . ج ← د . هـ . و . ز . ح

ب . ج ← د . هـ . و . ز . ح

٢ . أ ← ب . ج . د . هـ . و . ز . ح

وهذا يشير "جود وهات" إلى ان ثمة نقطة فعل توجد فى هذه الطريقة وتتمثل فى انها تلتزم ان الباحث على علم تام بجميع المتغيرات ذات الصلة بالظاهرة فى الوقت الذى يعصب على الباحث الإلمام بجميع العوامل المؤثرة فى الظاهرة والمفرد من ذلك من وجهة نظر "جود وهات" هو الإلمام بالاتجاهات الخفية المتعلقة بالمشكلة بحيث تستبعد العوامل غير الملائمة وتبقى العوامل الملائمة . وإذا لم يكن الباحث قادراً على عزل العوامل وتحديد ماهو مناسب وما هو غير مناسب منها فإنه لا يستطيع ان يأتى بشمار طيبة من استخدام هذه الطريقة (٢) .

والجدير بالذكر ان منطق هذه الطريقة فى البرهان هو نفس المنطق الذى تقوم عليه الدراسة التجريبية التى تتناول مجموعة مابطة

Control Group

(1) Goode & Batt., op.cit., p. 76.

(2) Goode & Batt., Ibid., p. 76.

والمجموعة التجريبية Experimental Group وذلك يدفعنا لابرار  
مجموعة اخرى في استخدام هذه الطريقة اذ انه من المعوية بمكان على  
الباحث ان يختار المجموعتين على اساس تكافؤهما في مختلف العوامل مسع  
تحديد تفايرهما من بعضهما في عامل واحد فقط . ويرجع ذلك في الاصل  
لتمدد المتغيرات وتشابكها مع المواقف الاجتماعية .

وعلى لو امكن للباحث من طريق المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية  
من التغلب على المعويات التي تواجه هذه الطريقة الا ان عامل الزمن يؤثر  
على وجود فروق في العوامل التي قيمت بين المجموعة الضابطة والمجموعة  
التجريبية . وهنا يكون لزاما على الباحث ان يحدد العوامل ذات التأثير على  
الظاهرة في المدى الطويل والعوامل ذات التأثير على التجربة خلال فترة  
اجرائها .

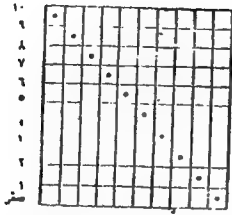
ومن ثم يكون اجراء الدراسة التتبعية على درجة كبيرة من الهمية  
لمعرفة مدى فعالية العوامل المؤثر على المجموعة التجريبية على المدى  
الطويل . وذلك لمعرفة مدى تأثير عوامل اخرى مثل العمر والتعليم على  
الاختلافات القائمة بين المجموعتين التجريبية والضابطة في الدراسة  
القبلية والدراسة اللاحقة

ح - طريقة تلازم التغير Method of Concomitant Variation

وهي الطريقة التي يسميها البعض بالتغير النسبي وقد اشار مل إلى هذه  
الطريقة باعتبارها دائرة على التغير من المعويات التي تواجه الطريقةين  
السايلتين وهي تطبق اليوم في بعض اشكال التحليل الارتباطي .

١١) دكتور عبد الباق حسن ، المرجع السابق ، ص ٣٠٦ ، وايضا حود وهات المرجع  
السابق ، ص ٧٧ - ٧٨ .

١٢) دكتور محمود فهمي زيدان ، المرجع السابق ، ص ٩٥ .



والعرائض التالية تعرض اشكال

الارتباط المختلفة :

الخريطة 1 تعرض شكل الارتباط

الـ... ..

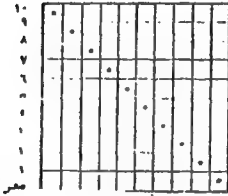
الخريطة 1

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

وإذا كانت الخريطة 1 تعكس شكل الارتباط الإيجابي التام فإن شكل

الارتباط السلبي التام يعكسه الخريطة ب .

الخريطة ب

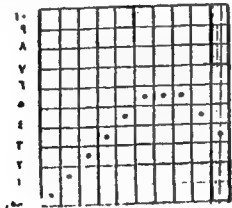


0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

أما بالنسبة للشكل الثالث للارتباطات فهو ارتباطات المنحني التمام

وذلك ما يعرضه الشكل التالي :

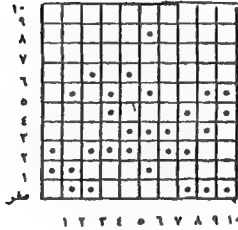
الخريطة ج



1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

ومن الاشكال الارتباطية الاخرى ذلك الشكل الذى تعرضه الخريطة التالية  
وهو الارتباط الضعيف جدا .

الخريطة د



ولاشك ان مدخل طريقة تلازم التغيرات يطلب في الغالب لمواجبة المعومات  
التي تقابل الباحث في استخدامه للطرق السابقة .

وتقرر هذه الطريقة انه اذا كان حدوث تغير في متغير معين محسوبا  
بتغير شامل في متغير او ا تشين في حالات اكثر فان التغير الاول يكون سببا  
او مؤثرا على التغير الاخر .

وتكون اشكال العلاقات العديدة الممكنة هي تلك الاشكال التي اوردناها  
في الفرايط الاربعة المشار اليها سلفا .

وتشير هذه الطريقة لكيفية اكتشاف العلاقة العملية بين ظاهرة واخرى  
وملاحظة الاختلاف او التباين الذي يطرا على احدهما اذا ما حدث تغيرا في  
الاخرى. والمفهوم الحقيقى لهذه الطريقة يتمثل في ان الزيادة  
او النقصان في السبب مرتبط بالزيادة او النقصان في المصعب في الحالات  
التي تسمح للزيادة او النقصان. وبذلك فهذه الطريقة لا تبحث عن العلاقات  
السببية او العملية، وانما تبحث بعلة اساسية من العلاقة الكمية بين السبب  
والمصعب فعندما نعرف مثلا انه من طريق التثبيت فان الاحتكاك احد مسببات توليد  
الحرارة. فان هذه الطريقة اى طريقة التلازم تكشف من العلاقة الكمية  
بين الاحتكاك وتوليد الحرارة. بمعنى انه كلما زاد الاحتكاك ارتفعت درجة  
الحرارة في الاجسام المعروفة للاحتكاك كلما قل الاحتكاك انخفضت درجة  
حرارة الاجسام المعروفة للاحتكاك<sup>(١)</sup> .

والواقع ان هذه الطريقة تستخدم بشكل واضح في معظم البحوث الحديثة  
ذات المستوى التحليلي المتقدم والتي تعتمد على تحليل العلاقات .

ومن المأخذ التي تؤخذ على هذه الطريقة انها تحب معامل الارتباط  
على اساس العلاقة السببية ، وبذلك يحب معامل الارتباط دائما بين  $1 +$  ،  $1 -$   
بحيث تكون العلاقة شامة في الحالة الاولى حيث ان الزيادة في احد المتغيرين  
يشبهه زيادة في المتغير الاخر . والنقص في احد المتغيرين يشبهه نقص في  
المتغير الاخر .

---

(١) دكتور محمود فهمي زيدان ، المرحم السابق ، ص ٩٦

في حين ان الحالة الثانية تشير الى ان العلاقة تامة سالبه بين المتغيرين حيث ان الزيادة في متغير يتبعه نقصان في متغير آخر والعكس بالعكس . وهذا يشير " جودوثات " الى ان تلك العلاقات التي تقوم على الارتباطات السببية بين المتغير ( x ) والمتغير ( y ) . توضح ان نفس مشكلات البرهان التي واجهت التصميم الكلاسيكي توجد كذلك في مثل تلك الحالة (١) .

وذلك لان العلاقة بين المتغيرين قد لا تكون علاقة سببية بل من الممكن ان تكون علاقة وهيبة تشير الى وجود تبادل تأثيري بين ظاهرتين متعايشتين في نفس الوقت ، وان تغير احدهما يتأثر بتغير الاخرى وذلك ما نلاحظه خلال التنظير السبولوجي لعملاء الاجتماع الذين اكدوا ان الظواهر الاجتماعية مترابطة ويؤثر كل منها في الاخرى اي انها متبادلة التأثير والاعتماد . والواقع ان مثل تلك المشكلة التي تواجه التحليل التفسيري في علم الاجتماع يحتاج لمزيد من الاعتماد على التكنيكات التحليلية الاحصائية المتقدمة ، بحيث يستعان بتحليل العلاقات في معطوفات الارتباط من ناحية وتحليل هذه الارتباطات بالاستعانة بتكنيكات التحليل العائلي . على ان يكون ذلك التحليل معتمدا على المصادر المنهجية بين المعطوفات والمدخل الوظيفي الدينامي عند دراسة الظاهرة الاجتماعية ، بحيث نتناولها من حيث شمولها على عناصر وارتباطها بعوامل معينة ، ثم نتناولها من حيث وظيفة هذه العناصر والعوامل وعلاقتها المتبادلة مع بعضها وكذلك على ان تدرس الظاهرة في تفاعلها الوظيفي مع بقية الظواهر والعوامل الاجتماعية الاخرى من حيث تأثيرها (١) عليها وتأثيرها بها . وقد اكد " اميل دوركايم " على اهمية هذه الطريقة في التحليل السبولوجي

(1) Goode & Hatt, op.cit., P. 87.

(2) Durkheim, E. The Rules of Sociological Method, New York, The Free Press, 1964. P. 130.



• وباستخدام تكتيك التحليل العاملي<sup>(١)</sup> نستطيع ان نغربل العوامل، ونحدد مدى تأثيرها على بعضها، ومدى الفروق الداعمة بين تلك التأثيرات الارتباطية. ومدى التداخل الحادث بين العوامل وبعضها، وبينها وبين ظاهرة ما اخرى .

والواقع ان استخدام تكتيكات تحليل العلاقات والتحليل العاملي، ووضع القيم الارتباطية في معطولات لغربلتها من حيث درجة تداخلها مع بعضها، يساعد بدرجة ما في التصرف على العلاقات الوظيفية، وابعادها بين المتغيرات المختلفة، والتي يعني بها التحليل السيولوجي للظواهر الاجتماعية .

#### د- طريقة البواقي Method of Residues

تشير طريقة البواقي تلك الى انه في حالة وجود ظاهرتا تحتوي على عناصر متعددة، وتم التعرف بالطرق السابقة على العلاقة السببية بين بعض عناصرهما، وأن العلاقة بين العناصر الباقية هي علاقة طردية بمعلول مثال ذلك اذا فرضنا ان أ، ب، ج، د، هـ، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، م، ثم امكن اثبات ان ب، د، هـ، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، م، نستطيع هنا ان نستنتج ان ا (مطلوب) س<sup>(٢)</sup> . وقد اهتم بتحليل البواقي تلك علماء المناهج والاحصاء في المستوى النهائي للتحليل العاملي، ولكن بنظرة مختلفة، بهدف طريقة جميع العوامل .

#### ٢ - مستويات واشكال التصميم التجريبي

شمة مستويان اساسيان للتصميم التجريبي يتمثل اولهما في ان جميع المتحارب تتبع مدخل المحاولة والخطأ Trial and Error ويتمثل المستوى التجريبي الثاني في التحكم في الموقف التجريبي باستخدام المقاييس العلمية، والطرق التجريبية.

(١) راجع في ذلك دكتور سيد محمد خيرى، الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاحتمالية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٠ ص ٥٤٢

(٢) دكتور محمود فهم زيدان، المرجع السابق، ص ٩٦

وبمناقشة المستوى الاول للتعميم التجريبي وهو مدخل المحاولة والخطأ .  
والذي يتم في المرحلة التجريبية الاولى وهي التي تقدم في العلوم الطبيعية  
بواسطة عملية الاختبار الطبيعية وهي اكثر ملائمة للبحث الاجتماعي . حيث  
تكون فرض الملاحظة واعادة صياغة المولد والتحكم في الاحوال محسودوه  
جدا . ورغم استخدام هذا المستوى التجريبي في عدد من المشكلات الاقتصادية  
الاجتماعية ، الا ان التحفظات التي يمكن ان نضعها بالنسبة لتلك المرحلة هي  
انها عملية عمياء وغير واضحة<sup>(١)</sup> .

اما المستوى التجريبي الثاني فيتمثل في التحكم في المولد التجريبي  
باستخدام القياس العلمي والطرق التجريبية ، وهنا يتضم اماننا اشكال  
ثلاثة للتجريب يمكن تمييزها عن بعضها<sup>(٢)</sup> :

- التجارب الطبيعية او التي لاتخضع لتحكم المرء كما هو في علم الفلك  
حيث تستخدم في الغالب الملاحظة .
- والتجارب المعملية كما هو في الفيزياء والكيمياء وعلم النفس حيث يقوم  
المعلم باعادة عرض الحوادث المراد ملاحظته .
- والتجربة الحقلية وهي اكثر ملائمة للعلوم الاجتماعية والادوية  
الاجتماعية . حيث تتم معالجة المتغيرات في الواقع الاجتماعي المباشر ، ويتحول  
التجريب من الملاحظة السلبية الى الاستنتاج الفعال ، وهذا الشكل  
الاخير من التجريب يناسب انواعا معينة من التجارب يراعى في تصميمها  
طبيعة الظواهر والمواقف الاجتماعية والتي تختلف من طبيعة الظواهر  
والمواقف الطبيعية نظرًا لان المواقف الطبيعية خارجية وتقع لنوع من  
التحكم يختلف عنه بالنسبة للمواقف الاجتماعية . هذا بالاهالة الى ان الانسان

(1) Gopal, op.cit., P. 194.

(2) Gopal, Ibid., P. 193.

ليس داخلًا في هذه المواقف الطبيعية، والعكس صحيح بالنسبة للظواهر والمواقف الاجتماعية، التي نتناولها ونفهمها مولع التجربة والاختبار .

ومن ثم تمايزت التجارب العلمية في العلوم الاجتماعية نسبيًا عنها في العلوم الطبيعية وذلك على النحو التالي :

أ - إذا أصبحت التجارب العلمية في علم الاجتماع ذات طبيعة اجتماعية تعتمد على مدى ما يقوم به الباحث من تحديد وفيد وتحكم للتجربة وذلك بتحديد العناصر الظاهرة وموقع البحث ومحاولة عزل تلك العناصر من بقية العناصر الأخرى والتحكم في هذه التجربة بالصورة التي تلائم طبيعة الموضوع وتفسيرها في الزمن الذي يساعد على فهم علاقة تلك العناصر بالظاهرة ومفاهيم نتائج التجربة البعدية بالتجربة القبلية . وبذلك يتحدد أمامنا الفرق الواضح بين امطاع التجربة في العلوم الاجتماعية بامطاعها في العلوم الطبيعية . وذلك لأن الظروف التي تجري فيها التجربة في العلوم الطبيعية لا يهيئها الباحث ما تقتضيه التجربة منها، كما أن الظاهرة الطبيعية لا تخضع لتحكم الشخص القائم بالتجربة .

ب - هذه هي طبيعة التجربة في العلوم الاجتماعية من حيث طبيعة الظواهر التي تدور حولها التجربة . وإذا ما أخذنا المدى الزمني للتجربة والغرض منها نجد أنها نوعان : تجارب قصيرة المدى، وتجارب بعيدة المدى . وكلا نموذجي التجربة في علم الاجتماع يعتمد على الغرض من البحث فإذا كان الغرض من البحث هو معرفة علاقة أثر تعرض جماعة معينة لموقف معين، وأثره على اتجاهاتهم بالقبائل لجماعة أخرى لم تتعرض له . مثال ذلك مشاهدة مجموعة

من الشباب للقيام سينماش معين يعرف ظروف المعاناة من التفرقة العنصرية ، واستقلال الاستعمار لبعض الشعوب بالقياس باتجاهات مجموعة معينة من الشباب لم تشاهد نفس الفيلم ، هنا يكون الهدف من التجربة هو معرفة الاثر المباشر لمشاهدة الفيلم على اتجاهات الشباب . اما اذا كان الهدف من التجربة معرفة اثر تعرض الشباب الذي يتعلم في الخارج للثقافة الاجنبية على اتجاهاتهم نحو القيم التقليدية ، والى اسلوب الحياة التقليدي في مجتمعهم ، وخاصة شبـاب المجتمعات النامية ، فذلك يلتقي فترة زمنية اطول ، ويمكن ان تجرى التجربة بالمقارنة بين مجموعات من الشباب لغوا فترات زمنية مختلفة في المجتمع ، او ان نأخذ لفظة واحدة ونتبع بالدراسة قياس اتجاهاتهم على فترات زمنية مختلفة لمعرفة اثر طول المدة التي يقضونها بالمجتمع الخارجى على تغير اتجاهاتهم نحو قيم مجتمعاتهم التقليدية ، واسلوب الحياة السائد في تلك المجتمعات . وبذلك تكون التجارب في علم الاجتماع ذات مدى قصير ، وذات مدى طويل ، على نحو ما جـو حادث في الدراسة التتبعية المشار اليها لطريق الافسالة لتتبع اثر لخط التنمية على النهوض بالمجتمع ، وهي تجارب ذات طابع تقويمى يستهدف قياس الاتجاهات نحو المشاريع على فترات زمنية مختلفة من تاريخ بدء الخططة ، لمعرفة اثر تطبيق الخططة على مواقف الناس واتجاهاتهم . هذا بالإضافة الى ان الدراسات التتبعية بصورة أساسية تستهدف معرفة اثر العمر او المستوى الدراسى على اتجاهات الاشخاص والى اهم القضايا الاجتماعية معينة ، تستهدف التجربة اختبار الفروض المتعلقة بها .

ج - وبالاستناد لاجراءات المقارنة والمطابقة في علم الاجتماع يمكن تمييز نوعين من التجارب ايضا : تجارب تستخدم مجموعة تجريبية واحدة ، لمعرفة

الاتجاهات نحو موقف معين بالتعرف للظروف معينة، يكون لها تأثيرها على تلك الاتجاهات، أو ان يدخل عامل التجريب بهدف تحديد أثره، حيث نقيس اتجاه نفس المجموعة مرة ثانية لمعرفة اثر العامل التجريبي، فإذا ما وجدت فروق جوهرية في نتائج القياس أمكن ارجاعه لعامل التجربة، وذلك ما هو حادث بالنسبة للدراسات التتبعية من هذا النوع.

أما إذا كان الهدف هو المضاهاة Matching والمقارنة بين مجموعتين تكون احدها تجريبية والاخرى ضابطة/لمعرفة اثر المتغير التجريبي بتعريض مجموعة لموقف معين، وعدم تعرض المجموعة الاخرى مع وجود شروط متكافئة بين المجموعتين، ثم يقيس اتجاهاتهم نحو قضايا معينة للمقارنة بين اتجاهاتهما باختبار العشيرات التجريبية Experimental Stimulus

والجدول التالي يوضح هذا التصميم التجريبي

التصميم التجريبي	قبلية	بعديّة	مقارنة قبلية بالبعيدة
المجموعة التجريبية	ص.	ص <sup>1</sup>	اختلاف ص <sup>1</sup> عن ص
المجموعة الضابطة	ص <sup>-</sup>	ص <sup>-1</sup>	اختلاف ص <sup>-1</sup> عن ص <sup>-</sup>

وهذا الرسم يجمع بين نموذج المقارنة التجريبية المحتملة في علم الاجتماع بحيث يمكن مقارنة اختلاف اتجاه المجموعة التجريبية في المرة الثانية من المرة الاولى . وفي حالة المضاهاة بين مجموعتين تجريبية وضابطة نقارن اختلاف ص<sup>1</sup> - ص<sup>(1)</sup> .

وكذلك مقارنة ص<sup>1</sup> - ص .

ونقارن ايضاً ص<sup>-1</sup> - ص<sup>-</sup> من ناحية و ص<sup>1</sup> - ص<sup>-1</sup>

بمعنى أن نقارن بين اتجاهات المجموعة الفاعلة والمجموعة التجريبية في التجربة القبلية، ثم نقارن بينهما في التجربة البعدية، وذلك لمعرفة مدى تأثير المثيرات التجريبية على تغير اتجاهات المجموعة التجريبية من ناحية، ومعرفة العوامل المحددة لهذا التغير من ناحية أخرى .

#### ٢ - مقومات التعميم التجريبي في علم الاجتماع .

أصبح التجريب في علم الاجتماع ذات فائدة واضحة وخاصة في اختبار الفروض التي يهدف الباحثون اختبارها . وذلك نظرا للسمات الأساسية المميزة للتجريب، والتي يمكن اعتبارها بمثابة مقومات أساسية لدعم الاتجاه التجريبي في علم الاجتماع . ومن هذه المقومات الأساسية التي تدعم الاتجاه التجريبي في البحوث الاجتماعية . تلك المقومات المتعلقة بالجوانب التالية :

١- إمكانية التكنيك التجريبي في عزل العوامل وتغيرها وإمكانية إعادة تطبيق التجربة، وأيضا القياس الكمي للنتائج التي تبدو قابلة للتطبيق، والتي تلائم بعض العلوم الاجتماعية وبعض المجالات .

والواقع أن تطبيق هذه الجوانب في بحوث علم الاجتماع لا تتم بنفس الدقة، وب نفس القدر والصدق الذي تتم به في مجال العلوم الطبيعية والبيولوجية . ويرجع ذلك في أساسه لحداثة عهد علم الاجتماع بتطبيق التجريب، ونسبة التجريب المعمل في مجاله من ناحية، ومعيقات تطبيق الملاحظة الدقيقة للمواقف المراد بحثه من ناحية أخرى، وذلك راجع في أساسه إلى أن فرض اختبار الفروض في العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية غير متساوية، وأن المواقف الاجتماعية تنطوي أيضا على المنعرج البشري .

وكذلك معوية الموضوع بالنسبة لامادة التطبيق . ومن ثم بذلت الجهود لتسعين عملية التطبيق التجريبي في علم الاجتماع<sup>(١)</sup>، وذلك بتوفير التسهيلات التجريبية الممكنة، وتطوير الأدوات، ومن ثم مناقش مقلوبات التجريب في بحوث علم الاجتماع بشيء من التفصيل .

#### ١ - عزل العوامل وتلخيصها

تتهدف التجربة في علم الاجتماع تحليل التداخل بين المتغيرات المختلفة التي ترتبط الظواهر والعوامل الاجتماعية ، لايفصح هذا التداخل والعوامل المرتبطة به، والتي تؤخذ كمتغيرات مواء كانت متغيرات مستقلة

Independent Variables      او متغيرات تابعة      Dependent variables

او متغيرات وسيطة تتأثر بمتغيرات مستقلة وتؤثر على متغيرات تابعة. ونظرا لان هذا التفريد للعوامل والمتغيرات يلازم فعندا على منطق العلاقات السببية في حين ان التحليل السبولوجي في علم الاجتماع يؤكد على اهمية التحليل الوظيفي الذي لايقبل فكرة العلاقة من اتجاه واحد مثال ذلك :

١ - كمتغير مستقل

ب - كمتغير وسيط

ج - كمتغير معتمد - بحيث تداخل في المعادلة التالية :

أ تؤثر على ب ، ب تؤثر على ج ، في حين ان العلاقة الوظيفية تقوم على منطق التأثير المتبادل بين المتغيرات بحيث تكون أ ، ب ، ج في هذه الحالة ذات تأثير متبادل بين بعضها، ولذا تعتبر تجارب اختبار تداخل المتغيرات قضية حيوية وهامة في علم الاجتماع<sup>(٢)</sup> .

ومن ثم علينا ان نفرد المتغيرات ونرتبها في نظام تحليلي يعتمد على تداخل هذه المتغيرات مع بعضها، وعزل تأثيرات متغيرات معينة<sup>(٣)</sup> .

(1) Gopal, op.cit., p. 194

(2) Forcase, Dennis p. & Richer, Stephen, Social Research Methods, New Jersey, Prentice Hall, Inc., 1973. p. 217.

(3) Gopal, Ibid., p. 196.

# Single-Factor Experiment

بحيث يكون متغيراً تجربة العامل المفرد

وهذا يتناول المتغيرات المستقلة في علاقتها بالمتغيرات الوسيطة والمتغيرات المعتمدة (المتابعة).

بمعنى ان ندرس تأثير ( أ ) على كل من ( ب + ج )

- ثم توجد طريقة العاملين Two way Factorial والمبنية اساساً على فكرة

التجربة ذات العاملين المفردين Two Single Factor Experiment

وهي تختبر علاقة كل من أ ب ب بالمتغير ج .

- وثالث بعد ذلك تجربة العوامل الثلاثة Three Factorials Experiment

وهي تقيس درجة تشبع العوامل الثلاثة ببعضها .

واذا كانت تجربة العامل المستقل المفرد تستخدم في العلوم الطبيعية الا انها تستخدم ايضاً في العلوم الاجتماعية. وحتى وقتنا هذا تشغل اهتمام الباحثين ويسيطر منطقها على معظم البحوث التجريبية في علم الاجتماع .

اما الطريقة الثانية فهي ذات استخدام محدود في العلوم الاجتماعية، وذلك رغم التقدم الملحوظ الذي احرزته في علم النفس وبعض البحوث المحدودة التي اجريت في علم الاجتماع. في حين ان التجارب الاخيرة، والتي تقيس درجة تشبع العوامل ببعضها، تعد انسب التجارب للتفصيل السببولوجي الذي يؤكد على الفهم الوظيفي للتفاعل بين المتغيرات، وذلك لانها تقيس درجة تشبع العوامل ببعضها، سواء على مستوى العوامل المستقلة، او العوامل التابعة، او العوامل الوسيطة . وكذلك تقيس درجة تشبع المتغيرات الثلاثة ببعضها، وذلك بالاستناد الى نظام اساسي لتحليل التفاعل بين المتغيرات المختلفة وهو اعلى نظام التفاعل بين المتغيرات<sup>(1)</sup>.

(1) Kappel Geoffrey, Design and Analysis, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1973. p. 254.



كما انه اصبح الان محور اهتمام الباحثين لتحليل العلاقات بين العوامل المختلفة ،  
بالاستناد لنظام المعطوفات الارتباطية ، واستخدام تكتيك التحليل العاملي ،  
لغريسة العوامل ، وقياس درجة تشبعها ببعضها .

#### ب - اعادة تطبيق التجربة في علم الاجتماع :

\* يتم اعادة تطبيق التجربة في علم الاجتماع لتحقيق فرضين اساسيين :  
يتمثل اولهما في التجارب التلويحية التي تجرى في فترات معينة من مراحل  
تطبيق الخطة بهدف التعرف على مدى الاستجابة لدى الجماهير لتلك المشروعات ،  
ومدى ما خلقتة التجربة من نجاح بالنسبة لمستهدفاتها ، ولديهااد تطبيق  
التجربة بهدف القياس لفرض معين يتعلق مثلاً بآثر العمر والمستوى الدراسي ،  
على قدرة الطلبة على التحصيل الدراسي ، او ان يكون الهدف منها التعرف  
على اثر مشاهدة مجموعة من الشباب لفيلم معين ، يعرض أسلوب التفرد العنصرية ،  
لمعرفة اثره على اتجاهاتهم نحو سياسة التفرد العنصرية . وبذلك يقاس  
اتجاههم قبل عرض الفيلم على مجموعة من الشباب . ثم تقاس اتجاهاتهم مرة  
ثانية بعد عرض الفيلم عليهم .

ويمكن ان تستخدم في اعادة التجربة مجموعة واحدة هي المجموعة التجريبية  
فقط ، على نحو ما هو في مثال قياس اتجاهات الشباب نحو سياسة التفرد العنصرية .  
وقد تشمل التجربة مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة / كأن تقيس اتجاه  
مجموعتين متكافئتين في مختلف الظروف نحو سياسة التفرد العنصرية ثم تعيد  
تطبيق التجربة مرة ثانية ، فنقيس اتجاهاتهما بعد أن نعرض الفيلم الخاص  
بالتفرد العنصرية على مجموعة منها . وذلك لعاد المقاراة بين اتجاهات  
مجموعتين ، وقد تستخدم ثلاثة مجموعات تجريبية ، ومجموعتين ضابنتين  
بحيث تغاراف المجموعة الضابطة الثانية في مرحلة اعادة التطبيق دون أن

تجرى عليها عمليات القياس القبلية اتجاهاتها . بحيث يعرف عليها الفيلم الذي يتناول السياسة العنصرية مع المجموعة التجريبية . ثم يقاس اتجاهه المعلومات الثلاثة نحو سياسة التفرقة العنصرية .

وبوجه عام فإن إعادة التجريب الاجتماعي يتحقق على مستوى الدراسات المتتبعية في علم الاجتماع بشكل واضح بوله أهدافه العلمية التي تخدم عملية قياس واختبار صحة الفروض العلمية<sup>(١)</sup> .

#### ج - القياس الكمي

يعتبر القياس الكمي من أهم أساليب التجربة لعلم الاجتماع لأنه يميز المفاهيم التصورية التجريبية ويظهر عنها بالعلاقات القائمة بين المتغيرات بمعنى أنه يساعد على تسجيل وإفراج القيم العددية للظاهرة الملحقة . وهذا التسجيل هو ما يعرفه بالتكميم Quantification ، وذلك لأن الإجراء الذي يتبع في معالجة الظاهرة التجريبية يعالج بواسطة الرموز العددية، وتلك الرموز العددية تنجز طبقاً لبعض القواعد التي توقع والتي يمكن من التحليل الكمي، أو ما يشار إليه بالقياس Measurement . والقياس هنا يتمثل في تعيين القيم التي تبرز بواسطة بعض المتغيرات ، ومرتبة هذه القيم بواسطة رموز عددية . وهذا التعميم يتم طبقاً لقواعد موضوعية .

وقد عرف البعض القياس بأنه رسم القيم ووصفها في أعداد<sup>(٢)</sup>، بحيث تصبح هذه القيم قابلة للمعالجة الإحصائية - مثال ذلك - عندما يكون لدينا مفهوم تجريبي مثل عدم المطابقة Non conformity والتي تعبر عنها بأنها عدم الاهتمام والاكتراث بالتقاليد الراسخة . وعند دراسة هذا التجريد علينا أن نتعرف على تفسير القيم العددية التي تعكس شدة هذا الوضع ولذلك نميز (١) عدم المطابقة العالية (٢) وعدم المطابقة البسيطة ، (٣) والمطابقة البسيطة (٤) والمطابقة العالية .

(١) راجع في ذلك الفصل الخاص بالبحوث المتتبعية من هذا الكتاب

(2) Forcass & Dennis, op.cit. p. 54.

ولدراسة عدم المجاراة علينا ان نعالج المفهوم اجرائيا بمعنى ان نربطه  
بالملاحظة الملاحظة . وذلك بوضع مؤشرات اجرائية Operational Indicators  
لمفهوم عدم الاهتمام بالتقليد الراشع بالنسبة للملايين .

يمكن ان نحدد مؤشرات عدم الاكتراث والاهتمام والمجاراة على النحو التالي:

- ١ - عدم المجاراة العالية يشار اليها بعدم لبس حذاء في القدم .
  - ٢ - عدم المجاراة البسيطة يشار اليها بالحذاء بدون رباط .
  - ٣ - المجاراة البسيطة بالحذاء غير النظيف .
  - ٤ - والمجاراة العالية بالحذاء اللامع النظيف .
- والقيم العددية هنا ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ قد تؤخذ لعرض ترتيب شدة عدم المجاراة  
موفقا بواسطة الفئات الاربعة .

على ان نتحقق درجة معينة من المدق والشبث للقياس . وقد اتفقت وجهات  
النظر على وجود مستويات اوسع للقياس يمكن تمثيلها في :

(اولا) : القياس الاسمي Nominal Measurement

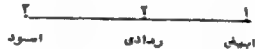
وهو ذلك المستوى الذي يقيسه معظم العلماء حيث يتحقق القياس عندما  
تقوم بعملية العد التي تمثل رصيد المعلومات او الظواهر التي تبدو متماثلة  
بشكل ما (١) .

(ثانيا) القياس الترتيبي Ordinal Measurement

وهنا يتم ترتيب القيم في درجات على متعل بذلك عندما نتناول مثلا  
الكثافة في اللون بتحديد درجات الدواد التي تتراوح من الاسود خلال عدة  
درجات حتى يهل الى الابيض ذاته . وهذه الدرجات التي اقترحناها على المتصل  
continuum يمكن تمثيلها بصورة ملائمة باستخدام بعض الرموز العددية .

(1) Forcese & Dennis, op.cit., p. 56.

وفي الحدود التي توشى بمستوى من السواد اكثر او اقل بوهنا نكون قد خلقنا مقياساً ترتيبياً . وبذلك يوجد المقياس الترتيبى عندما يكون لدينا تسلسلاً للدرجات ، بحيث تسبق قيمة او درجة غيرها على نحو ما يوضحه المتعل الاتى :



وبهذا المتعل نحقق المقياس الترتيبى الذى يمكن الاستعانة به فى معالجة الظواهر موضوع البحث <sup>(١)</sup> .

#### Interval Measurement      المقياس الفاصلى

ويتحقق ذلك بتحديد درجة او كمية التنوع بالنسبة لبعض الابعاد التى نقوم بقياسها بحيث تكون الفئات فى حجم متساو وهذا يصبح عندنا مقياساً فاصلياً . وقد نستخدم هذا المقياس فى العلوم الاجتماعية ، وخاصة عندما ندرك من آن لآخر وجود بيانات فاصلية مثال ذلك الدرجات التى تحققت من اختبار الذكاء ، وهى مستوى فاصلى بين درجة تبلغ ١٠٠ ودرجة تبلغ ١٢٠ وهى مساوية للمسافة بين درجة تبلغ ٨٠ ودرجة تبلغ ١٠٠ .

وقد كان لثورستون دور فى تطوير المقاييس الفاصلية التى تظهر على مصادات متساوية <sup>(١)</sup> . وذلك ما توضحه بعض اعماله العلمية التى استهدفت بها قياس الاتجاه نحو التعليم الجا

حيث يطلب من المستجوب ان يوقع درجة التاكيد او عدم التاكيد تجاه التعليم الدامى بالعبارات المختلفة ، ويمكن ان يختلف التاكيد وعدم التاكيد خلال العوامل المتعدية . والواقع ان المقياس الفاصلى يلى بغاوص المقياس الترتيبى <sup>(٢)</sup> .

#### Ratio Measurement      المقياس النسبى

وهذا المقياس يشير الى امكان تعاملنا بالنسب ، وتعتبر نقطة الصفر الطابع المميز للمقياس النسبى ، وهى تمكنتنا من القول على عكس الحال فى المقياس

(1) Thurstone, L. The Measurement of Values, Chicago, University of Chicago Press, 1959.

(2) Forcese, op.cit., p. 69.

الداخل بان القيمة اربعة تمثل فعل اثنين على سبيل المثال .  
كما انه في حالة المقارن التجريبي المتماثل في الشكل يمكننا مقابلة الرقم .  
وفي مجال العلوم الاجتماعية نجد اننا اكثر عرضة للتعامل مع معطيات  
نسبية اكثر من تعاملنا مع معطيات او حقائق داخلية ، لقياس التعليم الرسمي  
او قياس الدخل يعتبر مستوى نسبي ، وعندما تكون الجماعة وليس الفرد وحدة  
الدراسة كما هو متبع اليوم في علم الاجتماع لان المقاييس النسبية تكون اكثر  
شيوعا .. والواقع ان حالة المقارن التجريبي المتماثل في الشكل يمكننا من  
مقابلة الرقم وتمكننا من ان نتعامل بالنسب بدلا من التعامل بالارقام .

والواقع ان كل من مستويات القياس الاربعة تستخدم في العلوم الاجتماعية ،  
وهي تمثل بمعنى واقعي مراحل من الدقة . ويبدو ان جميع العلوم قد بدأت  
بالتركيز على المستوى الاسمي للقياس . وبصورة عامة كلما ازدادنا اقترابا من  
القياس النسبي ازدادت مقاييسنا دقة ، وايضا ازدادت وتنوعت العمليات  
الرياضية التي يمكن ان نستخدمها بناء على معطيات القياس . وبذلك يساعد  
القياس على استخدام العمليات الرياضية والاحصائية ذات الدقة والداخلية لسي  
التحليل ، والتي تجعل المعلومات اكثر ملاءمة بما يسمح بتحقيق مزيد من الدقة  
في التعبير عن العلاقات بين الظواهر بموضوع البحث ، وازداد ابعادها . ولاشك  
ان لكل مستوى من مستويات القياس تلك العمليات التحليلية الرياضية تتلاءم مع كسب  
منها (١) وتفيد في التحليل السيلولوجي للظواهر والموائل الاجتماعية .

رابعاً : التجليات النظرية والعملية للاجراء التجريبي في علم الاجتماع :

وغم داخلية البحوث التجريبية واهميتها في علم الاجتماع بالنسبة لاختبار  
الفروض وتحقيق التحليل التفسيري للمشاكل القائمة ، ودعم عملية التنبؤ

(1) Forcese, op.cit., PP.73-74.

حول مستقبل الفواهر بالاستناد الى دراسة وفهمها الراهن، ورصد ابعاد الماضي بالاستناد الى دراسة الحاضر وتأثيراته<sup>(١)</sup> رغم هذه الغايلية، ونتيجة للاهتمام الراهن باحراء التجارب الاجتماعية في مجال علم الاجتماع نعرف لبعض التحفظات العملية والنظرية المحددة في مجال التجريب الاجتماعي، وذلك بوصفها امام الباحث ليكون على دراية بها وهو يحدد اجراء تجاربه لكي تحقق التجربة مستهدفاتها سواء على مستوى اختبار الفروض او التنبؤ بالمستقبل، ودراسة المشاكل الراهنة، او رصد ابعاد الحاضر وتحليله بالاستناد لدراسة الوهم الراهن .

وبالنسبة للتحفظات العملية على التحريب الاجتماعي فانها تنحصر فيس جوانب اساسية تتمثل في مشكلة تنظيم البحث الحقلى . وذلك لان التجربة تداول قياس العامل الاجتماعي، وهذا تبرز اولى المعوقات المنهجية امام الباحث حيث ان قياس العامل المفرد في حد ذاته، وذلك لان التحليل السبيل السبيلوى يؤكد على ضرورة دراسة اى مشكلة اجتماعية او اى نوع اجتماعي بشناول مجموعة العوامل التى تعمل وراء تلك المشاكل ككل وذلك يتسق مع التسور السبيلوى للنق والفواهر الاجتماعية باعتبارها مؤلفة من مجموعة من العوامل المتبادلة التأثير، والمتداخلة مع بعضها في التأثير على الفواهر او النق الاجتماعي . الخ الى ذلك ان هذا يحتاج الى مخطرة وبسط محكم للتجربة، وعندما لا يوجد ذلك بالقدر الكافى فان نجاح البحث قد لا يتحقق بالصورة المفمية .

وهنا يقترح جوبال تحقيق العشوائية في التجربة كمعاد لمعاد فيس التغلب على عوامل التدخل وخاصة في اختيار مجموعات البحث، الا انه يسرى احتمال فقدان هذه العشوائية وخاصة اذا كان البحث يتم على المدى البعيد ومع ذلك فان تحقيق التجانس بين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، واحكام هذا التجانس سوف يساعد على تقليل اخطاء التجربة في مجال علم الاجتماع .

(1) Gobal, op.cit., PP. 201-203.

ومن التحفظات التي يمكن ان نطرحها في ظروف التجريب من الناحية العملية كذلك هو تأثير منحن الاختيار، والذي تم على اساس الاستجابة وما يؤدي اليه من المساد وإبطال لمنصر العشوائية، الا ان حل تلك المشكلة يكمن في تنبؤ تنبؤك المجموعة الغالبة (١) بحيث تكون مماثلة للمجموعة التجريبية من حيث نسبتها ، على ان يتم اختيار المجموعة الغالبة عشوائيا من نفس الفئات التي اختبرت منها المجموعة التجريبية ، وان تتم عملية المقارنة بين المجموعتين ( الغالبة والتجريبية ) على اساس العوامل المعروفة ، وذلك لتقليل الاختلافات بحيث يتحقق منحن المماثلة التامة والتجانس بين المجموعتين اما من التحفظات النظرية/بالنسبة للتطبيق التجريبي في علم الاجتماع، فيتمسح انه عند تطبيق الاجراء التجريبي في البحث الاحتمالي يمكن ان تثار بعض التحفظات النظرية المحدودة ، وهذه التحفظات ترتبط بدلالة واهمية الاختلافات القائمة بين المجموعات التجريبية والغالبة . فها هي دلالة الاختلاف ؟ وذلك يشير الى ان ثمة احكام قيمية تخضعها اعداد ومقاييس التصور . في حالة ما يكون المحك المساند مرتبط بوجهة النظر، او الرأي العام . في حين ان المحك الاكثر علمية يرتبط بالاختيارات الاحصائية للدلالة . وذلك يعتمد الى حد كبير على اختلافات بطاريات القياس بين المجموعتين ( الغالبة والتجريبية ) والاطار المرجعي المحتمل . ومثالنا لذلك يتمثل في تطبيق نظرية المعايير حيث ان ذلك يحتاج لاستخدام مقياس البعد الاجتماعي السدي يتولر فيه الثبات والصدق (٢) .

الثبات عن طريق توفر الاتفاق في حالة اعادة تطبيق المقاييس والمصدق عند اختيار البنود بحيث تكون متشقة ومنسجمة مع طبيعة الموضوع المراد قياسه ، وبحيث تكون مؤشرا ته التجريبية الحقيقية مرتبطة بتلك البنود التي تم اختيارها .

(1) Gopal, op.cit., P. 199.

(2) Gopal, Ibid., P. 200.

أما من الناحية النظرية الثانية فإنه يتعلق بإعادة تطبيق التجربة في مجال البحث الاجتماعي، وذلك راجع إلى أن نطاق إعادة التجربة محدود، ونداء ما يتم في البحوث الاجتماعية، وذلك راجع في أساسه إلى أن التصميم التجريبي حديد المهد في مجال البحث الاجتماعي، وأن المعادلات الفلسفية حول السبب والتأثير، وحصول دور التجربة وفاعليتها ما تزال داخرة، كما أن تخطيط البحوث وتحديد اللوب والمجال الزمني المناسب للتجربة، وبغيرها من مقتضيات أساسية لإنجاز التجريب في مجال البحوث الاجتماعية، والاستفادة منها، ما تزال في حاجة لبلورة الإتجاهات المختلفة في إجراءات عملية، يتفق عليها لتتأخر استخدام الإجراءات التجريبية في مجال البحث الاجتماعي، بما يتفق وإسهامات التجربة بالنسبة لاختبار الفروض، وعملية التحليل التفسيري، والتنبؤ في علم الاجتماع :



### الفصل الخامس عشر البحوث التاريخية ومناهجها في علم الاجتماع

إن الحديث عن الدراسات التاريخية اليوم من أهم ما يشغل علماء الاجتماع بعلة عامة، وعلماء المناهج بعلة خاصة. وذلك بعينه ما دفع " بيجون مكني" في دراسته للإجرائات المنهجية والتقنيات في علم الاجتماع، لكي يقرر وهو بعند تحليل الإجرائات التاريخية "أن علم الاجتماع الأمريكي يعتبر تاريخياً بصورة عامة من حيث مدخله لدراسة المجتمع"<sup>(١)</sup> وذلك لأنه يحصر اهتمامه في دائرية الأحداث المعاصرة.

ومع ذلك فإن كل من البحث السيولوجي والبحث التاريخي مختلفان من حيث كونهما نظامين . وهذا الاختلاف يكمن بصورة أساسية في إجرائاتهما للاجابة المرتبطة بأغراض البحث . فمع أن بيانات التاريخ وعلم الاجتماع واحدة، إلا أن الاختلاف المنطقي يكمن بين النظامين فيما يتعلق بعمل كل منهما، مع تلك البيانات، وكيفية تناوله لها . وذلك لأن واجب عالم الاجتماع هو التعميم وواجب عالم التاريخ التفريد Individualize وكلاهما ذات مشروعية علمية واضحة. كما أنهما متكاملان أكثر من كونهما متعارضان، وذلك لأن رؤية الحوادث مفردة يخدم في إمكانية تمثيلها في فئات معينة، من خلال العلاقات التجريدية التي تربط فيما بينها .

وإذا كان المنظور التاريخي يرتبط بالخطوة الأولى وهي تفريد البيانات فإن المنظور السيولوجي يرتبط بالخطوة الثانية المتمثلة في رؤية سلسلة العلاقات التي تربط البيانات والمعطيات التاريخية، وتمكننا من متابعة العلاقات العامة التجريدية، التي تمتد البيانات التاريخية في فئتها لفئات معينة<sup>(٢)</sup> .

(1) Becker, Howard, Modern Sociological Theory, London: Holt Rinehart and Winston, 1966. p. 228.

(2) Becker, Ibid., p. 229.

وبذلك ذهب البعض الى أن مهمة علم التاريخ تنحصر في القيام بجهد معتاد للعمل التاريخي، وذلك بعدالة استرجاع الاحداث لمعرفة ما جرت عليه احداث التاريخ في حركى الزمان ، وذلك يؤكد لنا عكس ما ذهب اليه بعض الاجتماعيين الذين يميلون لسلب الظواهر الاجتماعية صفة الزمانية يوقع للمهتمين بظهم الظواهر الاجتماعية مدى الرابطة القاسمة بين تلك الظواهر وهى سرور المجتمع المادية، والتي أثرت في نشأة تلك الظواهر ونموها<sup>(١)</sup>، فظواهر الحاضر وليده الماضى ومرتبطة به، ومن ثم تعتمد قدرتنا التنبؤ بالمستقبل على مدى فهمنا لظواهر المجتمعات المعاصرة، والتي تولدت عن هزولها الماضية .

ومن ثم تلعب البحوث الاجتماعية التاريخية التى تستخدم الاجراء التاريخى وتكنولوجياه في عملية البحث والدراسة ، تلعب في الوصول الى المبادئ والقوانين العامة وتحديد القوى الاجتماعية التى شكلت الحاضر وحددت مسار هوائره ومن ثم فعبت بولين يونج " P. Young " في مؤلفها بعنوان (المسح الاجتماعى والبحث العلمى ١٩٤٧) الى أن تعاقب التطور التاريخى في البحث الاجتماعى يستهدف اعادة بناء العمليات الاجتماعية ، وربط الماضى بالحاضر ، وتحديد طبيعة القوى الاجتماعية التى ساهمت في صياغة الحاضر ، وذلك لاماكان تحديد المبادئ والقوانين العامة المرتبطة بالنظم الاجتماعية والجماعات والسلوك الاشخاص<sup>(٢)</sup> .

ومن ثم كان اهتمام علماء الاجتماع بفهم ديناميكيات الثقافة على نحو ما فعل بيترىم سرونك<sup>(٣)</sup> وشابن<sup>(٤)</sup> في دراسة التغير الثقافى "و السورود " ففى مؤلفه التطور الثقافى<sup>(٥)</sup> هذا بالإضافة للعديد من الدراسات الحديثة التى اعتمدت بالبحوث التاريخية في تناولها للسلوك ، وطبيعة النظم ، والجماعات البشرية في المجتمعات المعاصرة، والتي ربطت في فهمها لهذه الجوانب بين هـى سرور المجتمعات الماضية وهوائره تلك المجتمعات المعاصرة، واعتمدت عليها في تحديد المبادئ والقوانين العامة، التى تحكم السلوك

(١) دكتور عبدالباقى حسن ، أصول البحث الاجتماعى ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٧٠م ٨٥

(2) Young, P., Scientific Social Survey and Research, New York. 1947.

(3) Charles A. Allwood, Cultural Evolution, 1927.

البشرى والجماعات والنظم الاجتماعية في تلك المجتمعات .

وفى ضوء ذلك نسير فى معالجتنا للبحوث التاريخية وإجراءاتها المنهجية  
فى الممالك التالية :

- أولا : الاهتمامات الكلاسيكية بالبحوث التاريخية
  - ثانيا : البحوث التاريخية ومعطياتها عند علماء الاجتماع
  - ثالثا : حواش المطالعة والالتقاء بين التاريخ وعلم الاجتماع .
  - رابعا : الإجراءات المنهجية للبحوث التاريخية فى علم الاجتماع .
- ولذلك ما نتناوله بالتفصيل فيما يلى :

أولا : الاهتمامات الكلاسيكية بالبحوث التاريخية :

ان الدراسات التاريخية للظواهر الاجتماعية والتي سجلت ابن خلدون كانت  
منسبة لقط على مجرد الوصف ، وهذا الوصف كان يتم فى اطار المنظور التاريخى  
الحالى . والذى كان اصحابه يقتصرون فى دراستهم للظواهر الاجتماعية على مجرد  
وصف الظاهرة وتحديد المصورة التي كانت عليها عبر الدافى وماهى عليه الان فسى  
الحاضر ، ولم يماح هذا العهد الوطنى التاريخى اى محاولة من قبل انصار هذا  
الاتجاه لاستخلاص اى شىء من هذا الوصف يرتبط بطبيعة تلك الظواهر والمبادئ  
و القوانين التي تحكمها وتحدد مسارها .

وقد كان هذا هو مدخل جميع المؤرخين قبل ابن خلدون بالنسبة لمعالجاتهم  
لبعض الظواهر والنظم، مثل نظم القلاء والاقتصاد والاسرة والتربية واللغة وغيرها  
من الظواهر الاجتماعية . حيث نجدهم وهم يحدد دراسة تاريخ شعب ما من الشعوب  
يعتفون الظواهر الاجتماعية التي وجدت لدى هذه الشعوب .

ولقد سلك مسلك هذه الفئة من المؤرخين وسار على نهجهم فئة أخرى ممن تناولوا تاريخ الظواهر الاجتماعية وهي مستقلة عن حوادث التاريخ العام ومن ثم اتخذوا من مجموعة معينة من الظواهر في جميع الأمم ، مثل الظواهر السياسية أو الثقافية ، والاقتصاد ، والتربية و الدين ( وعملوها موضوعا لدراساتهم التي انحصرت في محدد وصف هذه الظواهر واهتمام ما كانت عليه وماهى عليه <sup>(١)</sup> يعتبر ابن حزم ودراسته للملل والنمل مثال على مسلك هذه الفئة بالإضافة لعدد من الفقهاء الذين درسوا الشرائع في تاريخ التشريع والقضاء والذين اهتموا بمحدد وصف الظواهر في دراساتهم التاريخية تلك .

#### ١ - الدراسة التاريخية للظواهر الاجتماعية عند ابن خلدون :

ولما كان ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦ م) مندمجا في الأحداث التي عاشتها الامبراطورية الإسلامية في عصره ومعايشا لظهور واختفاء دويلات معينة ، فقد اهتم بلهم الظواهر المرتبطة بعملية ظهور وسقوط الهيئات السياسية . ومن ثم نحده يتناول تلك الظواهر الاجتماعية وعبرها من ظواهر بمنظور تاريخي مختلف عما كان متبعاً من قبل في الدراسات التاريخية ، التي تناولت تلك الظواهر بالوصف لحسب وذلك لانه كان يعرف التاريخ سيولوجيا بقوله " ان الموضوع الخليلي للتاريخ . انه ييسر لنا ادراك الحالة الاجتماعية للانسان اى الحضارة ، وانه يحدثنا عن الظواهر التي ترتبط بها اى بالحالة الاجتماعية لانسان - اى الحضارة / بطبيعة الحال مثل الحياة البدائية وتهديب الماديات وروح الاسرة والقبلية .. " ومن ثم اعتبره جاستون بوتول صاحب مدخل تاريخي معين يختلف عن سابقه ويؤثر على علم الاجتماع الحديث في دراسة الظواهر الاجتماعية <sup>(٢)</sup> .

(١) دكتور على عبدالواحد والى ، ابن خلدون اول مؤسس لعلم الاجتماع ، اعمال ابن خلدون القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٦٤ ، ص ٦٤ .  
(٢) بوتول ، جاستون ، تاريخ علم الاجتماع ( ترجمة ) الاسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ، ص ١٩ .

وذلك لان ابن خلدون كان مقتنعا بأن الظواهر الاجتماعية لا تخضع للمعادلات ولا تتغير مع الاهواء ولا حسب رغبة الأشخاص . وإنما تخضع في نشأتها ونموها وكافة حواشيها للقوانين ثابتة ومطردة . ومن ثم جاء اهتمام ابن خلدون بدراسة الظواهر لا لمجرد وصفها ولا لمجرد بيان ما ينبغي ان تكون عليه ، كما كان سائفا من قبله بين المفكرين / وإنما نشأوا لها مع ربطها بالسياق التاريخي وتحليلها بالصورة التي تساعد على كشف طبيعتها وما تقوم عليه من اسس وهيكس ساعدت على نشأتها وتطورها . والقوانين التي تخضع لها وتتحكم في مسارها (١) .

وهو في ذلك يؤكد ان الظواهر الاجتماعية شأنها شأن ظواهر الكون الاخرى تخضع لقوانين تتحكم فيها وتوجه مسارها . ولهذا اكد على ضرورة دراسة دراسة دقيقة للوقوف على طبيعتها والقوانين التي تحكمها . ومن ثم تناول الظواهر الاجتماعية بالتحليل والتفسير في ضوء سياقها الاجتماعي والثقافي المميز لتاريخ المجتمعات . دون ان يكون متأثرا بأراء مسبقة عنها ودون ان يكون ملتزما بخط فكري واحد (٢) . وإنما الذي التزم به في دراسته التاريخية للظواهر الاجتماعية هو ربطها بالسياق الاجتماعي والثقافي للمجتمعات البشرية ، واعتقاده بان تلك الظواهر الاجتماعية متغيرة ولا تثبت على حال واحد ، ولكنها تختلف باختلاف المجتمعات ونماذجها وباختلاف الممرور التاريخي للمجتمع الواحد ايها (٣) .

(١) دكتور على عبدالواحد والي ، المرحح السابق ص ٦٨

(٢) دكتور حسن السامرائي ، علم الاجتماع الخلدوني ، ا قواعد المنهج ، القاهرة ،

دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٦ .

## ١ - تحقيق الصدق في الدراسات التاريخية عند ابن خلدون

كان ابن خلدون حريصاً على تخليص الدراسات التاريخية من الاخبار الكاذبة وتوفير جانب الصدق في البحوث التاريخية بحيث تقتصر جهود الباحثين على ما يحتمل الصدق وما يمكن وقوعه من حوادث في المجتمع البشري .

ويرجع اهتمام ابن خلدون بحاصل الحق في البحوث التاريخية لاستلزامه بان الباحثين والمؤرخين يجهلون القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية . الامر الذي اوقع بهم في العديد من الاخطاء في البحوث التاريخية . وما ذلك الا لان الظواهر الاجتماعية لم تكن قد نالت من البحث والدراسة ما ساعد على اكتشاف قوانينها ومن ثم تلمس ابن خلدون لهم العذر فيما ارتكبوا فيه من اخطاء وتعميدات لاتستند لحقائق طبيعية . ويرجع ذلك في اساسه لعدم دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وفعية تكشف عن طبيعتها ومن القوانين التي تحكم تلك الظواهر .

ولهذا حدد ابن خلدون شروطاً اساسية لتخليص البحث التاريخي من الاخطاء وتوفير درجة الصدق في تعميماته . وذلك بملاحظة الظواهر الاجتماعية ملاحظة مباشرة ، وتلقيها في فترات تاريخية مختلفة للمجتمع الواحد مع القياس باجزاء منهجية معينة لتفيد في تأكيد درجة الصدق . وذلك ما تضمنته عبارته المحددة ، والتي يهدف بها الاشارة لاجراءات وشروط توفير الصدق في البحوث التاريخية بقوله " فاذا لم يقس الذاهب من الاخبار بالشاهد منها ، والدافس بالذاهب ، فربما لا يؤمن فيها من العصور ومزلة القدم ، والحيد من حصاد الصدق<sup>(١)</sup> .

ويرجع ابن خلدون عدم توفر المدة في البحوث التاريخية كما يقول الى ان تلك

---

(١) عبد الرحمن ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون ، تهذيب وشرح وتعليق دكتور على عبدالواحد وافي ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٧ .

الدراسات والبحوث احرثت حول الظواهر الاجتماعية لافرائي غير موضوعية ، استهدفت فقط وصفها اوبيان ما ينبغي ان تكون عليه ، او بيان الودائيل المؤدية لاملاحها - او الى تشبيتها في النفوس وما الى ذلك من المسراف عملية .

كما ان عدم اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية لم يولس للباحثين التوجيه السليم/ الذي يعصم الباحثين من الوقوم في الخطأ وقبول اغبار لاتتلاءم مع القوانين التي تخلف لها الظواهر الاجتماعية . ومن ثم اكد على ضرورة الكشف عن هذه القوانين لكي تكون معكاً لمراجعة الانبساط. وذلك لايمكن ان يقوم في نظراين خلدون الا بالدراسة الوصفية التي تستهدف ايفاح طبيعة الظواهر، وتحديد العلاقات القائمة بينها، والتي تربطها ببعضها وصغيرها من ظواهر، وتحديد مايشترتب على تلكالعلاقات من نتائج تؤثر على نشاتها، ونموها، وشباتها، وتباينها في المجتمعات والفترات التاريخية .

وقد ادى ايمان ابن خلدون بنفوع الظواهر الاجتماعية لقوانين معينة تتحكم في سير المجتمع البشري وظواهره التي لاتسير اعتباطا، وانما تسير حسب سنن وطبائع معينة ومحددة لا تعيد عنها<sup>(١١)</sup>، الى احتشاده لوضع قانونا عاما لتطور المجتمع البشري، وظواهره . الذي تمثل في تطور المجتمع البشري من حالة البداوة ، لحالة الملك ، لحالة الحضارة ، واخيرا حالة الفناء والهرم والخراب ، وقد حاول ان يفسر في قوة تلك المراحل التي يمر به المجتمع البشري في تطوره، فهو يربط بعض الظواهر الاجتماعية الاخرى مثل التورل، والحب وما الى ذلك من ظواهر<sup>(١٢)</sup> .

(١١) دكتور عبدالعزيز عزت/تطور المجتمع البشري عند ابن خلدون ، اعمال ابن خلدون المركز القومي للبحوث الاجتماعية والعنافية ، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٤١ .

(١٢) دكتور عبدالعزيز عزت ، نفس المرحع السابق ، ص ٥٥ .

وقد قام بدراسة عدد من الظواهر الاجتماعية، مثل: الظواهر الاقتصادية، والظواهر التربوية، والظواهر الثقافية، والظواهر الخلقية والجدالية والدينية واللغوية، كما أنه عالج تلك الظواهر من جوانبها الاستاتيكية والدينامية، أي أنه درسها في حالات الثبات والاستقرار والتطور والتغير<sup>(١)</sup>. وبذلك حقق خطوة منهجية أساسية في دراسة الظواهر الاجتماعية، هي التكامل بين المدخلين لرويتها، أي رؤية الظاهرة وهي في حالة الاستقرار وفي حالة الحركة الأمر الذي مكنته من الوقوف على حقائق علمية كثيرة تتعلق بدراسة الظاهرة الاجتماعية.

وما ذلك الجهد الذي قام به ابن خلدون في دراسته التاريخية للظواهر الاجتماعية، إلا محاولة منه لتغليب البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة، وتقديم المصايير والمعسكرات التي تساند الباحثين في الدراسات التاريخية من تطبيق المصنف في تلك الدراسات.

---

(١) دكتور على عبدالواحد وآفه. ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع أعمال ابن خلدون، المصنف السابق، ص ٥٠٦.



٤ - شروط تحقيق الصدق في البحوث التاريخية عند ابن خلدون :-  
أكد العلامة ابن خلدون على أهمية ملاحظة الظواهر الاجتماعية سواء كانت سياسية أو اقتصادية ، أو مورفولوجية (تتعلق بالبنية الاجتماعية) ، أو شربوية ، وغيرها من الظواهر الاجتماعية ، أكد على ملاحظتها مباشرة مباشرة . وتعقب كل منها في سياق المجتمع الواحد في مختلف المستويات التاريخية التي يمر بها المجتمع ، وتحليل علاقاتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى في المجتمع ، وبأحواله المختلفة ، مع ضرورة تحرر المدقق في الروايات التاريخية وتحقيق القياس أي قياس الأخبار على أصول المادة ، وطبيعة العمران ، بحيث يقاس الغائب من الأخبار بالشاهد منها ، والحاضر بالذاهب " وذلك لكي يؤمن فيها من التعمش ، والوقوع في الخطأ . وهو في ذلك يؤكد على ضرورة القيام ببعض الإجراءات المنهجية في الدراسات التاريخية للظواهر الاجتماعية . وتنحصر تلك الإجراءات التي أكد عليها ابن خلدون لتحقيق المدقق في الدراسات والبحوث التاريخية فيما يلي :  
(أولاً) : يتمثل الإجراء المنهجي الأول لتحقيق المدقق في الدراسة التاريخية عند ابن خلدون في تطبيق القاعدة المنهجية المتمثلة في تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران ، للتمييز بين الفكت واللغتين المالح والطالم المواب والخطأ المحتمل في الروايات والأخبار . وهذا يؤكد ابن خلدون ضرورة معرفة طبائع الأمم والبلاد ، في السير والأخلاق والعوائد ، والمذاهب والنحل ، وسائر الأحوال ، والأعلام بالحاضر ومقارنته بما بينه وبين الغائب من إتفاق أو اختلاف . وتقليل ما بينهما من أوجه انشقاق (١)

وقد حدد ابن خلدون طبائع العمران البشري البدارزه وبوجه خاص الحياة البدوية والحياة الحضرية والفروق بينهما وخصائص كل منهما . وهى الخصائص والسمات التى يحبان يلم بها الباحث فى الدراسات التاريخية .

وبالنسبة لتحكيم اصول المادة فى تحليل الظواهر الاجتماعية وتفسيرها ذهب ابن خلدون فى شرح المقصود بظاهرة المادة الاجتماعية للتأكيد على المبادئ نظرا لبريختها وتوارثها بين الاجيال ومن ثم أكد على ضرورة فهم العادة وتكوينها وإشارتها على الانسان وتنشئة الاجتماعية واكتساب الفرد خصائص وملكات تميزه عن غيره من الافراد وذلك ما قرره فى قانونه الخاص بالعادة (١) والذي يشير الى " ان الانسان ابن عواضده ومألوفه ، لاطبيعته ومزاجه " ومما لا شك الا لامر ابن خلدون بأثر العواضد الاجتماعية وتأثيرها على الناس وطوكهم فى الحياة الاجتماعية .

(ثانياً) :والاجراء المنهجى الثانى عند ابن خلدون لتحقيق المدق فى الدراسات والبحوث التاريخية - هو تأكيده على القياس - أى قياس الظواهر من الاخبار بالشاهد منها . وقد كان لابن خلدون خطته المنهجية المميزة لاجراءات القياس قائما على قواعد وانحى تمثلت احدى هذه القواعد القياسية فى التمثيل أى القياس بالظواهر على الشاهد . الظاهر الذى يشكل الوقائع التاريخية التى جرت فى الماضى - والقياس الاصولى أى قياس الشاهد على الخائب .

وبالنسبة لقياس الغائب على الشاهد فقد اشار اليه ابن خلدون باستخدام كلمة "العبر" حيث نجده يقول " اعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف، نجد زعمهم باطلا ونيلهم كاذبا" (١١) وعلى اساس هذا الاجراء القياسي يحدد اخطاء المؤرخين ودارس الظواهر الاجتماعية : وللخروج من هذا الخطأ يقرر عدد من المبادئ نعرضها في العرف على الامول اى القوانين الصحيحة . والقياس بالاشياء والنظائر ومنه قياس التمثيل اى قياس الغائب على الحاضر والسيرة بمعنى التامل ومعرفة كثرة الامور (١٢) .

وابن خلدون بتأكيدده على اجراء القياس بالشاهد انما يؤكد على قياس التمثيل للامول الى برهان قاطع وغير صحيح . وهو هنا يؤكد على ضرورة تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة واحوال الاحتماد الانساني دون الاعتماد على مجرد النقل ، وذلك لتعميق الاخبار وابعاد ما يظلم منها، والخطا على ما صدق منها .

وبالنسبة للنوع الثاني من القياس وهو القياس بالغائب حيث نقيس المشاهد والحاضر بالماضي الغائب، وهو ذلك النوم المعروف بالقياس الامولي . وهو يستخدم هذا النوم من القياس حيث نجده يستشهد بالماضي على الحاضر او بمعنى آخر، انه يقيس حاضر المجتمعات بماضيها (١٣) .

وبذلك نجد ابن خلدون يستخدم القياس التمثيلي او قياس الغائب بالمشاهد . وهو يمدد تحليل الروايات والاخبار المتناقضة، والمتعلقة باحوال البشر وفروهم الاجتماعية، في حين نجده يستخدم . القياس الامولي ، او قياس الشاهد بالغائب، عند البرهنة على صحة اي قانون تم استقراؤه من الظروف الاجتماعية في عصره .

---

١ - المقدمة، ص ١١

٢ - دكتور الساعاتي، المرجع السابق، ص ٢١٢

٣ - د. حسين الساعاتي، المرجع السابق، ص ٢٢٦

ونتيجة لهذه الاسهامات الواضحة التي قدمها<sup>٦</sup> ابن خلدون بالنسبة للبحوث التاريخية في علم الاجتماع، ذهب المؤرخ الانجليزي<sup>٧</sup> روبرت فليش<sup>٨</sup> الى ان ابن خلدون يعتبر من أبرز من دفعوا نظريات تتعلق بالبحوث والدراسات التاريخية. "كما ان دارتون يؤكد في مؤلفه (مدخل لتاريخ العالم) ان ابن خلدون قد اصاب ما يسمى في وقتنا الراهن بطريقة البحث التاريخي"<sup>٩</sup>. وفي ضوء تلك الاسهامات النظرية والمنهجية التي قدمها ابن خلدون، قدم ناتانيل شمس<sup>١٠</sup> في مؤلفه بعنوان لابن خلدون مؤرخ اجتماع وفيلسوف عام ١٩٣٠م ابن خلدون على انه مفكر سبق اوجست كوت في رسم حدود علم الاجتماع، ووصفه في مصاف سنس، وتوماس وكرنت.

ومن ثم ذهب بهنريهم سوكن<sup>١١</sup> الى ان العلية<sup>١٢</sup> ابن خلدون تناول في بحوثه جميع موقوعات علم الاجتماع، ولذلك اعتبره من الرواد والمؤسسين لعلم الاجتماع. وانزله في كتاباته منزلة افلاطون وارسطو وفيكو.

وما ذلك الا لتلك الاسهامات المنهجية التي قدمها ابن خلدون في مجال علم الاجتماع، وبوجه خاص في دراساته التاريخية للظواهر الاجتماعية، والتي جعلته اول من قدم طريقة البحث التاريخي للظواهر الاجتماعية، في علم الاجتماع.

---

٦ - دكتور محمد عبدالمنعم نور: ابن خلدون كمفكر اجتماعي عربي، اعمال ابن خلدون، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والحضارية، ١٩٦٢، ص ١١١، ١١٢.

## ٢ - الدراسة التاريخية للظواهر الاجتماعية عند مفكرى الغرب :

وقد برزت أهمية الدراسات التاريخية للظواهر الاجتماعية عند كتاب الغرب منذ بداية القرن السادس عشر . وذلك ما يوفقه التحليل التالي :

١ - ذهب مكيافيللى<sup>(١)</sup> W. Machiavel في مؤلفه الذى دار حول اعمال "تيتليف" المؤرخ اللاتينى ١٥٩ ق - م ، والذى كان مهتما بالتاريخ الرومانى ، الى ان التجربة التاريخية علم . وبمعنى دقيق من سياسة يركز على تحليل دقيق للقوى والمصالح المتصارعة داخل الدولة<sup>(٢)</sup> . ومن ثم نجد مكيافيللى يقدم تفسيره للتاريخ الرومانى باستخدام الطريقة التاريخية . وفى فوه ذلك يركز "مكيافيللى" على تحليل للظواهر الاجتماعية على النظم السياسية فى الجمهورية الرومانية ، والتي تمت نظم الحكم الثلاث ، النظام الملكى والنظام الارستقراطى ، والنظام الديموقراطى . وبذلك يذهب "جاستون بوتسول" الى ان أهمية المؤرخ الفلورنسى أى مكيافيللى ترجع لدوره فى دعم وحسود فلسفه التاريخ وتأكيده استقلالها عن علم الاجتماع .

ب - شي جاو "فيكو" B. Vico ( ١٦٦٨ - ١٧٤٤ ) وهو احد كتاب فلسفه التاريخ بكتابه مبادئ العلم الحديث يؤكد أهمية استخلاص النظريات الاجتماعية من الحقائق التاريخية . وهو بذلك يؤكد على أهمية الدراسات التاريخية ونتائجها . ومن النتائج التى توصل اليها بتطيله التاريخى ، ان التطور التاريخى يتضمن مودة الادوار المتعاقبة ، بمعنى ان جميع الشعوب فى نظره مغطره ان تمر على نفس واحد بالعصور المتعاقبة نفسها ، ويرجع

١ - مكيافيللى رجل دولة ومؤرخ ايطالى ولد فى فلورنسا ( ١٤٦٩ - ١٥٠٧ ) ومن اشهر مؤلفاته : خطبه عن الكتب العشر الاولى لتيت ليف ، The Live والسياسة ، Lerinee .

٢ - جاستون بوتسول ، تاريخ علم الاجتماع ( ترجمة ) . الاسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ ، ص ٢٦ .

تأكيد فيكون لأهمية المعطيات الحسية التي تقدمها الدراسة التقليدية للتاريخ، والتي نحصل عليها من طريق تحليل التطور المتوازي للنظم واللغة، إلى رفضه لمذهب ديكرت وتحليلاته التجريدية. وذلك يتمثل إسهام فيكون في علم الاجتماع في تأكيده على الطريقة التاريخية، والدراسات التاريخية. واهتمامه على نحو ما فعل مونتسكيو " بالظواهر العامة الدائمة، من خلال تحليل التاريخ، ويرفض الأحداث العارضة، والظواهر البعيدة، وذلك لأنه يرى أن الظواهر العامة والدائمة تتمثل بتطور الأنظمة والعلاقات . ومن ثم نجد أنه يذهب إلى ضرورة الاستعانة بالمؤلفين القدامى في الدراسات التاريخية، على أن نبحث لديهم من الشواهد البعيدة التي نستبينها من خلال لغتهم أكثر من الشواهد المحددة . وفي سياق تحديده لأهمية الطريقة التاريخية في البحوث التاريخية للظواهر الاجتماعية، يلجأ بعض القواديس الأساسية، التي تعدد معالم مدخله التاريخي لدراسة الظواهر الاجتماعية . والتي تشير لأهمية تحديد الظاهرة موضوع البحث وتعليقها تاريخياً، مع الاستعانة " بالوثائق المتعلقة بالحوادث التاريخية، والمقائيد والتقاليد المتعلقة بالظاهرة، وتحليل تلك الوثائق بدراسة اللغة وما تتضمنه من شواهد بعيدة خلال تغيرها<sup>(١)</sup> تمهيداً لتصنيف الحقائق التاريخية المتعلقة بالظاهرة وتطورها وتحديدها فيها ، التي يمكن أن تكون أساس التآليف بين تلك الحقائق، تمهيداً لاستخلاص القوانين العامة، التي تحكم تلك الظواهر في نشأتها وتطورها<sup>(٢)</sup> . وقد كان لاهتمام فيكون بالدراسات التاريخية تأثيرها على دراسات الاجتماعيين والمؤرخين للمجتمعات البشرية، وهواهرها في القرنين

---

١ - جاستون بوتيول ، المرجع السابق، ص ٣٧ .

٢ - دكتور عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٧٦ ، ص ٢٨٨ .

#### الثامن عشر والتاسع عشر .

ج - اما مونتسكيو ( ١٦٨٩ - ١٧٥٥ ) فيؤكد في مؤلفه نظرات في عقلية  
والفعلال الدولة الرومانية على ضرورة الانعزال من الاحداث المارفسة ،  
ومن الظواهر البعيدة في الدراسات والبحوث التاريخية ، والتركيز على  
الظواهر العامة الدائمة ، والتي تتصل بتطور الانظمة والمفليات ، ومن  
ثم بين لنا مونتسكيو ، في دراسته التاريخية للدولة الرومانية كهيئة  
تأثر الجوات التاريخية ، والظواهر الاجتماعية بالتغيرات التي تطرا على  
العقلية ، وكذلك بالتغيرات السياسية . ويحل من تحليلاته للوقائع التاريخية  
على أن الفعلال الحضارات يرج الى المبالغة الزائدة في اتباع مبادئها .

ج - الدراسة التاريخية للظواهر الاجتماعية عند هيجل :

#### ١ - دراسة التاريخ عند هيجل .

اهتم هيجل بتاريخ البشرية ، واعتبر هذا التاريخ الظاهر الاساسية ،  
لانه المورة الحقيقية لحياة الانسان . وما من ظاهرة اهم واجدر بالدراسة  
من الحياة الانسانية من خلال تاريخ البشرية ، والاحداث العقلية والمتفيسره  
للحياة (١) . وما ذلك الا لان هيجل يهتم بالروح الكامنة في الشعوب والتي  
يخللها يقيم نوعا من القدرة التاريخية . فعمدا تكن الاحداث التاريخية .  
فانه يعلم ان تلك الاحداث تبعث بالضرورة من المنطق الكامن في التاريخ .  
ومن ثم يجتهد هيجل لاثبات لماذا ما حدث كان لابد له ان يحدث . ومن ثم  
يناقش هيجل قضية تطور العالم ، ويؤكد ان هذا التطور ليس عفويا او مشواغيا  
ولكنه تعبير عن حركة عقلية . وهذه الحركة في نظره تلم الفكر والواقع في وحدة  
تحدث في سياق التاريخ . وبذلك يكون تاريخ البشرية عنده مستندا للتصور

١ - دكتور محمد فتحي الشنيطي ، المعرفة ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٢ ،  
ج ١ - ١٤٢ .

الذى يشكل الرابطة الغروبية بين الانسان والعالم الخارجى . ولذا يكون تاريخ البشرية تاريخ الفكر . وحركة التاريخ هي حركة الفكر .

وعليه لا يمكن تفسير الواقع عنده الالفكر . ونظرا لان الاعتماد بين الذات والموضوع يتم بائتماد الفكر والواقع في سياق التاريخ . فانه يؤكد على اهمية التاريخ ، واحداث الحياة المتقلبة<sup>(١)</sup> . ولما كان هيجل يهتم بالتاريخ والدراسات التاريخية ، فقد بحث عن القوة اللانهائية بتعلق تاريخ العالم .

وفي فوه الاحداث التاريخية ، والتطور التاريخي تطورت محاولات هيجل لتحديد القوة للانهائية التي وجدها في شخص نابليون عندما غزا المانيا واعتبره الروم المالمية . وعندما قامت مملكة بروسيا أعلن من جديد ازور التاريخ تتجسد في البيرو لرابطة الروسية ، ولكن عندما خاب أمله نتيجة لاختناق الابدال الذين تعلق بهم . بدأ يبحث في التاريخ وهواهره مسن تلك القوة اللانهائية والتي وجدها في الدولة لمجدها في ذاتها ، وقوة القهر التي تتركز عليها .

ومن ذلك وصل به الامر لتجديد الحرب لانه يرى ان الحرب تبلغ بالدولة الى اولى ذروة من الشعور بالذات<sup>(٢)</sup> .

وهيجل يرى في الفكر المعاصر خير معبر عن تشكيل العالم . تشكيلا عقليا . يخلل جهود البشرية ونشاطها منذ فجر التاريخ . وذلك لانه يرى في الاحداث والظواهر القديمة ، مادة نبني عليها الجديد بطريقة احادية خلاقة . وهيجل يرى هنا ان تاريخ مصر في جميع الميادين يمثل قمة الاحداث التاريخية .

---

١ - دكتور محمد فتحي الشنيطي ، المعرفة ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديث ١٩٧٢ ص ١٤٢ .

٢ - جاستون بوتيول ، تاريخ علم الاختراع ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .



التي سبقته واكمل صورة حقيقتها . وقد كان ذلك دافعا له لتناول احداث التاريخ وظواهره ، وذلك لتقديم كشف حساب للحضارة على حد تعبير "لوفيسر" وذلك بحثا عن المركب والرابطة التي تولد بين مختلف العناصر المشكلة للحضارة<sup>١</sup> .

ولقد استعان هيجل بالمنطق باعتباره البوتقة التي ينمهر فيها ما هو واقعي حاسم ما هو عقلي ، حيث تتلاقى المتناقضات ويتم بينها التآليف الذي لا ينفك منه لتحقيق التطور التاريخي ويتتبع عملية انتقال الروح المجرد تحولها الى موضوعية ثم الى الروح المطلق ، يقرر هيجل أن فلسفة الروح ( المنطق ) تبدأ بالانثروبولوجيا بمعناه القديم حيث كانت دراسة الانسان تتأثر بالطبيعة . ثم تنتقل الدراسة الظواهر الاجتماعية الى بؤبؤها درجة اعلى من درجات تجلّي الروح بالقياس الى الظواهر النفسية الفردية . وتبدأ بالذات الذي يتمثل في علاقة الانسان بمجمعه . ثم تنتقل الى الاخلاق التي هي الارادة الباطنة حينما تدفعنا لطاعة قوانين المجتمع . والتي تتمثل بصورة اولية في حياة الاسرة ، ثم المجتمع المدني ثم الدولة . والدولة عنده اعلى مظاهر الروح الموضوعية ثم ينتقل الفكر بعد ذلك الى الروح المطلقة والتي تتمثل في الفن ثم الدين واخيرا الفلسفة . وهيجل بذلك يؤكد على اهمية الاحاطة بكل ما انتجته الروح البشرية واتجاهاتها وحركاتها وعلاقاتها . وروايتها .

---

١ - دكتور فؤاد زكريا ، اراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة ، القاهرة ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ . ص ٢٤٢

ب- تفسير الظواهر الاجتماعية في سياق التاريخ .

وإذا كان هيجل يفسر مظاهر الثقافة (الروح) من منطلق وعلم طبيعي والخلق وتاريخ وسياسة وفن ودين وفلسفة من خلال وضعها الحاضر ويصدر حكمه على الماضي من خلال الحاضر . فقد ترتب على ذلك تساؤلات معينة ، هل يعتبر الحاضر فعلاً نهائياً لا يتسع لأي جديد ؟ وإذا ما اعتبر الحاضر مجرد مرحلة في حركة لانهاضية من التغير فهل يزعم ذلك أركان مذهب هيجل ؟ وهنا برزت فكرة التمييز بين مذهب هيجل ومنهجه في دراسة تاريخ البشرية بين تلاميذ هيجل وشراحه . إذ أن مذهبه يشير لذلك البناء المكتمل الذي لا يتسع لجديد . حيث أن داخلة التطور التاريخي للروح انفلتت في نهاية مرحلة الروم المطلق التي بدأت بالروم المجرد ومرت بالروح المورومية ، في حين أن منهجه (ديالكتيكيه ) يؤكد على الحركة الدائمة للتطور التاريخي وأجداشه وقواهه ، ويشير إلى أن مسار التاريخ لا يتوقف من التغير الذي ينجم عن تفاعل كل شيء لتكوينه في داخله .

والجدل الهيجلي بذلك طريقة في التفكير وفي النظر للظواهر من خلال ارتباطها ببعضها . وهو بذلك يلقي الحواجز بين الحركات المنفردة أي يلقي الحواجز بين الظواهر المفردة في التاريخ ويدرك كل جزئية أو ظاهرة مفردة على حدها من خلال علاقتها بالمعقدة بالظواهر الأخرى ، وبالشكل الذي تتدرج فيه . ومنهج هيجل بذلك لا يأخذ طابع السكون والثبات كما هو الحال في منهج "الاشتتالي" علم النفس بل أنه على العكس من ذلك يؤكد على الحركة الدينامية والتطور ، وذلك لا يتناول علاقات الظواهر بالظواهر الأخرى ، التي تتزامن معها لظواهرها ، يتناول علاقتها بالمجرى التاريخي الكامل ، الذي

تجوزت من خلاله حتى وصلت لشكلها وطابعها الدالى<sup>(١)</sup> لتقديم التفسير العلمى التاريخى وفوائده .

جـ . كفاءة المنهج الهيجلى فى البحوث التاريخية والاجتماعية :

شام تحليل منهج هيجل من جوانب ثلاثة : على أساس ايقاعها وهو يبدأ بجانب الموضوع Thesis والمفهوم المضاد Anti thesis ثم الى التآليف أى الوضع المركب Synthesis. وهنا لا يفهم المركب بأنه حيلة الوضع الاصلى، والوضع المضاد له، او بأنه متضمن منهجا من قبل تكوينه بالعورة التى هو عليها الآن، التى تختلف عن أى منها . وذلك لان هيجل كان يقدم بهذا المركب المعنى الاشتدائى الاصلى بمعنى انه حقيقة جديدة مدبره لم تكن موجودة فى الطرفين السابقين ، ولكنه يتمازجها . وقد ذهب سولف<sup>(٢)</sup> الى ان هيجل استخدم فى سياق تحليله لعناصر منهجه مصطلح " رفع " Aufgehoben باعتبارها مصطلحات دالتين<sup>(٣)</sup> حيث تشير دالته الاولى لعملية الالغاء او النفي فى حين ان دالته الثانية تشير لعملية الاحتفاظ والابقاء، وذلك بمعنى فى منهج هيجل ان الفكرة يلفيها نقيض الفكرة، فى حين ان المركب يحتلف بالفكرة ونقيضها معا فى صورة متطورة<sup>(٤)</sup>، ونظرا لان المركب يكون فى صورة متطورة لطرفية، ومختلفة عنهما ولا توجد فيهما، فانا لانستطيع ان نفهم تلك الصورة الجديدة أى المركب بتحليل النقيضين بل على العكس لا يمكن ان نفهم هذين الطرفين الا من خلال علاقتهما بالمركب، وإذا كان هذا المركب قد نتج عنهما بمعنى ما من المعانى، الا انهما بمعنى اعمق شاتجان منه .

١ - دكتور فؤاد زكريا المرجع السابق، ص ٢٤٧

٢ - Solz, Ivan, An Introduction to Hegel's Metaphysics, Chicago, University of Chicago Press, 1969. p. 139

٣ - راجع مقالنا سيولوجية الانحراف فى المجتمع الجماهيرى ، المجلة الجنائية القومية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية . القاهرة ١٩٧٢ المجلد ١٥ . العدد الثانى ص ٢٣٥

اذ أن معنى أية لحظة معينة في مجال التاريخ يتحدد على أساس اللحظات المقبلة وذلك لأن اللحظة في ذاتها لا يمكن ان تعنى شيئا .

وذلك يعنى ان فهم عصرنا الراهن يعتمد على ما نتوقع تحقيقه في المستقبل من مآلات .

ومن ثم يلائم منهج هيجل دينامية التاريخ البشرى في ديناميته، وتفسيره ، وما فيه من ظواهر اجتماعية .

اما بالنسبة لطرفي المركب الاولين وهذا الموضوع ونقيضه فانهما داخلان في بعضهما . اذ أن النقيض ليس طرفا مستقلا ولكنه قائم في قلب الوجود الامس ، ويحدد معالمة . ومن ثم تعكس العلاقة بينهما فكرة التوسط او الطب الهيجلي .

وقد تأثر دوركايم بالخطوات المنهجية لهيجل فحدد معالم منهجية العام في دراسة الظواهر الاجتماعية ، حيث أنه يؤكد على أهمية المبدأ بالموضوع ، ثم نقده ، وصولا الى المبدأ الصام . الذي يسير عليه في تحليل الظواهر وتفسيرها .

وبذلك نجد ان منهج هيجل بطوخته تلك يتلاءم مع ظروف العصر الحافس وديناميته ، ويعيه الى فهم حاضرة والسلوك الشائع فيه . وذلك على أساس تولقاتها لما يمكن ان يحققه في المستقبل من مآلات .<sup>(١١)</sup>

وفي ضوء هذا المنهج الهيجلي يعتمد ادراكنا للمراتب الكامنة في ذاتنا ، على فهم العلاقة الدافعة بيننا وبين الآخرين في مجتمع ، حيث ان وعينا على علاقة بوعي الآخرين ، ولا يمكن ان ندركه الا من خلال الآخرين ، أي لابد أن نكون ليس وفق مظاهر لما نريد ان نفهمه .

وإذا كان منهج هيجل يساعدنا على فهم فكرة الصراع والتناقض في المجتمع / وفي لترات تاريخية معينة. فإن ذلك يعتمد على محاولتنا بقدر من التفكير المنطقي لاستخلاص معاني مصطلح التناقض على مستوى المنطق في مجال الحياة الاجتماعية .

- حيث ان التناقض بمعنى التضاد يثير لوجود أي ظاهرة أو نظام ينطوي على فناء أو على منور سالب كامن فيه . مثل وجود المجتمع في حالة تكامل وانطواء هذا التكامل على قوى التوتر التي تسبب هذا التكامل .
- التناقض بمعنى الصراع . وهو معنى ينطبق على مجالات الأخلاق والسياسة والمجتمع بشكل واضح .
- التناقض بمعنى المفارقة أو الانتساب إلى الآخر ويتعمل في أن فهم الشيء لذاته يقتضي أن يخرج من وجوده المكتفى بذاته أو أن يتحول إلى الآخر أو يلهم من خلاله .

وفي ضوء ذلك نجد أن منهج هيجل يعتمد على التناقض الذي يحمل الفكر مفعما بالحركة وبذلك يحقق في تدار تاريخ الحياة الانسانية تطورا لا يمكن ان يتم بدونها . الامر الذي يترتب عليه تعاقب الحضارات . تلك الحضارات التي يدلل على ازدهارها تلك الامكانيات غير المحدودة للفكر، والتي تتحقق تباعا في الماضي والحاضر، وتتحقق ابدا في المستقبل . وبذلك تكون ظاهرة الحياة الانسانية أي تاريخ البشرية هي الظاهرة الاساسية التي يدور حولها بحثه لتفسيرها (١) .

وهذا يذهب هيجل إلى أن الفكر مبشور في وجودنا وهو وعينا بالعالم من حيث ان العالم واقع لا يختلف عن الفكر . ومن ثم يستلزم تحليله في ضوء منهج

هيجل السير في خطوتين أساسيتين :-

تتمثل الخطوة الاولى : في أن نميز في الأشياء والظواهر والاحداث التاريخية بين ما هو جوهري ، وما هو عرضي . أي ان نميز بين ما هو موجود بالفعل يملأ الواقع ، وما لا يتجاوز وجوده كونه مظهرا عارضا لهذه الظواهر والاحداث ، لا يلبث ان يزول .

- وفي الخطوة الثانية : نحدد التصور الدقيق لهذا الواقع بمعنى أن نسعى لتمثيل الطريقة التي يتشكل بها الواقع في العالم وفي وعينا .

وهذه الخطوة الأخيرة تحلق من هيجل ، وتجعل التصور مرتبطا بالكل ارتباطا بالجزء والفردى . منتقلا من الفردى الى الجزئى الى الكلى الذى يمثلها اليقين الحسى ، ثم من الكليات الى الفردى الى الجزئى ، على نحو ما هو بالنسبة للإدراك ، حيث تبدأ من الصور الزمانية والمكانية وتسمى لفهم الفردى الذى يشغل مكانا وزمانا محدد بين .

وبذلك يظل تصور الواقع الاجتماعى وظواهره عند هيجل في حركة ذاتية دائية ، ومن ثم تأخذ ميمنة التصور ممالك ثلاث :

- يتمثل اولها في : البدء بالفردى الى الجزئى ثم الى الكلى ؛ بمعنى ان نبدأ في دراستنا للمجتمع بدراسة الافراد ، ثم تحديد الجماعات والنظم ، التى تشكل اجزاء داخل هذا المجتمع ، وذلك وصولا لفهم الكل وهو المجتمع .

- ويتمثل المملك الثانى : في بدء التصور بالكل الى الجزئى الى الفردى . كأن نبدأ بتصوير المجتمع وفهمه تمهيدا لفهم الجزء في نفسه ، وانطلاقا من فهم الأفراد .

- إما الملك الثالث للتصور فيتمثل في فهم الجزء إلى الفردى إلى الكلى .  
وبذلك يكون التصور عند هيجل مندمجاً في الواقع سواء كان فرداً أو جزءاً  
أو كلاً . وهو بهذا التصور ينفذ لمعنى وجودنا الاجتماعي في مجرى التاريخ .  
وبتطويع التصور عند هيجل تستهدف تطويع الفكر ، ومن ثم ندقش معلومات  
التصور ، حيث :
- يتمثل أولها في اليقين الحسى : حيث يبدأ وعينا للمفهوم وللواقع  
على ماهو عليه ، حيث نستدل من الفردى إلى الجزئى إلى الكلى .  
والموضوع هنا هو العالم المحسوس الذى نعرفه على ماهو عليه . فهو  
الحقيقة الظاهرة . ومن ثم عندما يرتقى وعينا يتبين له ان هذه  
الحقيقة الظاهرة ليست هي الحقيقة .
- وهذا يتمثل بالمفهوم الثانى للتصور . وهو الإدراك الذى يبدأ بالكلى ثم  
نسعى للوصول إلى الشئ الفردى الذى يشغل مكاناً وزماناً معينين) ومن  
هذه الفرديات تتمثل مجموعة الكيفيات النوعية التى تمثل الجزئى .
- ويتمثل المقوم الثالث للتصور في الفهم ، حيث يظهر الموضوع من جديد ،  
وقد اكتسب واقعاً له ذات معقولة اسمى من ذاتة في مرحلة الإدراك .  
وتصور الواقع المعقول عند هيجل يختلف عن تمثيل الموضوع لذاته كشئ  
في اليقين الحسى ، ويختلف ايضاً عن تمثله (اي الموضوع) لفهره ، للكيفيات  
في مرحلة الإدراك . وذلك لان هيجل يرى ان شئ حقيقة ما تزال متمتعة  
عليها ، ونسعى في الوصول إليها من أطرها . إذ أن للوجود سواء كان  
ظاهرة او مجتمعا سببا يطلق عليه هيجل القوة او الطاقة .

وهذه الطاقة ( السبب ) تظهر وتختفى ثم تظهر من جديد . ومن ثم  
يساعد الفهم على تحديد هذه القوة يوما اذا كانت جوهرية كامنا وراء الظواهر  
في المجتمع والتاريخ .

وهيجل هنا يذهب الى اننا ننظر للواقع من زاويتين :

الاولى : زاوية الظواهر التي تشكل الواقع وتشغل مكانا تحتل فيه  
مئات معيشة . أي من الزاوية البنائية التي تشير لعناصر  
هذه الظواهر وعناصرها .

الثانية : تشير الى أن الواقع يتمثل طاقة او قوى ( سببا ) تكمن وراء هذه  
الظواهر جميعا والتي تشكل الواقع . وهذا السبب لانعرف حدوده الا أن هيجل  
يؤكد اننا لانستطيع ان نعلم بوجود الواقع الا اذا علمنا بهذه الطاقة  
الكامنة المنتجة .

وهذا يذهب هيجل الى أن الواقع بمثابة تلك الوحدة التأليفية التي تضم  
كل من الطاقة والقوة والاشار المترتبة عليها في كل شامل . وهذا الكل  
الشامل هو في نظر هيجل الحقيقة .

ومعنى ذلك ان هيجل يرى ضرورة اقامة الوحدة والتأليف بين العناصر  
البنائية للظواهر وعناصرها والجانب الدينامي الذي يعكس لنا السبب  
او الوظيفة او القوة التي تعمل وراء تلك الظواهر من حيث نشأتها وتحديد  
عناصرها . وهو هنا يؤكد ان هذين الجانبين المتناقضين لهما وجودهما في  
كافة الظواهر الانسانية في الطبيعة والتاريخ البشري .

ومن ثم نجد أن هيجل يؤكد على تحليل الظواهر بشائبا لمعرفة ماكنها  
من اختلاف فكره بالاعتماد على تحديد كلياتها عن طريق الادراك ولو اننا نقرنسا



اليهنا من حيث التآليف بين الظواهر والقوة او السبب الكامن خلفها لراينا  
ان هذه الاختلافات تنحل دون ان تختفى، ودون ان تغيى مقاومتها في هذا الكلى .  
وفى ضوء ذلك يقر هيغل وجود عالم حسي، الا انه يذهب الى اننا لا نستطيع  
ان ننتفرق في هذا المسائل، ولا بد ان نتمو على مرحلة ما بعد الحس  
لكى ندرك الذاتون الذى يسيطر على حركة الظواهر، والذى يملكه تفهم الظواهر  
فى نسق عام شامل، ومن ثم يذهب هيغل الى ان فهم الظواهر على انها تسير وفقا  
لقوانين معينة، يساعد على فهم الظواهر . وهذا الفهم فى نظر هيغل هو التتمو  
السليم للواقع الذى نعيش فيه . ونا ذلك لا لامتداد هيغل بان الفهم يجعلنا  
نمتلك منطقا ارقى من اليقين الحسى والادراك .

- والمعلوم الرابع للتتمو هو الوعى : حيث ان المعرفة فى مرحلة الفهم ترجع  
الى الانسان الذاتى وان الثقاة الذات والموضوع يكون فى الوعى من حيث  
هو فالامور التى يميزها اليقنين الحسى، والادراك، والفهم هى انعكاس  
لفكرنا خارج ذاتنا ، وتلك المراحل التى قطعناها من أجل المعرفة  
تعتبر مراحل من اهل الوعى بالذات .

وبذلك تكون الانا محور نشاطنا الفكرى ومن ثم يكون الانسان هو ذلك الكائن  
الحى الذى يمثل الخلاصة الموجزة للحياة فى الكون . وهو منفصلا من تلك  
الحياة، من حيث الشكل اى من الخارج، ولكنه متحدا معها فى الامعاء .

ويتمثل المقوم الخامس للتصور فى المعرفة المتصلة :  
والمعرفة هنا هى ذلك النشاط المستمر المتمثل الذى يبدل من قبل الوعى،  
بغية الاطاحة بالحقيقة باستمرار، وذلك لان الحياة لامتناهية، وليس فى وسع  
الانسان الاطاحة بالكل الالمتناهية، وذلك هو الذى يحلر الانسان دائما للبحث

والمعرفة من الحياة ١ الفكر اوبذلك يكون منبع النشاط الفكرى ١ المعرفة  
الذى لاينتهى بين الفكر والومى . اما عن الحقيقة محور هذا النشاط  
الفكرى فهى الحياة التى لاتحدها حدود،والتي تتغير باستمرار .

واذا ماانقرضا لدىالكتيك هيجل على انه اسلوب ومنهج فى التفكير ومعالجة  
التصور وتطبيقه فى دراسة الواقع وفواصره ، يكون اسلوب هيجل ومنهجه بمثابة  
مجموعة القواعد المنظمة للبحث والمحددة لمسلكه، ذلك البحث الذى يكون الدانون  
نهاية مساره . وبذلك يفيدنا استخدام اسلوب هيجل فى البحث التاريخى  
ومنهجه فى فهم المواقف الجديدة التى يواجهها عصرنا الراهن باستمرار، وان كنا  
لاستطلع فى تاريخ عصرنا والمجتمعات البشرية، انتقالا ثلاثيا من وضع لنظف  
الى وضع مركب ، وذلك لان كثيرا ما نجد تغيرات تاريخية تمثل رجوعا للصور  
وليس تبادلا مع ما كان موجودا من قبل .

كما قد نجد مركبا اكثر ضعفا من اطاره، وذلك ما نلاحظه فى النظم  
الراسمالية التى تحتفظ ببقائها منذ ازمة الثلاثينات حتى الوقت الراهن (١)  
وفى بعض الاحيان تخدعة التنافس دون الوصول الى مركب وذلك كما هو حادث  
الآن بالنسبة لعلاقة الولايات المتحدة بالاتحاد السوفيتى .  
ومن ثم يساعدنا منهج هيجل فى دراسة تاريخ الحياة البشرية، والوضع الراهن  
للمجتمع البشرى على معرفة ذلك التعميد الشديد الذى يرسم الواقع، وفواصره  
فى مجرى التاريخ البشرى .

وقد كان لتفكير هيجل أثره على الاتجاهات الفكرية عند علماء  
الاجتماع وخاصة بالنسبة لمعالجة التصورات النظرية، والتي اتخذت ممالك مماثلة  
لنفس الممالك التى اتخذها التصور عند هيجل .

فهذه التصورات الكبرى والانساق النظرية الكبرى التي تتناول المجتمع كنسبة كل على نحو ما فعل هابزسوتز بالنسبة لنظرية النطق واللعل، ومتغيرات النمط وهناك المصافة النظرية ذات المعدل المتوسط عند ميرتون. وهي النظريات التي تتناول النظم والجماعات والأدوار والعلاقات ثم النظريات المفرد التي تتناول الفرد كوحدة مفرد، وبذلك تختلف تلك التصورات والنظريات من حيث فهمها للواقع وتناولها، فشيء جدير بالتصورات الكبرى بالكلى محاولة الاستدلال منه على المفرد والكليات التي تشكل الجزئ.

كما أن بعضها الآخر يهدأ بالمفرد مثل النظريات المفردة ويستدل منها على الكل، ثم التصورات التي تتخذ من الجزئيات منطلقاتها في الاستدلال على المفرد والكل.

ولذلك نلخصه من تحليلاتنا لمعلومات المصافة التصورية عند هيجسبل والتي استهدى بها بحث الظواهر الاجتماعية والثقافية في سياق التاريخ البشري.

ثانياً : البحوث التاريخية ومعطياتها عند علماء الاجتماع :

هنا الاهتمام بالدراسات والبحوث الاجتماعية التاريخية بين علماء الاجتماع منذ إعلان ميلاد هذا العلم، وذلك لإدراك علماء الاجتماع لأهمية استخدام الطريقة التاريخية في توفير الحقائق التاريخية التي تمكننا من الوقوف على طبيعة الظاهرة، ومناصرتها وتطورها واختلاف أشكالها باختلاف الشعوب ومراحل التطور التي مرت بها تلك الشعوب<sup>(١)</sup> هذا بالإضافة لمعرفة علاقة الظواهر الاجتماعية بما عداها من ظواهر أخرى وما ذلك إلا لإدراك علماء الاجتماع لضرورة هذه الدراسات التاريخية لوما توفره من حقائق وبيانات تاريخية، تساعدنا في الكشف عن

(١) دكتور مصطفى الخشاب، تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره، القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧٥، ص ٢٢٩.

الوظائف التي تؤديها تلك الظواهر والقوانين التي تحكمها وتحدد مسار تطورها .

ولا شك ان الاعتمادات المبكرة بين علماء الاجتماع بالدراسات التاريخية ، لاقتل من اعتمادات علماء الاحتمام المعاصرين وان كان تفكير الرواد الاوائل ومعاوالاتهم لتحديد ابعاد الطريقة التاريخية وكيفية الحصول على الحقائق التاريخية، وتكنيكات الدراسات التاريخية التي تموزوها في مراحل التفكير المبكرة من تاريخ علم الاجتماع، قد ساهمت في ابداع الرقعة لدى المعاصرين من علماء الاجتماع. كما انها مكنتهم من بلورة الفهم العلمي حول هذه الدراسات التاريخية، وتطوير تكنيكاتها والاجراءات المنهجية التي تلازم البحوث التاريخية، والسن تمكنهم من الحصول على حقائق تاريخية اكثر شيئا وعدلا وشمولا حول الظواهر الاجتماعية، في الفترات التاريخية المختلفة، وفي النماذج الاجتماعية المتباينة. ومن ثم نتناول الدراسات التاريخية بين رواد علم الاجتماع بالتمييز بين اسهامات الرواد الاوائل من ناحية، ثم الدراسات التاريخية بين علماء الاجتماع المعاصرين من ناحية اخرى .

١ - الدراسات التاريخية منذ الرواد الاوائل لعلم الاجتماع :

بمراجعة تراث الرواد الاوائل لعلم الاجتماع امثال أوست كونت ودوركايم وماكس فيبر وفكارل مانهايم يتفج لنا وجود اتفاق تام بين هؤلاء الرواد على اهمية الدراسات والبحوث الاجتماعية التاريخية. في توفير الحقائق التاريخية، التي تساعدنا على فهم نشأة الظواهر الاجتماعية وتطورها، وملائتها بالسياق الاجتماعي والثقافي للمجتمعات البشرية، والحقب التاريخية المختلفة. وذلك تمهيدا لاستخلاص القوانين التي تحكم هذه الظواهر وتوجه مسارها وتطورها،

وتحدد احتمالاتها في المستقبل ، ورغم هذا الاتفاق على أهمية الحقائق التاريخية إلا أنهم يختلفون في جانب أو آخر من جوانب الدراسات التاريخية ، واجراءاتها والكتيكات المستخدمة في إطار تلك الدراسات .  
وفي ضوء ذلك نعرض لاهتمامات الرواد بالدراسات التاريخية ، واهتمام تلك الدراسات في فكر علماء الاجتماع .

١ - البحوث التاريخية عند أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧م : A. Comte .

منذ ان اذاع اوجست كونت علم الاجتماع كدائمة العلوم التي منبها حسب تعقيدها على النحو التالي :

Mathematics	الرياضيات
Astronomy	الفلك
Chemistry	الكيمياء
Physics	الطبيعة
Biology	البيولوجيا
Sociology	علم الاجتماع

واخيرا الاخلاقيات . والتي قصد بها كونت دراسة الانسان الفرد . وهي الدراسة التي تعتمد على علم الاجتماع وتكون بمثابة مزج بين علم النفس والاخلاقيات (١) وبذلك يفتح كونت علم الاجتماع كدائمة التصنيف تلك ، لانه اشدها تعقيدا . نظرا لطبيعة موضوعه . وذلك لانه الدراسة الموضوعية الواقعية للمجتمعات . ولأنه ان موضوع هذا العلم يعد من اكثر موضوعات العلم تعقيدا ، لانه يهتم بدراسة الكيان الاجتماعي في مجمله ، والذي يتكون من طريق تجميع التجربة والمعرفة ، اللتين تولدان على حد تعبيري " حاستون بوتسول " معطية روحية موضوعية تربط الاجيال ببعضها (٢)

(1) Fletcher, Ronald, The Making of Sociology, Britain: Thomas Nelson and Sons, Ltd., 1972. p. 175.

(٢) حاستون بوتسول ، المرجع السابق ، ص ٨٥



ولما كان المجتمع في نظر أوجست كونت من أكثر الكيانات ميلا للتفسير  
واشدها قابلية للتوافق مع الظواهر الخارجية المتنوعة، فإنه ينفسرد  
من بقية الكيانات بقدرته على التقدم السريع المستمر .

ولما كان أوجست كونت يرى أن علم الاجتماع يجب أن يبحث عن قوانين الظواهر  
والروابط الشابتة، التي توجد بين الظواهر موضوع الملاحظة/التحديد نشأتها-  
وطبيعتها، وتطورها لومدى اختلاف اشكالها باختلاف مراحل التطور، وذلك لأن توفر  
فكرة عامة من سير عملية التطور يساعدنا في عملية تفسير الظواهر الاجتماعية .  
ومن ثم أكد على أهمية الدراسة التاريخية، وقدم قانون الحالات الثلاثة،  
والذي يرى في فوشه أن الناس قد مروا خلال اجتهداداتهم المستمرة لهم وتفسير  
العالم المحيط بهم، بثلاث مراحل متتابعة (١) .

تبدأ بالحالة الدينية حيث فسرت خلالها الظواهر المختلفة بعلم أولية  
تكن في الآله وفي النظم الاجتماعية المتوافقة مع تلك العقليات، وفي  
المرحلة الثانية استبدلت العلم الأولية بعلم عامة ميتافيزيقية يحظر عليها  
مبادئ قبلية مثل الفعيلة الكاملة والحرية المطلقة، وفي المرحلة الثالثة  
يتم تفسير الظواهر بعلم تستند على الملاحظة العلمية والمقارنة والتجريبية  
وعلاقات تاريخية .

وقد تأثر أوجست كونت في تقسيمه لعلم الاجتماع بين الاستاتيكا الاجتماعية،  
والتي تدرس الحياة الشابتة للمجتمعات، والديناميكا الاجتماعية التي تهتم ببحث  
قوانين نمو المجتمع بقانون الحالات الثلاثة، التي مر بها التفكير، من ثم حاول  
أن يحصل من علم الاجتماع علما موضوعيا يعتمد على الملاحظة والتجربة والحقائق  
التاريخية . وذلك بتحديد الفترات والعصور التاريخية تحديدا دقيقا، حتى يمكن  
التعرف على مظاهر التطور المرتبطة بالجوانب الاقتصادية والدينية وذلك لاستخلاص  
الجوانب المرتبطة بكل من تلك المظاهر (٢) .

(1) Fletcher, R, The Making of Sociology, Britain: Nelson's University Pap.,  
1977. p. 169

(٢) دكتور عبدالباسط حسن ، المرجع السابق، ص ٢٨٩ .

ولقد كان اهتمامه بالانثون الحالات الثلاثة راجعا لرغبته في تحديد الطريقة التاريخية في البحث بالاستناد لهذا القانون الذي يقرر اوجبت كونت انسه استخلصه من خلال دراسته لتاريخ الانسانية على اساس علمي تحليلي وفلسفي النظر عما وجد لقانونه من نقد باعتباره لايمبر ن حقائق التاريخ ولايمبر تطور المجتمعات البشرية تصويرا حقيقيا، الا ان ذلك يعني ايما ان اوجت كونت بالدراسة التاريخية للاستفادة بالحقائق التاريخية في الوصول الى قوانين عامة تحكم الظواهر الاجتماعية في علاقاتها بالظواهر الاخرى، وبما لسياسي الاجتماعي والثقافي للمجتمعات البشرية المختلفة، وفي فترات تاريخية مختلفة.

ولاشك ان فهم كونت للطريقة التاريخية في البحوث الاجتماعية ليس على النحو الذي تفهم به الدراسات التاريخية اليوم والتي تقوم على المنهج التاريخي الذي يمكن الباحث من معرفة طبيعة الظواهر وعناصرها وتطورها واختلافها باختلاف الشعوب والفترات التاريخية، وذلك لانه لم يستخدمه استنادا علميا، ولكن فهمه له قام على معنى فلسفي ابعده من طبيعة الظواهر الحقيقية . ومع ذلك فان محاولة اوجت كونت تلك تؤكد على اهمية الدراسات التاريخية بالنسبة لعلم الاجتماع، ومعالجة القوانين، التي تحكم الظواهر موفوم دراسة هذا العلم، لما يوفره هذا المنهج وتلك الدراسات من حقائق تاريخية تغطي مزيدا من الموضوع على الظواهر الاجتماعية، وتساعد على كشف القوانين، التي تحكم تلك الظواهر .



ب- نقد النزعة التاريخية المتطرفة :

يستلذد "كارل بوبر" - من يستندون للمنهج التاريخي ونزوعهم التاريخي المتطرف وتمورهم إمكان تشكيل المجتمع كله من جديد<sup>(١)</sup> ومن ثم يرفضون القوانين التطور التاريخي ويحكم مع فيشر بما اكده فيشر في مؤلفه ( تاريخ أوروبا ) من عبارات تشير الى : " أن الناس تبينوا في التاريخ خطة وإيقاعاً منتظماً ونمطاً مرسوماً ... ولست أرى فيه إلا مظاهر تتلوها مظاهر - أو مجرد واقعة واحدة كبرى يستحيل علينا أن تعدل التعميمات بشأنها لأنها واقعة مفردة<sup>(٢)</sup> ومن ثم يتأكد لنا أن "بوبر" يرفض قوانين التطور لماركس والتي تستند لتفسيره المادي للتاريخ<sup>(٣)</sup> ويرى بذلك لا ينكر أهمية الحقائق التاريخية في دراسة الظواهر وذلك ما يتفق من قوله : إننا قد نفتقر في أي تعاليل فعلية للظواهر بحث طبقاً لقوانين بولكن من المهم أن نتبين أنه لا توجد سلسلة واحدة من الظواهر تحدث طبقاً لأي قانون مفرد<sup>(٤)</sup> .

ج- التحليل التاريخي عند ماكس فيبر : Max, Weber

أولاً : ماكس فيبر اهتماماً كبيراً بمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، ورغم اعتقاده بأنه من المعوجة بمكان تحديد أساس منهجي عام يخدم البحوث الاجتماعية، ويمكن استناد النظرية السيولوجية إليه في كافة الميادين التي نشأت أولها، إلا أنه يرى أن العلوم الاجتماعية ذات طبيعة تاريخية، ومن ثم يتخذ من التاريخ أساسه في إدراك كليات الظواهر، ومناصريها وخصومياتها ، وهو بذلك يخلص استناد علم الاجتماع في صياغة نظرياته، واستخلاص مبادئه على دراسة التطور التاريخي للكيانات الاجتماعية، وما يتصل بها من حقائق . ومن ثم استمد التحليلات التاريخية في دراسته المقارنة لنشأة التنظيمات السياسية والاقتصادية لتجريد

(١) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي ، ترجمة ، الإسكندرية ، دار المعارف، ١٩٥٩، ص ٢١٢

(٢) كارل بوبر ، المرجع السابق ، ص ١٢٧

(3) Fletcher, op.cit. p. 392

(٤) كارل بوبر ، المرجع السابق ، ص ١٤٥

اشكالها الواقعية وصولا للمعنى الذاتى التى تنطوى عليه<sup>(١)</sup> ورغم تأكيدده على دراسة العلاقات الاجتماعية فى صورها المحددة فى سياق علم الاجتماع الا انه يرى ان طبيعة البحث فى هذا العلم تقتضى رجوع الباحث للدراسات الاجتماعية التاريخية للظواهر ، وقد قام فيبر نفسه بتطبيق هذا الاتجاه فى دراسته للعلاقات المتبادلة بين الظواهر الدينية والاقتصادية والتاريخية . لتحديد صور التفاعل الدائمة فيما بينها .

ولما كان فيبر يولى اهتماما كبيرا بالحقائق التاريخية فقد اكد ان تفسير تتابع الاحداث والوقوع منها لتعميم معين يحتاج لسند احداثى، ولكنه يؤكد انه بالنسبة لتلك الظواهر التى يتعذر فهمها وتفسيرها احداثيا، يقتضى الامر مقارنتها باكبر عدد ممكن من العمليات المتداخلة سواء كانت تاريخية او معاصرة . ونظرا لاهتمام فيبر بالتحليلات التاريخية وصولا لتعميمات معينة حول لغاها تتابع الاحداث فقد استند فى معظم دراساته الى التحليلات والمقارنات التاريخية<sup>(٢)</sup> .

د - المعرفة التاريخية عند كارل مانهايم . K. Mannheim

لكارل مانهايم اهتمام واضح بالتاريخ وواقعه الامر الذى جعله يقول "تعميداً" يذهب الى ان الانسان يلمس فى مؤلفات كارل مانهايم الاولى ايمانا ميتافيزيقيا تسير به الوظيفية الخلاقة للتاريخ . وان كان مانهايم قد قرر فى مرحلة تالية لذلك وخاصة فى سنوات اقامته بالانجلترا ان التاريخ وحدة لا يمكن ان يهدى الانسان بحيث كان اهتمامه واضحا باذغال معايير اخرى مثل العقل فى مذاهب اللامعقل والسلام فى مقابل العدوان . وهو بذلك يدخل على الدراسة التاريخية احكاما قيمية . وذلك ما لا يقره الاتجاه العام فى علم الاجتماع المعاصر<sup>(٣)</sup> .

(١) دكتور مصطفى الخشاب ، مدارس علم الاجتماع ، الكتاب الثالث ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ م ، ص ٦٥ .

(٢) تيماشيف نيقولا ، نظرية علم الاجتماع ، ترجمة ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ م ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٣) تيماشيف ، نيقولا ، المرجع السابق ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

ومما يؤكد اهتمام مائهيم بالتاريخ ايها تناوله للعلاقة القائمة بين  
الخطية ومدق المعرفة، والموقف الاجتماعي التاريخي، حيث انسه يذهب  
الى أن مفهوم المدق لا يظل ثابتاً خلال الزمن، ولكنه متغير في عملية التغير  
التاريخي، وذلك خلال عهده لاساليب التفكير وبما فيها<sup>(١)</sup> . وكذلك اهتمامه  
بمناقشة مشاكل التنكيك في البحث التاريخي الاجتماعي Historical  
Sociological Research في مجال علم الاجتماع المعرفي، وذلك لايمانه  
بان الواجب الهام لعلم الاجتماع المعرفي يتمثل في دوره وقدرته ليس  
البحث العلمي في الدائرة الاجتماعية التاريخية<sup>(٢)</sup> وأن حيداً  
الجماعة الاجتماعية التاريخية ما هي الا ذلك الاعتماد المتبادل بين  
الجانبيين<sup>(٣)</sup> الامر الذي جعله يؤكد على نسبة المعرفة التي تأسست  
باتجاهه الوظيفي في عملية تفسير الظواهر والاحداث الاجتماعية التاريخية،  
وذلك لان الفكر في نظره يتأثر بالانواع الثقافية و التاريخية، وان هذه  
الانواع تطبع بعماها على المبادئ العقلية والمعرفة . ومن ثم فبان  
مائهيم يفسر الوهم المعرفة البشرية في سياق روح العصر، وما يسوده من  
هزول اجتماعية وثقافية، وذلك ما جعله يرفض الاتجاه التقليدي في المعرفة<sup>(٤)</sup>  
وما ذلك الايمانه بان المواقف التاريخية اساس عملية تفسير المعرفة، كما  
انها اي المواقف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية هي التي تشكل معارفنا الحقيقية .  
ومن ثم نجد يملك في تفسيره للمعرفة وانواعها مملكا دينامياً تاريخياً،  
ويحس لتفسير الجوانب الاجتماعية والتاريخية التي تشكل حيداً الجماعة  
واطارها الفكري<sup>(٥)</sup> . ونظرا لان المواقف التاريخية الاجتماعية في نظره لا تتغير  
على مدار التغير التاريخي بصورة واحدة، بل تتبع قوانين واحدة، نجد  
ان الخطية ما هي الا نتاج للعملية التاريخية، ولذلك اهتم بدراسة البنايات

(1) Mannheim, Karl, Ideology and Utopia, London: Routledge and Kegan Paul, Ltd., 1966. p. 262.

(2) Mannheim, Ibid. p. 275

(3) Mannheim, K.; Ibid, p. 278

(4) Mannheim, K., Ideology and Utopia, Ibid, p. 278 - 279.

(5) Coser, Lewis, & Rosenberg, Bernard, Sociological Theory, London: Collier-Macmillan Limited, 1968. p. 670.

الاجتماعية الثقافية للمفكر ، في سياق العملية التاريخية. ومن هنا كان اهتمامه في علم الاجتماع المعرفي بدراسة الاصول التاريخية والتطور التاريخي للمعرفة .

٢ - الاهتمام المعاصر بالاجتماعات التاريخية بين علماء الاجتماع .

حتى الاجراء التاريخي باهتمام العديد من علماء الاجتماع المعاصرين بالإضافة الى محاولات الكونت بارسونز لتطوير دراساته للمجتمعات البشرية في ضوء الاحراء التاريخي. إذ نجد ان العديد من علماء الاجتماع الأمريكيين قد اهتموا بالتطبيقات المنهجية للاجراء التاريخي. ومن هؤلاء هوراد بيكر H. Becker الذي قدم اسهامات طيبة في هذا المجال. وان كانت تلك الاسهامات متناشرة بين كتاباته المختلفة خلال الخمسة وعشرين سنة الاخيرة ، الا ان عمله الاساسي من القيم للتفسير الاجتماعي<sup>(١)</sup> قد تضمن الكثير من تلك الاسهامات في الاستخدام المنهجي للاجراء التاريخي في البحوث الاجتماعية .

كما ان اليوت D. Eliot اهتم بمعالجة الاستخدام المنهجي للتاريخ في بحوث علم الاجتماع النظري<sup>(٢)</sup> ، حيث قدم لنا اقتراحات محددة/تكتل في جملتها من الاهتمام باستخدام المنهج للمادة التاريخية . كما ان هيرتزلي Hertzler قدم اقتراحه/موكدا به على اهمية الاستخدام السيولوجي للتاريخ، وذلك في عام ١٩٢٥<sup>(٣)</sup> وهذا ما تضمنته مقالته حول الاستخدام السيولوجي للتاريخ . هذا بالإضافة لاهتمام "تيجارت" J. S. Teggart

(1) Becker, H., Through values to social interpretation 1950.

(2) Eliot, T.D., The use of History for Research in Theoretical Sociology. AJS, 27, 1922, March, pp. 628-636

(3) Becker, Modern Sociological Theory, op.cit., p. 230

في دراسته لعمليات التاريخ ١٩١٨ ونظرية التاريخ ١٩٢٥ . والذي لقدم لنا اسهامات منهجية اساسية كانت مغلفة من بسمل علماء الاجتماع .  
وقد كان مؤلفه بعنوان " روما والصين " ١٩٣٩ . بمثابة محاولة طيبة /حاول  
فيها ان يكشف عن الارتباطات الدائمة بين الحوادث التاريخية .

وبالإضافة لتلك الاعمال التي خضعت جميعها لمعالجة الاستخدام المنهجي  
للإجراء التاريخي، وللمادة التاريخية في البحوث الاجتماعية، نجد العديد  
من الأعمال العلمية لكل من " اوديم " Odum " وجوشر " Jocher  
" والمر " Elmer " وبولين ينج " Paulin Young تفرد فعولا معينة  
لمعالجة المنهج التاريخي .

وقد امكن تمييز مستويين اساسيين لاستخدام المنهج التاريخي في المعالجات  
السيولوجية، اولهما ذلك الاستخدام على المستوى الكبير، ويعد سركن ممثلا  
لهذا الاتجاه في أمريكا في تحليلاته للدورات الحضارية . والتي تفحصها مؤلفه  
بعنوان " الديناميات الاجتماعية والثقافية " ، وكذلك " ستوارت شابين " S. Chapin  
في دراسته للتغير الثقافي وفراة " Elwood السورور " للتطور الثقافي .  
اما من الاتجاه الثاني الذي اختص بدراسة ظواهر معينة مثل  
الحرب والاسرة والباثولوجيا الاجتماعية فيمثلها " رايت " في دراسته للحسب  
" ورمزان " في معالجهته للأسرة في مؤلفه الاسرة والمدينة " ر. جيرت وميلز " في  
معالجتها لعلم النفس الاجتماعي كما وجدت في مؤلفهما ( الطابع والبناء  
الاجتماعي ) .

هذا بالإضافة لاستخدامات بعض علماء الاجتماع الآخرين للمادة التاريخية  
في طرق أخرى ، ويمثل هذا الاتجاه الأخير " يونج " في دراستها لتثقيف  
الجماعة المهاجرة في المدينة الروسية ، وفراة " هوارد بيكر " لحركة الشباب  
الالمان في مؤلفه " الشباب الالمان " حيث كشف عن حركة الجماعة الصغيرة  
في اطار الاحداث الكبرى - وكذلك السيوت وغيره من العلماء امثال " بركسبي " .

وهو الذى اهتم بدراسة السمات الصينية فى الثقافة الاوربية، كمثال  
لانتشار الثقافى . هذا بالإضافة لذلك الجهد الذى قام به كل من "ولبرت مور"  
و"وليمز" اللذان اهتموا ببعض التفرع من مدخل تحليل مقارن . افق لذلك  
مداولة "فرانكلين فرايزر" فى دراسة لرموز الولايات المتحدة الامريكىة ،  
واستخدامه لجلات المافى ليلقى الضوء على الوهم الراهن للزنوج<sup>(١)</sup> .  
والواقع ان مرفى مثل تلك النماذج للدراسات السبولوجية التى اهتمت  
بالاجراءات التاريخية واعتمدت على معطيات التاريخ/تكشف لنا من مدى الاهتمام  
بالاجراء التاريخى فى علم الاجتماع لما لهذا الاجراء من فائدة علمية  
جملته يمثل جانباً هاماً فى مدخل عالم الاجتماع<sup>(٢)</sup> فى الدراسات الاجتماعية  
التي يجرىها حول المجتمع وهو امره .

ثالثاً : حواشٍ المدارقة والالتقاء بين التاريخ وعلم الاجتماع .

مثل الحوار حول العلاقة بين علم الاجتماع والتاريخ اهتمام الكثيرين  
من علماء الاجتماع والتاريخ، وقد اتخذ هذا الحوار شكلين متميزين تمثل  
اولهما فى ذلك الاتجاه الذى يؤكد الاختلاف والتمايز بين العلمين، ومن ثم  
تكون البيانات والطرق التاريخية بالنسبة لهم ذات دلالة، واهمية محدودة  
فى الدراسات الاجتماعية . وبالنسبة لاندرا الملك الشاى وهم الذين  
يؤكدون على الالتقاء والاتصال بين التاريخ وعلم الاجتماع تشكل البيانات  
والطرق التاريخية اهمية بالغة لعالم الاجتماع .

وفى ضوء ذلك نعرض لهذا الموضوع من خلال تحليلنا للجوانب التالية :

(1) Frazier, E. Franklin, The Negro in the United States, New York:1949.

(2) Becker, H., Modern Sociological Theory, New York: Holt, Rinehart and  
Winston, 1966. p. 232.

- جوانب المفارقة بين علم الاجتماع والتاريخ .
  - وجوانب الالتقاء بين علم الاجتماع والتاريخ .
  - أهمية البيانات التاريخية والطريقة التاريخية في دراسات علم الاجتماع<sup>(١)</sup>.
- ١ - جوانب المفارقة بين علم الاجتماع والتاريخ .

شمة محاولات مختلفة استهدفت التمييز بين علم الاجتماع ودراسة التاريخ من حيث الأساس المنطقي والمنهجي لكل منهما . وذلك طيلة الفترة التي تسبق خلالها الأطار النظري والمنهجي لعلم الاجتماع . ومع أن معظم تلك المحاولات لم تقدم لنا تميزاً مقنعاً بشكل تام بالنسبة للفروق الدافعة بين علم الاجتماع والتاريخ، إلا أنها أكدت على ضرورة تحديد معالم العلاقة الدافعة بين علم الاجتماع والتاريخ على المستوى النظري والعمل<sup>(٢)</sup> .

ومن ثم تزايد الاهتمام بين علماء الاجتماع بلقبة العلاقة الدافعة بسين علم الاجتماع والتاريخ، وما إذا كانا مختلفان أم بينهما قدر من الالتقاء ، وفي أي الجوانب يكمن الاختلاف والالتقاء فيما بينهما ؟

ورغم وجود فريق من علماء الاجتماع والتاريخ يذهب إلى أن كل من التاريخ وعلم الاجتماع له الموروث المختلف لتحليل الحقيقة الاجتماعية فعلى إذا لم يكن منطقياً، فلا يوجد اتفاق حول ما إذا كان هذا الاختلاف كامناً في الموضوع، والأطار المرجعي وينطق التفسير والنظرية . والمناهج المستخدمة في جمع البيانات وتحليلها أو في المعيار المستخدم لتقويم البيانات .

ومع ذلك فإن "مارتن بلومر" يذهب إلى أن الاختلاف بين علم الاجتماع والتاريخ دائم ، ومن ثم يذهب إلى أن العلاقة بينهما ما تزال مشكلة يهتم بها علماء

(1) Blumer, Martin, Sociological Research Methods, London: The Macmillan Press Ltd, 1977. p. 182

(2) Goldthorpe, John, H., The Relevance of History to Sociology, in: Blumer, Martin, Ibid, P. 178.

علماء الاجتماع الانجليز والفرنسيين ولا مريكان وأن اختلفت درجات الاهتمام فيما بينهم (١).

ومن المعاولات المشهورة للتمييز بين التاريخ وعلم الاجتماع، ما قام به فلاسفة الكانتية المحدثه امثال " فندلاند " وريكارت " اللذان استندا للاختلافات الكمية بين التاريخ والعلوم الاخرى كمحك للتمييز بينها. فالتاريخ يهتم بالحوادث الفردية الخاصة ويدرسها لذاتها، في حين أن العلوم الاخرى مثل علوم الطبيعة والكيمياء فانها تهتم بمعالجة القضايا العامة التي تنظر من خلالها للظواهر موضوع بحثها، وتحاول فهمها بتقديم التفسيرات العلمية لها، في ضوء تلك القضايا . وعلم الاجتماع هنا يرفع في مصداق العلوم الطبيعية، وباعتباره نفا متمعنهما يقوم على معالجة القضايا العامة، التي يحتند اليها في رؤية الظواهر موضوع بحثه لفهمها. وتقديم التفسير لها في ضوء هذه القضايا .

وفي ضوء هذا الاساس الذي استعان به " جون هولدرورب " في التمييز بين علم الاجتماع والتاريخ يتفصح لنا ان عالم الاجتماع يحتاج لاطار تصوري، او لطر تصويرية يحل في غوشها هواهر الوجود الاجتماعي . في حين ان عالم التاريخ يهتم بالافراد والاحداث وما يتعلق بهما من تعليمات خاصة . ومن ثم يمكن التمييز بين التاريخ وعلم الاجتماع باعتبارهما علمين مختلفين على المستويات التحريضية .

واذا كان الزمن هو البعد الرئيسي لعمل رجل التاريخ حيث انه يقوم برصد الحوادث الماضية محاولا ايفاج كيف ان هذه الحوادث تلقى لبعدها في اطراد موجه . فان عالم الاجتماع على العكس من ذلك يهتم بالعلاقات الوظيفية التي توجد بين العناصر البنائية المجتمع وبين الانتمساق الاجتماعية (٢).

(1) Blumer, Martin, Sociological Research Methods, op.cit. p.172.

(2) Goldthorpe, op.cit. p. 179.



وشمة تمييز آخر بين علم الاجتماع والتاريخ/لا ينهل على اساس التماهي بين قديما كل منهما، ولكن يتخذ من نوع المنهج اساسا لهذا التمييز في عملية البحث .

والاجتماع هنا ينصب على المنهج السيولوجي بما يحويه من عينة ومقابلة وملاحظة منتظمة في مجال البحث الميداني . وما يستند عليه من تكنيكات وتكميم ، وتحليل احصائي للبيانات المتحصلة من العمل الميداني . فاتباع هذه الاجراءات المنهجية غير ممكن وغير قابل للاستخدام لدراسة الماضي . وعلى اساس ذلك فان التاريخ وعلم الاجتماع انشطه فكرية مختلفة تماما . حيث ان علم الاجتماع يسعى لدعم علمية بالاستناد الى منهجية العلوم الطبيعية في حين ان التاريخ في الجوانب الاخرى ولا اعتبارات منهجية اساسية لا يمكنه تحقيق ذلك نظرا لطبيعة موضوعه .

#### ٢- جوانب الالتقاء بين علم الاجتماع والتاريخ :

رغم ان المؤرخين التقليديين كانوا قلقين على التاريخ من المعلوم الاجتماعية، ويرون فيها تهديدا لمجال عملهم، الا ان التطور الذي طرأ على علم الاجتماع مؤخرا في انطرا قد شج بعض المؤرخين لتطبيق الاساليب السيولوجية للتطيل على المشكلات التاريخية، المتعلقة بالبداية الاجتماعية. وذلك على نحو ما فعل " كريستوفر هيل " C. Hill وهويزباون

E. Thompson . وغيرهم

E. Hobsbawm وتومبسون

من الذين اسهمت كتاباتهم في كشف جوانب العلاقة القائمة بين علم الاجتماع والتاريخ .

وتحليلنا لجوانب الالتقاء بين علم الاجتماع والتاريخ ينصب على جوانب  
ثلاث رئيسية تتمثل في :

- استخدام التحليل التاريخي في علم الاجتماع .
- تطبيق المؤرخين الأساليب السيولوجية في التحليل على مشكلات البنية الاجتماعية .

#### ١ - استخدام التحليل التاريخي في علم الاجتماع

ذهب "أرمان كوفيلية" في مؤلفه "مدخل إلى علم الاجتماع" إلى أن التاريخ  
منهج حقيقي للتحليل والتفسير، وأنه بمثابة معبر للبحث يستطيع عالم الاجتماع  
أن يستفيد منه . وهو يستند في ذلك لما ذهب إليه دوركايم من أن الدراسة  
في علم الاجتماع تحتاج للمنهج التاريخي، كما أن الدراسات التي يقوم بها  
علماء الاجتماع تحتاج للتاريخ المقارن ، وذلك لأن التاريخ يساعدنا على فهم  
الأحداث الاجتماعية في تفسيرها .

واستناداً إلى ما ذهب إليه علماء الاجتماع من أن التاريخ منهج حقيقي  
للتحليل السيولوجي للأحداث والظواهر الاجتماعية، ذهب عالم الاجتماع الإنجليزي  
توماس بيرتون هوتومور في مؤلفه "علم الاجتماع" إلى أن الاتجاه التاريخي في  
علم الاجتماع اتخذ شكلين أساسيين : تمثل أولهما في ذلك الشكل الذي نلمسه  
لدى علماء الاجتماع الأوائل، الذين تأثروا بفلسفة التاريخ، ومن بعدها بنظرية  
التطور . ويتضمن هذا الاتجاه نظاماً معيناً للأفاهيم المتعلقة بمشكلات  
البحث النظرية . كما أنه يركز بصفة أساسية على المشكلات المتعلقة بأسس  
النظم الاجتماعية والمجتمعات والحضارات ونموها، والتحولات التي طرأت عليها .

وأضعا في اعتباره التاريخ البشري وجميع النظم الاجتماعية الرئيسية للمجتمع .  
وذلك على النحو الذي تشملته أعمال كل من " أوجست كوت " و"هربرت سبنر " وهوب هاوس"  
أو التطور الكلي لنظام اجتماعي خاص كما هو في أعمال " وستر مارك " وبوحسه  
خاص في مؤلفه " تاريخ الزواج البشري " في مؤلفه " الدولة " لا وينهايجسر  
F.Oppenheimer .

وهذا يذهب بوتومور<sup>(١)</sup> إلى أن شمة أطروحه مبكرة تقرر انه لا يوجد قانون للتطور  
وان أعمال هؤلاء التطوريين ليست في الواقع سوى وعد وتفسير تاريخي<sup>(٢)</sup> .

ومن الانتقادات الشديدة التي وجهت لهذا الاتجاه تلك التي لاحظت أن المنهج  
التطوري المقارن قد بلغ حد العبث في أعمال كل من " فرازر " Frazer  
ويوستر مارك Westernmarck لأنه من غير المحتمل أن علماء الاجتماع  
يف يكونوا في المستقبل أكثر اهتماما بتلك الانساق التطورية .

أعمال التطوريين قد ارتبطت بمحاولات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر  
بشي دارت حول التقدم الاجتماعي . فقد تمت هذه المحاولات تحت تأثير تلك الفكرة  
الباعثة والمتحكمة ، على نحو ما ادها " بيري " Bury ورغم رد  
جينزبرج " على تلك الانتقادات إلا أن " بوتومور " يذهب إلى أن الاهتمام  
لعماصر بمشكلات التنمية الاجتماعية يعتمد بشكل واضح على التمنيح والنمو  
الاقتصادي، ومن ثم يؤكد " بوتومور " أن مثل تلك المنطقات تشكل قاعسة  
تاريخية مختلفة، وذلك لأنه يميز في ممالك مختلفة، وقد يؤدي إلى نهايات مختلفة  
لكذلك<sup>(٣)</sup> .

وبذلك يسمى بوتومور لأخراج فهم التغيرات الاجتماعية في العالم الحديث  
من إطار التطور الاجتماعي الشامل . وذلك لأن هذه الأطر التطورية قد اكتسبت  
في بعض الأحيان طابعاً متزمتاً، قد يسهم إلى حد ما في إعاقة الفكر والبحث .

(1) Bottomore, T.B., Sociology, London: George Allen & Unwin, Ltd, 1972.p.5٥

(2) Bottomore, T.B., Ibid, p. 53.

ومن ثم ساق " بوتومور " مثالا لذلك بالنزعة التطورية الماركسية المترتبة  
التي اتبعتها ماركس في دراسته للأعمالية الحديثة، والتي تحولت لمذهب  
في التطور الاجتماعي . والذي شاع الاستناد اليه في تفسير حركة التاريخ  
بشكل يبعث على القلق .

وما يذميه انصار المدخل التاريخي هو ان علم المجتمع ليس الا علم التاريخ  
وهم لا يقدرون هذا التاريخ بالمعنى التقليدي بمعنى انه مجرد سجل للوقائع  
التاريخية وانما ما يحددونه بالتاريخ يتمثل في اعتباره وعلم الاجتماع  
شيئا واحدا لا يرجع بنظره للماضي فحسب وانما ينظر ايضا الى المستقبل .  
وهذا يؤكد انصار هذا الاتجاه ان التاريخ يتناول القوى المؤثرة والقوانين  
التطور التاريخية . ومن رأى انصار هذا الاتجاه ان يلتزم علماء الاجتماع  
بالمدخل التاريخي، ومحاولة الوصول الى فكرة مائة عن الاتجاهات العريضة  
التي تسبب تغير البناء الاجتماعي، وذلك محاولة منهم لادراك علل هذه العملية،  
وأسبابها، والسعي لمعالجة القوانين العامة التي تحكم التطور الاجتماعي،  
لامكان التنسج بالتغيرات المستقبلية بالاستناد لتلك القوانين العامة (١) .

ورغم ان الاتجاه التاريخي لدى التطوريين الاوائل قد وفر قدرا مسن  
المعلومات التاريخية المفيدة . بالاضافة الى بعض القوانين والشروط  
الملائمة لبعض انواع التغير . الا ان هذا الاتجاه لا يتلاءم بصورة مطلقة مع  
ما ذهب التطوريون الاوائل لتفسير التغيرات الاجتماعية، خاصة وان التغيرات  
الاجتماعية المعاصرة تبدأ بمنطلقات مختلفة وتسير في مسالك مختلفة عن تلك  
التي تأكدت في فكر التطوريين الاوائل .

اما الشكل الثاني للاتجاه التاريخي الذي حدده بوتومور، فيمثل ما كس فيبر،  
وبعض علماء الاجتماع السلاطين، والذين اتخذوا منحى الخط الفكري لماركس فيبر

(١) بوبر، كارل، علم المذهب التاريخي، ترجمة . الاسكندرية ، المعارف ، ٢٩٥٩ ،  
ص ٦٠

لقد حدد فيبر<sup>١</sup> في نقده للماركسيين في عصره، معالم المدخل التاريخي الثاني ،  
الذي تحسن بعدد الحديث عنه الآن . خاصة وان ماركس فيبر قد رفض ما سماه  
الماركسيون بالمفهوم المادي للتاريخ كـ فلسفة للحياة ، وكنموذج للتفسير  
العلمي السببي للحقائقة التاريخية ، واكد على أن تطوير التفسير الاقتصادي  
للتاريخ من الاهداف الرئيسية التي يسعى اليها<sup>(١)</sup> .

وماركس فيبر هنا يؤكد على موقفه قد التفسير العلمي لماركس  
وبعارة، فكرة التفسير السببي كمنهج صالح لكل شي ، وهو بذلك يرفض زعم ماركس  
بإمكانية تفسير مسار التطور الاجتماعي بشكل كامل . ومن ثم يذهب الى اهمية  
استخدام التفسير التاريخي، والتفسير العلمي في الدراسات وخاصة تلك  
الدراسات التي انحازها حول اصول الرأسمالية كنمو البيروقراطية  
الحديثة . والتاثير الاقتصادي للاديان ، وهو بذلك يؤكد ان الفاهيم السببولوجية  
النسبوتية العامة تشير للاتجاهات فقط، على حين ان تطبيقاتها في مواقف  
ومجتمعات يتغير دراسة تاريخية مفصلة .

ولقد كان لهذا الاتجاه التاريخي دور في علم الاجتماع الحديث حيث شدد أن  
امثال " رايت ملز " و " راييمون ارون " موجهة بهذا الاتجاه فتناولوا المنهج منيد  
ماركس فيبر موفعين اهمية تناول الدراسة لبعض التغيرات التاريخية التي طرأت  
على البناء الاجتماعي، وبعض انماط المجتمعات، ومقارنة بعض جوانب هذه  
التغيرات بانماط اخرى من التغيرات والمجتمعات<sup>(٢)</sup> .

وفي ضوء ذلك ذهب بوتومور<sup>٣</sup> الى ان الاهتمام المتزايد بالتغير الاجتماعي  
في المجتمعات النامية والمتقدمة يؤكد اهمية مناهج ماركس فيبر، وإمكانية  
استخدامها على نطاق واسع في تقديم تفسيرات علمية سببية وتفسيرات تاريخية<sup>(٣)</sup>

(1) Bottomore, op.cit. p. 54.

(٢) بوتومور ، تمهيد في علم الاجتماع ( ترجمة ) القاهرة ، دار الكتب الجامعية ١٩٧٣  
ص ٧١ .

(3) Bottomore, Ibid, pp. 54-55.

ولقد اكد عالم الاجتماع الفرنسي "اميل دوركايم" على اهمية التاريخ لما يقدمه لنا من مؤلفى فهم الاحداث الاجتماعية وحركتها. وبذلك يستخدمه دوركايم كأداة للتطبيق/لهم التنظيم الاجتماعى/ومعرفة اصوله وتركيب عناصره والعلاقات القائمة فيما بينها ، نظرا لان التاريخ يبرز لنا هذه العناصر ويوضحها. وذلك لان العناصر التى تولد تلك التنظيمات تنشأ تماما/وتتولد عن بعضها. ومن ثم يجب ملاحظة سير تكوينها فى الزمان اى فى التاريخ لمعرفة عناصرها المكونة لها/وطبيعة تلك العناصر .

ومن ثم يؤكد "ارمان كوفيليه" على التاريخ كمنهاج تفسيرى، لتفسير الواقع التاريخى، وتحديد الاسباب التى ترجع لاصول تاريخية. ومن ثم يؤكد دوركايم على اهمية المقارنة بين عدة نماذج من التطورات التاريخية/أولئك مثلما فعل اميل دوركايم فى تفسيره التاريخى لنسق القرابة وتغيراتها من الصيغة المرتبطة بالام حتى البعيدة الحالية (الزواجية) التى تتعلق بالام والاب معا ، مروراً بقيام نسق القرابة الابوية مع تأكيد على اهمية تتبع العلاقات القائمة بين كل منها عبر التاريخ .

ب - استخدام المؤرخون للأساليب السيولوجية فى التحليل :  
تدارك المؤرخون اهمية تطبيق اساليب التحليل السيولوجية على المشكلات المتعلقة بتاريخ البناء الاجتماعى. وقد شج هذا الميل للنسق بعض المؤرخين على التاريخ من العلوم الاجتماعية/نتيجة لكتابات " كار " E. Carr ومعاشرته التى اهتمت بهذا الجانب . ومن ثم تأثر علماء التاريخ الاقتصادى فى بريطانيا ~~بشكل~~ بالتقدم الذى احرزه علم الاجتماع واستخدموا المدخل السيولوجى فى دراساتهم .

وفى ضوء تلك التغيرات والاسهامات الاولى "لتاونه" Tauney  
"ونامير" Namier ، أو لهؤلاء الذين تأثروا بالاطار المادى فى اعمالهم  
امثال كريستوفر هيل C.Hill "وهوبريد او نند"

E. Thompson و <sup>١</sup> هوبسبون E. Hobsbawn واتجهوا لتطبيق الأساليب السبولوجية للتحليل في الدراسات التاريخية. ومن ثم تأثر علماء التاريخ بهذا الاتجاه واهتموا باستخدام الأساليب السبولوجية في دراساتهم للمشكلات المتعلقة بتاريخ البناء الاجتماعي . وقد اتت دراساتهم تلك بنتائج طيبة . أدت لتزايد الاهتمام بتوثيق العلاقة القائمة بين التاريخ وعلم الاجتماع ومن ثم أكدت هذه البحوث من جديد طبيعة العلاقة القائمة بين علم الاجتماع والتاريخ

وقد كان من بين علماء التاريخ الذين أكدوا هذا الجانب كل من <sup>٢</sup> لويس ستون L. Stone ، وهو بريطاني، ولنكننت Jvincent ، وشيسون E. Thompson ، وإمبرجز A. Briggs . كلهم الأمثلة الحقيقية لهذا الاتجاه من بين علماء التاريخ. ومن بين علماء الاجتماع الذين قدموا إسهامات هامة في التاريخ الإنجليزي كل من سليسز N. Smelser ، وبنكر O. Banks ، وجيتزمان W. Guttman .

وقد أوفى جون جولدثورب<sup>٣</sup> في تحليله لعلامة واتصال التاريخ بعلم الاجتماع أن التاريخ وعلم الاجتماع يعتمد كل منهما على الآخر ويرتبط به. وقد اجتهد لابرار جوانب التماسك والاتصال بين كل منهما (١) كما أن ميشال انفرسون<sup>٤</sup> قد عرض لاحتمالات قيام علم الاجتماع التاريخي الكمي بالانتماء إلى الإحصاء ، وذلك لتأكيد جوانب الصدق والثبات في البيانات المتحصلة والتي تستند إليها الدراسة التاريخية .

(1) Goldthorpe, J.H., The Relevance of History to Sociology, In Blumer, op.cit. p. 178.

ومن ثم يؤكد "مارتن" بلمر<sup>(١)</sup> أن المجلدات الإحصائية وغيرها من احصاءات منشورة تمثل العملية المتعلقة بسلسلة البيانات التي تجمع، والتي يمكن أن يكون فيها الخطأ، إذا لم يتوفر في تسجيلها الدقة والدقة. ومن ثم يذهب "بلمر" في مؤلفه "علم اجتماع القرن التاسع عشر"<sup>(٢)</sup> إلى أن الأصرار على أهمية تأكيد الدقة في المعطيات التاريخية، أو في البيانات التاريخية كن طريق استخدام الأسلوب الكمي في التحليل، ما هو إلا ادخال للأساس المنهجي لعلم الاجتماع في الدراسات التاريخية ومن ثم اهتم بهذا الجانب المتعلق بتحقيق المصدق والشك في البيانات التاريخية، والمصادر التاريخية المستخدمة، كل من اندرسون وغيره ممن اسهموا في هذا الجانب بمناقشة موضوع استخدام أساليب التحليل السببية في مجال التاريخ وفراسته، وذلك لا مكان التخلي من التفسيرات المسببة للمراحل التاريخية المختلفة<sup>(٣)</sup>.

ويشير اندرسون جانباً آخر من أساليب التحليل السببية يمكن استخدامها في الدراسات التاريخية، وهو ذلك الجانب المتعلق بالتحليل الوصفي، وهو هنا يريد أن يؤكد على إمكانية استخدام طريقة التحليل المعتمد على المصادر التاريخية غير الكمية، والتي سماها اندرسون "بالبيانات الوصفية" Descriptive Data التي تساعدنا في رؤية الواقع الذي كانت عليه الأفعال والأحوال الاجتماعية، وتوضح أهمية استخدام هذا الأسلوب غير الكمي، إلى أنه جانباً كبيراً من الدراسات الاجتماعية والتاريخية تتناول جوانب غير كمية، ولذلك يذهب "بلمر" إلى أهمية الدقة والصحة في استخدام البيانات الكمية، ويؤكد على أن استخدامها بعناية يؤدي لمزيد من الفهم والوضوح للأحوال الاجتماعية، والرؤية الخاصة للداخليين الاجتماعيين لفهمهم.

(1) Wrigley, E.A. (ed) Nineteenth Century, Sociology, Cambridge University Press, 1972. P.L. In Blumer, op.cit. p. 173.

(2) Blumer, op.cit. p. 173.



ومن ثم نجد ان الميل هذا والميل لاستخدام اساليب التحليل السبولوجية  
التفسيرية والوعلية، في مجال الدراسات التاريخية . بالابتداء السبي  
التفسير السبولوجي المستند للبيانات الاحصائية المجلة، والاجراءات التي  
يمكن ان ترتبط بهذا الجانب التفسيري من ناحية، بالإضافة لاستخدام التوثيق  
الشخصي المتضمن للسهر الذاتية والتسجيلات اليومية او اليوميات المجلة،  
والوثائق المكتوبة، حول تواريخ الحياة. وذلك ما اكده " جوتشالك " لسي  
مولفه بعنوان " استخدامات الوثائق الشخصية في التاريخ ، والانتروبولوجيا  
وعلم الاجتماع حيث اكده فيه على البيانات المتعلقة بالجانب الشخصي  
للمشاركين وانطباعاتهم في تطيل الاوضاع الاجتماعية، التي كانوا مستقرين  
فيها بداعلية (١) .

ومن ثم نجد أن أسلوب التحليل السبولوجي الوعلي يستند في الدراسات  
التاريخية (وخامة لدى علماء التاريخ السياسي) على السهر الذاتية واليوميات  
والكتابات والتي ظلت بمثابة المعدر الاساس للمؤرخين وعلماء التاريخ  
السياسي . وقد استخدم " رارلي " هذه المصادر التوثيقية، او هذه الوثائق  
واهتم بما تحويه من مادة في دراسته للطبقة العاملة . كما ان " بيرنت "  
و" هيدسون " و" اشيدا " و" دافز " اهتموا بالمادة التي تحويها هذه الوثائق. فسي  
تحليلاتهم، ومن ثم نجد ان العديد من الدراسات التي استخدمت المصادر التاريخية  
قد زاوجت بين اسلوب التحليل التاريخي الكيفي والكمي، واكدت على امكان  
استخدام هذه الاساليب السبولوجية المنهجية، وتطبيقها في دراسة المافسي  
وتقدير مشاكله .

وبذلك تكشف معالجات ماركس فيهر<sup>==</sup> ، ومشارك بلوخ " ولبرت S.Lipset

(1) Gottschalk, L. The uses of personal Documents in History, Anthropology  
and Sociology, New York: SSRG. 1947. In Blumer, op.cit. p. 174.

العلاقة الدائرية بين التاريخ وعلم الاجتماع. والأكثر إثراء للدراسات التاريخية من تلك العلاقة الدائرية على المشاركة في المناهج العامة في مجال كل منها<sup>(١)</sup>.

٣ - أهمية البيانات التاريخية والطريقة التاريخية في دراسات علم الاجتماع.

أبدي عدد من علماء الاجتماع الإنجليز اهتماما واحدا بالمادة التاريخية في البحوث الاجتماعية. ومن ثم استخدموا البيانات المتعلقة بالسير الذاتية والمرتبطة بحياة الطبقة العاملة في دراساتهم، وذلك على نحو مافعل " رتشارد هوجارت"<sup>(٢)</sup>.

وقد اهتم علماء الاجتماع بالحياة الاجتماعية في فترات تاريخية ماضية. وذلك على نحو مافعل " توماس " وزنانكي وعلماء الاجتماع بمدرسة شيكاغو من بعدهم حيث استخدموا السير الذاتية في دراساتهم للفعل الاجتماعي من الجانب الذاتي وذلك بالإضافة للاهتمام بالحيت الذي تمثل عند عالم الاجتماع التاريخي " دنين" والذي حاول الحول على تقارير شخصية من الأحوال الاجتماعية في الماضي من الأملاء المسنين للمجتمعات المحلية<sup>(٣)</sup>، والذين اعتمد عليهم كالجاريين Informants. وقد أصبح الاهتمام الآن متزايد بين علماء الاجتماع البريطانيين بالبحث التاريخي. ومن ثم، ولتحقيق الغرض تلك الدراسة تعمق اهتمامهم بالدراسات التاريخية، اهتماما بتطبيق الطريقة التاريخية في علم الاجتماع/

---

(1) Blumer, op.cit. p. 175.

(2) Hoggart, R. The uses of Literacy, London: Chatto and Windus, 1957.

(3) Bensusan, W. The Research, London: Butter worths, 1970. and the logic of Naturalistic Inquiry, Social Forces, 1971. pp.166-182.

والانثروبولوجيا لدراسة الماضي. وينتمو ' التاريخ الشفهي ( Oral History )  
وهو نقد المنهج " لدانسينا "، والاهتمام متزايد بتلك التكنيكات (١)  
في العديد من البحوث التاريخية التي استخدمته واعطته كل اعتبارها .

وقد كان اهتمام " سكلر " بالبيانات التاريخية في دراسات السيلوجية ،  
التي اجراها لظلم العلاقة بين النمو الاقتصادي وفترات الاسرة في إنجلترا  
خلال الثورة الصناعية ، واحدا لرفيته في توفير البيانات، التي يمكن  
تطبيقها في اختبار الجانب الدينامي للنظرية العامة للانسان الاجتماعية .  
ومن ثم يتضح لنا مدى اهتمام علماء الاجتماع باستخدام البيانات  
التاريخية في دراساتهم وما يمكن ان تسهم به تلك البيانات التاريخية في  
الدراسات العلمية السيلوجية .

والواقع ان الاهتمام بالطريقة التاريخية في البحوث الاجتماعية يرجع  
الى أن محاولات العمل والتميز بين علم الاجتماع والتاريخ على اساس المنهج ،  
تتطلب حرص علم الاجتماع في دراسات المجتمعات القائمة اليوم، ولأنه ان ذلك  
ينطوي على قدر من التناقض والمغالطة المبالغ فيها من قبل انصار هذا الاتجاه ،  
وذلك لان استخدام الطريقة التاريخية في علم الاجتماع ذات دلالة وفائدة  
في احوال علماء الاجتماع، سواء على المستوى النظري او المنهجي .  
كما اننا لو اخذنا في الاعتبار البناء المنطقي للعمليات التحليلية  
التي تستند اليها النظرية العامة للانسان الاجتماعية . من حيث تولد  
هذه العمليات وادخلتها التجريبية . فاننا نجد أن المادة التاريخية بصورة  
عامة ليست ذات قيمة كبرى لعالم الاجتماع . بحسب أكثر من اينوع اخر من البيانات  
حول المجتمعات البشرية، فضلا عن انها قد تكون ذات قيمة أقل مما نسميه

---

(1) Vansina, J., Oral Tradition, London: Penguin, 1973.

بيانات معينة أو البيانات المتعلقة بالسلالات والأجزاء منها لاحتتمال عدم اكتشافها أو ثباتها . غير أن البيانات التاريخية بالنسبة لعالم الاجتماع الذى يهتم بالنظرية السبولوجية . ذات قيمة وفائدة كبيرة لجانب معين فقط يهتم عالم الاجتماع/ وهو ذلك الجانب المرتبط بالنواحي الديناميكية للنظرية . حيث يتكون اختبار القضايا العامة General Proposition حول التغير الاجتماعى على المدى البعيد فى حاجة لتلك البيانات المتعلقة بالتتابع الزمنى . ومن الأمثلة التى توفر لنا البيانات التاريخية المستخدمة بواسطة عالم الاجتماع لهذا الغرض/ المرتبط بالجوانب الدينامية للنظرية/ واختبار القضايا العامة حول التغير الاجتماعى فى سلسلة التتابع الزمنى/ تلك الدراسة الحديثة حول التغير الاجتماعى المرتبط بالثورة الصناعية ، والتى قام بها " نيل سملزر <sup>(١)</sup> " حيث أن سملزر استخدم قدرا كبيرا من المصادر المتعلقة بالتاريخ العاصى والتغير بلانكشير Lancashiera / فى الفترة ما بين ١٧٧٠ وحتى ١٨٤٠ وذلك للاختبار التجريبى للنظرية العامة للتغير فى الاتساق الاجتماعية، من خلال عملية الاختلاف والتمايز البشائى ، تلك النظرية التى تمثل جزءا من النظرية الواسعة للفعل الاجتماعى Theory of Social Action التى قدمها تالكوت بارسوز Parsons وزملاؤه .

وقد كان الاجراء الأساس الذى اتبعه " سملزر " هو ايجاد كيف يمكن تطبيق نموذج التغير البشائى بتحتاج. لفهم مظاهر التغير ، وذلك ما جعله يحاول تطبيق نموذج على التغير فى صناعة القطن بلانكشير . ومن ثم تطبيقه على تغير الاقتصاد العاصى للطبقة العاملة بلانكشير . ومع أن النطين الطرفين اللذين تناولتهما سملزر مختلفين تماما من حيث انتظامهما . فإنه يقتصر على إمكانية مناقشتها بمجازاة، أو فى سياق نمط ونموذج التمايز والاختلال/

(1) Smelser, N.J., Social Change in the Industrial Revolution, London: 1959. In Blumer, op.cit. p. 181.

البداى . وفى كلا الحالتين يمكن فحص عملية التغير فى سياق النموذج الدينامى Dynamic Model ذاته . ومن ثم نجد ان سلتز يذهب بشكل قاطع الى أن قابلية التطبيق العامة بنموذج المقترح مرتبطة بالنظرية الواسعة للفعل القس اثنق منها النموذج<sup>(1)</sup> .

ومن ثم يذهب " مارتن بليمز " اليانه بالنسبة لعلماء الاجتماع الذين يتمكنون بالاختلافات المنهجية الاساسية، القائمة بين التاريخ وعلم الاجتماع تكون البيانات التاريخية ذات دلالة وفائدة محدودة اكثر مما لهذه البيانات من دلالة بالنسبة للمهتمين بالنظرية العامة . وفى فوه ذلك نجد ان بليمز " يقـــــرر " ان للدراسات التاريخية الواسعة قيمة توجيهية عامة بالنسبة لعالم الاجتماع . وذلك ما لاحظ " لازارسفيلد Lazarsfeld " بالنسبة لتكوين علماء التاريخ لبعض القضايا المتعلقة بالراى العام. وذلك فى دراسة التغير الاجتماعى، على نحو ما يتم بالنسبة للدراسات التتبعية التى تتناول خاصى العلاقات القائمة بين الفواهر المتغيرة من حيث كونها فردية او عكسية بمعنى دراسته النظم الاجتماعية والجماعية . بتكرارها فى فترات زمنية مختلفة، وعلى هذا النحو يمكن القول: بأن البيانات المتحصلة بكيفية او نوعية، تجعلها تدمج بالتحليل النظرى المستمر لعمليات وميكانيزمات التغير الاجتماعى . ترتبط بالدراسات التاريخية وتكتب معطياتها قيمة واذا نظرنا لاهمية البيانات التاريخية بالنسبة لمن يملكون بين علم الاجتماع والتاريخ فان البيانات التاريخية تكون ذات دلالة واهمسية محدودة . فى حين ان الاجهات التاريخية ذات دلالة واهمية بالغة القيمة بالنسبة لمن يرون ان علم الاجتماع يحتمل بجذوره ليرتبط بالدراسات التاريخية ولذا فهى تؤكدون على اهمية البيانات التاريخية .

(1) Blumer, op.cit. pp. 181-182.

والحقيقة ان كسلا المدخلين في حاجة للدراسات والبيانات التاريخية وذلك :

( ١ ) لان الفهم العميق يتطلب الاختلافات المحتملة في المجتمعات البشرية، وبروح خاص في الطرق التي تكون متكاملة فيها او متغيرة . وذلك قبل انجاز اس تقدم ذات دلالة للنظرية العامة، ولذلك فان النقد الرئيسي الذي يوجه للنظرية العامة لبارسونز انها ليست عامة بالقدر الكافي، وذلك لوجود اشكال معينة من المجتمعات التي لا تنطبق فيها بداعلية وكفاءة (١) .

١ ب ) وان نوع الدراسات التاريخية والمقارنة ضرورية لتعمل كإطار للعمل، والتي تكون فيها الدراسات التفصيلية للوسط ممكنة وبطريقة ذات دلالة تخدم التحليل البنائي .

١ ج ) ان الدراسات التي تركز على انماط الاختلاف في البناء الاجتماعي وفي الثقافة، وايضا في الطبيعة البشرية في حد ذاتها . تساعدنا في محاولتنا لفهم مجتمعنا وعصرنا، وذلك يتم في الغالب من خلال المقارنة بنماذج العوالم الاخرى . ومن ثم نجد ان البعد التاريخي وبالمثل البعد الجغرافي، واللذان يشكلان وجودنا الاجتماعي، اهمية لى تحقيق وفهم وفهم اكثر . وبذلك يؤكد " بليمير " على اهمية التوجيه التاريخي لعلم الاجتماع، وانه سيحل بشكل الاساس الجوهرى لهذا العلم (٢) .

---

(1) Blumer, op.cit., p. 186.

(2) Blumer, Ibid., p. 187.

٤ - ظهور علم الاجتماع التاريخي كتجديد للالتقاء بين علم الاجتماع والتاريخ .

لقد كان للحوار الدائر في مجال العلاقة بين علم الاجتماع والتاريخ -  
إسهام والمسم تمثل في تأكيد الرابطة بينهما من خلال ظهور الاهتمام فسي  
الربيع الثامن من القرن العشرين بميدان اس علم الاجتماع التاريخي ،  
وامتداده للربيع الثالث من هذا القرن، وتغن بمفهوم علم الاجتماع التاريخي ،  
تلك الجهود التي استهدفت تحديد المبادئ العامة والانتظامات التي تحكم  
حركات المجتمعات او الثقافات والعفارات بصورة عامة .

وقد مهدت لظهور هذا الاتجاه الفكري وهذا الهم لطبيعة العلاقات القائمة  
بين علم الاجتماع والتاريخ ظهور الاهتمام بالدراسة الاجتماعية التاريخية  
للجماعات الكبرى ودينامياتها وموامل تغيرها والطابع المميز لها ولم ان لهذا الاتجاه  
جذور متأصلة في اعمال دانطكي . وخاصة مؤلفه (روسيا واوروبا) الا ان اسهامات  
"أوزوالد شبنجلر" (١٨٥٦ - ١٩٣٦) تمثل البدايات الحقيقية لهذا الاتجاه  
في القرن العشرين . حيث صدر مؤلفه تدهور الغرب عام ١٩١٨ والذي يعالج  
مظاهر الانتظام في الثقافات والحدارات ويؤكد ان الدلالة الاساسية تكمن  
في تاريخ وحياة كل ثقافة على حدها . وهو بذلك يرفض النظرة لتاريخ -  
الانسانية ككل ، ولذلك يعارض تقسيم تاريخ البشرية التقليدي بين التاريخ  
القديم ، والوسطى والحديث . وذلك لايمانه بأن كل ثقافة منفردة تمشي  
مورثات شعب او مجموعة شعوب معينة، تقوم حياتها على فلسفة واحدة مشتركة .  
وهو بذلك يؤكد على الطابع المميز لاطوب كل ثقافة من الاخرى .

وشينجلر بذلك يؤكد ان الثقافة كائن حي بمسرح مراحل نمو مدائنة  
لنمو الكائن الحي، وبذلك تبدأ بالطفولة والشباب والنضج ثم الشيخوخة،  
وفي ضوء ذلك ناقش شامان ثقافات أساسية هي ، الثقافة المصرية : الهندية  
والعينية . والعربية ، والغربية ..... الخ . وهو في معرض حديثه  
يشير لنمط من الثقافات الناشئة هي الثقافة الروسية .

وقد اهتم علماء الانتروبولوجيا والاجتماع والمؤرخين بأعماله ومن ثم  
حزبهم للاهتمام لوضع نظريات شاملة يفسرون في ضوءها التغيرات التي  
تطرأ على الثقافات والحضارات .

ومن هؤلاء المؤرخ الانجليزى ارنولد تونبى ١٨٨٩ / الذى اهتم بدراسة  
التاريخ ومن دراساته الاجتماعية التاريخية تناوله للمبادئ التى تحكم  
الحضارات فى نموها وانماط تغيرها . وهو فى ذلك يدرس نماذج من الحضارات  
فى مراحل معينة من نموها . ومن ثم نجد ان تونبى فى ميدان الدراسة  
التاريخية يهتم بالحضارة كوحدة . ومما يميز رأى تونبى من رأى شينجلر  
اعتقاده فى وجود حضارات مشتقة ورغم انه يعتقد فى وجود اسلوب وطابع  
مميز للحضارة الا انه لم يحدد هذا الاسلوب بصورة كاملة .

وقد ظل تونبى من دراساته لنشأة الحضارات ونموها الى ان العمليات  
المرتبطة بأصل الحضارات ونموها ماهى الا نتيجة للتحدى والاستجابة للتحدى،  
الذى يمر من قوى طبيعية معينة مثل المناخ القاسى او عروب الجبال  
وما يرتبط بذلك من استجابة أقلية اى طوة معينة لهذا التحدى .  
كما انه يؤكد ان الحضارات فى نموها وتطورها تتخذ لنفسها طابعاً منفرداً  
يميزها عن غيرها من الحضارات .



ومن الأعمال الأساسية أيضا لتونس مؤلفه بعنوان " دراسة التاريخ " حيث ناقش فيه بعض قضايا التفسير والتفسير والتنقيب . ورغم ان التعديلات التي ادخلها على أفكاره الأساسية الا ان هذه التعديلات لاتقدم تعديلا جوهريا في نظريته العامة المتعلقة بالتفسير . وذلك رغم اعتراجه بإمكانية حدوث فترات ازدهار ثقافي متكرر في إطار حضارة واحدة وتأكيدا على إمكانية بعض الحضارات على احتواء حضارة واحدة. هكذا

لغلا من تأكيده على الدور الفعال الذي يمكن ان يلعبه الدين في مجرى التفسير التاريخي واحداه .

وبذلك نجد ان تونسي يستند على الحقائق التاريخية في تقديم تفسيراته العلمية للأحداث والظواهر الاجتماعية من ناحية كما انه يستند اليها في صياغة تعميماته حول نشأة تلك الظواهر ونموها من ناحية اخرى .

وعندما نتناول "بيترم سروكين" P.Sorokin كعالم اجتماع تاريخي اهتم بتحديد ملامح التفسير الاجتماعي نجد اننا بعدد مرفى جهد علمي من قبل علماء الاجتماع الذين اهتموا بالمعطيات التاريخية في تحليلاتهم السيولوجية والتي مكنتهم من صياغة بعض التعميمات التي استندت اليها النظرية السيولوجية ، وما زالت حتى اليوم تتخذ منها حججها العلمية التي تقم عليها مشروعية صياغة النظرية العامة في علم الاجتماع .

وقد تحدثت اسهامات سروكين بحلة اساسية في مؤلفه بعنوان " الديناميات الاجتماعية والثقافية " (١) والذي يضم اربعة مجلدات . حيث يحدد الجوانب الفريدة التي لاتتكرر في التفسير الاجتماعي . ويشير الى ان العمليات الاجتماعية

---

(1) Sorokin, P., Social and Cultural Dynamics, 1947.

لاتقوم على مواد مفردة . وهو بذلك يؤكد ان تلك العمليات تنسم ببعض  
المتنادر المتكررة . "وسروكين" هنا يتفق في الرأي مع المؤرخين  
المهتمين بدراسة التغير الاجتماعي في المجتمعات البشرية ومظاهر هذا التغير،  
وقد استند سروكين في مباحثه لبعض القوانين التي تحكم عملية التفسير  
والتطور الى الوقائع التاريخية، والاحداث والظواهر الثقافية التاريخية،  
مثال ذلك تأكيد سروكين على ان الاتجاه العام للتغير الاجتماعي يتم في شكل  
تقدم مفترق، المستوى معين ينتهي بجمود ثقافي في بعض الاحيان، او ينتهي  
بانهكاس خط التقدم المستقيم، والذي يسير في الاتجاه المعكس حتى يبلغ مستوى  
معين ثم ما يليه ان يرتد ليأخذ الخط المضاد . ومن ثم يأخذ التفسير  
عند سروكين في التحول بين الثقافة الفكرية والثقافة الحسية . وهنا  
يؤكد سروكين ان اتجاه التغير قد يأخذ في الانتقال الدوري من اتجاه لآخر،  
وقد يأخذ في احدهما نمط الثقافة المختلط وفي الاخر قد يأخذ النمط  
الفكري .

وهذا يذهب سروكين الى ان تاريخ الثقافة الغربية يتم بهذا النمط .  
وهو بذلك يسعى لتأكيد الفكرة التي طرحها بالنسبة للتغير الاجتماعي واتجاهه،  
بمحاولة استقرار تاريخ الثقافة الأوروبية متمبها لهذا التاريخ منذ اليونان  
القديمية حتى الثقافة الأوروبية المعاصرة . وفي سياق تطبيقه لوجهة نظره،  
على الجوانب التاريخية للمجتمع الأوربي وتاريخه الثقافي . نجد سروكين  
يقدر بأنه اكتشف النمط الثقافي الفكري في ثقافة الأفريق والتي تبدأ من  
القرن الثامن حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد، ثم يتعقب هذه الثقافة  
خلال القرن الأخير والنصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد ويعلمها بانها تحولت

الى ثقافة مثالية، ثم يقرر انها تحولت الى النمط الثقافي الحس في الفترة من اواخر القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي، حيث ظهرت الامبراطورية الرومانية . وبعد ذلك وخلال القرن الخامس والسادس الميلادي اتخذت الثقافة النمط المختلط . تلا ذلك تحولها للنمط الفكري خلال فترة طويلة، ثم تحولها للنمط المثالي منذ اواخر القرن الثاني عشر وحتى اوائل القرن الرابع عشر . وهو عصر الكنائس القبطية<sup>١١</sup> ، ودانشي والقيسيس توماس الاكوينسي، ثم بدأت الثقافة تأخذ النمط الحس تدريجيا منذ نهاية القرن الرابع عشر حتى اصبحت في قمته الحية في عصرنا الحالي . وفي غرض ذلك يقرر سروجن امكانية تحديد بعض المعالم والامراض التي تكشف من احتمالات التغير الثقافي في اتجاه النمط الفكري في المستقبل<sup>(١١)</sup> .

وبذلك نجد ان سروجن يتخذ من حقائق التاريخ واستقراؤه حوائثه وفواهيره ، ركائزه في استخلاص تعميماته النظرية حول التغير الاجتماعي والثقافي للمجتمعات البشرية ، وتحديد العوامل المؤثرة في التغير الاجتماعي والثقافي في النسق ، وتحديد اتجاهه وعملياته والقوى الداخلة في النسق ، ورغم الانتقادات التي وجهت لتعميمات سروجن النظرية الا ان بعض هذه التعميمات ما زالت تمارس - اشيرها وتوجه التفكير النظري لدى العديد من علماء الاجتماع المعاصرين .

وقد تأكدت من افعال كل من ستيفارت تشابين والفريد كروبر والفريد فينسر ، اهمية الدراسات التاريخية في علم الاجتماع وتدعمت اسلم الاجتماع التاريخي، فلاب تشابين الى ان الوعي العميق بالاتجاه الرئيس للثقافة والذي يميز التاريخ البشري تقع مسؤوليته في المحل الاول على عالم الاجتماع . اما الفريد فينسر فيؤكد ان الحياة تاريخية في اساسها ، وان عالم الاجتماع هو الذي يخلق

---

(١١) تيماشيف . المرجع السابق ، ص ٤٧٠

بالاجابة السيولوجية من السؤال المتعلق بتجديد موقعنا من تيار التاريخ،  
والذى لا يمكن الاجابة عليه الا بفهم العملية التاريخية فى مجموعها .  
وفيبر هذا يقدم لنا تصور لامكان الاجابة على السؤال الذى يواجه عالم الاجتماع،  
بتقسيم التاريخ الكلى الى عمليات ثلاثة تتمثل فى العملية الاجتماعية ،  
والعملية الحضارية ، والعملية الثقافية،والتي تلخص لقوانين نمو وحركة  
مختلفة تناسب كل منها،الا انه يقر ان تلك العمليات الثلاثة مترابطة مع  
بعضها بروابط وثيقة ، حيث ان العملية الاجتماعية تتحدد من ظهور الحوادث  
التاريخية فى المجتمعات البشرية والعوامل والقوى المؤدية اليها.ومن ثم  
يقرر ان العملية الاجتماعية تلك ندرتها فى قيام الاسر والقبايل والامم،ومن  
خلال تنظيماتها الاجتماعية،والعمليات المختلفة التى تقع فى كيانها . فى حين  
ان العملية الحضارية تتفج من نمو التكنولوجيا،والعلوم الطبيعية .وبالاستناد  
لقابلية العملية الحضارية للتراكم يقرر فيبر ان العملية الحضارية أحادية  
الانتهاء وتقدمية،وانها غير قابلة للانكسار بل انها تؤدى فى النهاية لحضارة  
موحدة . وهو بذلك يختلف مع سروكن فى تحديده لخط التقدم . فى حين ان  
العملية الثقافية . تتميز فى نظر فيبر بخاصية الابداع كذا انها غير قابلة  
للانتقال بسهولة من فترة تاريخية لأخرى.وهى تتفج فى الفن والدين والفلسفة  
وتتكون من العالم والخصية الفردية . ثم يعود فيبر ويقرر ان هذه العمليات  
مترابطة مع بعضها وترتبط جميعها بالحركات الثقافية،والتي تتأثر بدورها  
بتلك العمليات .

ولقد ظهر الاهتمام بالدراسات التاريخية في علم الاجتماع لدى بعض علماء الاجتماع المعاصرين والذين يمثلون اتجاهاً معتدلاً ومنهم "الكوت" و"بارسونز"، الذي اجتهد لوضع نظرية عامة في التغير الاجتماعي، وذلك ما خلفته مقالة "المظاهر التطورية العامة في المجتمع"<sup>(١)</sup> (أو عموميات التطور في المجتمع) وهي الفكرة التي أولفها بارسونز في مؤلفه بعنوان "المجتمعات من منظور تطوري" مقارنًا والتي حددها بالدين واللغة والتنظيم الاجتماعي والتكنولوجيا والتباعد اليها البيروقراطية التي ترتبط تاريخياً بالتدرج الاجتماعي المتزايد، وظهر السوء، السواد، ونمو نظام قانوني تماماً بمثابة شرط لها . ومن ثم نجد ان بارسونز قد اهتم بلفظة التطور التاريخي للمجتمعات البشرية بتحليل المظاهر العامة التي اتخذها كعالم اساسية لهذا التطور في المجتمع البشري .

وبارسونز في مؤلفه "المجتمعات من منظور تطوري" مقارنًا يكشف لنا عن ابعاد الطريقة التاريخية في البحوث الاجتماعية حيث نجده يعالج بعض القضايا الاجتماعية المتعلقة بالمجتمعات البشرية من منظور تطوري مقارن .

---

(1) Parsons, T., Evolutionary universals in Society, Am. Sociol. R., 196 Vol. 92, N.3.

رابعا : الاجراءات المنهجية للبحوث التاريخية في علم الاجتماع :

من التحليل السابق حول الدراسات التاريخية تتحدد ابعاد الرقابة  
السيرولوجية للاجراءات المنهجية المتبعة في الدراسات والبحوث التاريخية  
في علم الاجتماع ، ومن ثم يأتى ضرورة ابراج تلك الاجراءات من خلال استخدامها  
بين علماء الاجتماع من ناحية ، ثم تناول الاجراء التاريخى والاجسراءات  
المنهجية التى تستخدم في البحوث التاريخية من ناحية اخرى .

وذلك لتقديم صورة متكاملة حول الاجراءات المنهجية التى يستعان  
بها في البحوث التاريخية .

وفى ضوء ذلك نسير في معالجة هذه النقطة في الخطوات التالية :

- استخدام العلماء للاجراء التاريخى في البحوث والدراسات الاجتماعية .
- الاجراء التاريخى كعملية في البحث الاجتماعى التاريخى .
- استراتيجيات التحليل التاريخى ومنطقه .

١ - استخدام الاجراء التاريخى في البحوث والدراسات الاجتماعية :

يتبين لنا من تحليل التراث الاجتماعى ان الاهتمام متزايد في علم الاجتماع  
لاستخدام الاجراء التاريخى في البحوث والدراسات وذلك ما تتفق معالمه من التحليلات التالية

اذ يذهب "مارتن بليمر" وهو يمدد مناقشة العلاقة بين علم الاجتماع والتاريخ الى  
ان المناقشة المثمرة للعلاقة بين علم الاجتماع والتاريخ تكون اكثر فاشدة  
بتناول المناهج العامة المشتركة فيما بينها مما لو ركزنا على المشكلة ، او  
المشاكل العامة<sup>(١)</sup> . ويلهم بذلك يؤكد على اهمية مناقشة الاجراءات المنهجية

---

(١) Blumer, op.cit, p.175.

التي تتبع في البحوث والدراسات التاريخية وذلك لما لهذه الإجراءات من اتصال مباشر بنقاط الالتقاء والمقارنة بين علم الاجتماع والتاريخ. وبتحليل الاساس المنهج للدراسات التاريخية لتحديد هذه الإجراءات المنهجية التي تنحصر في المقارنة، كإجراء منهجي اساسي للبحوث والدراسات التاريخية، ودراسة الدالة، كأسلوب منهجي يستخدم أيضا في الدراسات التاريخية .

ولو رجعنا لتحليل بليمير لهذه الإجراءات لنتبين لنا أنه يؤكد بمفصلة أساسية على المقارنة باعتبارها إجراء منهجيا أساسيا للبحوث التاريخية. حيث نجد أنه يذكر وهو يحدد الحديث عن مصادر علم الاجتماع التاريخي بأنه علم اجتماع تاريخي مقارن، وأن المقارنة على درجة بالغة من الأهمية في الدراسات السبولوجية التاريخية .

أما بالنسبة لدراسة الدالة فيذكر " بليمير " أن عالم الاجتماع التاريخي يهتم بدراسة الأحوال الاجتماعية في الماضي، ومن خلال كبار السن في المجتمع المحلي، وهو بذلك يستخدم طرق تاريخ الحياة في الدراسات السبولوجية والانتروبولوجية للماضي . وهو بذلك يؤكد أن دراسة الدالة الثقافية والاجتماعية للماضي من الإجراءات المنهجية الأساسية في البحوث التاريخية، حيث تستخدم فيها التقديرات الشخصية، والتي تستند على رواية التاريخي الشخصي، ومن واقع تقديرات الشخص للأحوال الاجتماعية، ذلك الشخص الذي يستعين به عالم الاجتماع بمفاته الخباري في بحوثه التاريخية .

ومن الاستخدامات المباشرة لإجراءات المقارنة ودراسة الدالة في البحوث والدراسات التاريخية استخدام " ميشال اندريون " في دراسته بعنوان " الدراسة التاريخية لبناء الأسرة " ، والتي حاول فيها أن يقارن البناء الأسري على مستوى الثقافات المختلفة في فترات تاريخية مختلفة . وذلك لتحديد العلاقة بين وضع الأسرة والمودة التي كانت عليها والحياة الاجتماعية في الماضي . وما كان

عليه بناء الأسرة في القرن التاسع عشر، والقرن العشرين . وهو هنا  
يركز على تأثير التمتع والتطور على بعض جوانب البناء الأسري  
في بريطانيا .

وما قرره أندرسون<sup>(١)</sup> بعد تحليله لبعض الأمثال التي أجريت حول بناء  
الأسرة وملائمة بالتغيرات الاجتماعية والثقافية، في فترات تاريخية مختلفة،  
يكشف من مدى اهتمامه بالمقارنة كإجراء منهجي ضروري في الدراسات التاريخية  
وذلك ما قرره بوضوح من قوله - بأن هذا النوع من البحوث على درجة كبيرة  
بالنسبة لعالم الاجتماع وبالمثل لعالم التاريخ<sup>(٢)</sup> .

ولما كانت دراسة أندرسون تهتم في المحل الأول ببحث ووصف الانتماءات  
والا طرادات في الحياة الأسرية، لقطاعات معينة من السكان فقد ركز في دراسته  
على علاقة الأب بالابن والأسرة . ومن ثم كانت هذه الجوانب من بناء الأسرة  
المحور الرئيس لدراسته .

ولذا فقد استخدم بعض التكنيكات لدراسة بناء الأسرة في الطبقة الدنيا .  
والطبقة المتوسطة، وذلك مع ربطها بالوضع الاجتماعي . وبذلك اتفق من معالجه  
استخدامه للمقارنة بين الطبقات للتعرف على الخصائص العامة المميزة للبناء  
والأسرة في المناطق الحضرية، التي تناولها بالدراسة، لمعرفة وفهم انماط  
العلاقات الأسرية والعوامل المؤثرة عليها في فترات زمنية مختلفة .  
وبذلك نجد ان أندرسون يؤكد على استخدام المقارنة الرأسية والافقية  
في دراسة التاريخ لبناء الأسرة .

فالدراسة التي تناولت فترات زمنية مختلفة يجب ان تعتمد على البيانات  
الوظيفية في الفترة الأولى، وعلى مادة المقابلة في الفترة الأخيرة، أو على

---

(1) Anderson, Michael, The Historical Study of Family Structure, in  
Blumer, M. op.cit., p. 192



البيانات الكمية ، وقد اشار أندرسون<sup>(١)</sup> الى ان البيانات الاحصائية يمكن ان تستخدم في التحليل واستخدام البيانات الوصفية في نظره يلمح لفس اقتراح الغروفي، لا مكان لخصه، كما أنه يؤكد على أهمية استخدام البيانات الاحصائية في الدراسات التاريخية ايذا .

وان كان أندرسون<sup>(٢)</sup> يولي البيانات الوصفية أهمية في الدراسات التاريخية لذلك لانه يرى امكانية استخدامها في جو اشب ثلاث اساسية<sup>(٣)</sup> .

- ١ أ . وصديق . ولماذا اعداد الجماعة من الناس يتصرفون بصورة عامة؟
- ١ ب . ولماذا وكيف يتصرف الافراد الاخرون؟
- ١ ج . كيف ولماذا تصرفوا بأنفسهم؟

وبالنسبة للبيانات التفسيرية لانه يؤكد على أهمية مراعاة احتمالات الثبات والقابلية للتعميم. وهذا يقتضي الاجابة على اسئلة ثلاث تتعش لفس السوال الاول : هل يعرف المجل او معد التقرير في المقابلة ما يكفى من الوت لتسجيله بصورة دقيقة ؟

وهل كان متحيزا ... ؟ . والى اى مدى يمكن تعميم معطياته (٤) .

وهو يرى ان الجانب الاول هام بالنسبة للبحث التاريخي / لهذا الاسرة وكذلك جانب التحيز اما بالنسبة للجانب الثالث فهو على درجة كبيرة من الاهمية ويشكل المعضلة الاساسية في البحث والدراسة التاريخية. وذلك لان البحث يهدف الى تحقيق القابلية للتعميم، والنسبة للمعطيات التي يتوصل اليها . وهذا التعميم يعتمد بدوره على الجانب الاول والثاني .

وقد مهد لهذا الاهتمام المعاصر بالدراسات التاريخية ما ذهب اليه عالم الاجتماع الفرنسي اميل دوركايم<sup>(٥)</sup> من ان معرفة ابعاد تنظيم اجتماعي معين

(1) Anderson, op.cit., p. 205.

(2) Anderson, Ibid, p. 206.

ولهمه فهما بلهما يلتصق معرفة الأصول المكونة له . فكون التنهيسم الاجتماعي كل مقعد يتألف من عناصر مختلفة تربطها ببعضها علاقات متبادلة ، يقتضينا ان نحلل هذا التركيب ونكشف عناصره ، وذلك لان دوركاييم يرى ان ذلك لا يمكن تحليله اذا ما اكتفينا بلهم التنهيسم او المؤسسة في شكلها المكتمل الحديث . والذي امتدناه ومن ثم تبدل لنسب بسيطه . وهذا يذهب دوركاييم الى ان التاريخ يساعدنا على ابراز هذه العناصر وابداها . وذلك لان تلك العناصر نشأت تماما جزءا تلو الآخر ، ونفسا لتولد اجزاءها من بعضها ، وأخيرا الى بعضها لتكون ذلك الكل المركب الذي نسميه بالمؤسسة او التنهيسم الاجتماعي . ومن ثم يقتضينا تحليل هذه العناصر ان نلاحظ عملية تكوينها وهي تسير عبر الزمان (أي في التاريخ) لمعرفة هذه العناصر المختلفة التي تتركب وتتكون منها ، والتي كانت متفرقة .

ومن ثم جاءت تأكيدات كل من " لانجلو ونيوبو " في مؤلفهما لا مدخل الى الدراسات التاريخية في على ان للتاريخ اسهام واضح بالنسبة لعالم الاجتماع نظرا لانه اي التاريخ يولفنا على نسبة كل شيء بلهما في ذلك التفسير المستمر للعقائد ، والاشكال الفنية والمؤسسات .

ومن ثم ذهب ارمان كوفيليه " الى ان التاريخ المقارن طريقة اساسية للبحث ومنهج للتحليل الشامل . وقد تزايد الاهتمام بالاجراءات التاريخية في البحوث الاجتماعية لدى علماء الاجتماع الفرنسيين والانجليز في الوقت الراهن ، الا ان الاهتمام من قبل علماء الاجتماع في امريكا يتجاوز الاهتمامات الاخرى الامر الذي جعل " جون مكينى " J.M ckinney - يذهب الى ان علم الاجتماع امريكي اصبح بعمق عامة تاريخيا في مدخله لدراسة المجتمع (١)

(١) Mckinney, J., Methodology, Procedures, and Techniques, in Becker, Howard Modern Sociological Theory, London. Holt, Rinehart and Winston, 1966. p. 228.

وإذا كانت اتجاهات التطور بين الأواقل قد انحسرت في تصنيف المعلومات الانثروبولوجية والتاريخية، بحيرة الباحثين في تحديد أنماط المجتمعات الإنسانية بوسائلهم معلومات من التغير الاجتماعي . بحيث أصبح في المكان تحديد ومعالجة بعض القوانين المرتبطة بأنواع معينة من التغير بدلاً من مجرد الوصف العام لمدار التطور الاجتماعي . فإن تلك الاتجاهات لا يمكن التغلب من قبلها خاصة وإن أبعاد رواد علم الاجتماع قد استفادة منها واستندت عليها في أبحاث كثيرة . وإذا كان كارل ماركس قد أكد على المفهوم المادي للتاريخ واتخذ منه فلسفة للحياة، واعتبره أساساً للتفسير العلمي للواقع التاريخي، فإن ماكس فيبر يرفض هذا اللفظ "المادي للتاريخ" ويجهتد لتطوير التفسير الاقتصادي للتاريخ مستخدماً من التفسير منطلقاته المنهجية لرفض التعليل ومعارضة الزعم الماركسي بتفسير مدار التطور الاجتماعي بأكمله . ومن ثم يتفتح اتجاه "ماكس فيبر" من خلال دراساته لنمو البيروقراطية وأصول الرأسمالية . والتأثير الاقتصادي للاديان .<sup>(١)</sup>

ومما يميز هذا الاتجاه تناوله لبعض التفسيرات التاريخية التي تطرأ على البناء الاجتماعي وكذا بعض النماذج الاجتماعية للمجتمعات البشرية . ومقارنته هذه التفسيرات بجوانب التغير التي طرأت على المجتمعات الأخرى . وما تجسدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن ماكس فيبر يؤكد أن الفضايا السيولوجية العامة تمثل الاتجاهات فحسب في حين أن تطبيق تلك الفضايا يقتضى دراسة تاريخية مفصلة للمواقف والمجتمعات التي يتناولها عالم الاجتماع .

وقد أكد " بوتومور " أن الاتجاه التاريخي في علم الاجتماع الحديث كان له تأثير واضح في توجيه " رابن ملز " في بعض دراساته وبوجه خاص لادوات

R. Aron

البيانات البيضا ١٩٥١ ، وكذلك ريمون آرون

في العديد من أعماله وبوجه خاص دراساته للمعرام والحرب من وجهة نظرس

(1) Bottomore, T., Sociology, London: George, Allen & Unwin Ltd. 1975.

علم الاجتماع التاريخي<sup>(١)</sup>، إذ أن كل من ميسر وآرون قد تناولوا المنهج عندما كس فيبر في بعض مقالاتهما .

ومما أدى إلى تزايد الميل لقبول منهج ماكس فيبر وتفسيراته التاريخية، تزايد الاعتماد بالتفسير الاجتماعي، والمجتمعات الصناعية، وتمنيع المجتمعات الصناعية<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - الاجراء التاريخي كعملية في البحث الاجتماعي :

اهتم فيكو في مؤلفه العلم الحديث بتحديد خطوات الاجراء التاريخي، لاعتقاده بأهمية الحقائق التاريخية بالنسبة للنظريات الاجتماعية ، وقد صر هذه الخطوات الاساسية في :

- تحديد الظاهرة موضوع البحث وتعليلها عبر التاريخ .
- وجمع المصادر التي تتضمن ايضاحا للعقائد الدينية والحدادات والحوادث التاريخية، التي ترتبط بتلك الظاهرة التي يبحر لها، لدراستها .
- دراسة النماذج البدائية المعاصرة للاستدلال منها على طبيعة النماذج البدائية القديمة، التي لا يتوفر للباحث عنها ما يمينه على دراستها .
- تحليل المصادر التي يجمعها الباحث للتأكد من مدى صحتها ومصدق ما تتضمنه من مادة حول الظاهرة .
- دراسة اللغات لا مكان تفهم نمط الحياة من خلال تعقب اللغات وتحليلها مضمونها ومাত্রا عليها من تطور .
- تصنيف الحقائق والتأليف بينها، وصولا لما يحكم الظاهرة موضوع البحث من قوانين<sup>(٣)</sup>

(1) Aron, Raymond, Conflict and War (From) The Nature of Conflict (UNESCO 1957), War and Industrial Society, Oxford, 1958. & 18 Lecture on Industrial Society.

(2) Bottomore, op.cit., pp 54-55.

(٣) دكتور عبد الباق حسن ، المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

وقد ناقش " جون مكس " الاجراء التاريخي في البحث الاجتماعي في سبابة،  
مناقشته للعلاقة بين علم الاجتماع والاجراء التاريخي مؤكداً ان فهم الاجراء  
التاريخي يكمن في تحديد العمليات التي يتخذها المنهج التاريخي ويصر بها  
في البحث الاجتماعي وقد اوضح " لويس جوتشالك " Louis Gottschalk

ان الاجراء التاريخي يتضمن العمليات الاتية .

- جمع المصادر الممكنة للبحث .
- فحص هذه المصادر (جميعها او بعضها) .
- تطيل هذه المصادر او بعضها بدايادنا على معرفة جوانب المصطفى،  
المتعلقة بجوانبها الخاصة الحقيقية .

وقد اجتهد " جوبال " لتحقيق موقوعية الاجراء التاريخي، التي تعتمد على  
معاكسات البيانات وملاءمتها . وكذايتها . اللهم الظاهرة موقوم البحث  
وذلك باتباع خطوات معينة عند تطبيق الاجراء التاريخي تتمثل في :

- اختيار المشكلة موقوم البحث .
- جمع المصادرة من المصادر بعد تحديدها .
- التأكد من صدق المادّة حول الظاهرة وكذايتها لدراسة الموضوع وذلك  
على ان يتم تصنيف مصادر البيانات بين مصادر اولية ومصادر ثانوية،  
ومصادر اولية وثانوية معاه وتقييم تلك المصادر وبياناتها<sup>(١)</sup> .
- وقد نظر جوتشالك " للمراحل التي يتلخصها الاجراء التاريخي كعملية  
تتم خلال البحث الاجتماعي<sup>(٢)</sup> ومن ثم يذهب مكس الى ان هذا الاجراء المعسدد  
لها يتمتع بدرجة من الصدق كما انه يساعدنا في اي نظام علمي .

(1) Gobal, M. A Introduction to Research Procedure, London: A.P.H. 1964.  
pp. 84-85.

(2) Gottschalk, Louis, Clyde Kluckhohn, and Angell, R.C. The Use of  
Personal Documents in History, Anthropology, and Sociology,  
New York: 1945. p. 10.

والواقع ان المادة المتعلقة من طريق هذا الإجراء التاريخي ذات أهمية رغم ان الغلبة من علماء الاجتماع لا يولونها اهتماما كبيرا. الا ان هناك عددا من هؤلاء العلماء وان كان قليلا الا انه يرى ان تلك المادة ذات دلالة كبيرة. ومن ثم عنى بهذه المادة واولاها مزيدا من اهتمام هذه المادة التاريخية تشتمل على الجوانب التالية :

- الاحداث التاريخية المؤرخة .
- والمجلات التاريخية .
- والسير الذاتية .
- وتقارير الهيئات .
- واليوميات المدونة .
- ومجلات الانساب والبلات .
- وتسجيلات النقوش او الكتابة المحفورة .
- الوثائق الرسمية .
- والرسائل او المكاتبات الرسمية ا سياسية او عسكرية... الخ /
- والتقارير العامة .
- لوائح العمل ومجلات والقرارات المتعلقة به .
- والمطبوعات والمجلات والنشرات الدورية .
- روايات الرجال .
- روايات العامة .
- والحكايات والنوافل التي تروى .

- والمنظومات الفخائية .
- الرسوميات .
- والنعمت .
- والعمارة .
- واللغة .
- ومنشآت الانسان المعاصرة .
- والادوات والالات .
- والادب .

من كل تلك المصادر تتكون المادة التاريخية التي يمكن لعالم الاجتماع ان يستفيد منها في بحوثه الاجتماعية<sup>(١)</sup>

وقد ذهب " جوبال " M.Gobal في تحديده للمصادر التاريخية مذهباً آخر يختلف من اداسها بدلاً من تحديد نوعها كما فعل " مكينى " في تحديده لتسلك المصادر ومن ثم تكون مصادر البيانات التاريخية عند " جوبال " حسب الاساس الذى تقوم عليه تلك المصادر او حسب مصدرها . مصنفه الى :

- السجلات والمواثيق الرسمية وغير الرسمية .

- التقارير الشخصية للملاحظين وذلك مثل تقارير " ابن بطوطة " وغيره ممن دونوا معلوماتهم في تقارير شخصية معينة<sup>(٢)</sup> .

وسواء كانت هذه المصادر رسمية او شخصية كما هو الحال بالنسبة لروايات العامة والنادر من الحكايات واما كانت تلك المصادر التاريخية

---

(1) Mckinney, John, op.cit., p. 230.

(2) Gobal, M.H., An Introduction to Research Procedure in Social Sciences, London: Asia Publishing House, 1964. p. 85.

يتمين على عالم الاجتماع ان يحدد منها ما يعتمد بحشه على بياناتها، او ما يفيد منها بحشه. وذلك ما يقوم به في اول مرحلة من مراحل الاجراء التاريخي في البحث. ثم يأتي بعد ذلك دوره في تمحيص هذه المصادر وفحصها للتأكد من صدق مضمونها، او صدق المعلومات التي تشتمل عليها. وذلك بمراجعتها بعينها والتأكد من عدم تناقض الاقوال او التسجيلات المتعلقة بها . وبعد أن يقوم الباحث بالخطوة الثانية من عملية الاجراء التاريخي ويتأكد بها من سلامة المصادر من ناحية جواحيدها ما لا يكون محلاً للشك لتناقض الاقوال حوله من ناحية أخرى، بحيث تتحدد امامه المصادر التي سوف يعتمد على المادة الواردة بها في تحليلاته الاجتماعية، يتمين عليه القيام بالخطوة التالية من خطوات الاجراء التاريخي وهو تحليل تلك المصادر وما تتضمنه من مادة تتعلق بموضوع بحشه .

### ٣ - استراتيجيات التحليل التاريخي ومنطقه:

والواقع ان الاجراء التاريخي ذات دلالة كبيرة في البحث الاجتماعي ، وذلك ما حى " جوبال " لتأكيد، وهو يحدد تحليله للمنهج التاريخي بتحديد خطواته ، واهمية تحليله في البحوث الاجتماعية، التي تجرى على الدول النامية<sup>(١)</sup> وذلك لان الماضي يلعب دوراً بالغاً بالنسبة لجميع المجتمعات البشرية، وبوجه خاص بالنسبة لتنميتها الاقتصادية - ويرجع ذلك للتأثير الواضح للتقاليد والنظم الاجتماعية على عمليات التنمية بتلك الدول . وجوبال هنا يسوق لنا مثلاً للتدليل على اهمية الماضي بالنسبة للمجتمعات الحديثة الى أن الماضي بالنسبة للمجتمع الهندي يعد بمثابة مفتاح لحاضره، والذي مازال لحاضره لتأثيرات الماضي ونظمه . ذلك الماضي الذي مازال يرتبط بعلاقة وثيقة بحاضره هذا المجتمع. ومن ثم كان اهتمام علماء الاجتماع بتلك العملية، وما تتضمنه

(1) Gobal, M.R., op.cit., p. 77.



من مشكلات الاقتصادية واجتماعية وطوكية . خاصة وان لهم مثل تلسيك  
التأثيرات الاساسية على حاضرمجتمع تمكننا من انجاح عملية التنمية .  
وهذا يعود جوبال ليؤكد من جديد ان تقدير مثل تلك التأثيرات الاجتماعية  
المنتهكة تقتضى الاستدانة بالمنهج التاريخىوالذى يمكن وصفه بأنه " استقرا"  
للمبادئ التى تشكل الحاضر من خلال بحث الماضى والقوى الاجتماعية<sup>(١)</sup> .

ومن ثم فان " جوبال " يجعل هدف الاجراء التاريخى فى البحث الاجتماعى ،  
تطبيق التفكير المنعكس على المشاكل الاجتماعية ،التي لم تحل باكتشاف  
اتجاهات احداث الماضى ،والحداثة والاتجاهات ، ورمصد لحظات نمو الفكر  
والفصل البشرى . ولهذا فان اى باحث يجعل الماضى فى تحريكه للحاضر يقع  
فى مخاطره بالغة .

ومن هنا تتحدد المنطلقات الاولى لاهمية التحليل التاريخى فى البحث  
الاجتماعى . التحليل الذى يبين الباعث للاحقة العلاقات بين الماضى والحاضر ،  
بين الظواهر الاجتماعية ،وتعالق الاحداث بتطورها فى السياق الاجتماعى والاقتصادى  
والثقافى والسلوكى ،الذى يتصل بنظيره عبر الزمان ويعكس تأثيره على تلك  
الظواهر الاجتماعية .

وفى ضوء ذلك يتفهم لنا ان الاجراء التاريخى فى البحوث الاجتماعية يقتضى من  
الباحث الذى يطبقه امورا معينة لى يكون صحيحا ومثمرا . ومن هذه الامور  
مايشير لضرورة البدء بقدر كبير من الرقيا الاجتماعية والتوجيه التاريخى .  
وذلك لان الاحداث والازاء والنظم تنتج بيئة خاصة فى فترة معينة منالزمن . وذلك  
يقتضى من الباحث ان يفهم البيئة ،ومايرتبط بها من بيانات على اساس النظره

---

(1) Young Pauling., Scientific Social Survey and Research, New York:  
Prentice-Hall, 1942. p. 2.

التي تتيح له دراسة هذه البيانات في سياق بحثها الاجتماعية، للتحقق من علاقاتها السببية وما يترتب عليها من نتائج (١) .

والواقع ان تطبيق الاجراء المنهجي التاريخي على هذا النمو يتطلب من الباحث جهدا غير عادي، كما انه يقتضي قدرا من المعرفة، تمكنه من اقامة مثل تلك العلاقات بين البيانات التاريخية التي تتحصل لديه والاحوال الاساسية المؤثرة ، وتقدير دلالتها في سياقها الخاص . ولما كانت البيعة على هذا القدر الدائم من التعقيد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي/وغيرها من الامتيازات التي تتطلب من الباحث التمتع بقدر من المعرفة، التي تمكنه من ربط العلوم الاجتماعية بذلك الجهد الذي يواجهه لفرسه الخاص من البحث في اتجاه معين .

ومن ثم فان تطبيقه للمنهج التاريخي في البحث الاجتماعي يقتضي منه أن يملك ملوكا اساسيين في مجالته للحقائق التاريخية :

- يتفشل اولها في المملك التحليلي .
  - ويتمثل ثانيهما في المملك التأليفي .
- وفي فوه ذلك نعالج استراتيجيه التحليل التاريخي في النقاط التالية :
- ١ - الممالك الاساسية لمعالجة الحقائق التاريخية .
  - ٢ - مغللات التحليل التاريخي في البحث الاجتماعي .
  - ٣ - ابعاد التحليل التاريخي في البحوث الاجتماعية .
  - ٤ - الممالك الاساسية لمعالجة الحقائق التاريخية .

وذلك لان التاريخ ليس مجرد تسجيل للوقائع، والحدوث التاريخي المنفصل

---

(1) Gobal, op.cit., p. 79

لتلك الوقائع ، التي تمكن لنا جانباً معيناً للحياة الاجتماعية . كما انسه ليس مجرد فهم للأحداث اليومية . ومن ثم كان لزاماً على الباحث ان يحصل على العوامل المتداخلة مع بعضها والتي تشكل القوى الدافعة لتلك التغيرات الواسعة . ومن ثم عليه ان يقوم بخطوتين متمايزتين في تحليله للوقائع: تتمثل اولهما في اتخاذه لوجهة النظر التحليلية لكي يحكم السيطرة على جميع الوقائع التي تجمع حول الظاهرة موضوع بحثه . ثم عليه بعد ذلك ان يعيد تأليق تلك الوقائع مع الوضع الراهن لتقدير العلاقة التحليلية بين الحوادث وبعضها وبينها وبين البيئة .

وهنا يتعين على الباحثان يحقق المدخل الموقوفي في تفسيره لتلك الوقائع بمثل ما حققه في اكتشافه لها . فرغم ان منهج البحث يحقق الموقوفية الا ان استخدام المنهج التاريخي في البحث الاجتماعي يقتضي تأكيداً اكثر على الموقوفية . وهذا يسوق "جوبال" مثلاً على اهمية التأكيد على الموقوفية منذ استخدام المنهج التاريخي بقوله "ان تفسيرات كارل ماركس للتاريخ والاحداث الاقتصادية اختلفت للموقوفية لانه لم يكن عالم اجتماعاً ولكنه كان داعية سياسى . ومن ثم جاء استخدام السوء للمنهج التاريخي" (١) .

ب - مميزات التحليل التاريخي :

لاشك ان التحليل التاريخي للوقائع في البحوث الاجتماعية يواجه الكثير من الصعاب التي تتعلق بعضها بمدى تحقيق الموقوفية في استخدام المنهج التاريخي من ناحية او تتعلق بعضها الاخر بعدم القدرة على اعادة التجربة التاريخية وكذلك تتمثل بعض تلك المصغلات في عدم القدرة على القيام بعملية الحساب والقياس في البحوث التاريخية كما هو الحال في الدراسات الاحصائية .

في حين ان تحقيق الموضوعية من طريق محكات الشبكات والعلامات وكذا البينات شرط اساسي للوصول الى مستوى التحليل العلمي السليم/نفسرا لان ذلك يعدنا بالاساس السليم لفهم القواهر، ويمكننا من تقييم الماضي اذا كان ضروريا بالنسبة لفهم الحاضر . الا ان هناك العديد من الحدود والتحفظات التي تطرح نفسها في هذا الشأن نذكرها فيما يلي :

- ١ - وجود بعض العوامل التي تحتمل محكات تحقيق الموضوعية المتمثلة في الشبكات والعلامات والكذابة . وذلك راجع الى انه بقدر ما يبعد الماضي بقدر ما تزداد صعوبة حصولنا على البينات .
- ٢ - والباقي ما تكون مصادر البينات نفسها غير معروفة . وقد لا تتوفر منها الكثير والذي يمكن الباحث من التاكد من شبات البينات واختيار ما يلائم بحسه منها .
- ٣ - حاجة المنهج التاريخي لخطية معرفية كبيرة قد لا تتوفر للبعض وبخاصة اذا كان الشخص يحدد دراسة المجال الذي يمارس عمله به لانه يكون في حاجة لمعرفة تمكنه من التخلص من تأثيرات العمل .
- ٤ - يقتضي استخدام المنهج التاريخي وفي الباحث بالحدود التي يمكن ان تواجه في عملية الفهم والتفسير للحوادث .
- ٥ - ان هناك قدرا كبيرا من التعمور والتفصيل ضروري في استخدام المنهج التاريخي . ورغم اننا لا يمكن ان نقيم الاحداث التاريخية بدون مصادر اخرى غير التعمور، الا ان التعمور يشكل جانبا هاما ويؤونه تعبير الحوادث التاريخية مجرد جمع بدون معنى .
- ٦ - ان خروج من يستخدم المنهج التاريخي في البحوث الاجتماعية من مجرد كونه عالم اجتماعي يفتقده امكانية تحقيق الموضوعية في التحليل .

٧ - ان التحليل العلمى يقتضى بصورة عامة امكانية التحقق او على الاقل امكانية اعادة التجربة ، او اعادة خلق المواقف ، الا ان ذلك امر فيسر ممكن الحدوث بالنسبة للدراسات التاريخية .

٨ - ان امكانية الحساب والقياس على نحو ما هو حادث في الدراسات الاحصائية امر فير ممكن في الدراسات التاريخية . خاصة وان بعض التقارير قدس يكون مبالغاً فيها لامر ما من الامور التي تتعلق بطرق المجتمع الاجتماعية والسياسية .

ولاشك ان مثل تلك التعديلات والتحفظات تجعل التحليل التاريخى أمراً معباً ، ولكنها تؤكد في جعلتها على الحاجة لخبيرة اكثر من جانب الباحث عندما يستخدم المنهج التاريخى ، كما ان استخدام هذا المنهج يحتاج من الباحث موهبة وصبر وشابرة اكثر .

ج - ابعاد التحليل التاريخى .

وبعد ان يتم تحديد مشكلة البحث خطوة اولى من خطوات الاجراء التاريخى ، وتحديد مصادر جمع البيانات التاريخية حول مشكلة البحث او كانت هذه المصادر اولية او ثانوية ، او اولية وشانوية معا ، اولية مثل الاثار والوثائق ، والثانوية هي تلك المصادر التي نقلت عن المصادر الاولى . اما المصدر الثانى فيجمع بين المصادرين السابقين ، ولذا لما تتخذ تلك المصادر شكلين بصفة عامة .  
يشتمل اولها فى الوثائق الرسمية وغير الرسمية ، والرسمية هي تلك التي تقوم بنشرها هيئات رسمية ، وغير الرسمية هي تلك التي تذاقلها الباحثون من المصادر الرسمية . ويشتمل شكل المصدر الثانى فى التقارير الشخصية لملاحظين معاصرين يذلل بذلك النواذر والامثال والحكم والقصص والمنظومات الغنائية التي تتناولها الاحياء

وبعد ان يحدد الباحث تلك المعادير ونمطها في المرحلة الثانية من مراحل الاجراء التاريخي ي طرح التساؤل التالي نفسه وهو الى اى مدى يستطيع الباحث ان يستفيد من تلك المصادر وما تتضمنه من بيانات فيبحثه ؟

والاجابة على مثل هذا السؤال يرتبط مباشرة بمدى قدرة الباحث على تحليل البيانات الكيفية مع تحقيق درجة من الموضوعية في تحليله لتلك البيانات بالاستناد الى محكات الشبكات والملاءمة وكفاية هذه البيانات لدراسة المشكلة من ناحية ثم اتخاذه موقف كالمجتمع في تطبيقه للاجراء التاريخي، وتحليل معانيه، والابتعاد عن اى نزعة سياسية من ناحية اخرى .

هذا بخلاف ان البيانات التاريخية لا تقبل القياس على نحو ما هو حسدات بالنسبة للدراسات الاحصائية الكمية<sup>(١)</sup>، وذلك لان عملية البحث الاجتماعي الكمي تتم من خلال الملاحظات المنهجة حول المتغيرات والتي يستهدف قياسها وخاصة من خلال العلاقات الكمية بين المتغيرات ، وان تحليل العلاقات الدائمية هذه المتغيرات يؤخذ كنسق، كما يتخذ القياس الكمي في البحوث الاجتماعية هنا من انواع الموازين الدائمة في العلوم الطبيعية اساسا لعملية التمييز والترتيب والفرجات التي يمكن مقارنتها بدرجة من الشبكات. وذلك يقتضي تحويل المفاهيم الخدائسي الاجتماعية/لمتغيرات قابلة للقياس . ومن ثم فان كل تلك العمليات تقتضي اجراءات معينة في المقابلة واتناء الملاحظة للمؤشرات المراد قياسها<sup>(٢)</sup> وذلك على المستوى الكمي اما على مستوى القياس الكيفي للبيانات فان قياس هذا الجانب يتطلب تكيم البيانات الكيفية حول الظاهرة الكيفية المراد دراستها، وحجم مثل تلك المشكلة يتم على مستوى الميزان الاجتماعي السيومتري من ناحية، ومدى تطبيق شباته ومفله من ناحية اخرى .

(1) Gopal, op.cit., p. 83.

(2) Barton, Allen, & Lazarsfeld, Paul, F., Methodology of quantitative Social Research, A New Survey of the Social Sciences, New York: Asia Publishing House, 1962. PP 152-153.

ومن ثم فإن تحليل مثل تلك البيانات الكمية، والكيفية قد يجعل المرء يستخدم بعض التقنيات التجريبية والأساليب الإحصائية، التي قد تؤدي به لعقد المقابلة، والقياس السوسيومترى .

ولهذا ذهب جوبال السانـه بالنسبة للوقائع التاريخية تكون الامادة غير ممكنة في الدراسات التاريخية، لا اعتبارات تتعلق بالزمن<sup>(١)</sup> . ومن ثم تبرر معوقات التحليل في الدراسات التاريخية نظرا للتباعد بين الوضع المدروس والتحليل الحالي .

وعليه نستهل مناقشتنا لاهماد عملية التحليل، بتحديد المبادئ الاساسية التي يتطلبها استخدام الوثائق التاريخية وتحليل مضمونها. وذلك تمهيدا لمناقشة البعد التحليلي المتعلق بالجوانب الشكلية، ثم تحليل مضمون الوثائق التاريخية. وذلك في اطار تعيين اسي التحليل السيولوجي في الدراسات التاريخية :

■ مبادئ استخدام الوثائق التاريخية وتحليلها :

اتفق لنا من التحليل السابق ان الدراسات التاريخية تختلف عن الدراسات الكمية في جوانب اساسية تتعلق بإمكانية اعادة التجربة والتي يمكننا ان نحققها بسهولة في الدراسات الكمية. وذلك راجع لتدخل البعد الزمني الذي يجعل مابين الوضع التاريخي المدروس والتحليل الحالي، الذي يقوم به الباحث في سياق الدراسة التاريخية . ومن ثم يقتضي استخدامنا للوثائق التاريخية مراعاة بعض الاسس والمبادئ الاولى التي تساعدنا في تحليلها من ناحية، وتمكننا من تحقيق قدر من الموضوعية في استخدامنا للبيانات التاريخية التي نتفحصها تلك الوثائق من ناحية اخرى .

---

(١) Gobal, M.H., op.cit., pp. 82-83.

-ويمثل اول تلك المبادئ في مراعاة جوانب الشبث وملاءمة البيانات

للموضوع،وكذايتها للقيام بعملية التحليل .

بمعنى ان نقوم بعملية التحليل المقارن بين الوثائق التي تتناول حادثه تاريخية معينة،والمعروف على مدى اتفاق تلك الوثائق حول بيانات معينة تتعلق بالحادثة . وبعد اجراء هذا التحليل المقارن من اجل تحقيق شبث البيانات التاريخية،علينا ان نتأكد من كفاية البيانات لتحليل الظاهرة موضوع البحث،على ان تكون تلك البيانات منسجمة مع موضوع الدراسة،والا تكون بعيدة من مقدمات التحليل من البيانات .

- ان تكون البيانات مختصرة بالقدر الذى يكفى لتحليل الموضوع،وذلك لكي لايطرق الباحث نفسه في ضم البيانات التاريخية لان ذلك قد يقلل من تعلقه حول الحادثة من ناحية،وقد يجعله يخرج عن الموضوع في بعض الاحيان،على الا تتخذ ذلك حجة لتقليل البيانات بالقدر الذى لا تمكن من عقد المقارنات الهادفة لقياس شبث تلك البيانات،وكذايتها لعملية التحليل .

- أن تركز جهود الباحث حول عدد معين من الحوادث،والا يكون طموحا لتناول اكبر عدد من الحوادث،لان ذلك يقلل من قدرته على تحقيق الدقة العميق حول تلك الحوادث،ويربطها بحياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسلوكي .

- ان يحرص الباحث بقدر الامكان على توفير المصادر الرسمية الكافية لدراسة الظاهرة موضوع البحث،وذلك ليعنى التقليل من قيمة المصادر الشخصية،



لأنها قد تخدم بصورة اكبر البحث التاريخي، خاصة وان بعض المصادر الشخصية قد تكون معتمدة على المصادر الرسمية، الامر الذي يفيد في عقد التحليل المقارن بين معطيات المصدرين للتأكد من ثبات البيانات وتوفر قدر من الموضوعية في البيانات . وذلك لان الاتفاق بين المصادر المختلفة يزيد من تأكيد صحة البيانات (١) .

.. ان مشكلة المصادر الشخصية وما يمكن ان تنطوي عليه من صور التحيز المحتملة يمكن حلها بمراجعتها بعينها من ناحية وإلبيانات الشئى نضمنها المصادر الأخرى التي يمكن ان تزودنا بإيضاحات كبيرة مسن ناحية أخرى، وبذلك تكون المقارنة بين بيانات المصادر الأولية سواء كانت رسمية او شخصية، على درجة كبيرة من الأهمية، بالنسبة للدراسات التاريخية، وسن عملية تحليل بياناتها .

.. وقد تكون المصادر معاصرة للوضع المدروس او قد تكون في فترة لاحقة متمايزة في خاصيتها عن تلك الفترة، وما بها من معرفة توجه تلك الحوادث وإلى هذه الفئة تنتمى التقارير الرسمية وغير الرسمية . مثال ذلك معظم الكتب والمجلد ، وهنا يكون تقدير أهمية تلك المصادر على درجة كبيرة من الأهمية ولابد أن يحدث نوع من الاختيار بين تلك المصادر، على أن يلحق ثور قدر من المصادر المعاصرة للوضع المدروس والمعاد اللاحقة له. وذلك لنضمن قدر من الثبات في البيانات بالاستناد إلى محك المفاهاة، والمقارنة بين بيانات المصدرين . وهنا يؤكد جوبال " على أهمية الاستمارة بالمصدرين معاً، لان القاعدة العامة في الوصول إلى الحقائق تتمثل في استخدام المصادر المختلفة على نحو ما أكد

(1) Gobal, op.cit, p. 86.

" انجلوز " و " سجنو " في مؤلفهما " مدخل لدراسة التاريخ " (١) وذلك ما استعان به "جوبال" في تأكيده على أهمية توفير المصادر المتنوعة فسي الدراسات التاريخية (٢). وهذا ما اكدته ايضا " بولين يونج " عندما اعتبرت أن البيانات التاريخية التي تستخلص من المصادر التاريخية المختلفة على اساس من الاختيار المادل، والخص النقلي للاستخدام المتميز، يشكل اساس المعرفة والفهم والتعميم حول فواهر المجتمع المحلي، والوسط الاجتماعي، والنظم الاجتماعية (٣).

• ويؤكدنا موقف بولين يونج من كيفية استخدام المصادر التاريخية على اساس الاختيار المادل، والخص النقلي لاستخداماتها المتميزة. وذلك بهدف تعميق الفهم حول تلك البيانات، كما يمكن من استخلاص التعميمات منها. حول الظاهرة المدروسة، للتأكيد على أن التطبيق الناجح للمنهج التاريخي، يتطلب وميا متقدما بالافكار الجديدة المماثلة، وذلك حتى يمكننا ان نوفق بين نتائج الدراسة، واستخدام المعطيات التاريخية في فهم حاضر المجتمعات البشرية .

#### ٤ - التحليل السيولوجي في الدراسات التاريخية :

لأنه في أن ثمة قواعد عامة تحكم عملية التحليل في علم الاجتماع سواء كان هذا التحليل على المستوى الوصفي ، او المستوى التفسيري (٤) حيث أنه على المستوى الوصفي ، يشير لتلخيص وصف المظاهر او العناصر المعديدة للبيانات (٥) ، والمتعلقة حول الظاهرة موضوع البحث، سواء كانت هذه البيانات كمية او كيفية، وذلك رغم ان متطلبات الوصف الكيفي تفرق على الباحث خصوصاً لما يتميز بها وهو بعدد الوصف الكمي . وان كان جوديكاش قد اهتم بالتحليل الخارجي، والتحليل الداخلي، على اعتبار ان التحليل الداخلي ارفع

(1) Anglois, c.v. & Signo-VOS, G., Introduction to the Study of History, p. 70.

(2) Gobal, op.cit., p. 87.

(3) Young, Pauline, Scientific Social Surveys, New York, Prentice Hall, 1942, p. 224.

(4) Forcese, Dennis & Richer Stephen, Social Research Methods, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1973. p. 195.

(5) Keppel, Geoffrey, Design and Analysis, New Jersey, Prentice-Hall, Inc., 1973. p. 9.

مستوى من التحليل الخارجى<sup>(١)</sup> لتجسيد استند اليه دكتور عبدالباسط حين عند صياغته لاطار تحليل المعادير التاريخية ونقدها<sup>(٢)</sup>، حيث ناقش المصادر التاريخية على المستوى الخارجى ، والمستوى الداخلى.

والواقع ان تحديدنا لمستويات التحليل السيولوجى فى الدراسات التاريخية لتفتين ابعاد الامر مناقشة وحدات التحليل السيولوجى فى مثل تلك الدراسات .

وبذلك تتوزع مناقشتنا لابعاد التحليل السيولوجى بين :

- وحدات التحليل السيولوجى فى الدراسات التاريخية .
- التحليل الوصلى للوثائق التاريخية .
- التحليل التفسرى للبيانات التاريخية .

١ - وحدات التحليل السيولوجى فى الدراسات التاريخية ومستواه .

تتوزع مستويات التحليل السيولوجى فى الدراسات التاريخية على مستويات ثلاثة اساسية هى :

- تحليل على مستوى الوحدات الاجتماعية الكبرى .
- تحليل على مستوى الوحدات الاجتماعية المتوسطة .
- تحليل على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغرى .

وبالنسبة لتحليل الوحدات الاجتماعية الكبرى يكون التحليل هنا على مستوى مجتمع معين فى فترات تاريخية مختلفة، كان تتخذ من المجتمع المصرى وحدة للتحليل خلال حقبات تاريخية معينة معتمدين فى ذلك على المصادر التاريخية،

---

(1) Good, & Scates, op.cit., p. 188-189.

(٢) دكتور عبدالباسط حسن ، المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

التي تمدنا بالبيانات المختلفة التي تدور حول موضوع الدراسة . وهذا يكون المجتمع المعمرى كوحدة اجتماعية أساسية للتحليل، وتسير المقارنة التاريخية هذا على مستوى الطبقات التاريخية، التي تعكس كل منها خصائص وهروب معينة اتسم بها شكل العلاقات الاجتماعية، والانتاج والنق الثقافي والسياسي الاجتماعي للمجتمع. وهذا تتوزم دراستنا للمجتمع المعمرى في كسل فتره من فترات لتجهيل أنماطه الثقافية وأنماطه الاجتماعية وأنماطه السلوكية .

ولقد يكون المجتمع وحدة للتحليل على أساس المقارنة بين نموذجين مسنن المجتمعات في فترة تاريخية معينة، مثال ذلك المقارنة بين المجتمع المصري في فترة تاريخية معينة، وأي مجتمع آخر سواء كان من نفس نموده، أو مسنن نموذج آخر، ولكن في نفس الفترة التي نتناول فيها المجتمع المعمرى . وهنا تكون الوشاق التاريخية الاداة التي يستعين بها الباحث لتوفير المساعدة التاريخية المتوفرة حول تلك النماذج الاجتماعية .

اما تحليل الوحدات الاجتماعية المتوسطة، فذلك يشير الى تناول الباحث لنظام معين من النظم كوحدة للتحليل السبيلوي، ومن ثم يسعى لتوفير العاده التاريخية حول هذا النظام، وخلال فترات تطور المجتمع . وذلك كان نتفد من النظام التربوي وحدة للتحليل على مستوى التطور التاريخي للمجتمع المعمرى، مع مقارنة ملامح هذا النظام بمشيله على مستوى كل فترة تاريخية مميزة من تطور المجتمع المعمرى، ونسب الحاد بالنسبة لتناول النظام الاسرى ونظام السلطة .

اما بالنسبة لوحدة التحليل المعمرى في الدراسات التاريخية، فذلك يشير

لنجد الباحث من ظاهرة اجتماعية محددة وحدة للتحليل ، وذلك مثل ظاهرة ارسال الرسائل -الرسائل الى الاقرباء ، وما تعرضت اليه تلك الظاهرة من تفسير خلال فترات تاريخية معينة، او ظاهرة دفن الموتى عند المصريين ، او ظاهرة الاسواق او ظاهرة الاحتفال بالمناسبات المختلفة ، او ظاهرة الزمالة في حلبة تاريخية معينة او على مستوى حلقبات تاريخية مختلفة من تطور المجتمع المصري مثلا . وسواء كان الباحث يتناول هذه الظواهر على مستوى فترة تاريخية معينة او المقارنة بين الفترات التاريخية المختلفة من تطور نفس المجتمع ، او مقارنة بين فترة تاريخية معينة ونظيرتها في مجتمعات اخرى ، فان وحدته للتحليل هنا تكون الظاهرة بعناصرها الاساسية ، والتي عليه أن يسعى لتوفير المسادة التاريخية حول تلك العناصر .

وذلك بكشف لنا من ضرورة تحديد مستويات التحليل التي تكشف لنا عن العناصر الاساسية المكونة لوحدات التحليل السبولوجي في الدراسات التاريخية ويرجع ذلك الى أن الواقع الاجتماعي يتكون من مجموعة الظواهر الاجتماعية ، وهذه الظواهر الاجتماعية بدورها تتألف من جوانب اساسية تتمثل في الجوانب الثقافية بما تعويه من قيم ومعايير ومعايير ، والجوانب اجتماعية التي ترتبط بنظم المجتمع وعلاقاته ، وما يحويه من اوسام وادوار وجوانب شخصية تمكسها دوافع لشخص وميوله واتجاهاته وسلوكه ، ولما كان الواقع الاجتماعي هو محصلة تلك الظواهر فانه يتكون بدوره من جوانب اساسية هي في حقيقتها جوانب ثقافية بما لها من مظاهر مادية وفسيق مادية ، وجوانب اجتماعية تتمثل في النظم الاجتماعية والجماعات وما بينها من علاقات ، وجوانب فردية تتفاعل مع الجوانب الثقافية والاجتماعية على نحو ما اكد "جيتريم سروكين" ، "والكوت بارسونز" عندما ذهبوا الى ان هذه الجوانب الثلاث

تشكل الواقع العلمي للمجتمع وتتفاعل مع بعضها وتتبادل التأثير .  
وبذلك عرفت الرابطة القائمة بين تلك الجوانب الحاجية ، تحليل الوحدات  
الاجتماعية المختلفة من مستويات ثلاثه تشمل المستوى الثقافي ، والمستوى  
الاجتماعي ، والمستوى الشخصي .

وانطلاقا من وحدات التحليل الثلاثه بمستويات تحليل كل منها يكون  
الباحث موحها في تحليله للوثائق التاريخية لكشف الابعاد الثقافية  
في الوثائق وكذلك الابعاد الاجتماعية والابعاد الشخصية . والتي تتكامل  
مع بعضها في تناول اي وحدة من وحدات التحليل ، وان كانت المجتمع ، والنظام  
اظهاره اجتماعية معينة . او جماعة او شخصية معينة .

#### ب- التحليل الوصفي للوثائق التاريخية :

وتتمثل الوظيفه الاساسية للتحليل الوصفي للوثائق التاريخية في تمييز  
تلك الوثائق وتمثيلها على اساس هذا الوصف ثم تلخيص ما تتضمنه من بيانات .

والتحليل الوصفي هذا يتناول الوثائق التاريخية على المستوى الخارجي ،  
او المستوى الشكلي ، وذلك لان الوظيفه الوصفية للتحليل تتمثل في توصيف  
الوثيقة ، او البيانات ، وتلخيص تلك البيانات ووضعها في فئات ، وذلك لان خلاص  
البيانات التي تجمع حول الموضوع قد تكون ممتدة ، الامر الذي يتطلب تحديد  
خصائصها وتصنيفها لفئات بالاعتناد الى تماثل الخصائص او تقاربها لوظيفتها  
في شكلها البسيط<sup>(١)</sup> الذي يسهل عملية استخدامها ومراجعتها .

وبذلك تسير عملية التحليل الوصفي للوثائق التاريخية في الخطوات

التالية :

---

(1) Keppel, G., Design and Analysis, op.cit, pp. 4-9.

### الخطوة الأولى : توصيف الوثائق والبيانات التاريخية :

استنادا الى موضوع الدراسة يتم توصيف الوثائق من حيث النوع كوثيقة أولية أو ثانوية/رسمية أو شخصية، ثم توصيف بياناتها حسب مستويات التحليل الثقافية والاجتماعية والشخصية . ولمرحلة التوصيف تلك وظائفها الأساسية حيث انها تلجأ في تحقيق مايلي :

- تحديد مايتلاءم من تلك الوثائق مع موضوع الدراسة .
- تحديد مدى كفاية البيانات التي تشتمل عليها بالنسبة للدراسة .
- التأكد من ثبات البيانات بمصادرها بها، والتعرف على مستوى ما يتعلق من اتفاق بين الوثائق المختلفة حسب نوعها ومصدرها، حول الحقائق التاريخية التي تتضمنها الوثائق .
- وبذلك يمكن استبعاد المزيف والمعروف منها، والذي لا يتلاءم مع موضوع الدراسة .
- كما أن تلك الخطوة تمهد للخطوة التالية حيث يمكن بناءا على توصيفها القيام بعملية تصنيفها/توقعها في فئات متماثلة .
- كما أن عملية التوصيف تلك تساعد في معرفة مدى مدى هذه الوثائق وصحة البيانات التي تتضمنها، وذلك بمراجعة بياناتها بمصادرها والتعرف على تواريخ اعدادها/المعرفة متى اذا كانت قد كتبت متزامنة مع الوضع المعروض، ام انها كتبت بعد ذلك في فترة زمنية لاحقة .
- تحديد عناصر كل وثيقة وما تتضمنه من بيانات .

### الخطوة الثانية : تصنيف الوثائق التاريخية وبياناتها :

في ضوء الوظائف التي تحللها الخطوة الأخرى من عملية التحليل الوصفي وهي توصيف الوثائق يتم عملية تصنيف الوثائق وبياناتها بحيث يكتسبون عندئذ - وثائق أولية أو وثائق ثانوية - وثائق رسمية أو وثائق شخصية وكذلك تحديد ما إذا كانت بياناتها تخدمنا في التحليل الشدائي أو الاجتماعي والشخصي لموضوع الدراسة .

وفي ضوء التوصيف والتصنيف للوثائق التاريخية وبياناتها والوثائق أو البيانات التي تتضمنها وما إذا كانت تغطي كافة الجوانب الهامة للظاهرة المدروسة<sup>(١)</sup> أم إن هناك بعض جوانب الظاهرة ما تزال في حاجة لمادة تاريخية تغطيها، الأمر الذي يجعلنا نكتفي بالوثائق إذا ما كانت تغطي كافة جوانب الظاهرة المدروسة أو أن نواصل البحث من وثائق ومصادر أخرى للحصول على بيانات تاريخية تغطي الجوانب التي لم تستكمل بياناتها بعد .

### الخطوة الثانية : تلخيص بيانات الوثائق التاريخية

بعدئذ تلخص البيانات التاريخية في توزيع بيانات الوثائق على السمات العامة للظاهرة، والتي نستهدفها بالوصف وذلك تمهيدا لمعالجة الظاهرة وعناصرها بمفهوم البحث في ضوء تلك البيانات حيث يمكننا في ضوء ذلك أن نتأكد مما إذا كان وصفنا لعناصر الظاهرة المدروسة يمكن أن يتم بالاعتماد على البيانات التاريخية/ التي حصلنا عليها من الوثائق التاريخية، أم إنها ما تزال في حاجة لبعض من البيانات التاريخية لاستكمال وصف عناصرها ودراستها.

---

(1) Keppel, G., op.cit. p.9



## ١- التحليل التفسيري للوثائق والبيانات التاريخية :

تسير عملية التحليل التفسيري للوثائق في خطوات أساسية تستهدف في مجملتها التعرف على المعنى الحقيقي لمفهوم الوثيقة والظروف التي أحاطت بها، أو التي أمدت خلالها والتي كان لها تأثير على الوثيقة . وذلك تمهيدا لمناقشة الظاهرة موضوع البحث في ضوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفخمية التي أحاطت بها . بحيث يتم في ضوء عملية التفسير تلك الاستدلال على معنى النتائج التي يمكنها في فوطها ان تجري تفسيرات معينة حول المصادر التاريخية لهذه الظاهرة، ووفقها الراهن والتوقعات المستقبلية لها .

وبذلك نناقش التحليل التفسيري من خلال الخطوات التالية :

- التحليل التفسيري لمفهوم الوثائق التاريخية .
- التفسير الاستدلالي للبيانات التاريخية .
- التقديرات التنبؤية للتحليل التاريخي .

### الخطوة الاولى : التحليل التفسيري لمفهوم الوثائق التاريخية

تستهدف بالتحليل التفسيري للمفهوم هذا التعرف على جانبين اساسيين لمفهوم الوثيقة التاريخية، يمثل اولهما في فهم المعنى الحقيقي للمعارات التي تتضمنها الوثائق وذلك يقتضي ومما كافيها بمعنى المصطلحات اللغوية من ناحية، والمدايم التي تتضمنها الوثيقة من ناحية اخرى، وخاصة ان اللغة والمدايم يتأثران استخدامهما وتحدد المعاني المرتبطة بهما بالسياق العام للمرحلة التاريخية، التي ميقت فيها الوثائق، ويقدّر ما كانت تلك الوثائق قديمة بقدر ما تحمل الدافعا وعباراتها

والمذاهبم التي تتفمنها معاً متمايزاً نسبياً من المعاني التي تستخدم لها في الوقت الحاضر ، وبذلك يكون على الباحث مسؤولية فهم هذه المعاني بالصورة التي تحملها من خلال الفترة التي صفت خلالها ، وليست من خلال الفهم المعاصر لمعانيها . كما ان هذا المستوى من التحليل التفسيري يتفمن شائناً : تحديد المناخ الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي عاشه الشخص الذي اعد هذه الوثيقة او الهيئة التي اصدرتها ، وذلك للتعرف على ما اذا كانت تلك الظروف قد تدخلت في صياغة الوثيقة تدخلا متحيّزاً بالتأكيد ، او التشكيك لواقع هذه الفترة ، ام أن الظروف كانت موافقة لصياغتها بحيادية مطلقة .

#### الخطوة الثانية : التفسير الاستدلالي للبيانات التاريخية

من خلال تحديد الباحث للمعنى الحقيقي الذي تلاوم عليه عبارات الوثائق وما تعنيه مذاهبها ، يستطيع ان يصل الى مجموعة من الحقائق الجزئية ، التي يمكن تمثيلها بين حقائق تاريخية ثقافية ، وحقائق تاريخية اجتماعية ، وحقائق تازيفية طوكية ، ورغم ان العلماء الالمان قد ابتكروا طريقة لتصنيف الحقائق التاريخية الى حقائق طبيعية ، وحقائق نفسية ، وحقائق اجتماعية ، وذهب البعض الى أن الحقائق الاجتماعية وحدها هي التي تعنى الباحث الاجتماعي (١) الا أن الفئات المختلفة للحقائق تتكامل مع بعضها لاطاء المدلول الحقيقي للوثائق التاريخية ، في التحليل السيولوجي .

ومن ثم يبدأ التحليل التفسيري الاستدلالي بتصنيف تلك الحقائق حسب مستويات التحليل الثقافية والاجتماعية والطوكية ، وذلك حسب الزمان والمكان . ثم يعنى

التحليل بعد ذلك بتحديد العوامل والظروف ، التي اثرت في الظاهرة موضوع البحث وادت الى تطورها بالصورة التي هي عليها .

ولى ضوء ذلك يتخذ التحليل التفسير الاستدلالي اجراءات تحليلية معينة للاستدلال منها على العوامل المؤثرة في الظاهرة المدروسة ، والتي ادت الى تطورها وتغيرها بصورة ما من المور، وتتمثل تلك الاجراءات التحليلية في :

- تحليل الرابطة القائمة بين الحقائق الثقافية والاجتماعية والسلوكية، لمعرفة مدى تأثرها على بعضها، ومدى تحديدها لجوانب الظاهرة المدروسة .
- تحليل العلاقة القائمة بين المستويات الثقافية والاجتماعية والشخصية المماثلة ، التي كثفت منها الوثيقة، وتأثرها في المجتمع الحاضر .
- تحليل الرابطة القائمة بين اشكال النظم الاجتماعية التي كثفت منها - طائفة، الوثيقة، وبين النظم الاجتماعية المعاصرة .
- ثم تحليل العلاقات القائمة بين الظاهرة المدروسة، والظواهر الاجتماعية التي اتملت بها في الماضي، ومعرفة مدى تبادل التأثير فيما بينهما، ومقارنة ذلك بتحليل العلاقة بين الظاهرة المعاصرة وملاقتها بالظواهر الاجتماعية الاخرى، ومدى تأثير تلك الظواهر الاجتماعية على بعضها .

الخطوة الثالثة : التقديرات التنبؤية للتحليل التاريخي

ولما كان الاصل في التحليل الوصفي والتحليل التفسيري ان كلا النظامين موجها بفروض معينة حول الظاهرة المدروسة، فان هذا التحليل بمستوييه يلجئ في الوصول الى تقديرات معينة قاضية على الاستنتاج من التحليل الوصفي، والتحليل التفسيري، وذلك لان الاستنتاج يتفحص تنبؤات معينة حول الظاهرة المدروسة<sup>(١)</sup> وهذه التنبؤات تشمل مختلف الجوانب المتعلقة بالظاهرة، من حيث العوامل المؤثرة فيها، والظواهر المرتبطة بها، واتجاهات تغيرها، واحتمالاتها في المستقبل .

---

(1) Keppel, G., op.cit, p. 10.

## المراجع

### ١ - المراجع العربية

- ١- دكتور احمد ابوزيد ، البنيان الاجتماعي / الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- ٢- دكتور السيد علي شتا ، النظريات الاجتماعية ، الريفي ، مؤسسة الانوار ، ١٩٧٧ .
- ٣- دكتور السيد علي شتا ، تحليل النظرية السبولوجية من منظور الاقتراب الاجتماعي في ضوء نظرية التكامل المنهجي ، القاهرة ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ . غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة . ١٩٧٤
- ٤- دكتور السيد محمد خيرى ، الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية القاهرة ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧ .
- ٥- اميل دوركايم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ترجمة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ .
- ٦- بوننومور ، تمهيد في علم الاجتماع ( ترجمة ) القاهرة ، دار الكتاب الجامعية ، ١٩٧٢ .
- ٧- جاستون بوتول ، تاريخ علم الاجتماع ( ترجمة ) الاسكندرية ، الدار القوبيا للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ .
- ٨- جون ركنز ، مشكلات في النظرية السبولوجية ، ( ترجمة ) الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٧٣ .
- ٩- دكتور حماد عمار ، المنهج العلمى في دراسة المجتمع ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ .
- ١٠- دكتور حسن الساعاتى ، علم الاجتماع الظنونى " قواعد المنهج " ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ .
- ١١- دكتور عبدالباستى حسن ، اصول البحث الاجتماعى ، القاهرة ، طبعة لجنه البحوث ، ١٩٧٦ .

- ١٢ - عبدالرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، تمهيد وشرح وتعليق  
دكتور على عبدالواحد والى ، القاهرة ، ١٩٦٠
- ١٣ - دكتور عبدالعزيز عزت ، تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون ، ١ اعدال  
ابن خلدون / المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ،  
١٩٦٢ .
- ١٤ - دكتور عبدالله الخريجي ، دكتور محمد الجوهري ، طرق البحث الاجتماعى ،  
جده ، المؤلف ١٩٧٨ .
- ١٥ - دكتور على عبدالواحد والى ، ابن خلدون اول مؤسس لعلم الاجتماع  
( ا اعدال ابن خلدون ) / القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية  
والجنائية ، ١٩٦٢ .
- ١٦ - دكتور فاديه عمر الجولانى ، التغير الاجتماعى فى المجتمع الحضرى "   
فى ضوء النظرية الوظيفية الاجتماعية " رسالة دكتوراه ( غير منشورة ) ،  
القاهرة ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- ١٧ - دكتور فؤاد زكريا ، اراء نقدية فى مشكلات الفكر والثقافة ، القاهرة ،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .
- ١٨ - كارل بوبر ، علم المذهب التاريخى ا ترجمه / الاسكندرية ، دار المعارف ،  
١٩٥٩ .
- ١٩ - دكتور محمد صابر عثمان ، المنهج فى علم الاجتماع الجزء الثانى ، نظرية  
التكامل المنهجى فى علم الاجتماع ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة  
والنشر ، ١٩٧٣ .
- ٢٠ - دكتور محمد عاطف غيث ، الموقف النظرى فى علم الاجتماع ، الاسكندرية ،  
دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٧ .
- ٢١ - دكتور محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، الجزء الاول ، الاسكندرية ، دار  
الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ .



- ٢٢- دكتور محمد عبدالمنعم نسور ، ابن خلدون كمفكر اجتماعي عريسي ،  
( أعمال ابن خلدون ) القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية  
والجنائية ، ١٩٦٢ .
- ٢٣ - دكتور محمد علي محمد ، رواد علم الاجتماع ، الاسكندرية ، الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .
- ٢٤- دكتور محمد فتحي الشنيطي ، المعرفة ، القاهرة ، مكتبة القاهرة  
الحديثة ، ١٩٦٢ .
- ٢٥ - دكتور محمود فهمي زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ، الاسكندرية ،  
دار الجامعة المصرية ، ١٩٧٧ .
- ٢٦ - دكتور مصطفى الخشاب ، تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره ، القاهرة ،  
مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ .
- ٢٧ - دكتور مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه - الكتاب الثالث ،  
المدارس الاجتماعية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥ .
- ٢٨ - نيكولاتيماشيد ، نظرية علم الاجتماع ( ترجمة ) القاهرة ، دار المعارف ،  
١٩٧٧ .

ب- المراجع الأفرنجية



1. Allport, F.H., The Influence of Group upon association and thought, journal of Experimental Psychology June, 1920 Vol. 3.
2. Bailey, Kenneth D., Methods of Social Research, The Free Press, London, Collier Macmillan Publishers, 1978.
3. Barton, Allen & Lazarsfeld, Paul F., Methodology of quantitative social research, A new survey of the social sciences, N.Y., Asia Publishing House, 1962.
4. Blav, Peter, Exchange and Power in social life, N.Y., John Wiley & Sons, 1964.
5. Becker, Howard & Dahlke, H.O., Max Scheler's Sociology of Knowledge, 11, 1942.
6. Becker, Howard, Modern Sociological theory, London, Holt, Rinehart and Winston, 1966.
7. Blumer, Martin, Sociological Research Methods, London, McMillan Press Ltd. 1977.
8. Blumer, H., Symbolic Interactionism, Prospective and Method, Prentice-Hall, Englewood, Cliffs, N.J., 1969.
9. Bottomore, T.B., Sociology, London, George Allen & Unwin Ltd., 1975.
10. Chambliss, William J. & Ryther, Thomas E., Sociology the discipline and its direction, New York, McGraw-Hill Book Company, 1975.
11. Chapin, F.S., Experimental designs in sociological Research, New York, Harper, 1947, (Rev.ed., 1955).
12. Churchman, C. West & others Introduction to Operations Research, N.Y., John Wiley & Sons, Inc. 1957.

13. Churchman, Charles West, Elements of logic and formal science, N.Y., J.B. Lippincott Co., 1940.
14. Cicourel, A., Cognitive Sociology, Harmondsworth, Penguin, 1973.
15. Cohen, Morris R., & Nagel, Ernest, An Introduction to logic and scientific method, N.Y., Harcourt, Brace and World., 1934.
16. Cole, Stephens, The sociological method, Chicago, Rand McNally College Publishing Company, 1972.
17. Coser, L., & Rosenberg, B., Sociological theory, N.Y., The Macmillan Company, 1959.
18. Coser, Lewis & Rosenberg, Bernard, Sociological theory, London, Collier-Macmillan Ltd., 1968.
19. Davis, M., That's Interesting 1, towards a Phenomenology of sociology and a sociology of phenomenology philosophy of the social sciences, 1971.
20. Denzin, N., The research act, London, Butterworths, 1970.
21. Dewy, John, The theory of inquiry, N.Y., Henry Holt & Company, Inc., 1938.
22. Diesing, P., Objectivism versus subjectivism, social sciences, 1966, Vol. 33. N.1.
23. Dumant, R. & Wilson, W., Aspect of concept formation, Am., Social. R., 1967. Vol. 32.
24. Durkheim, E., The Elementary Forms of Religious life, Glencoe, Ill., 1947.
25. Durkheim, Emile, The rules of sociological method, N.Y., the free press, 1966.

26. Durkheim, E., *Suicide*, N.Y., The free Press of Glencoe Inc., 1951.
27. Ekeh, Peter, *Social Exchange theory*, London, Heinemann, 1974.
28. Eliat, T.D., The use of History for research in theoretical sociology, *A.J.S.* 1922. Vol 27. March. PP. 628-36.
29. Fararo, thomas J., *Mathematical Sociology*, New York, A Wiley - Interscience Publication, 1979.
30. Feigl, Herbert & Brodbeck, May, *Readings in the Philosophy*, New York, Appleton-Century; Craft, 1953.
31. Fentan, C. Stephen, The Myth of subjectivism as a special method in sociology, *The sociology Review*, 1968. Vol. 16 No.3.
32. Fischer, George, Note on the sociology of Knowledge, *Am. sociol R.* 1966. N.Y.
33. Fitzgerald, Jack D. & Cox, Steven M., *Unraveling social science*, Chicago Rand, McNally College Publishing Company, 1975.
34. Fletcher, Ronald, *The making of sociology*, Britain, Thomas Nelson and Sons Ltd. 1972.
35. Forcese, D. & Richer, S., *Social Research methods*, New Jersey, Prentice-Hall, Inc., 1973.
36. Friedrichs, Robert W., *A sociology at sociology*, London, Collier Macmillan Publishers, 1970.
37. Gleeson, Dein & Erben, Michael, Meaning in context. Notes towards a critique of ethnomethodology, *British J. Sociol.*, 1976. Vol. 27. No. 4.

38. Gopal, M.H., An Introduction to Research Procedure in Social Sciences, N.Y., Asia Publishing House, 1964.
39. Goffman, Erning, The Presentation of self in everyday life, Doubleday, New York, 1959.
40. Goode, William J. & Halt, Paul K., Methods in Social Research, London, McGraw Hill Kogakusha Ltd., 1952.
41. Gouldner, Alvin W., The Coming Crisis of Western Sociology, London, Heinemann, 1973.
42. Hamans, G., Contemporary theory in sociology (in) Faris R., (ed) Handbook of modern sociology chicago, Rand McNally & Company, 1964.
43. Hansen, M.H. & Others, Sample survey methods and theory, I., N.Y., John Willey & Sons, 1953.
44. Heap, J.L. & Roth, P.A., an phenomenological sociology, Am. Sociol. R., 1973. 38. PP. 354-367.
45. Hutcheon, Pat Duffy, Sociology and the objectivity problem, sociology and social research, 1970. Vo. 51 No. 2.
46. John, Julius A., Area Sampling. Applied to a survey of ethnic groups in seattle, Washington, Research studies, State College of Washington 1951.
47. Johnson, Harry, M., Systematic Sociology, N.Y., Harcourt, Brace, and World, 1960.
48. Kaplan, Abraham, The conduct of Inquiry, San Francisco, Chanddler, 1964.

49. Keppel, Geoffrey, Design and Analysis, New Jersey, Prentic Hall, Inc., 1973.
50. Kneale, W., Probability and Induction, Oxford, Clarendon Press, 1949.
51. Kuhn, Thomas, The structure of Scientific Revolution, Second Ed., Chicago, University of Chicago Press, 1970.
52. Lazerfeld, Berlson & Gaudet, The People's Choice, N.Y., Columbia University Press, 1948.
53. Lewin, Kurt, Field theory in social science, N.Y., Harper & Brothers, 1951.
54. Lévi-Strauss, The Elementary structures of Kinship Trans., Boston, Beacon Press, 1969.
55. Lin, Nan, Foundation of social research, N.Y., McGraw Hill Book Company, 1976.
56. Lovell & Lawson, Understanding Research in Education, London, University of London Press, 1970.
57. Mahmaudi, Kobras N., & Parlin, Bradley W., Sociology Inquiry, N.Y., Kendall, Hunt Publishing Company, 1975.
58. Mannheim, K., Essays on the Sociology of Knowledge, N.Y., 1952.
59. Mannheim, Karl, Ideology and utopia, London, Routledge and Kegan Paul Ltd., 1966.
60. March, James G., & Simon, Organizations. N.Y., John Wiley & Sons, Inc. 1958.

61. Mayntz, Renate, Hollm, Kurt & Huebner, Poger,  
Introduction to Empirical sociology, London, Penguin,  
Education, 1976.
62. Merton, R., Social theory and social structure, Glencoe,  
Illinois, The Free Press, 1957.
63. Mitchell, D., A Dictionary of sociology, London,  
Routledge and Kegan Paul, 1968.
64. Mitroff, Ian I. & Kilmann, Ralph H., Methodological  
Approaches to social science, London, Jossey-Bass  
Publishers, 1978.
65. Mukerjee, Radhakamal, Values in social science, in  
Varma, Baidya, Nath, A new survey of the social sciences,  
New York, Asia Publishing House, 1962.
66. Murdock, George P., Social Structure, N.Y., Macmillan  
and Co., 1949.
67. Myrdal, Gunnar, objectivity in social research, London,  
Gerold Duckworth & Co. Ltd., 1970.
68. Myrdal, Gunnar, value and social theory: Essays on  
Methodology, New York, Harper and Row, 1958.
69. Nagel, Ernest, Logic without metaphysics, Glencoe,  
Illinois, the Free Press, 1956.
70. Nagel, Ernest, The structure of science, N.Y., Harcourt  
Brace & World, Inc., 1961.
71. Newman Jams, Science and sensibility, N.Y., Siman &  
Schuster, 1961. Vol. 1.
72. Nisbet, Robert, A., The sociology of Emile Durkheim,  
London. Heinemann, 1975.

73. Northrop , P.S.C., The logic of the sciences and the Humanities, N.Y., Macmillan and Co., 1947.
74. Parsons, T., Evolutionary universals in society, Am. sociol. R. 1964.
75. Parsons, Talcott, The social system, A General theory of action in Grinker, Roy R., (ed) toward a unified theory of Human behavior, N.Y., Basic Books, Inc., 1956.
76. Perger, P. & luckmann, The social construction of reality, Allen lane, The Penguin Press, 1967.
77. Polansky, Norman A., Social work research, London, the University of Chicago Press, 1960.
78. Rescher, Nicholas, scientific explanation, N.Y., Free Press, 1970.
79. Rex, John, Key Problems of sociological theory, London, Routledge & Kegan Paul, 1977.
80. Sahay, Arun, Max Weper and modern Sociology, London, Routledge & Kegan Paul, 1971.
81. Savary, Theodore H., The language of science, London, Tonbridge Printers, Ltd., 1967.
82. Schwartz, Harvard & Jacobs, Jerry, Qualitative sociology, London, Collier Macmillan Publishers, 1979.
83. Selden, Menefle, An Experimental theory and Experiment in the social psychology, Autocratic and Democratic group Atmosphere, An. J. Socio. 1939.
84. Skidmare. William, Theoretical thinking in sociology, London Cambridge University Press. 1975

85. Simon, Herbert A., Models of man, New York, John Wiley & Sons, 1957.
86. Simon, Julian, L., Basic Research Method in social science, N.Y., Random House, 1969.
87. Smith, H.W., Strategies of social research, New Jersey, Prentice Hall, Inc., 1975.
88. Solf, Ivan, An Introduction to Hegel's Metaphysics, Chicago, University of Chicago Press, 1969.
89. Stauffer, Samuel & others, The American soldier, studies in social psychology in world war II, 4 Vols., Princeton, Princeton University Press, 1949.
90. Thurstone, L., The Measurement of Values, Chicago, University of Chicago Press, 1959.
91. Tonnies, Ferdinand, Community and society (tr.) Loewis, Charles F., N.Y., Harper & Pow., 1963.
92. Tulloch, J.C. sociology of knowledge and the sociology of literature, Am. J. Sociol, 1976. Vol 27. No. 2
93. Varma, Baidya Nath, A new survey of the social sciences New York, Asia Publishing House, 1962.
94. Wallace, W., Sociological theory, London, Heinemann, 1969.
95. Willer, David, scientific sociology, theory and method, New Jersey, Prentice Hall, Inc., 1967.
96. Willer, Judith, The social determination of knowledge Englewood cliffs, N.J., Prentice Hall, 1971.



97. Young, Pauline, Scientific social surveys and research, N.Y., Prentice Hall, 1942.
98. Zetterberg, Hans L., in: varma Baidya Nath, A new survey of the social sciences, N.Y., Asia Publishing House, 1962.
99. Zetterberg, Hans L., an theory and verification in sociology, N.Y., the tressler Press, 1954.

فهرست بالمحتويات

المقدمة :

الباب الاول

٤ - ١

البناء المنهجي والبرهان العلمى

٧٣ - ١

١

تمهيد :

الفصل الاول

البناء المنهجي للعلم

١٨ - ٢

٦ - ٤

أولاً : تعريف العلم

ثانياً : اهداف العلم ووظائفه

٩ - ٦

٦

١ - اهداف العلم

٧ - ٦

- الفهم كهدف للعلم

٧

- التنبؤ كهدف للعلم

٩ - ٨

٢ - وظائف العلم .

١٤ - ٩

ثالثاً : البناء المنهجي للعلم

١١ - ١٠

١ - معنى المنهجية

١٠

٢ - المخطط المنهجي .

١١

٣ - الطريقة

١٢ - ١١

٤ - الاساليب المنهجية

١٤ - ١٢

٥ - الانواع المنهجية

١٨ - ١٤

رابعاً : مبادئ المنظور العلمى فى العلوم الاجتماعية

١٦

١ - مبدأ التجريبية

١٧

٢ - مبدأ الموضوعية .

١٧

٣ - مبدأ النسبية .

١٨ - ١٧

٤ - المبدأ المتعلقة بنزعة الشك العلمى .

١٨

٥ - مبدأ الانحصار والتعميم .

## الفصل الثاني

١٩ - ٤٢

### ماهية المعرفة

٢١ - ٢٥

أولاً : ماهية التفكير البشري

٢٥

ثانياً : ماهية المعرفة

٢٦ - ٢٧

١ - طبيعة المعرفة

٢٧ - ٢٩

٢ - مصادر المعرفة

٢٩ - ٣٣

٣ - أنواع المعرفة

٣٣ - ٣٦

ثالثاً : المعرفة العلمية

٣٦ - ٤٢

رابعاً : سيولوجية المعرفة

## الفصل الثالث

٤٢ - ٧٣

### البرهان العلمي

٤٤ - ٤٥

أولاً : مستويات البرهان العلمي

٤٥ - ٥٣

ثانياً : مدخل البرهان العلمي

٤٥ - ٤٦

١ - المدخل الكلاسيكي للبرهان .

٤٦ - ٤٧

٢ - مدخل النظرية المحققة .

٤٧

٣ - مدخل النزعة الاحراشية .

٤٧ - ٥٣

٤ - مقارنة بين نماذج البرهان الثلاثة .

٥٣ - ٥٩

ثالثاً : استراتيجيات البرهان العلمي

٥٩ - ٥٨

١ - البرهان العلمي بين الوصف والتفسير

٥٨ - ٥٩

٢ - نماذج البرهان العلمي ومراحله .

- رابعاً : النظرية التفسيرية / الابداعية / والبرهان العلمي .
- ١ - البرهان العلمي على مستوى المصادقة
- ٢ - البرهان المورى على اكتمال عناصر النظرية وتوفير معلومات صحتها
- ٣ - البرهان العلمي والتحقق الامبيرى من المصادقة النظرية .
- ٤ - النظرية التفسيرية وتكامل عناصر البرهان العلمي ومستوياته .

### الباب الثانى

#### الاس المنهجية للبحث العلمى الاجتماعى

تصنيف

٧٤ - ٧٤

#### الفصل الرابع

#### المنهج العلمى وعناصره فى البحوث الاجتماعية

- اولاً : عناصر المنهج العلمى
- ثانياً : عناصر المنهج العلمى
- ١ - العناصر النظرية للمدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية
- ٢ - دوافع التوجيه النظرى للمدخل العلمى فى العلوم الاجتماعية
- ٣ - حدود العنصر النظرى للمنهج العلمى فى العلوم الاجتماعية .
- ٤ - مكونات العنصر النظرى للمنهج العلمى
- أ - المفاهيم
- ١ - أولاً / المفاهيم التجريبية .
- ٢ - ثانياً / المفاهيم الاجرائية .
- ٣ - التعميمات
- ٤ - القضايا والفروض

(أولاً) : القضايا الوطنية والقضايا التفسيرية ١٠٦ - ١١٠

(ثانياً) : الفروض الوطنية والفروض التفسيرية ١١١ - ١١٦

(ثالثاً) : الفروض المبررة ( النظرية ) والقوانين ١١٦ - ١٢٧

- الفروض المبررة بين عمل التعميمات وتفسيرها • ١١٨ - ١٢٣

- القوانين بين الفروض الامبيريقية والفروض النظرية ١٢٣ - ١٢٧

٢ - مكونات العنصر الاجرائي للمنهج العلمي ١٢٧

١ - المكونات الاجرائية على مستوى الملاحظة المباشرة • ١٣٠ - ١٣١

ب - المكونات الاجرائية على مستوى صياغة الفرض • ١٣١ - ١٣٢

ج - المكونات الاجرائية كمراحل عملية التحقق الامبيريقية • ١٣٢

٤ - العنصر التلخيص للمنهج العلمي

#### الفصل الخامس

١٤٢ استراتيجيات المنهج العلمي للبحث في العلوم الاجتماعية

أولاً : طبيعة العلوم الاجتماعية ومقتضاياتها المنهجية للبحث ١٤٥ - ١٤٨

ثانياً : القضايا العامة المرتبطة بتطور العلوم الاجتماعية ١٤٨ - ١٥٤

١ - القضايا النظرية ١٥٠ - ١٥١

٢ - القضايا المنهجية ١٥١ - ١٥٢

أ - القضايا الفلسفية ١٥٢ - ١٥٣

ب - القضايا الواقعية ١٥٣ - ١٥٤

ثالثاً : الاجراءات المنهجية للبحث في العلوم الاجتماعية ١٥٤ - ١٥٨

رابعاً : التحفظات المفروضة حول المعرلة في العلوم الاجتماعية ١٥٨ - ١٦٠

خامساً : ابعاد التكامل النظري والمنهجي في العلوم الاجتماعية ١٦٠ -

١ - التكامل النظري في العلوم الاجتماعية ١٦٠ - ١٦١

٢ - التكامل على المستوى المنهجي في العلوم الاجتماعية ١٦١ - ١٦٤

سادساً : البناءية الوظيفية ولتكاميل المعرفي في العلوم الاجتماعية ١٦٤ - ٢٠

سابعاً : موضوعية المعرفة في العلوم الاجتماعية ١٧٠

## الفصل السادس

### محددات البحث الاجتماعي ومعانيه المعرفية

١٧٦ -

- اولاً : محدّدات تتعلق بظهيمة الظاهرة الاجتماعية ومحيطها . ١٧٧ - ٨٤
- ثانياً : محدّدات تتعلق بالنظم العلمية للعلوم الاجتماعية . ١٨٤ - ٩٧
- ١ - المحدّدات النظرية للبحث الاجتماعي ومعانيه المعرفية ١٨٥ - ٨٦
- ٢ - المحدّدات المنهجية للبحث الاجتماعي ومعانيه المعرفية ١٨٦ - ٩٧
- ٣ - عدم وضوح الاساس المنهجي لامادة التكوين والميافه ١٨٧ .
- للقضايا الاجتماعية . ١٨٧ -
- ب - القياس واجراءاته المنهجية . ١٩٤ - ٩٧

ثالثاً :

- فضايا التعدد والوحدة في علم الاجتماع ١٩٧ -
- ١ - المقارنات والانتقائ بين الذاتية والموضوعية ٢٠٠ -
- ٢ - المقارنات والانتقائ بين الكم والكيف في البحوث الاجتماعية . ٢٠٧ -
- ٣ - المقارنات والانتقائ بين الكم والكيف على مستوى البناء النظري . ٢١٨

ب - المقارنات والانتقائ بين الكم والكيف على مستوى البناء المنهجي ٢١٨ -

- ٢ - تعدد نظريات علم الاجتماع ووحدها . ٢٢٦ -

رابعاً :

- محددات تتعلق بالنتج المرجعي لعلم الاجتماع ٢٢٢ -

## الباب الثالث

### علم الاجتماع والمنهج العلمي في دراسة المجتمع

تمهيد :

٢٤٠ - ٢٩٠

٢٤٠ - ٢٤١

## الفصل السابع

### البناء المنهجي والنظام العلمي لعلم الاجتماع

٢٤٧ - ٢٩٥

- مقالم الحوار حول النظام العلمى لعلم الاجتماع ٢٤٤ - ٢٥٣
- ١ - مصادر الحوار حول استقلال علم الاجتماع وتبويبه ٢٤٧ - ٢٤٩
- ٢ - نمو الاهتمام بالمنهج العلمى وتطبيقاته • ٢٤٩ - ٢٥٣
- تطور الحوار حول البناء المنهجي لعلم الاجتماع ٢٥٣ - ٢٨١
- ١ - الحوار حول البناء المنهجي في المرحلة المبكرة من نشأة علم الاجتماع : ٢٥٣ - ٢٥٨
- ٢ - الحوار حول البناء المنهجي بين المدارس المتنافسة • ٢٥٨ - ٢٦٠
- ٣ - مرحلة الحوار المنظم حول البناء المنهجي لعلم الاجتماع ٢٦٠ - ٢٧٢
- ٤ - المرحلة الرابعة للتطور المنهجي لعلم الاجتماع • ٢٧٢ - ٢٨١
- بداية المرحلة الرابعة لتطور البناء المنهجي لعلم الاجتماع ٢٧٧
- المدخل المنهجي للبناءية التبادلية لدراسة الظواهر الاجتماعية • ٢٧٧ - ٢٨١
- ٢٨٧ - ٢٨١ الكيم والكيف في علم الاجتماع
- ٢٨٤ - ٢٨٢ الاجتماع الكيفي والبناء المنهجي لعلم الاجتماع •
- ٢٨٧ - ٢٨٤ الاجتماع الكمي والبناء المنهجي لعلم الاجتماع •
- عناصر البناء المنهجي لعلم الاجتماع ٢٨٧ - ٢٩٥
- ١ - المنهجية ٢٨٨ -
- ٢ - المداخل المنهجية ٢٨٩ - ٢٩٠
- ٣ - الطرق المنهجية ٢٩١ -
- ٤ - الاساليب المنهجية ٢٩١ - ٢٩٢
- ٥ - الادوات المنهجية • ٢٩٢ - ٢٩٥

#### المجلد الثامن

- ٢٩٦ - ٣٣٢ الذاتية والموضوعية في علم الاجتماع

- ٢٩٨ - ٣٠٥ الموضوعية في علم الاجتماع
- ٣٠٧ - ٣٠٥ مشكلة الذاتية في علم الاجتماع

٢١١ - ٢٠٧	النزعة الموقوعية والنزعة الذاتية في المدخل السيولوجي .	شالفا :
٢٢٨ - ٢١١	إلوح الراهن للقضية الموقوعية في علم الاجتماع .	شالفا :
٢٢٢ - ٢٢٨	شروط تحليل الموقوعية في علم الاجتماع .	شالفا :

### الفصل التاسع

#### تصنيف مناهج البحوث الاجتماعية

٢٢٢ - ٢٢٤	تصنيف مناهج البحوث الاجتماعية	
٢٢٨ - ٢٢٦	اسم عملية التصنيف لمناهج البحث	أولا :
٢١٩ -	تصنيف المناهج حسب هدف البحث	ثانيا :
	تصنيف المناهج في ضوء عملية التفكير	ثالثا :
٢٢٥ -	تصنيف المناهج حسب نوع الدراسات .	رابعا :
٢٥٠ - ٢٤٥	تصنيف المناهج على أساس التمييز بين نمط الدراسة وهدفها .	خامسا :
٢٥٢ - ٢٥١	تصنيف المناهج على أساس نمط الدراسة ومداخلها المنهجية .	سادسا :

### الفصل العاشر

#### البحث العلمي بين النظرية والتطبيق

٢٢٢ - ٢٥٤	البحث العلمي بين النظرية والتطبيق	
٢٦١ - ٢٥٥	ماهية العلم وخصائصه	أولا :
٢٥٩ - ٢٥٥	١ - ماهية العلم	
- ٢٥٧	١ - الاداء الوظيفي للنظرية .	
٢٥٩ - ٢٥٧	٢ - الاداء الوظيفي للتواصل .	
٢٥٩	٢ - خصائص العلم	
٢٦٠ - ٢٥٩	١ - الخصائص العامة للعلم	
٢٦٢ - ٢٦٠	٢ - الخصائص التي تميز المنظور العلمي لعلم الاجتماع .	
٦١ - ٢٦٠	أولا : التصميم التبادلي .	
٢٦١	ثانيا : المنهج التجريبي	
٦٢ - ٢٦١	ثالثا : العلم والطريقة الموقوعية	



- ٥٨١ - التحليل السيولوجي في الدراسات التاريخية
- ١ - وحدات التحليل السيولوجي في الدراسات التاريخية
- ٥٨٥ - ٥٨٢ ومتواء .
- ٥٨٧ - ٥٨٥ ب - التحليل الوعظي للوثائق التاريخية
- ٥٩٠ - ٥٨٨ ج - التحليل التفسيري للوثائق والبيانات التاريخية .
- ٥٩٢ - ٥٩١ مراجع ٢٣٥
- ٦٠٢ - ٥٩٤ أ - المراجع العربية ٥١٧
- ب - المراجع الاجنبية

# مطبعة الانتصار

لطباعة الأوراق

١٠ شارع الرومي كرم الدكة

تلبريز : ١٣٧٠١١٦ هـ

محمد صبري



Published in Alexandria



0119605

منشورات  
الانتصار  
PRESS

غلاف

١٠ ش الوردي كوم النكة - ت : ٤٩١٦٥٩٧